شؤون فلسطينية

٣٠

شباط (فبراير) ١٩٧٤

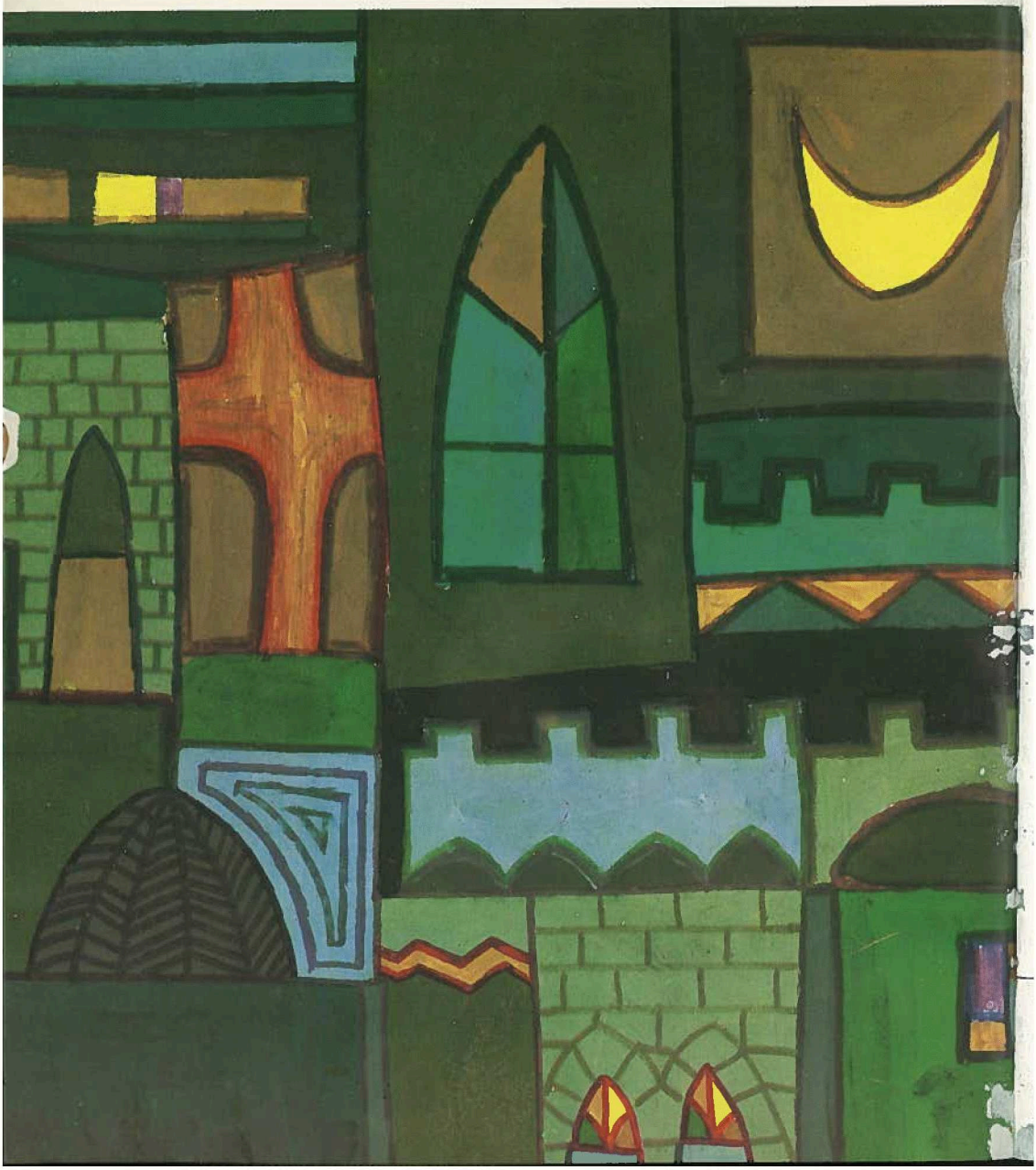

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٣٠ — شباط (فبراير) ١٩٧٤

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : لوحة فلسطينية مستوحاة من القدس

المحتويات

صفحة ٤ شؤون فلسطينية .

٥ **المقاومة الفلسطينية امام التحديات الجديدة** ، أبو اياد ، زهير محسن ، جورج حبش ، نايف حواتمة وشفيق الحوت ، في ندوة خاصة بـ « شؤون فلسطينية » أعدها محمود درويش .

٧٥ **الدولة الديمقراطية التقدمية في فلسطين** ، الدكتور صبري حلاوة .

٩٣ **القوة العاملة والاستخدام في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ : تحليل احصائي وتقديرات** ، الدكتور محمد فريد البستاني .

١٠٤ **مقارنة بين المقاومة الفلسطينية والثورة الجزائرية** ، نانسي جلاجر .

١١٣ **نظرة اولية في ميزانية وكالة الغوث ودلالاتها السياسية** ، نزيه قوره .

١٢٠ **الكركدن المحاصر : دراسة حول توفيق صايغ** ، الدكتور عيسى بلاطه .

١٣٢ **مراجعـــات** : فلسطين واسرائيل ، داود تلحمي. تعليم العرب في اسرائيل، سمير أيوب . ابناء الافاعي ، ف. المنصور . الصراع في الشرق الاوسط ، انور الغساني .

١٤٧ **ثقافة** : الياس خوري .

١٥٧ **تقارير** : (١) القضية الفلسطينية والصحافة البريطانية خلال شهر تشرين الثاني ، مصطفى كركوتي. (٢) الصحافة الفرنسية والحرب. (٣) اتجاهات الصحف في الضفة الغربية : التحركات السياسية بعد حرب تشرين الاول ، عيسى الشعيبي . (٤) الثروة النفطية في فلسطين ، الدكتور فلاح سعيد جبر . (٥) أبعاد الاستراتيجية الاسرائيلية في البحر الاحمر ، عبد المنعم عباس. (٦) السويد تتجسس لحساب اسرائيل ، هـ.د. (٧) جوزيف ادوارد سيف ، سوزي زيادة .

١٩٢ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ع.س. مع ملحق : « النظام الاردني ومؤتمر جنيف » ، ع.ع. (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، صادق جلال العظم. (٤) المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب. (٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١٢/١٣/ ١٩٧٣ — ١٩٧٤/١/١٢ ، غازي خورشيد .

شؤون فلسطينية

ندوة هامة

تعتبر « شؤون فلسطينية » استجابة قادة فصائل المقاومة لدعوتها الى الحوار الهام المنشور في هـذا العدد احدى أكبـر المساهمات الفكرية في المناقشات الدائـرة ، في هذه المرحلة ، حول التحديات الجديدة التي تواجه المقاومة الفلسطينية .

انها تعبير ساطع عن حرص القـادة على المحاورة العميقة قبل صياغة القرار المشترك .

وانها مشاركة في تقدير خطورة المرحلة التي يتعامل معها العمل الفلسطيني ، فكرا وممارسة .

وانها وثيقة هامة تضاف الى سجل أدبيات حركة المقاومة الغنية بالتجارب وآلام المخاض .

وانها ، بعد ذلك كله ، تكريم لهذا المنبـر الفلسطيني « شؤون فلسطينية » المفتوح للحوار الحـر الديموقراطي ، ضمن ضوابط المبادىء المشتركة ، والعقيدة الفلسطينية الراسخة .

وانها تعبير عما يكنه قادة المقاومة من رعاية لهذا المنبر ، وايمان منهم بالدور الذي يؤديه في الصراع الفكري والثقافي مع العدو .

لقد استجاب لدعوة « شؤون فلسطينية » لاجراء مناقشة عميقة وهادئة ، تميزت بروح الاخوة والمسؤولية المشتركة ، كل من الاخوة القادة : ابو اياد . زهير محسن . جورج حبش . نايف حواتمه ، وشفيق الحوت .

وربما نكون في غنى عن ملاحظة أن حصيلة الندوة دلت على وحدة الالتزام الفلسطيني بمبادىء الثورة الفلسطينية وأهدافها العظيمة . ولم يكن الخـلاف في الراي بين الاخـوة المتحاورين خلافـا حـول المبادىء والاهداف ، ولكنه خلاف اجتهادات حول أحسـن السبل لبلوغ هذه الاهداف .

ونحن واثقون من أن هذه الندوة الهامة ستعطي اشارات ضوء للعاملين في ميدان الكفاح الفلسطيني والمهتمين به . وتشكل اجابات واضحة حول أسئلة كثيرة غامضة تطرح في هذه الايام .

ابو اياد . زهير محسن . جورج حبش . نايف حواتمه . شفيق الحوت

في ندوة خاصة بـ « شؤون فلسطينية » :

المقاومة الفلسطينية أمام التحديات الجديدة

اعداد : محمود درويش

محمود درويش :

يسر مركز الابحاث ومجلة « شؤون فلسطينية » ان تستضيف قادة فصائل الثـورة الفلسطينية ومثقفيها السياسيين البارزين وترحب بهم في هذه الندوة التي نطمح الى أن تعطي اضاءات هامة ومسؤولة ، في هذه المرحلة الجديدة التي يبدو للكثيرين منا انهـا شديدة الغموض .

الى اين نحن ذاهبون ؟

ان هذا السؤال المطروح في سياق المتغيرات لا يشكل ، كما يبدو لنا ، هما شاقـا ومضيعا اذا نظرنا اليه من زاوية المستقبل .. من زاوية الاهداف الاستراتيجية البعيدة التي لا تشكل اجتهادا فلسطينيا ، وانما هي قناعة ثورية نحملها جميعا ، ويصبح التخلي عنها تخليا عن الثورة .

ولكن السؤال يصير مثيرا للحيرة وقابلا للمناقشة والاجتهاد ، في منظـار المرحلة الراهنة ــ الجديدة التي تعكف المقاومة على دراستها في جو من الحوار الديمقراطي ، وهو الاسلوب الوحيد لصياغة القرار الذي سيلزمنا جميعا بعد اتخاذه .

وربما لا نكون في حاجة الى القول ان من ابرز علائم الصحة والانفتاح في عقليتنـا السياسية هذا المظهر الديمقراطي من المناقشات والاجتهادات الدائرة في صفوفنا الان حول تصور مستقبل العمل الفلسطيني ، بروح من المسؤولية والالتزام بالحرص علـى ضمان استمرار الثورة واهدافها الراسخة . ان ما يبدو انه اختلاف في وجهات النظر بيننا الان ليس الا اتفاقا على ضرورة البحث عن أفضل السبل لتأمين استمرار الثورة باهدافها الاستراتيجية العظيمة . وان ما يدور بين صفوفنا الان هو مساهمة مختلف الاجتهادات ، لا صراعها ، في مناقشة الخيارات التي تطرحها المرحلة الراهنة والواقع الجديد على الفكر الفلسطيني والممارسة الفلسطينية .

كيف نخترق ، نرفض او لا نرفض نقبل او لا نقبل ، او نتغلب على الحلول المطروحة وصولا الى الحلول التي نطرحها نحن ، دون ان نخسر لا المرحلة ولا المستقبل . كيف نوازن بين غموض ما تطرحه المرحلة وبين وضوح الهدف . وما هي البدائل الفلسطينية الممكنة الطرح والتحقيق .

اننا نعرف ان قرارنا ما زال قيد البحث والدراسة والانتظار . ونعرف ان الجماهير العربية المؤمنة بالثورة الفلسطينية تفهم ضوابط القرار الفلسطيني وصعوبة المخاض ولكن السؤال المطالب بالجواب هو : ما هي الخطوط العامة لتوجهنا السياسي في المرحلة الجديدة . الى أين نحن ذاهبون ؟ وبأية وسائل ؟ وكيف ؟

اننا في « شؤون فلسطينية » واثقون من أن هذه الندوة ، بسبب اشتراك قادة فصائل المقاومة فيها ، قادرة على صياغة اجابات عن الاسئلة الكثيرة المطروحة .

واسمحوا لي أن اقترح الصيغة التالية لسير المناقشة :

اقترح تقسيم الموضوع الى ثلاثة أجزاء :

الاول : **مناقشة المتغيرات في المنطقة وفي العالم بعد حرب تشرين ، وهي التي تشكل حدود المرحلة الجديدة .**

— هل نعترف ، اولا ، بوجود مثل هذه المتغيرات ؟

— ما هو تأثيرها على استراتيجية وتكتيك العمل الفلسطيني ؟

— هل تستدعي اعادة النظر في بعض مفاهيمنا ؟

— هل تدفعنا الى ضرورة الاخذ بالمرحلية في الاهداف ؟

— وهل تتعارض المرحلة مع حقنا التاريخي في فلسطين ؟

الثاني : **تقييم المرحلة القادمة التي تشكل جنيف بدايتها او معالمها البارزة :**

— ما هي وجهة سير الاحداث ؟ هل تسير الى تسوية سلمية للصراع العربي — الاسرائيلي ؟

— ما هو موقفنا من التحرك السياسي العربي من أجل الانسحاب ؟

— هل نعارض . ام نقبله ؟

— اذا عارضناه هل نملك القدرة على الغائه ؟

— واذا قبلناه ، هل نقبل المساهمة فيه .

— وما هي ترجمة كون منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني على واقع تبحث فيه قضية فلسطين باشتراك طرف آخر هو الاردن يدعي تمثيل الشعب الفلسطيني .

— ما هو الموقف الفلسطيني من كل ذلك ؟ اي ما هو الخيار الفلسطيني ؟

الثالث : **مستقبل الاراضي الفلسطينية المحتلة بعد الانسحاب الاسرائيلي عنها .**

— هناك احتمالان : عودة السلطة الاردنية اليها . او : اقامة سلطة وطنية فلسطينية عليها .

— ما معنى هذه السلطة الفلسطينية ؟

— واي البديلين يقربنا من تحقيق اهداف الثورة وحقوقها على ارض فلسطين .

نايف حواتمه :

كمدخل للتساؤلات المطروحة على جميع القوى الوطنية والثورية في الوطن العربي بعد الحرب نقول : ان حرب تشرين ليست حدثا عابرا في تاريخ القضية الفلسطينية ، وفي تاريخ المنطقة العربية . وبالتأكيد فان هذا الحدث يفهم من خلال مجموع المعطيات التي ولدتها الحرب . نحن نفهم حرب تشرين بأنها حرب وطنيـــة محدودة بحدود الافـــاق الطبقية والسياسية للقيادة التي حكمتها ، وتحديدا للقيادة البرجوازية الوطنية التـــي يمثلها السادات ، باعتباره ممثل الثقل الاساسي في قيادة هذه الحرب كما جرى عمليا وواقعيا . واستهدفت ، في تقديرنا ، اخراج أزمة الصراع العربي ــ الاسرائيلي من حالة اللاسلم واللاحرب لتوليد فرص جديدة تمكن من الوصول الـــى تسوية سياسية على ارضية القرار ٢٤٢ وسقفها الاعلى القرار ٢٤٢ مطورا في جانبه الفلسطيني ، في محاولة لاحلال فهم ما للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني مكان البند الخاص « بحل مشكلة اللاجئين حلا عادلا » ! كما ينص عليه القرار ٢٤٢ .

ولذا كان معروفا لنا منذ نهاية هذه الحرب انها لن تتخطى كونها هادفة تحسين فرص التسوية ضمن هذا الاطار الذي ذكرت ، ومع ذلك انخرطت الثورة الفلسطينية فـــي الحرب منذ اللحظات الاولى وناضلت من اجل تطوير هذه الحرب الى حرب تحرير وطنية تتابع الصراع بحيث يصبح من الممكن دحر الاحتلال الصهيوني عـــن الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ ، وانتزاع حق تقرير المصير لشعب فلسطين في المناطق الفلسطينية المحتلة التي يتم دحر الاحتلال عنها بدون قيد ولا شرط .

ومن هنـــا ناضلنا من أجل الزج بجميـــع الطاقات العربيـــة في هذه الحـــرب . كل الجيوش العربية للقتال ، فتح النار في الجبهة الاردنية ، دخول قوات الثورة مـــن الجبهة الاردنية ، استخدام سلاح النفط ، بالتأميم مرورا بأية اجراءات اخرى نفطية ، تحويل الارصدة العربية عن الدولار الخ . . من الصيحات التي اذيعت على لسان الثورة الفلسطينية والاستجابات التي تولدت في المنطقة العربية . الا انه تم قطع الطريق على هذه المحاولة قبل ان تستكمل هذه التفاعلات ، التي يمكن من الارتقاء بالحرب من حرب وطنية محدودة الى حرب تحرير تنهي الاحتلال على هذه الارض ، بالمبادرة التي اتخذها السادات يوم ١٦ اكتوبر وما تلاها من القبول بوقف اطلاق النار . ومن هنا لم تنجـــح جميع المحاولات التي بذلتها القوى الثورية الفلسطينية في تطوير هذه الحرب. فقد بقي زمام المبادرة في ادارة افقها العسكري والسياسي بيد السادات عمليا وموضوعيا . لتبقى هذه الحرب ضمن الحدود المرسومة لها مسبقا ، حربا محدودة تستهدف تحسين فرص التسوية السياسية ضمن اطار القرار ٢٤٢ بسقفه الادنى وسقفه الاعلى .

هذه الحرب المحدودة افرزت مجموعة من التطورات والمعطيات المرحليـــة العربية والدولية تبشر جميعها بأن مجموع هذه التطورات تضغط بخط الوصـــول الى تسوية سياسية . في مقدمتها شبه التوازن العسكري العربي ــ الاسرائيلي ، هز نظرية الامن الاسرائيلية ، الحاق ضربات موجعة بالقوى الحية العسكرية الاسرائيلية وآلات الحرب العسكرية الاسرائيلية الامبريالية ، دخول الجيوش العربية في قتال حديث حي وفعلي، وبروز امكانية استخدام الاسلحة الحديثة بفعالية ، بروز دور السلاح الذي بيد العرب وفعاليته دحرا لكل الاتجاهات السابقة لحرب تشرين والقائلة ان هذا السلاح دفاعي ولا يمكن العرب من اتخاذ موقف هجومي من العدو الاسرائيلي المحتل ، الحالة المعنوية الجماهيرية الفلسطينية والعربية وما ترتب عليها من شبه انتفاضة شعبية شاملة في الاراضي الفلسطينية المحتلة ضد الاحتلال الصهيوني.بجانب هذا كله افرزت حرب تشرين وما رافقها من استخدام سلاح النفط ضمن الحدود التي استخدم بها حالة عالمية ضاغطة

باتجاه حل مشكلة الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، حيث وقفت البلدان الاشتراكية بشكل ثابت وفعال مع حركة التحرر الوطني العربية ماديا وعسكريا وسياسيا ، كما ان نتائج الحرب فرضت على اوروبا الغربية الرأسمالية مراجعة موقفها من قضايا الشرق الاوسط على ضوء مصالحها ، حيث بدأت تهتز وبدأت تكتشف ان مصالحها الشرق اوسطية هي مع الناحية العربية اولا ، مما دفعها لاتخاذ موقف ضاغط متصل على الامبريالية الاميركية وعلى اسرائيل من اجل الوصول الى تسوية ما . ونرى ذات الحالة على يد الامبريالية اليابانية ، كما أخذت ترتفع اصوات خافتة محدودة داخل امريكا تطالب بمراعاة المصالح الامبريالية الاميركية في المنطقة التي لا تتطابق بالضرورة تمام التطابق مع الموقف الاسرائيلي الصهيوني .

ان مجموع هذه المعطيات هو الذي أخذ يشير ، كما جاء في الوقائع ــ فيما بعد ــ الى ان الامور تندفع باتجاه الوصول الى تسوية ما . هذا اولا . ثانيا ، في سلسلة الاتصالات والحوارات التي نشأت بين قيادة الثورة الفلسطينية وبين القوى العربية والعالمية الصديقة ، كان الاتجاه البارز لدى هؤلاء جميعا هو أن المنطقة مقبلة على تسوية نتيجة مجموعة هذه الضغوط التي ذكرت . ثالثا ، هذه التسوية لا تعني كما هو واضح من مجريات الاحداث ، اننا أمام تسوية واحدة بل أمام اكثر من شكل من أشكال التسوية ، امام تسوية ضمن اطار الحل الاستسلامي التصفوي ــ الاميركي الصهيوني ــ الهاشمي ، والذي مؤداه عدم العودة الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ ، حل مشكلة الشعب الفلسطيني ضمن اطار المملكة المتحدة ، وطمس الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة ، بالاضافة الى مجموع الاشتراطات التي تضمنها القرار ٢٤٢ . وحتى يصبح ممكنا دفع الامور في هذا الاتجاه فان الموقف الاستراتيجي الاميركي والاسرائيلي يدفع بخط استفراد الدول العربية ، واحدة بعد الاخرى ، على طريق التسويات الثنائية لان هذا يفتح فرصا اوسع للامبريالية الاميركية وللعدو الصهيوني في الوصول الى تسوية تنسجم مع الحل الاميركي الصهيوني ــ الهاشمي الرجعي .

مقابل هذا هنالك فهم للتسوية متباين أيضا في خطوط الموقف العربي ، أقصد دول المواجهة المعنية تحديدا بالتسوية ، هناك في تقديرنا فهم مصري للتسوية ، في حال تعقد تسوية ضمن اطار مفهوم ٢٤٢ القائم على الانسحاب الاسرائيلي الشامل من الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة في حزيران ١٩٦٧ وتطوير قرار ٢٤٢ حسب الموقف المصري الذي يقول بأنه يفهم التسوية متضمنا الاقرار والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية ، في تقديرنا رغم هذا الاعلان فان الموقف المصري مستعد ، في حال تعقد الوصول الى التسوية ضمن هذا الاطار الى السير في خط التسوية الثنائية مع اسرائيل. كما ان الموقف السوري في فهمه للتسوية متباين عن الموقف المصري ، فالموقف السوري، ضمن اعلانه الذي اقترن بالموافقة على قرار ٣٣٨ يقول بأنه يفهمه متضمنا الانسحاب الكامل من الاراضي المحتلة في حزيران وما بعده والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني بذات الوقت . وليس مستعدا للسير بخطى تسوية سياسية منفردة . بجانب هذا هناك الموقف السوفياتي باعتباره طرفا في الصراع الدائر يقول بتسوية ضمن اطار ٢٤٢ المطور ، حيث تحل مشكلة حقوق الشعب الفلسطيني مكان فهم هذه المشكلة بأنها مشكلة لاجئين . ويفهم الاتحاد السوفياتي هذه العملية ضمن اطار الانسحاب من الاراضي المحتلة عام ٦٧ والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، وهو يفهمها، كما دلت مباحثات الوفد الفلسطيني في موسكو ، بأنها قرارات الامم المتحدة بالنسبة للشعب الفلسطيني .

اذن ، نحن أمام أكثر من شكل من أشكال التسوية مطروح على

المنطقة . نحن نقول بوضوح ان جميع التسويات القائمة على الحل الاميركي الصهيوني الهاشمي ، تؤدي الى حل استسلامي وتصفوي للقضية الفلسطينية ، أمـــا الاركان الاخرى التي لا تحدد بدقة فهمها لحقوق الشعب الفلسطيني ، فاننا نقول بوضوح ان موقفنا منها يتحدد بدقة على ضوء تأييدها لمضمون الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني. وكل ما يؤدي الى الانتقاص من هذه الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني والقائمة على كافة حقوقه ومكاسبه الراهنة والتاريخية سنقف ضده . وهذا يفترض بالضرورة ان نطرح موقفا ملموسا وطنيا وثوريا كفيلا باحباط كافة الحلول الاستسلامية التصفوية ، ويزرع الالغام في طريق هذه التسويات التي تقـــوم على الانتقاص من هـــذه الحقوق التاريخية والراهنة لشعبنا في كامل ترابه الوطني . وهذا يعني بوضوح ، من موقعنا الفلسطيني ، اننا نناضل من أجل دحر الاحتلال الصهيوني وتصفيته عن الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة عام ٦٧ مستمدين هذا الموقف من الموقف الاستراتيجي العام لتحرير كـــامل التراب الوطني وموظفين هذا الانجاز الوطني والقومي في خدمـــة المـــوقف الاستراتيجي العام ، و في الوقت ذاته تمكين شعبنا الفلسطيني في جميع الاراضي التي يتم تحريرها وانسحاب العدو منها من تقرير مصيره بنفسه على هذه الاراضي واقامة سلطته الوطنية الفلسطينية المستقلة عليها. وذلك يتطلب تعبئة جماهير شعبنا بالداخل والخارج في هذا الاتجاه بوضوح كامل، لان النضال من اجل هذا الانجاز يخدم الموقف الاستراتيجي العام لمتابعة تحرير كامل التراب الوطني في المراحل اللاحقة .

هذا الموقف يترتب عليه ايضا موقف عربي يفترض التزاما واضحا مـــن الانظمة الوطنية العربية وقوى حركة التحرر العربية معنا بهذا الاتجاه ، من الدول الصديقة ، فمثل هذا الالتزام سيؤدي بالضرورة الى نسف الحلول الثنائية ، الحلول الجزئية ، الحل الاميركي الصهيوني الهاشمي ، ونحن علينا واجب مباشر في الصراع ضد هذه الحلول التي تصب في النتيجة في خط تصفية القضية الفلسطينية في هذه المرحلة ، في خط طمس الهوية والشخصية الوطنية الفلسطينية ، ومرة اخرى الحاق الاراضي الفلسطينية اما ضمن اطار عملية التوسع الاسرائيلية او بالمملكة المتحدة. وان مرور مثل هذا الحل يعني بالضرورة توفير اجواء في المنطقة قائمة على نظرية الامن المزدوج لصالح اسرائيل ولصالح الدول العربية التي ابرمت مثل هذه التسوية ، مما يجعل الثـــورة الفلسطينية مهددة بالتصفية ، ويجعل جميع المكاسب الوطنية مهددة أيضا . ويؤدي الى تثبيت وتجميد الصراع العربي ــ الاسرائيلي واعادة الاوضاع كما كانت عليه بين عام ١٩٤٨ ــ ٦٧ بالنسبة للشعب الفلسطيني ، بالاضافة الى تجميد الصراع العربي الاسرائيلي انطلاقا من انهاء حالة الحرب بين الدول العربية وبين اسرائيل .

ومن هنا نربط فعلا ربطا حسيـــا وملموسا الموقف الرافض للحلول الاستسلامية التصفوية ببرامج محددة يتم تعبئة الجماهير حولها ونناضل من اجل تعبئة ومركزة حركة التحرر الوطني العربية من حولنا ، ونقطع الطريق على الحل الاميركي الصهيوني وعلى محاولات فرض الحل الهاشمي الاميركي على شعبنا من جديد . وننقل شعبنا الى مواقع جذرية افضل عندما يتيسر له قاعدة ارتكاز يقف عليها وتقف عليها الثورة تشد جماهير شعبنا في جميع مناطق الشتات لها ، تناضل من أجل المحافظة على جميـــع مكاسبه الوطنية والتاريخية التي انجزها تحت راية الثورة والبندقيـــة ، وتقدم فرصا اوسع لامكانية تنظيم واعداد شعبنا والثورة لمراحل افضل في الصراع ضد العـــدو الصهيوني . من هنا تكتسب معارضتنا للحلول التصفوية لقضية شعبنا مضمونهـــا الملموس والكلي . ولا نكتفي باتخاذ موقف عام يقول بمتابعة النضال والعمل دون تحديد البرنامج والمحتوى الملموس الذي نناضل عليه ومن اجله في هذه المرحلة .

تبقى نقطة اخيرة أود الاشارة اليها تكملة لمدخل هذا الحوار ، وهي المتعلقة بمؤتمر

جديدة ، واعتقد ان هذا يجب أن يكون واردا في قمة مشاريعنا للمرحلة المقبلة ، هذه الحرب الجديدة أيضا لا بد وان نحدد لها أهدافا مرحلية ، لانه ليس فينا من يخالف بأن الوجود الصهيوني الذي وصل الى الحجم الذي وصل اليه خلال عشرات السنين وخلال عدد من الحروب لا يمكن ازالته بضربة واحدة وفي يوم واحد . لا بد من أجل ازالته نهائيا والتخلص منه نهائيا من حروب أخرى ومن عدد طويل من السنين . وكما تدرج الوجود الصهيوني ، مرحلة بعد مرحلة في الحجم وفي القوة ، فان عملية ازالته لا بد أن تأخذ شكلا متدرجا . هذا اذا أردنا أن نواجه الامور على الواقع وعلى الطبيعة ، لا على ما يمكن أن نتخيله في أحلامنا .

من هنا ، كانت حرب تشرين ، لهذه الاسباب وبغض النظر عن الاسباب السيكولوجية الاخرى ، سواء بالنسبة للمواطن العربي أو بالنسبة لليهود أنفسهم ، كانت منعطفا هاما في مجرى الصراع العربي الصهيوني ، ربما لم تكن منعطفا حاسما ، ولكنها كانت منعطفا هاما وهاما جدا . ولم تكن حدثا عابرا ، ولا بد أيضا من أخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار عندما نرسم برامجنا وأهدافنا السياسية ونحدد وسائل تحركنا السياسي ، لانه لا يجوز أن نبقى أسرى وسائل التحرك السياسي وبرامج العمل السياسي التي كانت قائمة قبل حرب ٦ تشرين ، بعد هذه الحرب لا بد أن نطور وسائل عملنا وبرامجنا المرحلية في ضوء النتائج والاعتبارات التي خلقتها الحرب . أقول ذلك لانه لا يزال يلاحظ بأن هناك نوعا من الاستمرارية لدى بعض المسؤولين ولدى بعض الفرقاء وربما لدى بعض الفلسطينين، لعقلية ما قبل ٦ تشرين في معالجة او في نمط التحرك السياسي والعمل القائم .

قبل حرب تشرين كان القرار ٢٤٢ هو سقف المطامح العربية التي كانت تتوق الى أية تسوية يمكن ان تتم للازمة في المنطقة. بعد الحرب لا يجوز أن يظل القرار ٢٤٢ هو السقف الذي يحدد مطامح العرب كشرط لاجراء التسوية . التنازلات التي كان بالامكان تقديمها مقابل الحصول على المكاسب التي يقدمها القرار ٢٤٢ قبل ٦ تشرين يجب أن لا تظل بنفس الحجم في الظروف الراهنة حيث تغيرت موازين القوى وحيث غدونا أكثر قدرة على متابعة الصراع بما فيه الصراع المسلح بشكل اساسي . اذن المطامح العربية ووسائل النضال التي تحدد شروط التسوية يجب أن تتطور مع تطور الامور الدقيقة التي تمر فيها المنطقة بعد الحرب . انا اعتقد ان المخطط الامريكي الاسرائيلي الهاشمي ، الذي أشار اليه الرفيق نايف ، والذي يستهدف تمرير تسوية بشروط معطيات ما قبل حرب تشرين ، لا يمكن احباطه الا بمخطط مقابل تلتزم به الاطراف التي تشكل الجبهة المناهضة للجبهة الامبريالية الرجعية . اعني ان المطلوب لمواجهة المخطط الامريكي الاسرائيلي الهاشمي ، مخطط يلتزم به الاتحاد السوفياتي ومصر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية ، يحدد برنامج حد أدنى للمطالب المرحلية المطلوب انجازها في هذه المرحلة على الصعيدين العربي والفلسطيني . ويحدد أيضا سقف التنازلات التي يمكن للامة العربية أن تبلعها كثمن لتحقيق هذه المكاسب . وبدون أن يتم هذا الالتزام المتضامن من جانب الاطراف التي تشكل الجبهة المعاكسة لجبهة الاستعمار سوف لا يكون من السهل قطع الطريق على محاولات التسوية الثنائية وعلى محاولات تمرير حلول استسلامية يكون ثمنها السياسي باهظا . مطلوب هذا التضامن حول مخطط واضح يحدد برنامج الحد الادنى من المكاسب ويحدد سقف التنازلات ، لمنع تقديم تنازلات أساسية في مقابل مكاسب ثانوية ، ولابقاء الموقف الوطني متماسكا في وجه المحاولات الصهيونية الامبريالية ، الرامية الى العودة بالمنطقة الى الموازين التي كانت قائمة قبل الحرب الاخيرة .

من هنا اعتقد ان من واجب كافة القوى الوطنية أن تطالب وان تركز الآن بشكل آني لوقف عملية استمرار مشاركة مصر في أعمال مؤتمر جنيف لانها في غياب المخطط المتفق

عليه والذي يتضامن حوله كافة أطراف جبهة الاصدقاء ، فان استمرار مصر وحدها في وجه المخطط الآخر من شأنه أن يوقعها في فخ التسويات الثنائية والتنازلات الاساسية . واذا وقعت او سمح لمصر أن تقع في هذا الفخ فسوف تواجه المنطقة العربية حالة أكثر صعوبة ، وأوضاعاً تجعلها أقل قدرة على مواجهة المخطط الامبريالي — الصهيوني ، لانها تكون قد فقدت حلقة أساسية وهامة من حلقات المواجهة مع العدو . وأعتقد أن أي مشاركة عربية لا بد أن تؤجل الى أن يتم اقرار برنامج الحد الادنى الذي تلتزم به كافة الاطراف وتتضامن بالنضال لتحقيقه بشكل موحد وبدون ترك أي من الاطراف يحاور منفردا لمشكلته القطرية الخاصة .

لذلك ، بالنسبة لنا ، قبل أن نشارك في مؤتمر جنيف أو نقرر هذه المشاركة لا بد أيضا من أن نصل الى تحديد برنامج الحد الادنى لمطالبنا المرحلية وسقف التنازلات التي يمكن ان تقبل بها المنطقة وان نعمل على انتزاع التزام عربي وسوفياتي متضامن مع هذا البرنامج . وفي ضوء هذه النتيجة نحدد بعد ذلك ان كان ذهابنا الى مؤتمر جنيف ، او اذا كان أي شكل من أشكال التحرك السياسي ، يخدم الاهداف المرحلية التي نريد تحقيقها او يخدم بالاتجاه المعاكس .

لا يمكن رفض أو قبول أي نمط من أنماط التحرك السياسي بصورة مطلقة . نقبل أو نرفض في ضوء تقديرنا لمدى قدرة هذا النمط على تحقيق فائدة ملموسة او مادية لخدمة برامجنا المرحلية الموضحة والمحددة . ولذلك فان نوع رفضنا في هذه المرحلة يجب ان يميز عن رفضنا قبل الحرب ، عندما كنا نحس احساسا كبيرا بالعجز أو الاحساس الغالب علينا دائما هو العجز . وفي ظل العجز يصعب على أية قيادة أو أية حركة وطنية ان تتخطى أي شيء ، ربما في ظل العجز أو الهزيمة ، لو أعطي لنا ثلاثة ارباع مساحة فلسطين سيعتبر هذا نوعا من التصفية والانهزام . وسوف تجد أية قيادة نفسها محرجة في القبول . بعكس ما يحدث عندما تنشأ حالة الشعور بالقدرة على متابعة الصراع ومواجهة الخصم ، يصبح اي مكسب هو خطوة في طريق تحقيق خطوات جديدة ومكاسب جديدة .

أنا لا أعتقد ان المشكلة التي نواجهها حاليا ، كثورة فلسطينية أو كحركة وطنية للشعب الفلسطيني ، هي مشكلة الملك حسين . الملك حسين هو مشكلة هامة ولكن ليس هو المشكلة الاساسية . المشكلة الاساسية تكمن في احتمال انهاء حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل في حال تمكن هذه الدول من التوصل الى تسوية معها . عندما يسمح بانهاء حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل فان حركتنا الوطنية سوف تواجه ظروفا جديدة كلية ، لا تسمح لها بمواصلة نشاطاتها ونضالها وفق الآفاق التي تقتضيها في المرحلة الراهنة . ولاوضح هذه النقطة أعود الى شرح الابعاد التاريخية لتطور نوع النضال التاريخي للشعب الفلسطيني .

منذ عام ٤٨ وحتى مطلع الستينات ، لم يكن يحس الفلسطينيون بضرورة أن يكون لهم حركتهم الوطنية المستقلة عن حركة التحرر العربي . لان الالتزام بفكرة التحرير المتضمنة انهاء الوجود الصهيوني كلية واعادة فلسطين أرضا عربية ، كان التزاما قوميا ، تعلن الالتزام به أيضا الحكومات وتعلن التمسك به أيضا الحركات الوطنية التي كانت خارج الحكم . لذلك كان الجهد النضالي للفلسطينيين يصب في الحركات السياسية الوطنية التي كانت تسعى الى اجراء تغيرات في بنية أنظمة الحكم القائمة مما يجعلها أكثر قدرة على خدمة هدف التحرير .

في مطلع الستينات بدأ يتبلور على المستوى العربي الرسمي ، شعور جديد وخاصة

لدى قيادة عبدالناصر ، وبدأت تتبلور قناعة بأن هدف التحرير بمعنى ازالة اسرائيل ليس ممكنا ، وبدأت تترسب قناعة مفادها ان ثمن الحرب لتدمير اسرائيل وازالتها أمر لم يعد متوفرا أو ممكنا في مقدور القيادات العربية القائمة آنذاك. لذلك بحثوا عن وسيلة جديدة لتحريك القضية الفلسطينية . بحثوا عن طريق جديد لابقاء هذه القضية متحركة ، ولكن ببنود جديدة ، ففكروا بما سمي آنذاك باحياء الكيان الفلسطيني الذي اتخذ أول قرار بشأنه في شتوره سنة ١٩٦٠ على ما أذكر. وكان الاردن ، حتى الاردن ، من جملة الدول التي وافقت على احياء هذا الكيان . أخذت فكرة احياء الكيان الفلسطيني تتبلور كبديل عن الالتزام القومي بفكرة التحرير التي كانت تعني التدمير الكامل للوجود الصهيوني . وهذه الفكرة تجسدت عمليا سنة ١٩٦٤ بانشاء منظمة التحرير لكي تكون كيانا سياسيا فلسطينيا يشكل وجودا اجتماعيا وبشريا متناقضا مع الوجود الاسرائيلي . وأعتقد ان سقف المطامح العربية آنذاك ، عندما خلقت هذا الوجود ، كان يرمي الى الوصول الى قرار تنفيذ قرارات الامم المتحدة بشأن فلسطين التي تنشىء دولة عربية ودولة اسرائيلية في حدود واضحة ومحددة وبالتفصيل .

جاءت حرب حزيران والهزيمة التي أسفرت عنها لتخدم الاتجاهات التي كانت بدأت قبل ذلك ، لتبني شعار حرب التحرير الشعبية ، شعار الكفاح الشعبي المسلح كبديل عن عجز الجيوش النظامية عن المواجهة . حرب حزيران خدمت هذه الاتجاهات وبالتالي أعدت لاعطاء منظمة التحرير مضمونا كفاحيا بعد أن كانت معدة لكي تكون أداة للتحرك السياسي فقط . منذ السنوات التي تلت حرب حزيران نجحت منظمة التحرير في أن تكون رمزا معبرا عن استمرارية الشعب الفلسطيني واستمراريـــة نضاله ، في ظل نشوء الالتزام الاكثر وضوحا من جانب الدول العربية بتحرير الاراضي التي احتلت عام ٦٧ ، وتخليها عن الالتزام المعلن على الاقل ، بتحرير فلسطين بكاملها ، الذي اعتبر مسؤولية طويلة ملقاة على عاتق حركة التحرير الفلسطيني ذاتها .

استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية ، بمضمونها الكفاحي ، ان تستمر كرمز معبر عن استمرارية القضية الفلسطينية ووجـــود الشعب الفلسطيني في حالـــة نضالية ، استطاعت ان تستمر في ظل استمرار حالة الحرب بين العرب واسرائيل . عندما تنتهي هذه الحالة سوف تصبح منظمة التحرير صيغة غير قابلة ، بمضمونهـــا الحالي ، على الاستمرار وعلى البقاء . من هنا مسؤولية البحث عن صيغة جديدة تتحايل على الحالة الجديدة التي من المتوقع أن تنشأ عندما تنتهي حالة الحرب بين العرب واسرائيل بصورة رسمية ، صيغة جديدة للمحافظة على استمرارية القضية الفلسطينية واستمرار النضال الفلسطيني ولمنع تبعثر الشعب الفلسطيني ، ووقوعه مجددا في براثن اليأس والشعور بالعجز وبالوصول الى نهاية المطاف ، وحتى نتجنب الوقوع مرة أخرى في صيغة حكومة عموم فلسطين أو الهيئة العربية العليا التي أصبحت ، منذ السنوات الاولى لانتهاء حرب ٤٨ ، أسماء بلا مسميات وأجساما هيكلية ليس فيها أي حيـــاة . هذا الشعور وهذه التقديرات تدفعني الى الدعوة الى ضرورة تبني برنامج واضح ، يفرض علينا أن ننتزع التزاما عربيا به ، يطالب هذه الدول بأن لا تنهي حالة الحرب ، وبأن لا تدفع هذا الثمن الا في حد أدنى من المكاسب التي تمكن الشعب الفلسطيني مـــن ان يحتفظ بوجـــوده متماسكا ، وبهويته النضالية وبقدرته على حماية قضيته واستمراريتها ومتابعة نضاله.

اذن ، ربما يكون الهدف الاساسي المطلوب أو التكتيكي في هذه المرحلة هو ان نحول دون انزلاق الدول العربية الى انهاء حالة الحرب في مقابل ثمن بخس ، لا يسمح للشعب الفلسطيني بتحقيق حد أدنى من المكاسب التي تمكنه من مواصلة نضاله او المحافظة على قضيته الوطنية .

جورج حبش :

تأملت في الاسئلة المطروحة التي طرحها مركز الابحاث أكثر من مرة . وانني أهنىء المركز على سياق البحث الذي طرحه أمامنا ، لاني أرى فعلا ان الوقفة العلمية والثاقبة أمام كل سؤال من الاسئلة المطروحة ، هو طريق يدل بوضوح تام ووضوح تفصيلي وبالتالي يعطينا القدرة على تحديد المواقف التي تخدم قضية جماهيرنا وقضية الثورة ، وباستثناء ملاحظة ستكون حادة جدا حول السؤال الثالث ، ملاحظة نقدية ، أشعر فعلا أن السياق العام هو السياق العلمي المطلوب ان تقف أمامه كافة فصائل حركة المقاومة في هذه الازمة .

من الطبيعي أن يكون الموضوع الاول هو : ما هو الجديد بعد حرب تشرين ؟ هذه هي الخطوة الاولى التي تستحق الوقفة الدقيقة . هذا هو الموضوع الذي نحن من أجله هنا. قبل حرب تشرين عقد المجلس الوطني الفلسطيني الحادي عشر ، وخرج برؤية سياسية وبرنامج سياسي معين لمتابعة نضال الثورة الفلسطينية . بعد ذلك أتت حرب تشرين ، بغض النظر عما أراده السادات من حرب تشرين او عن الافق الذي رسم لحرب تشرين، أعتقد ان هذه الحرب خلقت وولدت أمورا جديدة لا نستطيع ان نخطط بشكل علمي قبل أن نراها بوضوح . الخوف هو ان ننشدّ في محاولتنا للوقفة أمام الجديد بعد حرب تشرين ، ان ننشدّ بالدرجة الاولى الى المتغيرات السياسية سواء في المنطقة او على صعيد عالمي . أعني المتغيرات السياسية الواضحة والملموسة والكبرى أمامنا الآن . في هذا خطر لانني اعتقد ان هناك بذور نتائج أفرزتها حرب تشرين هي في غاية الاهمية والقيمة ، ويمكن ان تهدينا وتساعدنا جدا على رؤية مسيرة ثورتنا الفلسطينية والعربية مستقبلا .

حرب تشرين ، بنتائجها العسكرية قياسا بطبيعة الحال الى النتائج التي ارتسمت في ذهن الجماهير العربية ، بعد حرب حزيران ، رسمت لاول مرة علامة سؤال ، ولو صغيرة جدا ، حول صحة المشروع الصهيوني من أساسه . وهذه نقطة من المفروض في قيادة الثورة الفلسطينية أن تتأملها جيدا . لا يجوز أن نكتفي بنتائج الانتخابات الاسرائيلية ، ونقول أن ما حصل هو تعزيز الموقف المتصلب الصهيوني المتعنت . وانما من الضروري أن نرى أيضا علامات الاسئلة الصغرى الآن التي بدأت ترتسم داخل المجتمع الاسرائيلي نفسه حول صحة المشروع الصهيوني من أساسه . أعتقد أن هذا يحدث لاول مرة في تاريخ الحركة الصهيونية . قد يكون حدث في مرة سابقة ولكن بشكل أكثر ضآلة بكثير من هذه المرة ، في عز انتصارات الناصرية بعد قيام الوحدة السورية ، أذكر انه نوقشت في بعض المؤتمرات الاسرائيلية موضوع صحة الدولة الصهيونية . وأعتقد ان هذا الموضوع بعد حرب تشرين أصبح أوضح ، ونحن من المفروض ان نرى الامور الجديدة ، النوعية ، واننا يجب ان نحاول استشفاف الرؤية القريبة والرؤية البعيدة المدى لان ثورتنا لا يمكن الا ان تكون ثورة قوية . كتبت على جدران بعض البيوت اليهودية في اسرائيل عبارات « يهودي وليس صهيوني » . وأظن ان مجلة « فلسطين الثورة » كانت قبل بضعة ايام قد نشرت مجموعة أسئلة مطروحة من قبل فريق من الطلاب اليهود ، أسئلة من نوع « هل هذه هي فعلا أرضنا » و « هل قضيتنا عادلة وحقة ؟ » و « ألم نحقق أهدافنا على حساب ومطامح مشروع لشعب آخر ؟ » أرجو ان نفكر طويلا في هذا الموضوع .

بالمقابل ، على صعيد الجماهير الفلسطينية والجماهير العربية ، ما الذي حدث بعد حرب تشرين ؟

بغض النظر عما أراده السادات لحرب تشرين وعن الافق الذي رسم بعد حرب تشرين ، ما الذي حدث ؟ الامور نسبية بطبيعة الحال . ويجب ان نقراها قياسا للمرحلة التي سبقت حرب تشرين . كلنا نعرف طبيعة الهزيمة العسكرية الشنيعة التي تمت في حرب الأيام الستة أو بالاحرى الساعات الست. كلنا نعرف آثار تلك الحرب على الوضع المعنوي والنفسي . والوضع المعنوي والنفسي ليس معزولا عن الوضع السياسي للجماهير وقناعاتها . حرب حزيران رسمت علامة سؤال في أذهان جماهيرنا العربية ، سؤال يقول « هل سيكون من الممكن القضاء على اسرائيل » ؟ كلنا يعرف الهالة التي اكتسبتها المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بعد حرب حزيران . وحاولت الصهيونية والامبريالية ان تعزز وترسخ هذه الامور في اذهان الجماهير . بطبيعة الحال حركة المقاومة عوضت وربما الى حد كبير . لكن بقيت جماهيرنا اجمالا ، الفلسطينية والعربية، ربما لا تتوفر لها القناعة الحقيقية بقدرتها على تحقيق هدفها الاستراتيجي ، أعني تحرير كامل التراب الفلسطيني . أرجو أن نتأمل هذه النقطة جيدا أيضا . الطلائع وحدها التي لم تفقد ايمانها في يوم من الايام لا تكفي لتحريك عجلة التاريخ . القوة التي تحرك عجلة التاريخ هي الملايين ، الجماهير . اذا كانت هذه الملايين غير مقتنعة ، بعمق ، بقدرتها على تحطيم هذه القاعدة النازية الفاشية ، العنصرية الامبريالية المتمثلة في اسرائيل ، فمن الصعب ان تعبىء هذه الجماهير كل طاقاتها لتحقيق هدف لا تتوفر لديها القناعة بقدرتها على تحقيقه .

حرب تشرين ولدت قناعات جديدة ، في صفوف جماهيرنا الفلسطينية وفي صفوف جماهيرنا العربية . يضاف لذلك شيء ثالث أفرزته حرب تشرين ، وهو كيف ان الوحدة الوطنية الفلسطينية والعربية تتم بشكل متين ، ومتين جدا من خلال حالة التصادم بحده الاعلى ، التصادم المسلح مع هذا العدو الغاصب . بالاضافة الى مستوى استعدادات جماهيرنا من المغرب حتى شرق الجزيرة العربية ، استعداداتها العالية جدا للعطاء من أجل هذا الهدف ، هدف تحرير جزء من الارض العربية ، هدف تحرير فلسطين ، استعداداتها الكبيرة للعطاء ولكل انواع العطاء . من الضروري أن تبقى هذه الامور في اذهاننا ، بغض النظر عن صعوبة الوضع السياسي الجديد علينا ، الذي نشهده فعلا بعد حرب تشرين . واعتقد ان من واجبنا جميعا ان نبرز هذه الحقائق اذا كانت لدينا القناعة بأنها حقائق حقيقية وموضوعية . طبعا لا يجوز أن نعود الى أي حالة معاكسة وبالتالي نعود الى أي تصور وهمي من خلاله نستخف بالعدو والتحالف المعادي الاسرائيلي — الصهيوني — الامبريالي — الرجعي وقدراته . لكن في تقديري يمكن لحرب تشرين ، اذا عمل المفكرون والكتاب والتنظيمات الثورية العربية على وضع نتائجها أمام الجماهير العربية ، يمكن لها ان توفر الرؤية الثورية والعلمية التي تستطيع الجماهير العربية أن تتصور على ضوئها معاييرها ، وأن تحدد المواقف السليمة تجاهها .

على الصعيد العالمي ، ان أهم تغيير حدث ، في تقديري ، هو انتقال الامبريالية اجمالا والامبريالية الاميركية بشكل خاص من موقع الى آخر فيما يتعلق بموقفها ازاء الصراع العربي — الاسرائيلي ، ضمن حدود بطبيعة الحال . الامبريالية الاميركية تريد ان تطوق وبأسرع وقت هذه النتائج ولا تريدها ان تأخذ مداها، وبالتالي أصبحت حريصة جدا على عملية التطويق والتسوية في ظل ميزان القوى القائم الان والذي حصل بعد تشرين ، والذي ، وان كان قد تغير عما كان عليه ميزان القوى قبل حرب تشرين فان هذا التغيير تم ضمن حدود ، حدود جعلت الامبريالية مضطرة ان تقف امام التسوية ، مضطرة بالضغط النسبي على اسرائيل لشيء من التنازلات ، ولكن ضمن صيغة معينة في تقديرها انها تضمن الى حد كبير ، تأمين مصالح الامبريالية بشكل كامل ، وتأمين الوجود الصهيوني بشكل مضمون . اذا أضفنا هذا الموقف الاميركي الى وجهة نظر

السوفيات ، التي تعتقد أساسا ان قرار ٢٤٢ ولو من منطلق الصداقة ، تعتقد انه يخدم حركة التحرر الوطني الفلسطيني والعربي . واذا اضفنا لذلك الموقف الاوروبي ، فالموقف العالمي متمثلا بدول عدم الانحياز والموقف الافريقي ، نجد ان أبرز شيء جديد سياسيا هو توفر هذه ، فلنقل ، الارادة الدولية التي تشعر انه ليس من مصلحتها استمرار هذا التوتر وهذا الصراع بهذا الشكل في المنطقة ، هذا الصراع الذي قد يعبر عن نفسه بين وقت وآخر بصدامات مسلحة . وهي عندما تحاكم هذه الصورة من مواقعها تجد انها لا تخدم مصالحها ، لا تخدم سياسة الوفاق الدولي ، لا تخدم كافة التوجهات التي تسير على أساسها السياسة الدولية في هذه الفترة بالذات . من هنا نحن لا نقلل في الواقع ، من اهمية وتأثير هذا الموضوع الجديد ، وهو هذه القوى الدولية التي تريد ان تدفع باتجاه التسوية السياسية .

اذا أضفنا الى هذا الوضع الدولي الجديد ، صورة الطرف العربي المعني والمؤثر في سير الاحداث في هذه الفترة ، لا أقصد الوضع العربي استراتيجيا ، انما أقصد مصر ووجهة نظر مصر بالدرجة الاولى . نجد ان مصر بعد حرب تشرين ، بدأت تشعر في سيرها على طريق التسوية انها حققت الهدف الذي ارادته ، ولو نسبيا من حرب تشرين ، وهو تحويل موضوع التسوية السياسية حتى تقف اميركا امام هذا الوضع المتوتر في المنطقة . هذا الوضع الذي قد لا يخدم مصالحها في المدى البعيد . اذا اضفنا لهذه النقطة ان القيادة المصرية ، تستطيع ان تصور لجماهيرها انها تخوض الان عملية التسوية السياسية على اساس القرار ٢٤٢ من منطلق الانتصار النسبي وليس من منطلق الهزيمة ، يصبح امامنا عامل آخر يدفع باتجاه التسوية وهو العامل العربي المؤثر حاليا في هذه المرحلة في سير الاحداث .

نحن لا نذكر اننا امام قطار التسوية الجارف وبالتالي نقر ضرورة ان يشمل التفكير كافة الاحتمالات التي يمكن ان تواجهها المنطقة في المدى القريب ثم في المدى البعيد ، انما هل هذا يعني أن موضوع التسوية أصبح حتميا ، لا مفر منه ؟ وأن أي مخطط ذاتي وان العامل الذاتي المحلي الفلسطيني والعربي سيكون أعجز من ايقاف قطار التسوية ؟

هذا موضوع يجدر بنا ان نتأمله جيدا . نتأمله موضوعيا من ناحية ، ثم نعود ونتأمله عندما يدخل العامل الذاتي الثوري المؤثر الفاعل اذا استطعنا ان نصبح كثورة فلسطينية في موقع وموقف محدد وفاعل في الاوضاع .

رغم هذا التوجه الدولي الجارف باتجاه التسوية ، هناك عقبات موضوعية ، بغض النظر عن هذه الارادة الدولية الجارفة . اول عقبة موضوعية قائمة هي التناقض بين وجهة النظر الاسرائيلية — والمقصود هنا بالاسرائيلية بمعنى القوى المؤثرة في سير الاحداث في اسرائيل ، بمعنى المعراخ — ووجهة النظر العربية حتى ولو كانت متمثلة بالسادات لرؤية الحل . اعتقد ان هذه عقبة حقيقية ، ستعترض موضوع التسوية .

على ضوء اسرائيل : طبيعة القيادة الاسرائيلية القائمة الان ، كيف تفكر بالنسبة لموضوع الارض وموضوع الامن ؟ كيف تنظر الى تأثير اي انسحاب جذري من المناطق التي احتلت بعد ٥ حزيران على وضعها ثم الوضع المعنوي للجماهير في المجتمع الاسرائيلي ؟ قضية الارض وبشكل محدد قضايا محددة من نوع القدس ، من نوع شرم الشيخ ، من نوع الجولان ، من نوع الحدود في منطقة قلقيلية ، ستكون قضايا هامة وحساسة جدا بالنسبة للقوى الاسرائيلية الحاكمة الان والتي ستدعى الى مؤتمر جنيف والتي ستكون مؤثرة ، بطبيعة الحال ، في توجيه الاحداث في مؤتمر جنيف . اذا تركنا وثيقة غاليلي جانبا ، باعتبار انها وضعت قبل حرب تشرين ، وأخذنا وثيقة البنود الاربعة عشر ، ماذا نجد ؟ الرؤية هنا واضحة

جدا ، طبعا ستبقى الصورة متحركة وتستطيع القيادة الاسرائيلية ، مثلها مثل أي قيادة ان تتحرك في طريقة ترجمة هذه الوثيقة لكن ضمن حدود معينة ، لا تستطيع ان تتجاوزها . لو حاولنا ان نتصور هذه الوثيقة ، وثيقة الاربعة عشر بندا ثم التنازلات التي ستضطر لها اسرائيل نتيجة هذه الارادة الدولية الضاغطة والجارفة ، وتوصلنا الى تصور معين حول مدى استعداد اسرائيل التنازل عن الصورة التي حلمت بها بعد انتصارها الشهير في ٥ حزيران ، لو حاولنا ان نصل الى تصور معين ثم طرحنا السؤال التالي : هل سيكون ذلك مقبولا من الوضع العربي الرسمي المتحكم الآن في التسوية ؟ في تقديري نصل الى نتيجة خلاصتها ان هناك عقبة في هذا الطريق .

أنا لا أقول انها عقبة لا تذلل ، طبعا الارادة الدولية ستحاول كل جهدها ان تضغط بهذا الاتجاه من ناحية وذلك الاتجاه من ناحية . لكن هذه العقبة عقبة موضوعية معينة ستعترض موضوع التسوية رغم كل هذه الارادة الدولية الدافعة في اتجاه التسوية . لو كان هناك تصور موحد ودقيق ومشترك ما بين اميركا من ناحية والاتحاد السوفياتي من ناحية أخرى حول التسوية تفصيليا وحول تنفيذ القرار ٢٤٢ تفصيليا ، ربما كان تقديري ان هذه العقبة ستكون ضئيلة . لماذا ؟ لان اميركا ستضغط على اسرائيل وستضطر اسرائيل للرضوخ . دايان رغم كل عنجهيته ، عندما قبلت اسرائيل بقرار ٣٣٨ و٣٣٩ ووجهت لديان انتقادات قال ما معناه « القبضاي يتفضل » ! « نحن لا نستطيع ان نواصل الحرب دون الاعتماد على اميركا ودون اوثق العلاقات مع اميركا ». الشيء نفسه بالنسبة للقيادة العربية الرسمية . بما انها لا تتصور صراعها مع العدو على اساس الطريقة الفيتنامية القائمة على الجماهير التي تحفر الخنادق والتي تصمد والتي تقاتل بأي نوع من السلاح وتستطيع بكل بساطة ان تحمي نفسها من بربرية العدو وأداة عدوانه مهما كانت ، لو كان لدى القيادة العربية الرسمية هذا المفهوم لكان من الممكن بطبيعة الحال ان تكون قادرة على رفض الضغوط ، لكن طالما ان تصورها قائم على اساس الميج ٢١ او ٢٣ ، قائم على هذه الاسس فانها هي ايضا لا تستطيع ان تتحرك كليا من هذا الوضع الدولي . وبالتالي أقول لو كان هناك اتفاق سوفياتي ــ اميركي تفصيلي حول كيفية تطبيق قرار ٢٤٢ ، لكانت العقبة الاولى عقبة بسيطة وممكن تذليلها .

لكن اذا أضفنا الى العقبة الاولى ، العقبة الثانية ، وهي حد معين من التناقض ما بين الصيغة الاميركية مقابل الصيغة السوفياتية حول كيفية تنفيذ قرار ٢٤٢ وربطنا العقبة الاولى بالعقبة الثانية ، ثم اضفنا الى ذلك ــ وهذا مسؤولية العمل الثوري الفلسطيني والعربي ــ العامل الذاتي ــ هنا لا استطيع ان اخرج باستنتاج ان التسوية ستكون حتمية مائة بالمائة وان المعارضة لها بدون أي جدوى .

ان خطر التسوية يفوق أي خطر للتسوية واجهناه منذ ٥ حزيران حتى الان ، هذا صحيح ، خطر حقيقي ، هذا صحيح . لا يجوز ان نستهين بهذا الوضع الدولي الجديد ، كله هذا صحيح . لكن بالمقابل حتى نرى الامور من كل جوانبها ومن كل زواياها ، من الضروري ان نقف أمام العقبات الموضوعية ثم نقف امام التقييم العلمي الذاتي واثره في تسيير الاحداث . هذه نقطة أعطيها الشيء الكثير من القيمة ، لانه اما ان نقول انه هكذا تسير الامور وبالتالي ليس أمامنا الا الرضوخ والاستسلام ، او نقول ان هذه هي الصورة للتسوية والعقبات التي تعترض التسوية ، وبالتالي يمكن ان يدخل العامل الذاتي وتكون له نتائج اما في منع وعرقلة التسوية ، او في ان تتخذ أشكالا مختلفة عن الشكل او الاشكال المطروحة .

من هنا أقول ان رؤية المتغيرات في المنطقة وفي العالم ، بعد حرب تشرين ، هي المدخل

الصحيح والسليم لرؤية الامور بوضوح والقدرة على رؤية الامور السليمة . وحرصا مني على تتبع السياق الذي طرح ، لانني اعتقد انه سياق ممتاز وشامل ، وطبعا آخذ كافة القضايا التي كانت موضع حوار في الفترة الاخيرة . هل نعترف اولا بوجود مثل هذه المتغيرات ؟ الجواب : ضروري جدا ان نرى هذه المتغيرات . ولا نستطيع ان نكون علميين وثوريين ونستفيد من تجاربنا الا بعد ان نعترف بها ونؤكد عليها ، وتصبح موضع تثقيف ثوري للقيادات وللكوادر وللجماهير الفلسطينية والعربية ، وبالتالي تشكل منطلقات جديدة ، وخاصة بالشق الاول موضوع البذور الجديدة التي طرحتها حرب تشرين .

ما هو تأثيرها على استراتيجية وتكتيك العمل الفلسطيني ؟ تأثيرها على استراتيجية العمل الفلسطيني ، في تقديري ، أكدت بوضوح تام ان هدف الثورة الفلسطينية هدف ليس مجرد هدف عادل ومشروع وانما هو هدف قابل للتحقيق ، قابل فعلا للتحقيق ، واننا لم نكن نعيش مجرد اوهام ، وانما نستطيع امام تحديد الخط السياسي السليم وايجاد التنظيم الثوري الحقيقي ، وامام التعبئة الجماهيرية للجماهير الفلسطينية والعربية ، ومن خلال حالة القتال ، يصبح هذا الهدف ليس مجرد اوهام ، كما يدعي البعض، ولا احلام . وبالتالي فان تأثير هذه المتغيرات على استراتيجية العمل الفلسطيني هو أنها تثبت صحة استراتيجية العمل الفلسطيني ، وعلى رأسها الشعار الاساسي وهو المجتمع الديمقراطي في ارض فلسطين .

اما موضوع تأثيرها على تكتيك العمل الفلسطيني ، فهو الشيء الذي يعنينا بطبيعة الحال ، في هذه المرحلة ، فهذا موضوع أعتقد انه مرتبط بالسؤال الثاني ، لان السؤال الثاني هو الذي يتناول مؤتمر جنيف، نذهب او لا نذهب ، اذا لم نذهب ، ما هو العمل ؟ وبالتالي هنا يجب ان نأخذ المعطيات الجديدة لحرب تشرين بعين الاعتبار . تعليق سريع حول القسم الاخير من نفس السؤال الاول .

هل تدفعنا هذه المتغيرات الى ضرورة الاخذ بالمرحلية بالاهداف ؟ وهل تتعارض المرحلية مع حقنا التاريخي في فلسطين ؟ كلنا نعرف ان هذا السؤال ، سواء القسم الاول او القسم الثاني منه كان مطروحا ، من الناحية النظرية البحتة ، اذا كنا نحن بصدد حديث نظري حول العمل الثوري بشكل عام ، فكلنا نعرف بطبيعة الحال ، على ضوء التجارب الثورية الكبرى في العالم ، ثورة اكتوبر ، ثورة الصين ، الثورة الفيتنامية، كلنا نعرف ان موضوع المرحلية موضوع وارد وموضوع علمي وموضوع مشروع . وكلنا نعرف عبارات لينين وتأكيداته حول اضطرار اية ثورة لموضوع اسمه المساومات والتراجعات والتراجعات والمساومات بين وقت وآخر ، لكن كما يقول لينين ان هذا الموضوع لا يؤخذ بشكل مجرد . هناك فارق بين مساومة ومساومة . وبالتالي كل موضوع يجب ان يؤخذ وبشكل ملموس . وبالتالي هنا الاجابة النظرية شيء والاجابة النظرية في حيز التطبيق شيء آخر . وبالتالي من الضروري ان نحاول فهم بعضنا البعض. وبالتالي ليس من الضروري ، اذا رفضت مساومة معينة او كان هناك تخوف مشروع جدا ، من فهم معين لمرحلة معينة او نتائج مرحلة معينة ان يتهم هذا الموقف بموضوع التفكير المثالي والتفكير الرومانتيكي . أبدا لا يجوز ان يحاكم هذا الموضوع من خلال ان نأخذ هذه القوانين الثورية وهي ان المرحلية تجوز والمساومة تجوز ونطبقها على الواقع الذي نحن بصدده في فترة محددة بشكل ملموس .

هذا يقودنا الى السؤال الذي نحن بصدده الان ، تقييم المرحلة القادمة التي تشكل جنيف بدايتها او معالمها البارزة . ما هو عنوان المرحلة القادمة على صعيد المواقف

والبرمجة ؟ مؤتمر جنيف . وبالتالي امامنا سؤال محدد ، وليس مجرد سؤال نظري معلق في الهواء ، مستمد من قراآتنا الثورية بشكل مجرد . سؤال يجب ان يعطى الجواب عنه على ضوء الدراسة الملموسة ، الدقيقة ، لهذه المرحلة التي عنوانها مؤتمر جنيف .

هل نترك احتمالات مؤتمر جنيف لشتى الاجتهادات ؟ أي نراقب ، نتروى ؟ نرى كيف تسير الامور ؟ وعلى ضوئها نحدد المواقف ؟ أرجو بكل روح رفاقية ان أسجل تخطئتي الشديدة جدا لهذا الكلام ، لماذا ؟ مؤتمر جنيف ليس امام صورة واحدة ، انا اعترف بهذا . مؤتمر جنيف امام اكثر من صورة وامام اكثر من نتيجة . لكن هل هـذا يعفينا من محاولة الاستنتاج العلمي بالصورة العامة التي سينتهي لها مؤتمر جنيف اذا كان توجهنا للنضال يكتفي على الجانب السياسي والاقتصادي فقط ؟ في تقديري ، لا يجوز التهرب من هذا الموضوع بأي شكل من الاشكال . ما الذي سيحدد النتيجة في مؤتمر جنيف ؟ مؤتمر جنيف ستطرح فيه اسرائيل وجهة نظرها ، وجهة نظر اسرائيلية ، ستطرح اميركا وجهة نظرها ، ستطرح فيه الاردن وجهة نظرها . اوافق على القول ان وجهات النظر الثلاث هذه اجمالا متقاربة من بعضها البعض وبالتالي يمكن ان نقول انه سيكون في المؤتمر وجهة نظر امبريالية ـــ صهيونية ـــ هاشمية داخل مؤتمر جنيف .

الى جانب ذلك هناك طبعا وجهة النظر المصرية ، ووجهة النظر السوفياتية . ويمكن القول وجهة النظر ـــ المصرية السوفياتية . اريد ان اذهب اكثر من ذلك فأقول انه من الممكن ان نجد انفسنا في مؤتمر جنيف امام وجهة نظر ليس مصرية ـــ سوفياتية فقط ، انما أمام وجهة نظر مصرية ـــ سورية ـــ عربية اجمالا ـــ سوفياتية ، متفقة حول كل شيء . ما هي النتائج ؟ هل نترك النتائج للتقديرات ؟ لو كان الموضوع ان مؤتمر جنيف ستحدد نتائجه عملية الحوار التي ستدور ، وقناعات المستمعين او المقررين بوجهة النظر ، لتسنى لنا القول ان مؤتمر جنيف يحمل شتى الاحتمالات وقد ينتهي الى نتائج متباينة الى حد كبير ، وبالتالي فلننتظر ، لنرى ما هي النتائج التي يمكن ان تحدث .

لكن في تقديري ، ايها الرفاق ، لو نحاول التدقيق في هذا الموضوع ، لانه قد يكون من مصلحة ثورتنا ان تصل الى تصور غير اعتباطي ، وانما تصور علمي للنتائج التي يمكن ان ينتهي لها مؤتمر جنيف في ظل ميزان القوى القائم الان . ان ما سيحدد نتائج مؤتمر جنيف ، هو ميزان القوى . وأي تصور غير ذلك ، كأن نتصور انه سيكون للنقاش نتائج ، هو تصور مثالي . الموضوع موضوع ميزان قوى معين قائم الان في المنطقـــة ، بعد حرب تشرين تحسن الى جانب مصلحة العرب ولكن ضمن حدود وصفناها . ماذا ستكون النتائج ؟ طبعا ، علميا امام مؤتمر يستهدف التسوية بالطرق السياســـية والسلمية ، سيبدأ بوجهة النظر ، الاميركية ـــ الاسرائيلية ـــ الهاشمية ، مقابل وجهة النظر العربية ـــ مقصود الرسمية ـــ السوفياتية ، فلنتصور ماذا يحدث عادة في مؤتمرات من هذا النوع . خطوة من هنا، ثم خطوة من هنا، ثم خطوة من هنا، ثم خطوة من هنا، الى ان نصل الى نقطة مشتركة . الا نستطيع ان نرى هذه النقطة على ضوء ميزان القوى ؟ ما لم نتابع القتال ، ليس بشكل مغامر ، ولا بشكل أهوج ، ولا بشكل عاطفي ، اذا اكتفينا بالنضال السياسي والنضال الاقتصادي ، لان لي وجهة نظر ايضا ، في النضال الاقتصادي ، أقصد موضوع النفط ـــ اذا تركنا جانبا ضرورة استمرار الصراع المسلح . الا نستطيع ان نرى النتيجة التي سنتوصل لها في مؤتمر جنيف ؟

أريد من باب الجدل فقط ان أقول ان مؤتمر جنيف سينتهي بوجهة النظر السوفياتية ، مع ان هذا علميا ، طبعا ، غير وارد . كلنا نعرف انه علميا غير وارد ، لكن لو فرضنا جدلا انه انتهى بوجهة النظر السوفياتية ، ما هي وجهة النظر السوفياتية ؟ السوفيات

أصدقاء ، يجب ان نحرص على صداقتهم ، لكن في تقديري يجب ان يتخذ حرصنا على صداقتهم ، كمثل ، التجربة الفيتنامية التي كانت تجند كافة التحالفات لخدمة استراتيجية وتكتيك الثورة الفيتنامية ، ولا تخضع مصلحة الثورة لاي وجهات نظر لاي حليف مهما كان هذا الحليف . بقدر ما من واجبي ان اؤكد على صداقة السوفيات وأهميتها وامتاننا الصادق لهم بالنسبة لهذا الموضوع وضرورة الحرص على هذا الموضوع ، أشـــعر ان من حقي ان أقول — وهذه نقطة يجب ان نفهمها وتفهمها كل جماهيرنا — اننا نحن الذين من المفروض ان نقرر برنامجنا وليس السوفيات ، وانه من الممكن ان تكون هناك تعارضات أساسية لا يجوز تغافلها ، وتغافلها نوع من التبعية والذيلية بالنسبة لمسيرة الثورة . والسوفيات أصدقاء لهم وجهة نظر معينة في قرار ٢٤٢ ، هل ميزان القوى مضافا الى وجهة نظر السوفيات تمكننا — على ضوء ما يتصور بعض الرفاق — من ان نصل الى هدف سلطة وطنية ديمقراطية فلسطينية ثم انسحاب كامل عن الاراضي العربية ، بدون اعتراف ، بدون صلح ، بدون حدود آمنة ، بدون مناطق مجردة من السلاح ، بدون قوات دولية ، بدون كل هذه الضمانات ؟ جوابي كلا ، من المفروض ان نطرح امورنا بوضوح أمام أنفسنا وامام الجماهير ، لماذا ؟ لانه كما قلت ، لو كان الحد الاعلى لمؤتمر جنيف ان تنتصر وجهة النظر السوفياتية ، فوجهة النظر السوفياتية ، في فهمها لموضوع التسوية العادلة — ما لم تقو الثورة الفلسطينية والعربية وتحدث تغيرات في وجهة النظر السوفياتية ، وجهة نظرهم ان تبقى اسرائيل ، وأعتقد انكم سمعتم ذلك فعلا ، عندما ذهب وفدنا الى موسكو . ان وجهة نظرنا من موضوع اسرائيل وموضوع الحدود الامنة لاسرائيل تختلف عن وجهة نظر فريق آخر فاعل له وجهة نظر اخرى بالنسبة لهذا الموضوع . وانا اشعر ان اخلاصنا لجماهيرنا وقضيتنا لا يجوز ان يمنعنا من قول هذه الامور ولا يجوز ايضا ان نعبر عن هذه الامور او نترجمها بشكل لا يسيء الى هذه الصداقة . السوفيات يقولون : انتم قرروا موقفكم بأنفسكم ، جيد جدا، نحن هذا هو موقفنا ولسنا مستعدين للتنازلات عن هذا السقف. هل السقف المرحلي،ولا أقول طبعا الحقوق التاريخية ، السقف المرحلي الذي يتصوره بعض الاخوة في حركة المقاومة وهو سلطة وطنية ديمقراطية بدون اعتراف ، ولا صلح ، ولا تمثيل دبلوماسي ، هل هذا ممكن على ضوء ميزان القوى وبدون برنامج سياسي اقتصادي عسكري جديد بعد حرب اكتوبر . انا شخصيا عندي جواب واضح حول هذا الموضوع انه غير ممكن. ومن هنا اقول بالتخطئة الشديدة فعلا لهذا الموضوع لانه فعلا يضعنا في متاهات . من المفروض ان نرى الامور بوضوح ونطرحها لجماهيرنا بوضوح .

سمعت على لسان احد الرفاق الثمانية الذين قدموا مؤخرا من الضفة الغربية ، ان الناس في نابلس تحضر المشاعل للابتهاج ، لا أشد خطورة من خطورة هذا الموضوع ، تحضر المشاعل على ضوء ماذا ؟ على ضوء مناخ معين ، وعلى ضوء اجتهادات معينة . هذه الجماهير يجب ان تهيء البنادق . وهناك فارق كبير بين ان تهيء المشاعل وان تهيء البنادق ، فارق كبير في ان تطرح الثورة مواقف تجعلها تفكر بالمشاعل وبين ان تطرح الثورة مواقف تجعلها تفكر بالبنادق . وهذا موضوع هام جدا يا رفاق ، ونحن مسؤولون عن كل مستقبل ثورتنا وجماهيرنا وبالتالي من المفروض ان نقف امام هـــذا الموضوع . اذا كان الموضوع سلطة وطنية ديمقراطية ، فنحن لا نتحدث عنه بعد خمس سنوات او عشر سنوات ، نحن نتحدث عن مؤتمر جنيف ١٩٧٤ ، في ظل وقائع محددة قائم على اساس قرار ٢٤٢ . قرار ٢٤٢ له شق اول وشق ثاني ، لا يمكن ان نقول أخذنا الشق الاول ، وخرجنا من مؤتمر جنيف هذا غير معقول ! من هنا أقول انه من الضروري جدا على ضوء هذا التحليل ان تقول الثورة رأيها في مؤتمر جنيف وهذا الراي هو الرفض .

على ضوء هذا التحليل اقول أن هذه هي كل المخاطر التي ستنتج فعلا عن حضورنا مؤتمر جنيف على ضوء ميزان القوى القائم الان وعلى ضوء النتائج التي ستكون. لاحظوا انني لم أتطرق الى اشياء شخصية اعتقد انها هامة جدا ، لانني اردت عن عمد ان اتحدث باللغة التي يمكن ان تكون مشتركة او مفهومة ، من قبل الرفاق . انا لم اتحدث — على سبيل المثال — عن اهمية وقناعتي بأهمية وقدسية موقف الرفض الذي وقفته جماهيرنا الفلسطينية من المشروع الصهيوني منذ وعد بلفور حتى الان . انا أعتقد ان هذا البناء السياسي للشعب الفلسطيني ، كان له تأثير كبير في سير كل الاحداث في المنطقة باتجاه خدمة اهداف الجماهير . لكن الان في ظل كل الوضع الجديد المطروح ، يجب ان نبدأ بالتعلم من تجاربنا .

عندما نستعرض فعلا كل تاريخنا النضالي ، بقدر ما فيه من سلبيات يجب أن نستخرجها ، نحدد هل موقف الرفض الجذري الذي وقفته جماهيرنا موقف سليم ام لا ؟ أي ما قبل طغيان الوضع الدولي الجديد على ضوء هزيمة حزيران ، كلنا نعرف كيف كانت تنظر الجماهير الفلسطينية والعربية الى أي امكانية تفاوض او جلوس ما بين حاكم عربي وحاكم اسرائيلي . وكلنا نعرف جيدا ان أقل عبارة كانت تقولها جماهيرنا هي ان هذا خيانة في الواقع . نفكر في هذا الموضوع جيدا ، لمصلحة موضوع صراعنا وتفجير طاقات جماهيرنا الفلسطينية والعربية ، هل من مصلحتنا تبهيت هذا الرفض أم من مصلحتنا اعتبار أي تفكير من هذا النوع ، فعلا على صعيد الخيانة . أنا تركت هذا الموضوع كي اتحدث في لغة يمكن ان تكون مدخلا لتفكير مشترك لاني مقتنع بان الحوار الطويل الصبور ، الموضوعي ، ممكن .

نحن ابناء شعب واحد ، هذه حقيقة لا يجوز ان تغيب عنا . نحن قوى وطنية ولا يمكن ان يتطرق شك في ذهني الى خريطة التناقضات في المنطقة وكيف يجب ان نفهمها . نحن ضمن حركة وطنية فلسطينية ، القوانين التي تحكم تعارضاتنا في كل مرحلة من المراحل هي من نمط آخر غير القوانين التي تحكم تناقضاتنا مع العدو الرجعي او العدو الاسرائيلي . هنا ايماني الحقيقي بفائدة الحوار واملي الحقيقي بأن نستطيع من خلال البحث والتدقيق ان نتوصل ، لا أقول الى وجهة النظر التي أطرحها انا ، انما نتوصل الى وجهة نظر واضحة جدا تفصيلية جدا ، تمكننا من مواجهة الوضع الصعب .

هذه الارادة الدولية التي لا تستطيع مع الاسف ان تعيش احاسيس جماهيرنا . متعاطفة معنا ، صحيح ، لكن هل تعيش قضيتنا كما نحن نعيشها ؟ لا ، هنا المشكلة ، وقد حصل خطأ كبير بعد حرب حزيران بحيث طرحت القضية على اساس العدوان بعد الخامس من حزيران ، فنلنا كل التعاطف الدولي على أساس عدوان ٥ حزيران ، بحيث صور انه اذا تم جلاء عدوان ٥ حزيران ، فان ذلك يعني انتصارا كبيرا وما فوق ذلك ، لقد طفح الكيل ، نحن بحاجة ، بشكل علمي الى اعادة طرح قضيتنا من جذورها عالميا ونحن قادرون بشكل علمي ان نطرح فهمنا لتقرير المصير ، بلغة العصر وبشكل سيواجه اعتراضات وصعوبات ، من قبل حلفائنا . لكن في النهاية من الممكن ان ننتصر . أتت فترة لم تكن فيها مراهنة على حركة المقاومة ، من قبل كثير من القوى الثورية في العالم ، لكن بعد فترة نالت حركة المقاومة كل هذا الاعتراف وكل هذا التأييد .

لندقق في موضوع نعلن او لا نعلن موقف الرفض . اول نقطة اريد ان اطرحها هنا ، هي ان تذهب المقاومة الى مؤتمر جنيف ، موضوع مطروح وارجو ان نفكر جديا في هذا الموضوع . صحيح لم توجه رسالة رسمية كما وجهت الى مصر وسوريا من قبل السوفيات واميركا ، وبالتالي نريد جوابا على هذه الرسالة . صحيح ان الامر ليس مطروحا الان . لكن هل نقول : بما انه لم توجه رسالة رسمية وبما ان الامر غير مطروح

الان ، فاننا لسنا مطالبين باعطاء جواب على هذا الموضوع . كلنا نعرف محاولات مصر الجادة والمتصلة حتى تكون المقاومة طرفا في هذا الموضوع ، وطبعا ، عندي اجتهاد معين ، انها تريد المقاومة طرفا لتغطية معنى الجلوس مع العدو الصهيوني ، لان حركة المقاومة الفلسطينية حركة ثورية ، أعادت فعلا للجماهير الفلسطينية وللجماهير العربية كرامتها في التفاف جماهيري ، وبالتالي اذا حضرت حركة المقاومة الى جنيف ، فان هذا يساعد السادات الى حد كبير على الخروج من حالة الاحراج التي يمثلها التنازل الكبير ، وعنوانه المفاوضات المباشرة ما بين الطرف العربي والطرف الصهيوني .

اذن مصر تطلب منا ، المذكرة التي قدمها السوفيات ، من الطبيعي ان تسير الامور بهذا الشكل ، وبالتالي فان الموضوع مطروح . وعدم تحديد منظمة التحرير الفلسطينية حتى الان موقفا من هذا الموضوع الا يؤثر على مدى تماسك الوحدة الوطنية الفلسطينية ووحدة الصف الفلسطيني ؟ هذا الموضوع ملموس عمليا ، نستطيع ان نراه ونقول عنه سلبا أم ايجابا . الم يؤثر على الحالة الجماهيرية الفلسطينية ؟ واجبنا ان نكون صافين وصادقين ونقول انه أثر سلبا ام ايجابا . الم يفقد حركة المقاومة قدرتها على الفعل العربي والدولي ؟ لنقارن . هنالك اعتبارات تكتيكية لموضوع عدم الاعلان ، هنالك اعتبارات أستطيع أن أراها ، ولكن ما يحسم هو الجواب حول السؤال التالي في ذهننا : أيهما في الاساس وأيهما العامل الحاسم في انتصار أي ثورة . العامل الذاتي أم موضوع التحالفات؟ هذا هو الذي يجعلك تقول : أعلن أو لا أعلن . اذن الموضوع في تصورنا هو رأسمال الثورة الفلسطينية الاول كما نفهم ، كوادرها الملتفة حول قياداتها بثقة ، ثقة الجماهير بها ، موقفها السياسي الواضح ، برنامجها الفاعل باتجاه هذا الموقف السياسي . اذا كان تقديرنا ان هذا هو العامل الاساسي في تحديد مستقبلها ، يجب ان نحاكم موضوع الاعلان او عدم الاعلان على هذا الاساس ، فعلينا ان نتلمس نتائج عدم الاعلان على صعيد الساحة الفلسطينية ، ليس موضوعا خياليا ، موضوع لانه لم يحدد موقف . لمسنا هذه النتائج . اما اذا كان تفكيرنا هو أن الاساس هو عدم توتير علاقاتنا مع صداقات عادية أو دولية ، هنا يصير الموقف هو التريث في الموضوع . ثم ألا نستطيع ان نطرح وجهة نظرنا على ضوء تحليل علمي مشروع مقبول من قبل اطارات عديدة من تحالفاتنا العربية والدولية . ارجو ان لا يفهم من التأكيد على ان المقاتلين هم الاساس والجماهير هم الاساس وان تذهب كل التحالفات الى الجحيم . ليس هذا المقصود انما المقصود هو ان نحدد ما هو العامل الاساسي وعلى ضوئه نحدد كافة العوامل الاخرى .

من هنا اقول ان مؤتمر جنيف ، في سقفه الاعلى ، قابل للرؤية وان لا نترك الموضوع للتجربة ، على ضوء ذلك من المفروض ان نحدد موقفا من هذا الموضوع المطروح سواء وجهت الينا دعوة او لم توجه . في تقديري ان منظمة التحرير لا تستطيع ان تبقى في هذا الوضع ، لماذا ؟ اذا الموضوع موضوع حوار ودراسة ، يشكل الثقة الكافية التي تقول ان اي قيادة ـــ المفروض في القيادات ان تكون مبادرة ومبادهة ـــ تكون قد أطلعت واستقصت وحاكمت الامور وبالتالي أصبح لدينا تقييم معين ، نحن لا نعيش الان اليوم الثاني او الثالث او الاسبوع الثاني او الثالث بعد وقف اطلاق النار او بعد المذكرة السوفياتية او بعد طلب مصر منا في اكثر من مناسبة بأن تقرر موقفا من هذا الموضوع . اذا كان الموضوع موضوع دراسة ، من المفروض ان نكون قد قمنا بواجبنا وانجزنا هذا الموضوع . اذن الموضوع اعتبارات تكتيكية ، هذه وجهة نظرنا ، قد نكون مخطئين . نأمل ان تكون مناسبة لمنظمة التحرير ككل ان توازن بين مكاسب وخسائر اعلان الموقف او عدم اعلان الموقف .

السؤال الثالث : حول مستقبل الاراضي الفلسطينية المحتلة بعد الانسحاب الاسرائيلي

تحتاج الى وقفة تأمل عميقة ازاءها . ولا تدفعنا هذه الوقفة الى أن نفضل الحصول على شيء لشعبنا على حساب مبادئنا، ولا هي وقفة مستندة الى الاستسلام. ولكنها تستدعي التفكير الحريص على أن نجد الوسيلة الفعلية والارض الصلبة التي نستطيع ان نستمر بالثورة من خلالها .

المرحلية ؟ ربما قلت اننا كلنا كثورة لم نثقف كوادرنا تثقيفا حقيقيا في معنى المرحلة . قد أوافق على أن مؤتمر جنيف لم يأت لنا بشيء مما نحلم به ، ولا أتصور أن هنالك فردا في المقاومة يأمل في أن يحصل منه على السلطة الوطنية . فذلك يعني أننا نطلب من كيسنجر ومن ابا ايبان هذه السلطة الوطنية ، لا يمكن . انما نطلب شيئا واحدا ، هناك مطلب لاقامة السلطة الوطنية على قطعة في الارض الفلسطينية ، وهو مطلب نضالي ، هو مطلب صعب، وأتساءل، اذا كان اقامة سلطة وطنية على الضفة الغربية او على أي أرض فلسطينية هو عملية صعبة . فاذن ، من الطبيعي أن تكون العملية الاصعب هي عملية التحرير ، فهي مطلب نضالي وليست مطلبا استسلاميا . قد نوافق على ان يكون هناك حدا أدنى لمطالبنا نضعه نحن كمنظمة تحرير ، وهذه المطالب نناضل جماهيريا وعربيا وحتى مع الانظمة الوطنية في سبيل الحصول عليها وبهذه الوسيلة يمكن ان نحرج الانظمة في تقديم مزيد من التنازل . كل ذلك يعني ان التصور المطروح لا يتوقع الحصول على السلطة عن طريق مائدة جنيف ، وكل من يتصور أن السلطة الوطنية ممكنة عن هذه الطريق أو أن أية قوى وطنية قادرة على الاستيلاء على أي قطعة من أرض فلسطين بهذه الوسيلة ، يكون واهما . ولكن الذي أقوله هو أننا ، بنضالنا المشترك وبرفع شعاراتنا أمام جماهيرنا نرد على أسئلتها عن المرحلة المطروحة الآن وندعوها ونناضل معها من اجل تحقيق أهداف هذه المرحلة .

وفيما يتعلق بأصدقائنا ، سواء كانوا قوى دولية أو عربية ، وسواء تعاملنا معهم منذ فترة قصيرة أو طويلة ، كنا نعرف أننا نختلف معهم حول بعض القضايا ، ولكن هذا الاختلاف لا يمنع اطلاقا أن نضع نحن أمامهم مطالبنا الواضحة . ولا اذكر كما قال الاخوان الذين ذهبوا الى موسكو ان وفد الثورة قد طرح غير موضوع الدولة الديمقراطية الفلسطينية كطرح عام كما طرحت كافة الشعارات الملتزمة فيها كافة فصائل الثورة الممثلة في الوفد . وفي نفس الوقت أقول ، دعونا نضع خياراتنا الاساسية كمقاومة على الطاولة ، ونضع صورة هذه الخيارات اذا كنا قادرين على تنفيذها ولا يعني عدم قدرتنا للتنفيذ ان لا نسعى لها ، انما نحاول بكل جهدنا . لا اعتقد ان فصيلا من المقاومة خياراته انه لا يكون هناك تسوية ، والا يكون متنكرا لمبادئه الاساسية ومتنكرا لكل الطروحات الادبية التي طرحها وبنى تنظيمه عليها . وأيضا جماهير شعبنا سواء الفلسطيني او العربي ، هي أيضا بحسها العفوي ونضالها المستمر هي ضد التسويات . لكن كما كانت حرب تشرين ، كما قدر لها ، فان القرار ليس بأيدينا ، الا ان هذه الحرب بالتأكيد كانت بالنسبة لقيادتها حربا محدودة وليست حرب الشعب ، لانها لو كانت حرب شعب ، لما سارت بالطريقة التي صارت فيها . نتائج حرب تشرين السياسية ايضا كانت محسوبة . قد تكون ثمة اختلاف الآن بين الاطراف العربية ، حول تقديراتهم لحدود التسوية ، ابعاد التسوية ، مؤتمر جنيف، ونحن كثورة فلسطينية نرتكب خطيئة كبرى اذا وجدنا طريقة لنقف وننشىء جبهة قتال تكون اقوى من جبهة الرفض لا نسير فيها ولا نسعى اليها . ولكن بشرط أساسي هو أن تكون الاطراف التي يعتمد عليها في جبهة القتال ، جبهة الرفض ، قابلة للموضوع . ولكن السؤال المطروح علينا والذي يجب أن نجيب عليه : ليس بين ما نطمح اليه حسب أدبياتنا ، انما المطلوب أن نفكر بالشيء الذي قد يفرض علينا وكيف نواجهه ، وطبيعي لا يمكن ان نرضى به اذا كان

استسلاميا . انما يكون فعلا بوضع برنامج نناضل جميعا من أجله ، وبرنامج يجيب على القضايا الراهنة ويتمسك بالحق التاريخي وبالقضايا الآجلة البعيدة المدى . في هذه الحالة اذا وضعنا مثل هذا البرنامج لا يعود السؤال ، او تحديد المواقف الثورية الصلبة فقط ، في الموقف من مؤتمر جنيف او عدمه ، انما يكون في الموقف من هذا الطرح او عدمه . وبذلك تكون القضية قضية هذا البرنامج ، قد نتفق نحن ان جزءا من هذا البرنامج يقضي بألا نذهب لمؤتمر جنيف ، قد يكسون باتفاقنا ان نفتش على البديل الذي يتكلم باسمنا ، اننا نتفق جميعا على أن الحوار لا يعود علينا بأرض فلسطينية ، ولكن في نفس الوقت أقول انه مطلوب ان يسمع صوت الشعب الفلسطيني في قضاياه والا تركت لآخرين اعتقد أنهم تاريخيا مسؤولون عن استمرار النكبة ، واستمرار تكبيل الشعب الفلسطيني ومنعه من التعبير عن نفسه برفض الاحتلال بموقف عملي .

بوسع كل فصائل المقاومة أن تضع مثل هذا البرنامج المرحلي وتتصرف على أساسه وحدة واحدة . على ضوء هذا البرنامج نلتزم بأسلوب التعرض للقضايا الرئيسية والخيارات الاساسية والقضايا المرحلية ، ونرى كيف نواجهها وكيف يمكن أن نحصل على سلطة وطنية غير ممهورة بامضاء كيسنجر وابا ايبان . فمثل هذا البرنامج الذي نتفق عليه جميعا نعلن ما نتفق عليه ونجعل لخطواتنا العملية جزءا آخر ومفيدا وقد يجيب في هذه المرحلة على كثير من الاسئلة التي تطرحها جماهيرنا ، يجيب على قضية الوحدة الوطنية ويجعلها أصلب وأقوى ، ونستطيع مواجهة المناورات التي يضعها مخططو الحل الاميركي — الصهيوني — الرجعي أمامنا ، حتى يأخذوا منا مواقف قد تخدمهم هم من حيث لا ندري . هذا البرنامج المرحلي شيء مهم يجعل كل المواقف واضحة بالنسبة لنا جميعا ، فاذا اتفقنا على مثل هذه الصورة أعتقد اننا سنقطع في مرحلة العمل الفلسطيني مرحلة يراهن الاعداء فيها أساسا على ان تنقسم الصفوف ويحدث شرخ داخل المقاومة ، هذا الشرخ لا نستطيع أن نتصور ابعاده ، وساعتها لا يفيدنا أن نعرف من المسؤول في ذلك . مثل هذا الموقف الفلسطيني الموحد ضمن برنامج مرحلي يزيد من التفاف الجماهير العربية حولنا لانه برنامج يتناول الامور المبدئية والتاريخية والمرحلية ، ويجعل حركة التحرر العالمية أيضا تشعر انها أمام ثورة جادة تريد ان تواجه مشاكلها الراهنة والتاريخية بحلول واقعية وثورية .

شفيق الحوت :

بما اني من المحسوبين على من يسمون بالمستقلين ، فلا بد لي في البداية من تحديد هويتي السياسية ، وأقول انني من أبناء هذا الشعب الفلسطيني ، الذين يطمحون الى تحرير وطنهم بكامل ترابه الوطني من خلال النضال القومي العربي الذي يعتبر نضال شعبنا الفلسطيني جزءا منه . انا من المؤمنين بأن تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني هي قضية قومية .

اريد من هذا التقديم الاخير ان أقول انني من المؤمنين بأن التحرير الكامل هو مهمة قومية عربية . وأننا قد نقع في خطأ خطير اذا ما وقعنا في وهم الظن بأن تحرير كامل التراب الفلسطيني هو مسؤولية الشعب الفلسطيني لوحده ، وان كان لشعبنا الفلسطيني ولحركتنا الثورية دورها في تحريك الثورة العربية والجماهير العربية ، ووضعها ووضع قدرات الامة وثروات هذه الامة في سبيل التحرير الكامل . وأريد ان أقول اننا نمر في مرحلة ، ونصر على اعتبارها مرحلة ايجابية من مراحل نضال شعبنا الفلسطيني ، وأنظر اليها بعين الذي يشعر شعورا كاملا بأن حركتنا النضالية الفلسطينية استطاعت أن

تحقق على طريق التحرير الكامل انجازا كبيرا . وانني لست بحاجة لتعداد هذه الانجازات ، التي أهمها وفي طليعتها ، اعادة الشعب الفلسطيني الى دوره في النضال ، وتحرير ارادته نسبيا في تقرير مصير قضيته . وأريد أن أقول أيضا أنني أنظر الى العلاقة الجدلية بين منظمات الثورة الفلسطينية والانظمة التقدمية العربية بأنها ليست علاقة تناقض . ربما كانت على الصعيد الايديولوجي تبدو كذلك ، الا أنها على صعيد الممارسة فان أقصى ما أستطيع أن أصف به موقف المنظمات من الانظمة أنه موقف تصحيحي وليس موقف تناقض . وأقول مرة أخرى انني لا أقارن من حيث الايديولوجيات التي تتبناها المنظمات والانظمة . انني من الناحية العملية ومن الارتباطات القائمة بين مختلف منظماتنا ومختلف أنظمتنا العربية . انني أركز على هذا التحديد لكي يكون في وعينا عندما نقرر أي موقف نضالي في هذه المرحلة بالذات ، فلا نقع في خطأ الظن بأننا شيء نقيض للانظمة العربية . وأريد أن أقول ايضا ان ما سمعته من الرفاق والاخوان حتى الآن ، من نوع الكلام الذي يمكن أن يقال داخل تنظيم فلسطيني واحد ، كان يمكن ان تكون وجهات النظر هذه متباينة الى حد ما . هي وجهات نظر خلية واحدة في تنظيم واحد ولكن للاسف نحن لسنا حتى الان في تنظيم واحد . ولكننا في تنظيمات متعددة . وهذه في حد ذاتها من عوائق النضال الفلسطيني ، وتصبح كارثة اذا ما أدى أي خلاف في مواقفنا في هذه المرحلة الى اي انقسام ، لان وحدة الشعب الفلسطيني ووحدة المنظمات النضالية في رأيي هي ما نراهن عليه جميعا ، كعامل ذاتي في تغيير وتطوير الوضع الراهن خطوة أخرى الى الامام .

وأريد أن أقول أيضا أننا ونحن نناقش ، لا يجوز لنا أن ننسى بأننا نمثل شعبا يعيش أوضاعا مختلفة ، متمزقة متفرقة جغرافيا وسياسيا . وأن مهمة القائد المسؤول عندما يتخذ القرار أن لا يتأمل وجدانه وحسب ، وأن لا يحاكم عقله وحسب ، وانما يجب أن يأخذ بعين الاعتبار ما يفكر به وما يسعى الى تحقيقه هذا القطاع أو ذاك القطاع من شعبنا ، آخذين بعين الاعتبار الظروف الموضوعية التي يعاني منها كل قسم من أقسام شعبنا ، حسب المكان الذي يحيا فيه والظرف السياسي الذي يتأثر به ويؤثر فيه .

عندما قلت أنني أرى أننا نعيش في مرحلة ايجابية ، أكون أشارك الراي ، بشكل أو بآخر ، فيما قاله الاخ الرفيق زهير محسن ، عندما قال اننا أمام مرحلة ، اطلق عليها مرحلة الواقعية ، وهي أننا لسنا في مرحلة رومنسية .

أريد أن أوضح قليلا هنا فأقول ان ما يعرض اليوم ، ان كان ثمة شيء يعرض ، انما هو دليل على ما أنجزته حركة المقاومة في أرضنا السليبة . بالطبع عندما يبدأ الانسان في النضال وعندما يكون مسحوقا ، فانه ملزم برفع الشعارات الكلية الكاملة طالما أن الشعار شعار لا يؤبه اليه . ولكن عندما نمارس ، وعندما نضغط ، وعندما نؤثر ، تبدأ العروض تنهال علينا كما انهالت من قبل على غيرنا من الحركات الثورية . وليست كل هذه العروض بريئة ، بل أنها كلها تستهدف اجهاض الهدف الاستراتيجي للثورة الفلسطينية . ولكن هذا يعني ان مجرد الحديث عن الشعب الفلسطيني وعن حقوق الشعب الفلسطيني ، وحتى عن دولة فلسطينية ، هو من وجهة نظري نتيجة من نتائج النضال الفلسطيني ، ونتيجة لنضال شعبنا الفلسطيني . ولا أخال أن أية جهة دولية أو عربية كان من الممكن أن تتحدث بأي حل فيه شيء عن فلسطين وشعب فلسطين ، لولا حركة المقاومة ولولا نضال الشعب الفلسطيني .

وأعتقد ان حرب تشرين التي تحدث الاخوان كلهم حولها بايجابية ، بشيء من التباين ربما في الدرجة . . . ان هذه الحرب لم تضعنا وحدنا أمام ما يسمى بأزمة ، ولكنها وضعت العدو الاسرائيلي كذلك أمام أزمة ، ولعله من المفارقات ان الشعب الفلسطيني وحكومة

اسرائيل والحركة الصهيونية هما الفريقان الوحيدان اللذان يعانيان الان مما يمكن تسميته بأزمة المرحلة على طريق الهدف الستراتيجي . وكما ان اسرائيل وكما ان الصهيونية تريد كامل التراب الفلسطيني بل وما هو أكثر من ذلك ، فانها اليوم ملزمة بشكل او بآخر او محرجة بشكل او بآخر للقبول بتنازلات معينة . ونحن كذلك أمام هدفنا الستراتيجي لتحرير كامل التراب ، نشعر أننا أمام قضية مرحلية ملزمين باتخاذ موقف منها . وأرجو أن يؤخذ هذا بعين الاعتبار ونتحسس هذه القضية ، لانها أزمة مرحلة ونتيجة معطيات محددة . وان هذا ليس بالشيء الثابت ، لان الصورة السياسية في هذه المنطقة بالذات هي صورة ديناميكية ومتحركة وقابلة للتأثر بالعوامل التي تضغط عليها . نحن لسنا أمام نهاية ولسنا أمام بداية ، نحن في حلقة جديدة ، وسنمر أمام حلقات أخرى ومواقف وأزمات أخرى على طريق التحرير الكامل . ولكن علينا دائما أن نقف في هذه المراحل السياسية الوقفة التي تكون قادرة على استمرارية النضال وأن لا تكون عائقا او جدارا أمام نضالنا من أجل الهدف الاستراتيجي الثابت ، ولنحاول أن ندخل الى شيء من التفصيل .

كلنا يعلم ماذا يدور الان في المنطقة نتيجة لحرب اكتوبر ، وكلنا يعرف الصراع الدائر حول هذه النتائج ، ومحاولات الشد والضغط من هذه الجهة أو تلك الجهة . كل يشد لصالحه ولصالح قضيته وأقول بأسف ان الجهود الامبريالية والجهود الاسرائيلية تبدو لي أنها تسجل ، حتى الآن ، أهدافها بتوفيق أكثر من الجانب العربي ومن الجانب المتحالف معه .

نحن كقيادة فلسطينية لحركة مسؤولة ، لا نستطيع أن نقف من هذا الذي يجري موقفا سلبيا ، ونقول انه لا يعنينا « ثمة مؤامرة . ولن نلطخ أيدينا فيما يجري » . هذا اذا افترضنا أن ما يجري هو عملية تصفوية عدائية . اننا لا نستطيع أن نحلل أنفسنا من مسؤوليتنا في أن نتحرك ، وفي أن نشارك في تقرير مصير هذا الشعب . لا يجوز ولا بشكل الاكتفاء بالقول بأن هذه مهمة عربية . جيوش عربية قاتلت فليذهب ممثلوها السياسيون ، وليروا ماذا يستطيعون أن يفعلوا لننتظر بعد ذلك ما يترتب على هذا الموقف ، لنأخذ بموقف لفظي ينتقد هذه النتائج .

ان هذا موقف مؤرخ وليس موقف مناضل سياسي ومناضل ثوري . وهذا يعني كما سبق أن قلت في أكثر من مناسبة ، أن المشاركة في تقرير مصيرنا لا يعني أن نشترك في مؤتمر أو في مفاوضات محددة بالفعل . ولكن قد تكون قيمة المشاركة في أن لا نشترك ، وقد تكون في أن نذهب وان نعرقل ، أو في أن نتخذ القرار الذي نجد أنه القرار الاكثر صلاحية ، والاكثر قدرة على الفعل في مستقبل القضية الفلسطينية .

نأتي الى موضوع الضفة الغربية وقطاع غزة . أعرف كما يعرف الجميع انه ليس هنالك من عرض علينا . ولكن أعرف كما يعرف الجميع انه ثمة امكانيات ، ونتيجة لحرب اكتوبر ، وللضغوط والضغوط المضادة ، هنالك شيء اسمه الارض العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ ، هذه الارض .. ما مصيرها ؟ من سيقرر مصير قطاع غزة ومصير الضفة الغربية ومصير شعبنا هناك وشعبنا هنا ؟ أعرف أنه لا يمكن أن تقدم لنا هذه الاراضي بقرار من مؤتمر جنيف . ولا يمكن اعطاؤنا صكا لاقامة سلطة وطنية . ولكني أعرف أن مهمتنا النضالية هي أن تعود هذه الارض لشعبها ، وأن تحكم هذه الارض سلطة وطنية تكون حليفة للمقاومة أو جزءا من المقاومة ، قادرة بشكل من الاشكال على استئناف النضال . هذا غير ممكن ؟ ربما . ولكن المطالبة به ، هل هي أمر خطأ أم لا ؟ وأنا من الراغبين بالفعل في احباط أية تسوية تصفوية ، أتأمل في بعض الاحيان أيهما أكثر قدرة على احباط التسوية وافشالها ؟ أن نقول أننا لن نسمح لأية جهة بأن تحكم أرضنا وشعبنا

في غزة وفي الضفة الغربية ، الا سلطة وطنية ، أم نكتفي بالقول ان هذا الامر لا يعنينا ، ولتعد الامور الى ما كانت عليه ؟ ايهما يفشل مؤتمر جنيف من هذه الناحية بالذات : المطالبة بالسلطة الوطنية ؟ أم الاكتفاء بالقول ان المقاومة غير معنية كما صدر ذات يوم عن اللجنة التنفيذية حول هذا الذي يجري؟هذا لا يعني بالضرورة ان يذهب فلان أو فلان، هذا التنظيم أو ذاك التنظيم ، ولكن على صعيد الدعاية ، على صعيد القول ، على صعيد القرار السياسي ايهما يفشل مؤتمر جنيف أكثر ، الاصرار على حقنا في أرضنا عام ٦٧ دون أي تنازل عن حقنا التاريخي أم الاكتفاء بموقف يقول ان هذا المؤتمر وما يترتب عليه لا يعنينا على الاطلاق ؟ ثم أريد أن أسأل بالفعل وبصدق اذا نحن اضطررنا لموقف يتناقض مع موقف سوريا ومصر بالذات ، ماذا يترتب على هذا التناقض ؟ الحدود الآمنة التي يخشى البعض أن نوقع نحن عليها مضمونة بقرار سوري وبقرار مصري فيما لو وافقت سوريا ومصر على ذلك . ساعتئذ ، هذا يعني اننا أمام صراع مع دولتين هامتين من دول المجابهة العربية . ولدي الاحساس بأن وراء هاتين الدولتين وما سيخرج عنه هذا المؤتمر دولا عربية كثيرة : ربما يقول قائل ان هنالك دولا رافضة ، وأنا أقول أن هذا صحيح ، ولكن علينا أن نعرف المتغيرات الطارئة في الوطن العربي . كنا بالامس نتحدث عن دولتين رافضتين احداهما اليوم أصبحت جزءا من الجمهورية العربية الاسلامية برئاسة الزعيم الحبيب بورقيبة صاحب المواقف المشهورة من قضية التحرير الكامل . فأنا لا أقول ان هذا يعني ان لا نعارض على الاطلاق ، ولكن أقول ان هنالك اعتبارات يجب أن تبقى نصب أعيننا ونحن نقرر الموقف .

لقد تعرضنا في عام ١٩٧٠ لتجربة دموية كبيرة ، ودون أن يؤخذ كلامي على أنه تجريح لاي نظام عربي ، الا أننا ذبحنا ولم نستطع الا أن نقبل هذه المذبحة . ربما لو أعدنا النظر في موقفنا عام ١٩٧٠ ربما نكون قد اتخذنا اجراءات أخرى ومواقف أخرى ، كان من الممكن أن تؤدي الى تأجيل المذبحة أو على الاقل عدم ضرب حركة المقاومة هذه الضربة الساحقة في أهم ساحة من ساحاتها . كلنا يعرف ان تحرير كامل التراب الفلسطيني قضية لا تناقش في المؤتمر . التحرير قضية فعل . التحرير الكامل واعلان ازالة الدولة العنصرية سيصدر عن ثائر عربي في مؤتمر صحفي يعقده في تل أبيب بعد تصفية الوجود العسكري الاسرائيلي . ولكن الى أن نصل الى هذا نحن أمام مراحل ، وهل من قضية تحرير تمت في معركة واحدة !

ان التفكير الفلسطيني بامكانية ازالة دولة اسرائيل بعملية حربية واحدة ، هو تفكير موروث عن فكرنا السابق عندما كانت هنالك امكانية لنظام عربي ما أن يضرب اسرائيل ضربة واحدة ويزيلها من هذا الوجود . في تقديري ان الموقف تعقد لاسباب كلنا يدركها . واصبحت قضية التحرير مضطرة لان تمر على طريق هدفها الاستراتيجي في مراحل متعددة . حتى اصدق أصدقائنا السوفييت كما أشار الدكتور جورج حبش ، يعتمدون هذا الموقف السياسي او الحل السياسي . ولكن ، أنا أؤمن بأن الحوار ضروري مع السوفييت ، ويجب أن يستمر . وبكل تواضع ، كنت مع اخواني الذين جاهدوا في سبيل اقامة علاقة بين المعسكر الاشتراكي وحركة المقاومة ، ولكن في اطار المرحلة ، نحن نعرف انه لا يمكن الا نتيجة لتغيرات نحدثها نحن في المنطقة ، أن نغير في المواقف الدولية . ولكن اذا قلنا الان « لا » حتى للحلول التي يتقدم بها أصدقاؤنا ووقفنا موقفا عدائيا وغير موفق في اخراجه فهذا يعني أننا أصبحنا ، كشعب وحركة وطنية ، ملزمين بالصراع ضد جميع شعوب ودول العالم .

هل هذا الكلام الذي سقته حتى الآن يعني انني اريد الذهاب الى جنيف ؟ وانني أريد الدولة الفلسطينية ؟ وأنه لا ارادة لي سوى الذهاب والتوقيع على ما هو جار ؟ في خيالي

السيسي اعتقد اننا ملزمون باتخاذ قرار فيه كل الحنكة السياسية ، والتعامل مع هذه المرحلة بذكاء سياسي وتكتيك مرن ، يشعر الاصدقاء ممن نختلف معهم في التقدير بأننا نرى أكثر منهم ، وان المستقبل ، من خلال تحرك الاحداث ، سيصبح أقرب لنظرتنا. وأن نعزل العدو ومن مع العدو أكثر فأكثر على الساحة الدولية . وأكثر من ذلك أريد لجماهيرنا العربية ولجماهيرنا الفلسطينية بالذات ولا سيما في قطاع غزة والضفة الغربية أن لا تشعر أننا نحرمها من امكانية حل ، هو في رايي غير قائم وغير وارد ، فاننا نحاول ، ومن خلال هذه المحاولة التي نتأكد من عدم نجاحها سلفا ، نثبت لهذه الجماهير ، انه ليس أمامها الا الاستمرار في مسيرة الثورة وفي حمل البنادق بدلا من حمل المشاعل كما أشار الاخ جورج حبش انهم في الضفة الغربية يحضرون المشاعل ظنا منهم ان القضية قضية الانفراج على الابواب. فاذا وقفنا وقلنا « لا » فقط وشجبنا فقط ، ولم نترك لشجبنا وتنديدنا أن يأخذا صفة التحرك ، وحك المواقف ، أنا أعتقد أننا نكون على الصعيد الاعلامي والتعبوي لجماهيرنا التي هي في النهاية رصيدنا الثوري الاول والاخير خسرنا كثيرا .

قد أكون من المتفائلين ، ولكنني مما سمعت من الاخوة المسؤولين في فصائل المقاومة، بغض النظر عن اللغات المختلفة وعن التعابير المختلفة نسبيا ، أرى أننا بالفعل قادرون على اتخاذ الموقف السياسي الثوري الكفيل بأن يضع غيرنا في الازمة ، بدلا من أن نشعر اننا نحن في أزمة . وكما قال أخي محمود درويش بعد استماعه الى أحاديث الاخوة انه ليس الضمير الفلسطيني موضع المناقشة انما هي قدرة العقل الفلسطيني على الخروج من مرحلة الى مرحلة ، بأحسن الاجتهادات الممكنة على طريق تحقيق أهدافه المشروعة.

نايف حواتمه :

في حديثي الاول ، أردت أن أقدم مدخلا للحوار ، مما حجب عني امكانية مناقشة آراء الاخوان في الجولة الاولى ، الان سأحاول جاهدا ، الاختزال معتذرا سلفا اذا تجاوزت قليلا .

في الجولة الاولى اتضح ان جميع الاخوة حددوا طبيعة المتغيرات التي وقعت في المنطقة وفي العالم بعد حرب تشرين ، وكان هناك التقاء واسع ، بين الجميع بأن المرحلة الراهنة التي نعيشها تفتح امكانات التسوية السياسية والتباين الذي كان قائما،هو حجم هذه الامكانيات . بعضنا يعتبر حجم هذه الامكانيات ضمن حدود، والبعض الآخر يعتبرها قادمة وعلى حد تعبير الاخ جورج ان اطار التسوية جارف بفعل الارادة الدولية . وفي تقديري ان عملية التسوية احتمالاتها آتية وبشكل كبير . وقد أوضحت أن هناك عقبات وتناقضات نسبية تقف في طريق هذه التسوية، مما يعطل انجازها سريعا فيجعلها تأخذ مدى زمنيا ربما يستغرق عاما او عامين وربما أكثر من ذلك .

هذه التسوية بفعل مجموع المعطيات التي أفرزتها حرب تشرين ، بحكم معرفتنا لحركة التاريخ ووقائعه ، هي بالضرورة تعبير عن هدنة مؤقتة ، ربما تكون طويلة نسبيا على صعيد الصراع العربي الاسرائيلي . ومهما كان شكل التسوية، سواء أخذت صيغة الحل الاستسلامي التصفوي الاميركي الصهيوني الهاشمي ، أو صيغة التسوية العربية التي تتضمن الانسحاب الكامل من الاراضي التي احتلت عام ٦٧ مهما كانت صيغة هذه التسوية بهذا الشكل أو ذاك، فهي بالتأكيد تعبير عن هدنة مؤقتة ربما طويلة ليس اكثر. أي لا يمكن أن تؤدي الى تصفية نهائية للقضية الفلسطينية الممثلة في الصراع الفلسطيني والعربي الاسرائيلي ، فجميع أشكال التسويات في هذا العالم كتبت بالقلم ولكنها وليدة حد السيف . وواقع التاريخ يخبرنا كما قال الشاعر دائما بأن « السيف أصدق انباء من

الكتب » . فليس هناك من تسويات متناقضة مع حركة التطور التاريخي تتخذ طابعا خالدا . فجميع التسويات وما يترتب عليها من مواثيق ومعاهدات ستكون بالضرورة معرضة للتمزيق في اللحظة التي يختل فيها ميزان القوى بين الارادات المتصارعة ، ارادات الشعوب المظلومة والشعوب الظالمة والقوميات الظالمة والمظلومة والطبقات المظلومة والطبقات الظالمة . وبما ان حالة التسوية ستقع في المنطقة اذا لم نتمكن من احباطها فستحمل بالضرورة اشتراطات متقابلة يستفيد منها العدو الصهيوني مثل معاهدة سلام ، انهاء حالة الحرب ، فان هذه الاشتراطات تكرس موقتا وجودا صهيونيا قام على القهر والاغتصاب القومي والطبقي في مرحلة تاريخية سابقة. ان شعوب المنطقة سترفض هذه العملية بالضرورة على المدى القريب والمتوسط والبعيد . وحركة الصراع في المنطقة ستأخذ مجراها للاخلال بميزان القوى من جديد لصالح حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية ، لتلغي هذه الاتفاقات وتمزقها بحد السيف مرة أخرى ، لان الوجود الصهيوني على أرض فلسطين هو وجود كولونيالي استيطاني عنصري توسعي ووليد ائتلاف بين الحركة الصهيونية وبين الرأسمالية في المرحلة الكولونيالية .

النقطة الاخرى حول التسوية ايضا : ولدت اسرائيل المعززة بايديولوجية توسعية عنصرية محصلة لمرحلة تاريخية بكاملها ونتيجة للتزاوج بين الحركة الصهيونية الاستيطانية الكولونيالية وبين مرحلة الرأسمالية الكولونيالية. وكان ميزان القوى في هذه المرحلة التاريخية مختلا لصالح قوى الاستعمار والصهيونية عالميا ، وفي منطقتنا العربية كان مختلا اختلالا واسعا لصالح الصهيونية والامبريالية . فالمنطقة العربية كانت بمجموعها خاضعة للكولونيالية العالمية وبمجموعها تحكمها انظمة طبقية اقطاعية كمبرادورية . منطقتنا العربية بمجموعها لم تنهض بعد من مرحلة الانحطاط الطويلة التي ورثناها منذ غزوة التتار مرورا بالعهد العثماني انتهاء مع نهاية القرن العشرين . في ظل هذه المرحلة ولدت دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ومارست دولة اسرائيل توسعا جديدا بعد عام ٤٨ . ففي عام ٤٩ النقب ، ٥١ ايلات . . الخ. وبدأت المنطقة تشهد تغيرا ملموسا متراكما كما بدأ العالم بمجموعه يشهد عملية ثورية متراكمة تسير باتجاه معاكس ومتصادم مع المرحلة التاريخية التي ولدت فيها دولة اسرائيل ، باتجاه الصراع الذي يلحق هزائم يوما بعد يوم ومتتالية بالامبريالية بالرجعية الدولية بالكيانات العنصرية وفي منطقتنا يلحق هزائم يوما بعد يوم بالامبريالية بالانظمة الاقطاعية الكمبرادورية والرجعية المحلية، وبتعبئة شاملة ضد الكيان الصهيوني العنصري الاستيطاني التوسعي.

ثالثا : ان هذه المرحلة التي نشهدها ستتنامى بالضرورة لاننا نعيش مرحلة تاريخية كما قلت متناقضة مع المرحلة التاريخية التي ولدت فيها دولة اسرائيل . وكلنا على ما أعتقد متفقون على انها مرحلة انحسار الامبريالية وانتقال العالم من الرأسمالية الى الاشتراكية وانتصار حركات التحرر الوطني في العالم .

رابعا : هذه المرحلة فيها لشعب فلسطين والشعوب العربية دور ذاتي فاعل في منطقتنا بمتابعة الصراع ولالحاق الهزيمة من موقع المكان والزمان الذي نعيش فيه وتعيش الشعوب العربية فيه ، بالامبريالية ، بالرجعيات المحلية، بالقوى اليمينية . وكل هذا له دور فاعل على صعيد الصراع مع الكيان الصهيوني . كما ان هذه المرحلة تمكنت حديثا جدا من أن ينتزع او ان يخرج منها في ظل اصرار شعب فلسطين على انتزاع دوره الخاص دورا خاصا فعلا على صعيد الصراع الفلسطيني — الاسرائيلي الصهيوني ، والعربي — الصهيوني .

أردت بهذه الملاحظة ان اقول بوضوح مهما كان شكل التسوية ، اذا لم نتمكن من احباط التسويات التي تتم على حساب حقوق شعب فلسطين المباشرة والتاريخية ، فهي

بالتأكيد ليست بأكثر من هدنة مؤقتة ربما تطول نسبيا بفعل قوانين الصراع الجدلية والدينميكية الجارية في هذه المنطقة وفي هذا العالم . وفعلا استطاع رجل برجوازي عصري مثل بومبيدو ان يلتقط هذه المسألة من بعيد ، بينما غابت هذه المسألة عن الكثيرين من القائلين بالماركسية والتقدميين والديموقراطيين العرب عندما قال في تصريحه الاخير بأن أي تسوية في المنطقة هي في تقديره ليست بأكثر من هدنة مؤقتة لان شعوب المنطقة سترفضها . لم يحدد لماذا سترفضها لكننا نحدد لماذا سترفضها ، لان هذه التسوية ثبتت مؤقتا أوضاعا أمنية متعايشة بين المنطقة العربية ودولة اسرائيل .

أمام احتمالات التسوية قلنا جميعا ان هناك اشكالا من التسوية . ثم هناك ثمن لهذه التسوية ، اذا تمت بالمضمون الاميركي-الصهيوني الهاشمي او بالمضمون المصري او المضمون المصري السوري السوفياتي . لكل شكل متباين من أشكال التسوية نتائج متباينة . مع ذلك قلنا بأن هناك عقبات امام هذه التسوية . عقبات وليدة التصادم بين حركة شعب فلسطين وارادتها في تحرير كامل التراب الفلسطيني والوجود الوطني وبين المشروع الصهيوني الاستيطاني الكولونيالي. تناقضات بين الحل الامريكي الصهيوني الهاشمي والحل السوفياتي المصري وربما السوري وحتى تناقضات بين الحل الامريكي الصهيوني الهاشمي والحل الثنائي المصري . هذه التناقضات فعلا موجودة . ولذا علينا أن نحدد بدقة ووضوح كيف يمكن استثمار مجموع هذه التناقضات وتوظيفها في صالح الموقف الوطني والثوري الفلسطيني والعربي دون ان نعلق اوهاما على حجم هذه التناقضات بل نضعها ضمن اطارها فعلا وكيف نستثمرها . التناقضات المصرية مع الحل الامريكي الصهيوني الهاشمي يمكن ان تتعاظم اذا صلب الاتجاه الوطني في مصر المتعاكس مع الاختراق السياسي الامريكي في مصر ، حتى لا يصبح كيسنجر هو بطل العبور الامريكي الى مصر وهذا يتطلب بالضرورة تضامنا من جميع القوى الوطنية والثورية الفلسطينية والعربية مع الاتجاه الوطني ضد التسويات الثنائية . وللنضال المشترك من أجل دحر الحل الامريكي الصهيوني الهاشمي . واذا أمكن تطوير الموقف المصري الى مرتبة ارقى ، كيف يمكن ان يستثمر التناقض السوري مع الحل الثنائي ومع الحل الامريكي الصهيوني الهاشمي ، لان الموقف السوري الذي كما فهمت من الاخ جورج اعتبره في نهاية المطاف في حديثه أقرب الى كونه حجر الزاوية في الاعتماد عليه لاستخلاص موقف . الموقف السوري ليس في موقع الرفض المطلق ، الموقف السوري هو بالضبط في موقع نعم ولكن . وهذا شكل من أشكال الموافقة المشروطة بموقع نعم للتسوية حسب قرار ٢٤٢ و ٣٣٨ و ٣٣٩ ونعم لمؤتمر جنيف ولكن التسوية على أساس الانسحاب الشامل من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ والمحافظة على حقوق الشعب الفلسطيني دون تحديد حقوق الشعب الفلسطيني . كذلك الحال من مؤتمر جنيف وآخرها تصريحات وزير الاعلام السوري لمجلة البلاغ اللبنانية الذي يقول ان موقفنا هو الذهاب في ظل الاشتراطات التالية الذي تلخيصه نعم ولكن . مع ذلك كيف علينا ان نستثمر هذا الموقف من أجل تطويره . ومن هنا كانت تحيتنا للموقف السوري باتجاه النضال المشترك ، ومن أجل تصليبه . كيف يمكن ان نستثمر لصالح الموقف الوطني الفلسطيني الثوري والعربي أية مواقف عربية اخرى تتخذ مواقف عملية في صالح تصليب القوى الوطنية في مصر والموقف الوطني السوري ضد أية اتجاهات اخرى وفي صالح التضامن مع الموقف الفلسطيني في وجه وأمام التسوية الاستسلامية المحتملة .

بالتأكيد لسنا نحن وحدنا المطالبين بوضع الاجابة على تساؤل ما العمل تجاه مجموع هذه المتغيرات التي اعترفنا جميعا بوجودها لمجموع حركة التحرر الوطني العربي لكننا مطالبون بالمساهمة في الاجابة على ما العمل ، وقبل هذا نحن مطالبون بالاجابة ذاتيا

على ما العمل لنحدد موقفنا ودورنا امام مجموع هذه التحديات والمتغيرات . هنا يصبح مؤتمر جنيف نتيجة وليس جوهرا ولا يصبح مؤتمر جنيف بداية المرحلة القادمة ولا أحد معالمها البارزة ، فهو ميدان لها ، اذ ان جوهر الصراع ليس مؤتمر جنيف ، جوهر الصراع بالضبط أمام هذه المتغيرات واحتمالات التسوية ... أين موقع الشعب الفلسطيني وأين موقع حركة التحرر الوطني العربية امام مجموع هذه الاوضاع ؟

هنا في الموقع الفلسطيني عندما نصر عليه ليجيب بوضوح على ما العمل حتى نحدد بالضبط دور العامل الذاتي الفلسطيني ، الذي يضع الثورة والشعب الفلسطيني في موقع دائرة الفعل المباشر التاريخي ، في مجموع هذه الاوضاع . وهنا فعلا عندما تتحدد الاجابة على ما العمل لنحدد دور العامل الذاتي ضمن اطار دائرة الفعل المباشر والتاريخي ، تصبح التحالفات العربية والدولية قوى تستثمر لمساندة موقفنا ، ولا نصبح أسرى لهذه التحالفات . بينما اذا غاب التحديد في دور العامل الذاتي للثورة ولشعبنا سنجد انفسنا خطوة خطوة اسرى للتحالفات وبرامجها وليس العكس . وعندما نحدد دورنا لا يضيرنا عندئذ التباين الواقع بيننا وبين قوى عربية وطنية ، فالفواصل تصبح محددة بالضبط ، ولا يضيرنا التباين بيننا وبين الاصدقاء كالاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الاخرى مثلا ، او بلدان عدم الانحياز او افريقيا ، اذ أن الفواصل قد تكون محددة بيننا وبين الاصدقاء . نلتقي على ما يمكن الالتقاء عليه من قاسم مشترك ، ضمن اطار دائرة ما العمل ، التي نحددها نحن . اما ما هو خارج اطار القاسم المشترك من قضايا خلاف نحلها بمزيد من الحوار والصراع الديموقراطي . وبهذا نخرج انفسنا من دائرة رد الفعل وليس الفعل . ونخرج انفسنا من دائرة الوقوع أسرى التحالفات ، بينما المفروض تجنيد هذه التحالفات وتوظيفها على أقصى مدى ممكن .

نستطيع ان نقف ونقول بوضوح ان قرارنا هو كذا وفعلنا هو كذا ، ونحن نطالب مساندتكم وتضامنكم معنا ضمن هذا الاطار ، وبالتأكيد سنجد اشكالا من المساندة ترتقي في مستواها بارتقاء فعلنا ودورنا في ذلك .

للاجابة على تساؤل ما العمل في هذه المرحلة ، علينا أن نحدد بوضوح الحلقة المركزية لنضال شعبنا وثورتنا في هذه المرحلة ، حتى لا يقع بنا ما وقع في تجارب الحركة الوطنية الفلسطينية على امتداد السبعين عاما الماضية ، اذ ان الخطأ ليس في رفض شعبنا لجميع اشكال الوجود الصهيوني في فلسطين وفي رفض النتائج المترتبة على ٤٧ و٤٨ او المترتبة على ٦٧ ، فقد كان الحس العفوي لدى الشعوب العربية ومنها شعبنا حسا صائبا وصحيحا في الرفض الدائم للامبريالية والاستعمار وللرجعيات العربية ورفض دائم للكيان الاستيطاني الصهيوني الكولونيالي التوسعي . وهذا الرفض وان شابه شيء من اليأس في هزيمة حزيران ، الا ان جماهير امتنا لم تتخل عنه ، ولها من تراثها في النضال ضد الغزوات المعادية ومن تراثها الديني ، ولها من تاريخها ومن ثقتها بأنها في موقع التصادم الدائم مع الصهيونية مع الامبريالية مع الرجعية ، ما يعطيها باستمرار الحوافز لاستمرار موقف التصادم مع القوى المضادة للشعب الفلسطيني ولشعوب امتنا العربية .

ومن هنا أعطت حرب تشرين لشعبنا حوافز جديدة ثبتت أمام شعبنا وشعوب امتنا العربية الموقف المبدئي من الكيان الصهيوني ، وبأن هذا الكيان الذي ولد في مرحلة تاريخية كولونيالية معينة فقد دخل العالم مرحلة تاريخية متعاكسة معه . وعلينا ان نفعل ذاتيا في هذه المرحلة الجديدة حتى نختزل العملية التاريخية ولا نستسلم للحتمية التاريخية . كما حملت الحرب جديدا على هذا الصعيد داخل المجتمع الاسرائيلي، تفترض اشكالا اولية من المراجعة للايديولوجية الصهيونية وحتى نتائج الانتخابات في اسرائيل

تدلل على هذا وكأنها شكل من أشكال المراجعة : انتصار تكتل ليكود شكل من أشكال المراجعة فان ليكود أخذ من الجيش الاسرائيلي عشرين ألف صوت زيادة عن المعراخ لان المؤسسة العسكرية لا زالت أسيرة لمجموع أوهامها وأطماعها الصهيونية التوسعية . وحتى استعداد التكتل الحاكم للقبول بالتسوية هو في أحد وجوهه شكل من أشكال المراجعة عن برنامجه قبل تشرين المعروف ببرنامج غاليلي . بالتأكيد هذه العملية ستنمو أكثر فأكثر وتأخذ مظاهر متعددة منها الدراسة التي أقدمت عليها دائرة التعليم في اسرائيل . منها كسب راكاح على سبيل المثال مقعدا جديدا ليست قيمته الحقيقية بالمقعد الجديد ولكن قيمته بالتوجه . لكن هذه العملية بطيئة جدا في اسرائيل نظرا لتغلغل الايديولوجية الصهيونية في صلب كافة طبقات المجتمع في اسرائيل . منها الاصوات الخافتة التي بدأت تظهر بحزب العمل مثل الياف ومثل أهارون من الهستدروت التي تقول بالاعتراف بوجود شعب فلسطين ، وموقف التنكر الكامل لوجود شعب فلسطين ليس صحيحا . لكن تبقى هذه الاصوات خافتة . وهذه كلها بذور لمراجعة داخل اسرائيل للايديولوجية الصهيونية الكولونيالية التي يقابلها موقف ازداد قناعة وتماسكا بصفوف الجماهير الفلسطينية والعربية ضد الايديولوجية الصهيونية الاستعمارية ومجموع المشروع الصهيوني الاستيطاني التوسعي في وطننا .

ولكن المعضلة ليست هنا . المعضلة في الحركة الوطنية الفلسطينية على امتداد تاريخها انها افتقدت الى تحديد الحلقة المركزية في كل مرحلة من مراحل النضال ، وبقيت تراوح عند تحديد الموقف الاستراتيجي المبدئي العام وحتى الآن . وسأوضح هذه النقطة بايجاز شديد . قبل ٤٨ لم تحدد قيادة الحركة الوطنية على امتداد تاريخها الحلقة المركزية في النضال في تلك المرحلة بأنها مرحلة صراع ضد الانتداب البريطاني من أجل طرده واعتباره هو الأصل ، والكفيل عند طرده بحل مشكلة الهجرة اليهودية . فصرفت أنظار الجماهير الفلسطينية بشكل اساسي الى الصراع ضد الهجرة وليس ضد الانتداب ، الذي هو الاصل ، مما جعل طاقات الشعب تتبدد في صراعات من المرتبة الثانية بدلا من ان تصب وتوحد وتتوحد في دائرة الحلقة المركزية للصراع ضد الانتداب ، بينما اتخذت قيادة الحركة الوطنية سياسة المهادنة والمساومة الدائمة مع الانتداب البريطاني وليس تشديد الصراع ضد الانتداب البريطاني ، مما جعلت النضال يتم على الجبهة الثانية وليس الجبهة الاصل في الصراع كما ارتكبت ايضا خطأها ثانية بافتقاد الحلقة المركزية عشية قرار التقسيم عندما رفضت مشروع الدولة الديموقراطية الفلسطينية ، اذ كانت تطالب في حينه بدولة فلسطينية عربية نقية وتجمعات الهجرة اليهودية التي دخلت يجب ان تخرج أولا ولا يبقى الا الذين كانوا قبل وعد بلفور . ونحن الان بعد ٢٥ عاما نناضل من أجل تنفيذ وانجاز ما رفضته قيادة الحركة الوطنية قبل ٢٥ عاما .

مرة اخرى بعد ٤٨ فقدت الحركة الوطنية الفلسطينية تحديد الحلقة المركزية للنضال في ظل المعطيات الجديدة التي تشكلت بعد ٤٨ والمترتبة على قيام دولة اسرائيل وعمليات الالحاق التي تمت للاراضي الفلسطينية بالدول العربية المجاورة ، زائد التعامل مع تجمعات الشتات كلاجئين وضيوف . مرة اخرى الحركة الوطنية فقدت الحلقة المركزية حيث كان يجب ان تصر على دور الشخصية الفلسطينية المتميزة ضمن الاطار القومي العام ، كما هي الحال بالنسبة للشعب السوري او اللبناني او العراقي او المصري او أي شعب عربي آخر . اذ ان لشعب فلسطين دورا وطنيا خاصا ضمن اطار الدور القومي العام . ووجدت نفسها امام معطيات ٤٨ تصل الى مرحلة فقدان التوازن وانعدام الوزن بذات الوقت ، وتنخرط نتيجة لهذه الاوضاع ايديولوجيا وسياسيا

وتنظيميا في صفوف حركة التحرر الوطني العربية كليا ملغية تماما الشخصية الوطنية المستقلة الخاصة بالشعب الفلسطيني متجاوبة بذلك عمليا وموضوعيا مع عملية الالغاء التي قامت بها الرجعية العربية للوجود الوطني الفلسطيني المستقل بعد عام ٤٨ .

وبقي هذا الوضع قائما من ٤٨ حتى ٦٤ ، فجميع طلائع شعبنا انخرطت بالحركات القومية والوطنية العربية ومنهم الجسم الاساسي بالجبهة الديموقراطية الان ايضا كانوا منخرطين في مجموع الحركات القومية في ظل تغييب الدور الخاص الوطني الفلسطيني على صعيد الصراع مع اسرائيل وعلى صعيد الصراع من أجل قضية التحرر الوطنية ضمن الاطار القومي العام . ومن هنا نستطيع ان نعتبر بأن محاولة عبد الناصر عام ٦٤ تشكيل منظمة التحرير ليست عملية تحلل من الدور القومي والالتزام القومي بل محاولة تصحيح ومن منظور عبد الناصر لعملية التزاوج الجدلية والديناميكية بين الدور الخاص للشعب الفلسطيني على صعيد الصراع مع اسرائيل والدور الوطني ضمن الاطار القومي، كما هو الحال بالنسبة لاي شعب آخر من الشعوب العربية . هذه المحاولة من عبد الناصر فرضت على جميع الحركات القومية والحركات الوطنية العربية مرة اخرى أن تبدأ بمراجعة للتفتيش عن الدور الخاص للشعب الفلسطيني . وهذا الذي دفع حزب البعث في مؤتمره السادس ان يخرج بقرار عام ٦٤ بضرورة تحويل هذه الشخصية السياسية الفلسطينية متمثلة بمنظمة التحرير الى مضمون مادي حسي ، والمطالبة بأن تقع وتسقط على ارض فلسطينية أي على ارض الضفة الغربية وقطاع غزة ومنطقة الحمة . وحمل وفد حزب البعث في حينه للمجلس الوطني الفلسطيني الاول الذي انعقد في القدس هذا الموقف ، ليطالب بتحويل هذه المسألة الى قضية مادية حسية،وتشكيل كيان فلسطيني وطني مستقل على ارض الضفة الغربية وقطاع غزة والحمة ، وانهاء عمليات الالحاق التي تمت للاراضي الفلسطينية . وهذا الذي دفع ايضا حركة القوميين العرب في حينه ان تبدأ بمراجعة التفكير بالدور الخاص لشعب فلسطين مما دفعها لبداية تشكيل فرع فلسطين في العمل الحزبي . وهذا الذي دفع فتح ، وان كانت بدايتها سابقة على ٦٤ ، ان تبحث اطاراتها القيادية بالدور الخاص للشعب الفلسطيني بعد مرحلة تغييب الحلقة المركزية في تحديد الدور الخاص مما ادى الى انطلاقة ٦٥/١/١ التي أعطت بالاضافة الى ولادة منظمة التحرير بداية تشكل الشخصية الوطنية الفلسطينية والدور الخاص بالشعب الفلسطيني . جاءت العملية متأخرة صحيح . وجاءت ظروف ٦٧ حزيران لتمكن هذه المحاولات الاولية أن تأخذ مداها في ظل الهزيمة ، وفي ظل حالة اللاسلم واللاحرب تبلورت الشخصية الوطنية الفلسطينية . لكن قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية لم تتمكن بعد هذا من ان تستكشف الحلقة المركزية الجديدة المطلوبة ، بعد ان انجزت هذه الحلقة في تلك المرحلة ، والتي تمكنها من ان تجعل عملية التحرير واستراتيجية التحرير قضية في متناول اليد ، قضية يمكن انجازها بانجاز مراحل منها ، قضية يمكن حل الحلقة الاولى ضمن حلقات هذه الاستراتيجية ، استراتيجية تحرير كامل التراب الوطني حيث كان مطروحا على الحركة الوطنية الفلسطينية ان تستكشف بدقة ان الحلقة المركزية المطلوبة منها في تلك المرحلة هي اسقاط النظام الاردني ، هذا النظام في الاردن الذي لم نتمكن من الاجماع على ضرورة اسقاطه الا بعد تموز ٧١ وبعد خراب جرش . قبلها لم نتمكن من الاجماع على هذا الموقف وكان يثار بوجه من يقول بأن هذه الحلقة المركزية التي تجعلنا نقترب خطوة ضمن حلقات استراتيجية التحرير الشامل ... كان يقال في حينها ان الثورة لا تستلم سلطة اذا استلمت سلطة تنتهي ، تماما نفس الموضوعات التي تقال الان عن مصير الضفة الغربية وقطاع غزة . وكان يقال في حينها ان شرق الاردن ليس لديه المقومات الاقتصادية حتى يعيش ، واذا اسقطنا النظام ، سنتورط بالمشكلات

الاقتصادية ، وكان يقال في حينها ان اسرائيل ستحتل الضفة الشرقية في حال سقوط هذا النظام وبالتالي على طريقة « اللي راح عالجامع لاقاه مسكر قللو ايجت منك ما ايجت مني » . نفس الموضوعات التي تثار الان حول مصير الاراضي المحتلة . ولماذا هذه هي الحلقة المركزية ؟ لان الوضع في الاردن له خصوصية بالنسبة لشعبنا ، مختلفة عن سوريا او العراق او مصر او اي بلد عربي آخر ، حيث حدث اندماج الحاقي . واكثرية هذا التكوين الجديد من الشعب الفلسطيني ، من هنا خطأ ما كان يطرحه منظرو النظام الاردني بأنه مستعد للتعامل مع الثورة الفلسطينية كما تتعامل سوريا ومصر او اي بلد عربي آخر . هذا الخطأ مصدره بالاصل تغييب ان الوضع في الاردن مختلف عن الوضع في أي قطر عربي آخر بالنسبة لشعب فلسطين ، انطلاقا من موقع الاندماج الذي وقع وهو اندماج الحاقي ، ولكن وقع .

نحن الان مرة اخرى امام الاجابة على التساؤل ما العمل ؟ وضرورة تحديد الحلقة المركزية الآن ، ضرورة فورية ومباشرة حتى نستطيع فعلا النضال ، من أجل احباط المشروع والحل الاستسلامي الاميركي الصهيوني الهاشمي ، والقائم على عدم العودة الى حدود ٤ حزيران — رفض أي وجود وطني مستقل للشعب الفلسطيني — توسع جغرافي لاسرائيل — مشروع المملكة المتحدة هذا اولا ، وثانيا ما يمكننا فعلا من النضال ضد أية تسوية عربية تقوم على تصفية القضية الفلسطينية ، وهي تصفية بالضرورة مؤقتة لن تكون دائمة ، اذا نحن فهمنا حركة التاريخ وتطورها والفعل فيها ، أو تقوم على طمس الشخصية الوطنية الفلسطينية ، وتقوم على حساب الشعب الفلسطيني ، ومكاسبه وحقوقه المباشرة والتاريخية . ان تحديد الحلقة المركزية تمكننا ايضا من مراكمة مجموع القوى الوطنية والثورية العربية للنضال معنا ، ويمكننا من تصليب الموقف والاتجاه الوطني في مصر وسوريا ، هنا فعلا علامات فارقة في تحديد الحلقة المركزية والاجابة على ما العمل ، عالم يتخذ موقف الرفض السلبي ، لكل ما هو قائم ويكتفي بهذا الموقف دون تحديد المهمات الراهنة والمباشرة المطروحة على شعبنا ، بشكل ملموس . وعالم يقول انني انطلق من مواقع الرفض الثوري الملموس ولذا أحدد المهمات الراهنة والمباشرة . وما هي الحلقة المركزية في هذه المهمات الراهنة والمباشرة ، لاننا لا نعالج قضية على المدى المتوسط والبعيد . نحن نعالج قضية مطروحة على المدى المباشر والقريب . والكل أجمع في الجولة الاولى من المناقشة بأن احتمالات التسوية كبيرة طبقا للمتغيرات التي نشأت عن تشرين . وبعضنا قال ان قطار التسوية جارف ، انطلاقا من ذات المعطيات . اذا نحن نعالج مشكلة مباشرة وراهنة ، مطالبين بتحديد الدور والبرنامج الخاص لشعبنا للنضال ، حتى يناضل ، لا ان نكتفي بالقول ان حركة الجماهير العربية ستنتصر لنا وستناضل معنا ، هذا كله صحيح ، عندما نحدد دورنا تناضل معنا وربما نضالها معنا غير كافي لانجاز ما نحدده ، كما وقع على سبيل المثال في الاردن . في الاردن وقعت مجزرة ايلول والجماهير العربية متعاطفة متضامنة معنا . ودول عربية كثيرة متعاطفة متضامنة معنا ، بدرجات متفاوتة . ومع ذلك تمكن الملك حسين من انجاز عملية التصفية للتواجد العلني للمقاومة في الاردن . ولم تنفع اتفاقية القاهرة ، لان اتفاقية القاهرة مثلها مثل باقي الاتفاقيات التي تعقد في التاريخ ، هي وليدة ميزان قوى وقعت بحد السيف ، عندما اختل ميزان القوى لصالح الملك حسين ، نقضها ومزقها . نفس الشيء بالمناسبة ، الاتفاقات التي تعقد بيننا كقوى وطنية ، لقد اعددنا عشرين برنامجا مشتركا ، كلها تنقض ، عندما يختل ميزان القوى ورأت المنظمة الفلانية ان هذا البرنامج لا ينسجم ضمن رؤياها تجمده ، اذا كان ميزان القوى لصالحها ، واذا انسجم مع رؤياها تمسكت به . لذا نحن نقول بوضوح في هذه المرحلة نعالج مشكلات على المدى المباشر والقريب ، امام هذه الاحتمالات التي ذكرت ، شعبنا وثورتنا

لها دور من مواقع الرفض الثوري الملموس للحلول التي ذكرتها والنتائج المترتبة عليها ، وهذا يفترض بالضرورة ، اننا نناضل ضد جميع اشكال التسويات التي تقوم على طمس الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة ، تصفية القضية الفلسطينية، وهي تصفية في نظر اي ثوري لن تكون خالدة وأزلية ، لكنها على المدى المباشر والقريب تلحق أفدح الاضرار بقضية نضالنا ونضال شعبنا ، تقوم على الحل الامريكي الصهيوني الهاشمي ، تقوم على الصلح والاعتراف باسرائيل ، مع ان الدول العربية نفسها تستطيع ، ان تناضل من أجل الوصول الى نتائج حتى في ظل معطيات تشرين ، تعفيها من الصلح والاعتراف لان الدول العربية يمكن أن تتسلح بسلاح ان اسرائيل قائمة ضمن اطار شرعية دولية منبثقة عن قرارات الامم المتحدة ، فهذه الدول العربية يمكن ان تقول انني افهم حقوق الشعب الفلسطيني بأنها قرارات الامم المتحدة ، بما فيها العودة الى قرار التقسيم وقرار حق العودة رقم ١٩١ .واسرائيل بالضرورة سترفض هذا فلا يقع لا صلح ولا اعتراف ، صلح واعتراف بأي حدود ؟ هل بالحدود الواقعية التي تشكلت بالقوة ، أم بالحدود « الشرعية » التي ولدت على ضوء حدود ٤٧ ؟ واسرائيل لن تقبل بالعودة الى حدود٤٧ لان بيدها صباح٤ حزيران، ٧٧٪ من الاراضي الفلسطينية. بينما قرار التقسيم يعطيها ٥٦ ٪ فقط من الاراضي الفلسطينية زائد عودة اللاجئين بمثابة براميل بارود لتفجير الاوضاع داخل اسرائيل نفسها ، لن تقبل هذا حتى لا تلوث يهودية الدولة او عبرية الدولة الاسرائيلية لانه من المعروف ايضا ما هي نتائجها . المشكلة ان قادة اسرائيل فعلا يتمتعون بعقلية ديناميكية ، جدلية برجوازية عصرية ، شفافة جدا ، ولذلك تقوم خططهم على هذا الاساس ، ومن ابرزها رفض أي وجود وطني فلسطيني مستقل على حدود لانه متصادم ومتعاكس مع وجود دولة اسرائيل على المدى المباشر والتاريخي .

اذن نحن مطالبون بالتحديد القائم على رفض أية تسويات كما قلت تتضمن تصفية القضية الفلسطينية . والدول العربية نفسها بامكانها ، ان تتسلح بالقرارات الدولية لاحباط عملية الصلح والاعتراف ، رفض أي تسويات تقوم على طمس الشخصية الوطنية الفلسطينية ، رفض أي تسويات تقوم على الالحاق من جديد ، لانه ينهي الدور الخاص للشعب الفلسطيني ، ويعيدنا الى الوضع الذي كان قائما بين ٤٨ — ٦٧ رغم بداية منظمة التحرير وفتح باعتبارها بدايات ، ورفض أي مشاريع تقوم على التوسع الاسرائيلي . هذه العملية تترجم عمليا بماذا ؟ تترجم عمليا بالنضال . بالاضافة الى هذا كله الذي ذكرته بالنضال وتعبئة وتنظيم شعبنا وتأطيره داخل الاراضي المحتلة وخارجها للنضال من أجل انتزاع حق تقرير المصير . أي لا للاحتلال ، لا لمشروع المملكة المتحدة ، لا لعودة قوات الملك حسين ، النضال من اجل حق تقرير المصير واقامة السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة . وهذه العملية النضالية ، هي التي تمكن شعبنا داخل الاراضي المحتلة من ان يلتقي على هدف سياسي وطني ، مباشر وراهن موحّد وموحِّد لمجموع قواه . لاننا بطرح هذا نكون ماذا ؟ نكون فعلا قد قاتلنا وناضلنا ضد السياسة التوسعية الاسرائيلية ، ضد المشروع الاميركي القائم على تصفية الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة ضمن اطار المملكة المتحدة ، ضد السياسة الصهيونية التي ترفض أي وجود وطني فلسطيني مستقل ، وتطرح مشروع المملكة المتحدة ، ضد السياسة الهاشمية القائمة على الالحاق ضمن اطار مشروع المملكة الاردنية او المملكة المتحدة ، وبذات الوقت ضد التسويات العربية الاخرى التي يمكن ان تتجاوز شعب فلسطين وتبرم تسوية من وراء ظهره ، تقوم على تصفية قضيته وطمس وجوده الوطني المستقل ، وهذا يؤدي بالضرورة الى استنهاض همم جماهير شعبنا استنهاضا هائلا .

وعلينا ان نلاحظ ان شبه الانتفاضة التي وقعت ، وقعت بعد حادثين ، حرب تشرين وما ولدته من حوافز ، وما فتحته من آفاق ، لاحتمالات تصفية الاحتلال وتقرير المصير في ظل سلطة وطنية فلسطينية مستقلة ، وعلى ضوء قرار قمة الجزائر الذي يعتبر منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني الذي أجبر الجعبري اول البارحة ان يقف ليقول بأن منظمة التحرير هي الممثل الوحيد لنا ، ونحن نطالب بتقرير مصيرنا وبعد تقرير المصير نرى كيف ستصبح علاقتنا بشرق الاردن . طبعا الجعبري عندما يقول هذا يقوله تحت ضغط التيار الشعبي الجارف ولا يقوله لانه رجل وطني أطلاقا ، لانه اول امس كان في منزل دايان في الوليمة التي أقيمت لكيسنجر ، لكنه قاله مرغما لا بطل . وليس العكس . وهذا يتطلب ايضا تضامن شعبنا ونضاله مع شعبنا في الداخل ضمن هذا الاطار زائد النضال من اجل طرد وفد الملك حسين من مؤتمر جنيف وطرد وفد الملك حسين من أي مائدة تبحث تقرير مصير الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية ، لان وفد الملك حسين لا يقول انا أمثل ، والا كلا ، ما عادت القصة من يمثل ، تجاوزتها . باتت من يقرر مصير القضية الفلسطينية والمناطق الفلسطينية . وفد الملك حسين يبحث في تقرير مصير نابلس والقدس واريحا والخليل وغزة والقضية الفلسطينية . يجب العمل على طرده . ومن أجل انتزاع ان منظمة التحرير والثورة الفلسطينية هي المقرر الوحيد لمصير الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية وهذا يعني ايضا، ليس فقط طرد وفد الملك حسين ، وعزل الحكومة الاردنية عن التدخل في تقرير مصير القضية الفلسطينية والاراضي الفلسطينية ، بل ايضا حجب أي محاولة عن الدول العربية ، أي دول عربية ، لتقرير مصير الشعب الفلسطيني على يدها من وراء ظهر الشعب الفلسطيني ، مهما كانت نواياها طيبة ومعنا .

هنا نحدد بالضبط الاجابة على تساؤل ما العمل في هذه المرحلة وبشكل ملموس وندفع بالضبط كل القوى الوطنية العربية لتتضامن معنا بهذا الاتجاه ، وكل القوى الصديقة عالميا لتتضامن معنا بهذا الاتجاه . هنا فعلا نكون قد قدمنا لشعبنا بشكل ملموس أشكالا محددة لمضامين محددة للنضال ضد التسويات التي تقوم على الحلول التي تؤدي الى تصفية القضية والتوسع الاسرائيلي والالحاق للاراضي الفلسطينية بالنظام الرجعي الهاشمي . نكون قد قدمنا لشعبنا فعلا الحلقة المركزية ، في نضاله المتحلقة حول حقه في تقرير مصيره واقامة سلطته الوطنية وعزل حكومة الملك حسين عن تقرير مصيره ، وتمكين وانتزاع حق منظمة التحرير والثورة الفلسطينية في تقرير مصيره ، هذا يعني بوضوح اننا حددنا أهداف مباشرة وراهنة للنضال . هذه الاهداف الراهنة والمباشرة عندما ننجزها واذا تمكنا من انجازها ، نستطيع فعلا ان ندفع ثورتنا خطوات كبرى الى الامام ، على طريق مواكبة عملية التحرير الشامل ، لاننا نكون قد فككنا حلقة مركزية لصالح شعبنا وثورتنا من الحلقات المترابطةباستراتيجية التحرير الشامل .

هنا تثار تساؤلات ، ان التسوية اذا وقعت ، وقطارها جارف كما قيل ، لن تسلم لنا بهذه المناطق ، صحيح لن تسلم ، وتتم عملية تسلم وتسليم بين اسرائيل والملك حسين ، صحيح . أين دورنا نحن في افشال هذه العملية ؟ أين دور شعبنا في العملية النضالية الوطنية ؟ هل نترك المياه تجري كما تشتهي سفن اسرائيل والملك حسين وندير ظهرنا ، ام اننا من الان نؤطر وننظم شعبنا ونوحده حول النضال من أجل انتزاع حق تقرير المصير وطرد الاحتلال ، ليتابع نضاله من اجل طرد الاحتلال ويتابع نضاله من أجل تقرير مصيره وعدم عودة الملك حسين ، بالنضال في هذه العملية سواء ضد الاحتلال او اذا وقعت الصفقة الاردنية الهاشمية الاسرائيلية يكون شعبنا مؤطرا

منظما موحد المواقف على هذا الاساس، يشن انتفاضته، ضد عودة قوات الملك حسين. ومن أجل اقامة سلطته الوطنية . في حال وقوع هذه الحالة ، قد يقال انه قد يفشل — نعم قد يفشل ، في عمان فشلنا ، صحيح ، قد يفشل ، وقد يقال ان اسرائيل ستعاود احتلال الضفة الغربية ، نعم احتمال قائم ، هذا سيف مسلط دائما ، قبل ٦٧ وبعد ٦٧ ، قبل ٦٧ قالوا : لا تعملوا شيئا للنظام في الاردن فاسرائيل ستحتل الضفة الغربية ، بعد ٦٧ من الاجابات التي يرددونها اذا اسقط النظام بشرق الاردن ، ستحتل اسرائيل الضفة الشرقية ولا نستطيع ان نحميها ، هذا سيف مسلط دائم نرفض الاستسلام له وبهذا نكون قد حددنا لشعبنا هدفا مركزيا محددا نناضل عليه . يحبط اشكالا عديدة من التسويات ، ويفتح المناخ لتواجد الثورة على أرضها بين شعبها ، مما يمكنها من متابعة الصراع ، ضد الكيان الصهيوني ، ومتابعة الصراع باتجاه وحدوي مع شعبنا والقوى الوطنية الاردنية لحل مشكلة شرق الاردن وتجديد الوحدة بين الشعبين على اساس وطني وديمقراطي ، هذه قضايا نضال . يقال هنا انه ايضا في معرض الرفض لهذا الموقف لهذه الحلقة ، يقال ، ان هذه السلطة الوطنية لا تستطيع ان تعيش ، فمقوماتها الاقتصادية كذا ... كذا ... كذا ... مقوماتها البشرية الخ ... هذا الذي يقال مسألة مثيرة للالم وبنفس الوقت للضحك ، لا ادري هل نحن في مرحلة اختيار وطن أم بمرحلة استرجاع وطن ، نعم نحن بمرحلة استرجاع وطن ، حتى لو كانت هذه الارض صحراء مقفرة ليس فيها الا الشوك ، هذه ارضنا هذا شعبنا . نحن في مرحلة استرجاع وطن . وضمن هذا الاطار لماذا يناضل الناس لاسقاط نظام الملك حسين اذا ، ان الوضع بشرق الاردن بطاقاته الاقتصادية أضعف من الوضع الموجود بالضفة الغربية وقطاع غزة ، زائد ليست هذه هي المشكلة ، المشكلة هذا هو وطننا ، هذا تكوينه . هذه طاقاته ، نحن في مرحلة استرجاعه لا في مرحلة اختيار وطن متكامل اقتصاديا وبشريا وعسكريا وسياسيا والخ ... لذلك نناضل من أجله . قد يقال ايضا في هذا المجال ، ان هذا وضع محاصر كيف سيعيش ، صحيح وضع محاصر ، اذا انتزعناه لكنه يستطيع اختزال اسقاط نظام الملك حسين بسنوات قليلة جدا بينما عودة الملك حسين للضفة وربما القطاع يجعله يعيش ١٠ — ١٥ سنة زيادة ، وكما ان هذا الوضع محاصر ، لكن له قاعدته البشرية من ٩٠٠ الف بشرق الاردن زائد القوى الوطنية الاردنية ، فالوضع بشرق الاردن ايضا محاصر ، منا ومن سوريا والعراق ، بما يحكم الطوق عليه في هذه الحالة .

هذا المجرى النضالي الذي سنخوضه اذا تمكنا من احباط هذه التسويات خير على خير ، ونحن نناضل بهذا الاتجاه ، ضمن هذا البرنامج المحدد تقرير المصير ، لكل الاراضي التي يتم تحريرها وانسحاب اسرائيل منها وبناء السلطة الوطنية عليها ، طرد وفد الملك حسين وعدم تمكين وفد الملك حسين من البحث بتقرير مصير القضية الفلسطينية ، عدم تمكين الدول العربية من البحث بتقرير مصير شعب فلسطين والقضية الفلسطينية حسب برنامجها ، نحن نناضل من أجل انتزاع اننا نمثل شعب فلسطين ونحن لنا الحق بتقرير مصيره ، هذا المجرى النضالي للرفض الثوري الملموس ، والذي يمكن ان يلقى تضامنا عربيا وعالميا معا .

نقطة اخرى تقال قبل الاخيرة ، اذا وقعت تسوية ما ، رغم أنفنا ، اذ قيل بأن قطار التسوية جارف ، اذا وقعت طالما قطار التسوية جارف ، كيف لا نستطيع ان نناضل من أجل انتزاع سلطة وطنية ديمقراطية في الارض المحتلة ، ونحن نريد ان نحبط التسوية ، كيف ؟ أيهما أسهل علينا ! هذه قضية نضال ايضا . وقضية النضال من

اجل تحرير كامل التراب قضية تاريخية طويلة الامد مرتبطة باشتراطات لمرحلة تاريخية معينة ، مع ذلك نحن نناضل من أجل التحرير الشامل ، ان الاقرب والاكثر امكانية للتحقيق هو النضال من اجل انتزاع حق تقرير المصير وبناء السلطة الوطنية الديمقراطية، وهذا يفشل المشروع الاميركي الصهيوني الهاشمي ، يفشل اي مشروع يتم على حساب الوجود والدور الخاص للشعب الفلسطيني ، ويمكن القضية الفلسطينية من ان تبقى حية ، وتحفظ الحقوق التاريخية . ونحافظ على الثورة ونحميها لا نسوقها للابادة في حال غياب هذا البرنامج . ونبقى في مواقع الفعل التاريخي المباشر والدائم ، ضد العدو الصهيوني ومع حركة التحرر العربية ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية . هنا فعلا ارى بوضوح أن التساؤل الاخير الذي طرح حول مستقبل الاراضي الفلسطينية هو جوهر وصلب المسألة ، وليس طرحه خطأ هنا لماذا ؟

لان هذه المسألة هي التي يمكن ان تحبط اشكالا عديدة من التسويات او تجند شعبنا على طريق النضال من اجل احباطها ، وتحدد الدور المركزي لشعبنا في عملية النضال من مواقع الرفض الثوري الملموس . كما أنها اذا وقعت هذه التسوية ضمن أطار تسلم وتسليم من الان نكون قد عبأنا وأطرنا ونظمنا شعبنا ودججناه بكافة أشكال النضال . . . السلاح وغيره ، للانتفاض بعد انهاء الاحتلال ضد عودة قوات الملك حسين واقامة سلطة وطنية ، قد ينجح وقد لا ينجح ، لكن هذه قضية نضالية ، علينا أن نطرحها ، ونتابع النضال على طريقها . أما الطرح الاخر الذي يكتفي بالقول نناضل من أجل احباط دون تحديد «كيف»، فانه يثير زوابع في وجه امكانية تقرير المصير ، ويعبىء ضد تقرير المصير، وضد بناء السلطة الوطنية ، وهو في هذا فعلا لا يخدم الشعب الفلسطيني ، بل يخدم المشروع الاميركي الاسرائيلي الصهيوني الهاشمي . لا يناضل من أجل طرد وفد الملك حسين حتى لا يتصرف بمصير الشعب الفلسطيني ، هو عمليا وموضوعيا لن يحبط لانه لا يضع عصي في دواليب احباط التسويات . وان لسان حاله عمليا وموضوعيا هو دع مشروع المملكة العربية المتحدة يمر وأية مشاريع اخرى ! ان الذي يثير زوابع بعدم وجود مقومات اقتصادية ، وبأنها قضية غير ممكنة نقول له نحن في مرحلة استرجاع وطن ، وهذه قضية نضالية ، وطالما ان هذه قضية غير ممكنة ، فكيف يمكن احباط التسوية ؟ وكيف يمكن تحرير كل فلسطين ؟ ان الصراع لتقرير المصير وبناء السلطة الوطنية هو طريق التحرير .

ان الطرح الذي يكتفي بالرفض السلبي دون ان يحدد المهام هو الذي يقود فعلا الى نتائج عدمية تؤدي الى مرور مشاريع كثيرة استسلامية فعلا ، هو الذي يستسلم الى موازين القوى الراهنة وامكانات الحل الاميركي الصهيوني الهاشمي ، بمعنى مشروع المملكة المتحدة . ان نضالنا الاخر هو الذي يمكننا من انتزاع حقنا بتقرير مصيرنا وبناء سلطة وطنية والحفاظ على بنادق الثورة .وهنا تحمل الجماهير في الارض المحتلة المشاعل لانها تجد موطىء قدم ثوري تتابع منه النضال ، وهي لا تحضر المشاعل للاحتلال والحكم الهاشمي والاعتراف . انها تحضر المشاعل لامكانات السلطة الوطنية . هذا موقف وطني صحيح ، وهذا حس ثوري ، لان هذا الوضع هو الذي يمكن من الاستمرار ، يمكن من الحفاظ على الحق التاريخي ، يمكن من البقاء بمواقع الفعل المباشر والتاريخي ، ويمكن من الخلاص سريعا من حكم الملك حسين ، واسقاطه وطبعا هذا يعني ان لا نقف لحظة واحدة دون مقارعة النظام الهاشمي ، طرده من محاولات تقرير المصير ، متابعة الصراع ضده من أجل اسقاطه ، لكن علينا ان نحدد المجرى الواضح وأين تقع الحلقة المركزية بالمجرى الواضح ، ومن هنا عندما نناضل من أجل طرد وفد الملك حسين ، بالاضافة الى حق تقرير المصير ، واقامة السلطة الوطنية ، فاننا نناضل من أجل انتزاع كوننا اننا نحن الذين نقرر مصير شعبنا ، نحن فعلا

نناضل من اجل امتلاك سلاح جديد يمكننا من احباط مجموع هذه التسويات التي تتم على حساب المصالح والمكاسب والحقوق الراهنة المباشرة والتاريخية لشعبنا . عند ذاك فعلا نستطيع ان نقف ونقول اننا نحن الذين نقرر مصير شعبنا نحن نريد كذا كذا كذا لا نريد كذا كذا كذا ، ومن هنا يصبح مؤتمر جنيف نتيجة وليس جوهرا لهذه الحالة ، لانه اذا انتزعنا هذا الحق فنحن الذين نكون قادرين على احباط كل مجرى مؤتمر جنيف ، عندما تسير سفنه باتجاه معاكس ، وقدرتنا على الفعل تكون اعظم بكثير لحظة ذاك ، لماذا ؟ لاننا انتزعنا اعترافا من جميع الفرقاء ، بأننا نحن الذين نقرر مصير شعب فلسطين ، لا مصر ولا سوريا ولا الاردن ولا غيرها . من يتضامن معنا بالاتجاه الوطني نتضامن معه لاننا نناضل من أجل تصليب المواقف الوطنية الفلسطينية والعربية .

هنا فعلا ، يكون لنا دوي ودور عظيم وفعل مباشر . اما بغير هذا فنحن نستجيب لمواقف رفض صامتة ، مواقف رفض عدمية ، مواقف خارج اطار الصراع ، نلبي تكتيكات الاوضاع العربية ، تكتيكات الاوضاع الاميركية الاسرائيلية الهاشمية ايضا ، وعلينا ان لا نلبي هذا . علينا ان نناضل من أجل انتزاع هذا الموقع بتحديد برنامج العمل الملموس . وبالتأكيد هذه العملية عملية نضالية . واذا لم نتمكن من انتزاع حقوق شعبنا على ضوء هذا البرنامج الملموس المتصادم مع مخططات الاعداء وتمت تسوية بمعاهدات متبادلة بتعايش ، تؤدي الى تجميد الصراع العربي الاسرائيلي ، وتؤدي الى طمس الهوية الفلسطينية والصراع الفلسطيني الاسرائيلي ، فهل نرغم على الانتقال للعمل السري ؟ نعم . لان وجودنا العلني سيكون معرضا للقمع والتصفية . الملك حسين من أجل التعايش على الحدود وامكانيات حل المشكلة ثنائيا ذبحنا ، الدول العربية في حالة تسوية لضروريات الامن المزدوج ، الحدود الامنة مع اسرائيل ، وامنها واستقرارها ، ستقمعنا بالضرورة او اسكتوا بهذه الحالة ، لكن هذا لا نختاره ، بمحض اختيارنا ، اذا فرض علينا ، سننتقل الى العمل السري ، لان كل حركة وطنية وثورية بالتاريخ ، تناضل من أجل مراكمة القوى لانتزاع نضال علني وصراع علني مسلح وجماهيري لانه يعطيها طاقة اقدر على صراع القوى المضادة ولو كان هذا الموضوع بمحض اختيارنا لكنا أقدمنا على الانتقال للعمل السري في الاردن دون ان نعرض شعبنا لخمسة وعشرين الفا بين شهيد وجريح .

زهير محسن

في البداية أود أن اعلق قليلا على ملاحظة أبداها الاخ شفيق حول طبيعة الحوار الجاري في هذا اللقاء ، في الحقيقة لم أفهم ماذا قصد عندما قال ان نتحاور وكأننا في خلية واحدة من تنظيم واحد ولكن ، من وجهة نظري الخاصة وعندما قبلت المشاركة في هذه الندوة كنت أنطلق من الرغبة في ان تكون هذه الندوة حوارا وليس مناظرة ، حوارا يتيح مزيدا من تفاعل الافكار التفاعل الايجابي ، الذي يمكن أن يقود الى بلورة مفاهيم ، متقاربة ، ومواقف مشتركة ، تساعد في صياغة برنامج سياسي جديد يستجيب للمتغيرات الجديدة التي انتجتها الحرب وان لم يكن الاستعداد للتفاعل متوفرا فالحوار سيكون عقيما ، وربما يقود الى مزيد من التمزق والمزيد من الاساءة اساءة الفهم المتبادل لبعضنا البعض ، في حين ان توفر الاستعداد للتفاعل الايجابي هو الذي يجعل الحوار خصبا ونمائيا وقادرا على تحقيق الغاية المطلوبة منه .

المهم ان نكون على طريق واحد . فالمطلوب ان نتفاعل لا ان يتناور بعضنا على بعض لان هنالك ربما بعض الفرقاء سواء أكانوا موجودين داخل هذه الندوة أم خارجها يتشبثون اكثر من اللازم بمواقف تكتيكية مسبقا ويحاولون البحث عن الذرائع

والحجج اللازمة لاثبات وجهة نظرهم ودحض وجهة نظر الغير . في حين ان الاهتمام لا يزال غير منصب على صياغة الاهداف المرحلية التي يجب ان نناضل من اجلها بل هو منصب اكثر على تحديد رأي فيما يتعلق بالاسلوب السياسي او التكتيكي الذي يمكن توسله في هذه المرحلة لتحقيق أغراض ما تزال غير واضحة في أذهان الكثيرين .

في الورقة التي امامي السؤال الاول هل تعترف بوجود مثل هذه المتغيرات ؟ عند التحدث عن المتغيرات فان تعليقي على هذا السؤال هو ان الحرب ليست مباراة كرة قدم ، مباريات كرة القدم يتصارع الفريقان لتسلية الجمهور ، ثم بعد ان يخرجوا من الملعب يعود كل الى حيث كان دون ان يتأثر في كثير او قليل . فهو يتألم او يفرح لساعات الا أنه لا يترتب على ذلك نتائج لا اجتماعية ولا سياسية ولا اقتصادية ، ولا سيكولوجية . الحرب شيء اخر تترتب عليه نتائج حاسمة حضاريا، واخلاقيا واقتصاديا، ولا بد ، شئنا أم أبينا ، ان تعكس اثارها على البنية العقلية والنفسية لكافة الناس المعنيين ، ولا بد ان يعكس ذلك نفسه بصورة واضحة على السلوك العام لكافة الافراد الذين مستهم هذه الحرب من قريب او من بعيد . من هنا في الجلسة السابقة ركزت على ضرورة ادراك الطبيعة الجديدة للمرحلة التي خلقتها حرب تشرين ، باعتبار أن هذه الحرب جاءت تسجل انعطافا هاما في مجرى الصراع العربي الصهيوني ، لانه طيلة الخمس وعشرين سنة السابقة كنا نتوقع الحرب التي تنتهي بهزائم . الحروب بالنسبة لنا كانت وسائل لمزيد من الاذلال ، ولمزيد من القهر ، ولمزيد من الشعور بالعجز . بينما الحرب الاخيرة كانت شيئا مختلفا ، فتحا جديدا في تاريخ الحروب بيننا وبين الصهيونية. ولذلك لا بد ان يؤثر ذلك بصورة واضحة على سلوكنا وطريقة تناولنا للمسائل الهامة والاساسية والمصيرية ، بحيث نبدأ بمعالجة قضايانا من منطلقات ما بعد حرب ٦ تشرين وليس من منطلقات ما قبل حرب تشرين . اي بمنطلقات الشعور بالقدرة على الانجاز وليس بمنطلقات الشعور بالعجز والهزيمة الذي لازمنا طيلة ربع قرن . قبل حرب تشرين كنا نقاتل لمجرد ان نثبت لانفسنا اننا قادرون على القتال ، ونثور لمجرد ان نثبت لانفسنا اننا قادرون على الصمود وقادرون على الرفض . كان القبول بأي شيء في ظل الهزيمة يدعو الى القلق والى الحذر والى الخوف وكان يلازمنا ايضا شعور بالعجز عن تحقيق أي انجاز مهما كان صغيرا الا في مقابل تنازلات باهظة .

بنتيجة الحرب الجديدة انتقلنا كما أشرت في الجزء الاول من الندوة الى مرحلة القدرة على الانجاز انتقلنا من مرحلة الاكتفاء بالرفض الى مرحلة القدرة على المطالبة وعلى الاخذ . انتقلنا من الثورة لمجرد الثورة او القتال لمجرد القتال الى القتال لتحقيق اهداف عملية ملموسة يمكن أن نجسدها بشكل مادي . ان ما كان يمكن ان نطالب به في ظل واقع الهزيمة كان من الطبيعي أن يثير المخاوف وان يثير أيضا السخرية . لكن بعد أن تجاوزنا مرحلة الهزيمة الى مرحلة القدرة على مواصلة الصراع والاخلال بالتوازن مع العدو لصالحنا ، صارت المطالبة بتحقيق انجازات مرحلية مسألة واقعية جدا ، ومسألة لا بد من أن تأخذها الثورة بعين الاعتبار ، والا فانها ستظل تسبح بالرومنسية الى الابد ، وهذا لا يجعلها ثورة قادرة على الاستمرار ضمن الافاق الحالية ، بل يضطرها في كثير من الاحيان الى الانكفاء . لان اي تفكير رومنسي لا يمكن ان يقود الى خطوات متقدمة ، وفي الوقت ذاته فان الجمود ليس من طبيعة البشر ولا من طبيعة العمل السياسي . في العمل السياسي اما ان تتقدم خطوة واما ان تتراجع خطوتين اذن فان اثار الحرب الاخيرة والمتغيرات التي أحدثتها لا بد ان تنعكس على معالم المرحلة الجديدة ، ان تنعكس على مناهج تفكيرنا وعلى أسلوب عملنا وكافة مفاهيمنا السابقة ، بحيث تطرح عليها التعديلات اللازمة والانتقال بمستوى نضالنا خطوة الى الامام .

بالنسبة للمرحلة المتعلقة بمؤتمر جنيف او التي اعتبر مؤتمر جنيف بداية لها اقول انه بالرغم من ان الحوار بدأ من مناقشة مسألة حضور مؤتمر جنيف او عدم حضوره ليس هو البداية الصحيحة للحوار حول ما ينبغي ان نقرره لانفسنا في هذه المرحلة ، الا ان هذه المسألة اعتبرت هي المسألة المركزية ، في حين ، في تقديري ، ان المسألة المركزية التي تواجهنا في هذه المرحلة هي تحديد برنامجنا المرحلي ، تحديد ما سميته في الجلسة السابقة برنامج الحد الادنى الذي ينبغي ان يلتزم به الجانب العربي بصورة عامة او ينبغي ان تلتزم به جبهة الاصدقاء ، والذي ينبغي ان نواجه به مخطط الجبهة المعادية او جبهة الخصوم . وقبل أن نقر هذا البرنامج الذي نسعى الى تحقيقه يصبح الحوار حول الاسلوب الذي يتبع لتحقيق هذا البرنامج نوعا من ضياع الوقت ، لاننا نناقش اسلوبا لتحقيق شيء غير معروف ، فعلينا اولا ان نحدد ماذا نريد ، وبعد ذلك نناقش الاساليب او الوسائل التكتيكية التي يمكن ان تقود باتجاه اهدافنا المرحلية او برنامجنا المرحلي . والملاحظ انه بدأ مؤتمر جنيف ، وشاركت فيه بعض الاطراف العربيـــة ولم تشارك الاطراف الاخرى قبل ان تتوصل الاطراف العربية مجتمعة او جبهة الاصدقاء المتضامنة الى تحديد برنامج حد أدنى ، أو خطة مرحلية تحدد الحد الادنى من الاهداف المرحلية المطلوب انجازها في هذه المرحلة ، وتحدد بالمقابل سقف التنازلات التي تقبل او التي يمكن تقديمها ثمنا لنيل او تحقيق الاهداف التي يلتزم ويتضامن الجميع بانجازها . وأعتقد أن المشكلة الان هي مشكلة العودة بالحوار الى بدايته الصحيحة ، وانقاذ الوضـــع الخاطىء الذي وقعت فيه الاطراف العربية من خلال الخلاف حول مؤتمر جنيف قبل ان تتفاهم على تحديد هدف مرحلي بشكل واضح ودقيق . ان مسؤولية الخروج من هذا الوضع تقع بالدرجة الاولى على الجانب الفلسطيني ، لانه في مؤتمر القمة الأخير حدد الهدف المرحلي بأنه يتضمن تحرير الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ واعادة الحقـــوق المشروعة للشعب الفلسطيني وفق ما تحدده منظمة التحرير الفلسطينية، وهناك محاولة واضحة للهروب من تحديد فهم محدد وواضح لما يقصد بعبارة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، ونحن لا يجوز ان ننساق وراء هذا الهروب ، فعندما يهرب الاخرون من تحديد حد ادنى للالتزام بما يتعلق بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ينبغي ان نواجه هؤلاء بمشروع ننتزع الالتزام به ونضمن عدم انسياق أي طرف عربي وراء تقديم تنازلات اساسية كانهاء حالة الحرب مع اسرائيل قبل ضمان تحقيق هذا الحد الادنى من الحقوق المرحلية او المطالب المرحلية للشعب الفلسطيني . لان هذا الغموض الذي يتعلق بالكلام عن حقوق الشعب الفلسطيني في هذه المرحلة سيعطي يوما بعد يوم الانطباع بأن بامكان الشعب الفلسطيني والامة العربية ان تقبل تحديداً لهذه الحقوق يقل كثيرا عما تعطيه الشرعية الدولية ذاتها للشعب الفلسطيني من حقوق وفق قرارات ما تزال قائمة بالرغم من أن موازين القوى التي نشأت منذ عام ١٩٤٨ وحتى الان تجعل تنفيذ هذه القرارات مسألة غير متيسرة . وليس صحيحا ان رفضنا لهذه القرارات هو الذي حال دون تنفيذها ، لانه عندما تتخذ الامم المتحدة قرارا فلا ضرورة لان توافق عليه الاطراف لكي ينفذ ، ولكنه ينفذ من خلال موازين القوى .

اذن فمن مسؤولية منظمة التحرير ان تعمل للعودة بالتحرك السياسي العربي الى مجراه الصحيح ، من خلال المبادرة الى تحديد خطوط أساسية لبرنامج الحد الادنى المطلوب الالتزام به والتضامن لتنفيذه في هذه المرحلة من قبل مصر وسوريا والفلسطينيين والطرف الدولي الصديق المتمثل بالاتحاد السوفياتي ، وهذا الاهتمام بتحديد هـــذا البرنامج يجب أن يسبق الاهتمام بالكشف عن مخطط الخصوم والعمل على احباطه . لانه بوجود مخطط خاص بك تكون تلقائيا قد دخلت في صراع مباشر مع مخطط الخصم .

صحيح انه ، كما يقال ، عندما تجد نفسك تتكلم لغة خصمك فلا بد من أن تجري مراجعة عامة . لكن الاهم اولا ان تكون لك لغتك الخاصة قبل ان تبدأ بالمراجعة او بالاطلاع على لغة الخصم نفسه . لذا اعتقد انه بات من واجب الحركة الوطنية الفلسطينية ، كمسألة ملحة في الوقت الحاضر ، ان تبادر الى صياغة برنامج مرحلي ، يحدد الحد الادنى من المطالب الوطنية الفلسطينية في هذه المرحلة ويحدد سقف التنازلات التي يمكن ان تقبل من أي طرف عربي تقديمها ، وان تبادر بعد ذلك الى اجراء الاتصالات اللازمة مع الاطراف العربية الوطنية لاخذ التزام جماعي ومتضامن للعمل على تحقيق هذه الاهداف في هذه المرحلة ، وكذلك الحوار مع الطرف الدولي الصديق ليتضامن بدوره مع هذا البرنامج ويلتزم به . بعد ذلك يصبح اي تحرك سياسي يخيف ، ويقيم اي أسلوب من اساليب العمل السياسي او التحرك السياسي وفق تقديرنا لما يقدمه لهذا المخطط من خدمة او ما يمكن ان يلحق به من اضرار ، ونكون بذلك قد أعدنا الحوار الى وضعه المنطقي ، نحدد الهدف ثم بعد ذلك نختار ما يناسب لتحقيق هذا الهدف من اساليب . وبغير ذلك فان انغماسنا في مناقشة حضور او عدم حضور مؤتمر جنيف سيقود في تقديري الى مزيد من التمزقات المجانية التي تتضمن الضرر المحض ولا تتضمن أية فائدة، وربما يجرنا ايضا الى تقديم تغطية مجانية لما يمكن ان يقدم عليه بعض الاطراف العربية من تنازلات في مقابل مكاسب ثانوية. فكما هو واضح يحاول المخطط الاميركي الاسرائيلي أن ينتزع مكسب انهاء حالة الحرب في مقابل عملية الفصل بين القوات فقط ، وليس في مقابل الانسحاب الكامل والاستجابة او لتنفيذ القرارات المتعلقة بحقوق الشعب الفلسطيني او الاستعداد لتنفيذها .

طبعا اتحدث هنا عن المرحلية ، لان اي حركة سياسية مسؤولة وواقعية لا بد ان تأخذ هذه المسألة بعين الاعتبار . واذا جاز أن نستفيد من الدروس التي تقدمها الحركة الصهيونية ذاتها ، فأن المشروع الصهيوني ذاته كما أشار الرفيق نايف قام على مراحل وهو لا يعتبر حتى وجوده ضمن الحدود الحالية الا خطوة مرحلية تهييء للمراحل المقبلة. ونحن حينما نطالب أنفسنا بصياغة برنامجنا المرحلي، ينبغي ان يتم ذلك في ضوء تقديرنا لطبيعة المشاكل التي يواجهها نضالنا الوطني في المستقبل ، بحيث يصبح انجازنا المرحلي او تحقيق برنامجنا المرحلي ، محطة صالحة للانطلاق منها الى انجاز المرحلة اللاحقة او المرحلة التالية من مراحل نضالنا الهادفة الى انجاز الهدف الستراتيجي المتمثل في انهاء الوجود الصهيوني ذاته . ان الوجود الصهيوني لم ينشأ نتيجة معركة واحدة ، ولم يخلق في مرحلة واحدة ، بل خلق او تكامل تكوينه عبر عدد من المراحل ، وعبر خوض عدد من المعارك. وهكذا فان انهاءه ايضا لا بد ان يمر بالحلقة نفسها. وأنا مع الاخ شفيق عندما أشار الى ان تفكيرنا بانهاء الوجود الصهيوني بضربة واحدة او بعملية واحدة هو نوع من الرسوبات الموروثة عن المراحل السابقة التي تعايشت معنا منذ عام ١٩٤٨ عندما كان الكيان الصهيوني لا يزال هزيلا ولا يزال غير قادر على الصمود فيما لو توفرت آنذاك الاوضاع العربية المؤهلة لمواجهته . من هنا ، فأن مسألة السعي لانشاء السلطة الوطنية الفلسطينية هي مسألة في صلب العمل السياسي والوطني لاي حركة مسؤولة . ان اي حركة ثورية ، أي ثورة ، لا بد ان تسعى الى انشاء السلطة ، والا فهي نوع من العبث . ان السلطة ليست ذلك الشر الذي يتلوث الثوار او يأثمون بمجرد التفكير به . ولا تكون أي ثورة جديرة بهذا الاسم اذا لم يكن هدفها في النهاية انشاء السلطة الثورية ، او انشاء السلطة الوطنية التي تستطيع ان تتابع اهداف الثورة عبر استخدام أدوات الحكم والسلطة . لكن السعي وراء انشاء سلطة قبل أن تتكامل المقومات التي تضمن لهذه السلطة البقاء او الحياة — وأنا أتحدث عن السلطة لا عن الدولة . ولا عن الارض — فانه يمكن ان ينتهي بكارثة او بخطوة تراجعية كبيرة ، تماما مثلما تتم عملية

ولادة قبل ان يكتمل تكوين الجنين . فليس هناك ما يضمن حياة هذا الجنين او ما يمكن أن يحميه من الموت السريع ، بل انه سيولد ميتا حتما . ان السلطة الوطنية التي ينبغي ان تنشأ على أي ارض فلسطينية يمكن تحريرها (وينبغي ان نعمل على انشاء السلطة الوطنية الفلسطينية فوقها فورا وبلا تردد حينما يكون ذلك متاحا)، هذه السلطة مطالبة بمسؤوليات ضخمة وهائلة سوف تنوء تحتها وتفقد صفتها الوطنية اذا لم تكن قادرة على مواجهتها منذ البداية . فمثلا لقد خلق الاحتلال خلال السنوات السبع الماضية في الاراضي الفلسطينية التي احتلها كثيرا من العادات غير الوطنية ، خلق كثيرا من المصالح التي تجعل قطاعا واسعا من ابناء شعبنا مرتبطا بالاقتصاد الاسرائيلي ذاته ، خلق عادة التعايش والتنقل والسياحة ايضا الى المدن والمستعمرات الاسرائيلية ، وان استمرار هذه العادات يكاد ربما ان يؤثر او يجرد شعبنا من هويته النضالية ومن قدرته على الاحتفاظ بشخصيته الوطنية المتماسكة القادرة على مواصلة الصراع والتي ينبغي ان تشكل الوجود المقيت وليس الوجود المتعايش مع الوجود الصهيوني . ولقمع هذه العادات ينبغي ان تكون السلطة التي ستنشأ فوق هذه الاراضي قوية . والقوة هنا لا تأتي من قوة عضلات الاشخاص الذين سيتولون الحكم ، ولكن تأتي من مدى ثقة الجماهير بهذه السلطة ومن نوع الثمن الذي دفع في مقابل وصولها الى الحكم . فالسلطة التي تصل الى الحكم عبر تقديم ثمن باهظ وكبير ، لا يمكن ان تصل الا ضعيفة ومحرجة وبالتالي غير قادرة على مواجهة المصاعب والتحديات التي هي مضطرة لمواجهتها من اللحظة الاولى لقيامها . ويخشى في ظل غياب سلطة وطنية قادرة على مواجهة التحديات ان يقع هذا الوجود الفلسطيني المستقل مباشرة بصورة فورية في أحضان السيطرة الصهيونية ذاتها من جديد . من هنا تأتي اهمية البحث عن صيغة تجعل الوحدة الوطنية الفلسطينية حول موقف وطني متناسق هامة جدا ، لانها هي الطريق الوحيدة لضمان بقاء الوجود الفلسطيني متماسكا وقادرا سواء على انشاء الحكومة الوطنية ، السلطة الوطنية ، او على التعبير عن وجوده ، او ربطه بوسائل مختلفة اذا قرر ان يرفض او اكتشف ان من الضروري ان يرفض الآن تكوين هذه السلطة او اكتشف ان مراحل نضج او تكوين هذه السلطة لم تكتمل بعد . لكن من حيث المبدأ فلأن الصراع مع الصهيونية لا يجوز ان يتوقف ولانه ينبغي ان يظل النقيض التاريخي قائما الى جانب الوجود الصهيوني ، هذا النقيض الذي هو الوجود الفلسطيني بالدرجة الاولى ، ولان تحقيق التسوية سوف ينهي مظاهر حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل وبالتالي يسحب من أيدي المناضلين الفلسطينيين الاوراق والامكانات المتوفرة حاليا لمواصلة النضال المسلح وكافة أشكال النضال الاخرى مما هو متوفر الآن ، فلا بد من ايجاد صيغة جديدة للتعبير عن استمرارية القضية الفلسطينية ذاتها ، واستمرارية النضال الفلسطيني ذاته ، الذي لا بد في ظل نشوب أوضاع جديدة ان ننتقل الى صيغ جديدة تتلاءم مع هذه الاوضاع . وبطبيعة الحال فاذا كان بامكاننا أن نختار بين أن تجري التسوية الآن وبين أو نحول دون اجرائها بانتظار توفر شروط ومناخ افضل لمصلحتنا ، بحيث تجعل حجم المكاسب التي يمكن تحقيقها أكبر وحجم التنازلات التي نضطر الى تقديمها أقل ، فينبغي الا نتردد في ذلك ، وينبغي أن نسعى في ظل جهدنا وامكانياتنا لعرقلة المساعي الرامية الى اجراء التسوية الآن ، وتأجيل ذلك الى ما بعد أن تتوفر شروط أفضل ، وبعبارة أخرى الى نشوب حرب جديدة تعدل ميزان القوى بحيث يختل أكثر لصالحنا . وأعتقد ان هذا المطلب ليس غريبا ، فالتسوية وان كانت تبدو الآن أكثر واقعية من أي وقت مضى بحكم الانتقال من مرحلة اختلال الموازين لصالح العدو الى مرحلة التوازن والتكافؤ النسبي ، الا أنه بمضي الايام والزمن قبل الوصول الى التسوية تصبح عملية التسوية يوما بعد يوم أصعب والعراقيل في وجهها أكثر ويعود التشبث

الاسرائيلي من جديد كما كان قائما في السنوات الست الماضية . ولا يجب ان نتغافل عن الحقائق التي كانت قائمة في السنوات الست او السبع الماضية حين كنا دوما نعتقد ان التسوية على الابواب ونظن أن التسوية جاهزة وستنفذ خلال أسابيع . لقد عشنا في ظل هذا الكابوس منذ صدور قرار مجلس الامن وحتى اللحظة التي بدأت فيها حرب تشرين وكان هناك باستمرار ترويج بأن الجبارين القويين قد توصلا الى صيغة ، وهناك ترويج بأن مصر وأمريكا قد توصلتا الى صيغة مشروع روجـــرز الذي سبب مباشرة او كان السبب المباشر في مذابح أيلول . أيضا كان يوحي بأن التسوية قد أنجزت أو أصبحت على وشك الانجاز .

سنعيش في هذه الدوامة في تقديري لفترة طويلة ، وان طبيعة المحادثات الجارية في جنيف أو التي جرت أخيرا تشير الى أن هذا المناخ يمكن أن يستمـــر ، وبالتالي فان العوائق التي كانت قائمة في وجه اجراء تسوية غير مذلة للعرب لا تزال مرشحة لان تظهر من جديد ، وبالتالي فالتحضير لحرب جديدة لا بد أن يكون المهمة الاساسية العاجلة التي تركز عليها القوى الوطنية العربية أكثر جهودها . وواقع الحال أن المساعي تجري الآن ، والرفض السوري للذهاب الى مؤتمر جنيف بصورته الحالية نابع من اعتبارين : الاعتبار الاول هو عدم وجود البرنامج المشترك ، برنامج الحـــد الادنى المتفق عليـــه والمتضامن حوله ، بين الاطراف المعنية والذي يحدد الاهداف المرحليـــة ويحدد أيضا أساليب العمل لتحقيقها . وأيضا الى جانب ذلك فان موازين القوى الحالية لا تسمح باجراء تسوية تضمن الحد الادنى من العدالة فيما يتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني . هناك امكانية لاستئناف الحرب من جديد واحراز مواقع أفضل تتيح امكانية الوصول الى تسوية بشروط أفضل واستعادة حقوق مرحلية للشعب الفلسطيني يمكن ان توازي في حجمها الخسارة الناجمة عن انهاء حالة الحرب . هذا الموقف السوري ، وأنا في ذلك مع الدكتور جورج ، يمكن أن يصبح أساسا للدفع باتجـــاه اعاقة التسوية في الظـــروف الراهنة ويمكن أن يتعمق ويتصلب بقدر ما يتجمع حوله مـــن قوى وطنية قادرة على التأثير وقادرة على جعل العمق الاستراتيجي لسوريا أكبر وأكثر . بمعنى آخر بقدر ما يترافق معه موقف وطني فلسطيني صلب ومتماسك وبقدر ما يترافق معه تجاوب عراقي بحيث يمكن ان تشكل من هذه القوى الثلاث قوة جديدة تعيد الثقة مجددا حتى الى مصر وتساعد في انقاذ مصر من الانسياق أكثر فأكثر في اتجاهها او ما يقال عن احتمال التسوية الثنائية التي تسعى دبلوماسية كيسنجر الى أنجازها بمعزل عن سوريا وعن الشعب الفلسطيني .

وأشير الى نقطة الرفيق نايف . حقيقة ان المعاهدات ، والاتفاقات أيضا ، لا تكون خالدة وان موازين القوى ليست ثابتة وبالتالي لا بد أن تتأثر معها باستمرار حقائق الجغرافيا وحقائق العلاقات السياسية وان أي تسوية ستكون لا يمكن أن تكون لاكثر من مدة مؤقتة من خلال نوع الشروط المادية التي تكون ضمن هذه التسوية . وهناك نقطة اخرى لا بد أن يشار اليها تتعلق بالموقف الفرنسي والاوروبي بصورة عامة . ان بومبيدو أشار الى أن هذه التسوية لا يمكن أن تكون الا كهدنة مؤقتة ولا تطول . وادراك فرنسا لهذه المسألة جرى التعبير عنه ، في تقديري ، في عملية الصفقة الاخيرة التي تمت بين السعودية وفرنسا لبيع النفط مقابل السلاح . وفـــرنسا وبريطانيا ربما عادتـــا فاكتشفتا من جديد ان أوربا وهذه الدول لا تستطيع ان تكون ذات نفوذ أو قادرة أن تلعب دورا في مشكلة الشرق الاوسط الا من خلال وجودها المادي المترتب بوجود سلاحها بين أيدي الاطراف المتصارعة . لقد استطاعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي أن تستأثرا كدولتين كبيرتين بالاشراف على عملية التسوية لانهما الدولتان الوحيدتان اللتان تزودان السلاح الى الطرفين المتصارعين في المنطقة . ولم يحس أحد بوجود بريطانيا أو

فرنسا أو الدول الاوروبية الاخرى وهذا خلاف ما كان قائما في ١٩٥٦ والى ٦٧ . فمن ١٩٤٨ الى ١٩٥٦ اسرائيل كانت تتسلح من بريطانيا ومن ٥٦ الى ٦٧ اعتمدت على فرنسا . ثم كان هناك اعتماد أساسي على امريكا وخرجت بريطانيا وفرنسا بشكل فاضح من المنطقة . الآن هناك محاولة فرنسية للعودة الى المنطقة من خلال العودة الى تزويد المنطقة بالسلاح . وان كان هذا ينصب على أطراف عربية ليست هي الاطراف المباشرة في الصراع مع اسرائيل . على أية حال هذا يدخل عاملا جديدا أو عوامل جديدة لا بد من اعتبارها في المستقبل وهذا العامل على حساب الولايات المتحدة (وليس على حساب الاتحاد السوفياتي) لان هناك حسابات جديدة بين أطراف كانت تشكل معسكرا واحدا وهذا يخلق فيما بينها صراع مصالح في المنطقة يمكن استثماره لاجراء مزيد من الضغط على الولايات المتحدة ولتقليص حجم الدور الذي تقوم به الولايات المتحدة في منطقتنا . وبالتالي على المدى البعيد سيكون لهذا العامل أثره في امكانية خلق شروط موضوعية أفضل لتحقيق تسوية بثمن أقل وبمكاسب أكبر . وسيبقى الاساس هو أن نعرف كيف نصوغ برنامجنا المرحلي وأن نعرف كيف نتحرك لانتزاع الالتزام بهذا البرنامج المرحلي على اوسع نطاق عربي ودولي ثم لنناضل متضامنين من أجل تحقيقه .

الدكتور جورج حبش :

ما هوهدفنا من أي حوار يدور في هذه المرحلة في الساحة الفلسطينية ، سواء اتخذ شكل ندوة أو أي شكل آخر من الاشكال ؟ أمام الوضع الصعب الذي تمر به الثورة الفلسطينية في هذه المرحلة بالذات يجب ان يكون الهدف واضحا ، ويجب أن نستهدف بكل قدراتنا أن يكون هدف هذا الحوار محاولة للتوصل ، بقدر الامكان ، الى رؤية سياسية موحدة اذا أمكن أو رؤية سياسية متقاربة على الاقل ، أو محاولة تفهم وجهات نظر بعضنا البعض . واذا لم نستطع خلال فترة قصيرة أن نوحد رؤيتنا السياسية ، أو تصبح رؤيتنا السياسية متقاربة ، فنأمل على الاقل أن تصبح تحليلاتنا ومواقفنا مفهومة من قبل بعضنا البعض . أزيد فقط ان أشير الى ان مثل هذا الهدف ، لا يتحقق الا من خلال الصراحة ، ومن خلال الشعور المطلق بضرورة ممارسة حرية الكلمة دون أن يخشى الانسان من اساءة فهم لاي رأي قد يطرح . هناك فارق بطبيعة الحال بين أن يكون بين فصائل حركة المقاومة مناخ ايجابي شكلا ، وبين أن يكون هناك مناخ مبني على أساس رؤية سياسية واحدة أو متقاربة ، أو فهم لمواقف بعضنا البعض ، أقول ذلك لاني سأتناول بعض الموضوعات دون وجل ودون تخوف من أن يسيء أي أخ من الاخوان هنا الهدف أو القصد أو النية من وراء أي فكرة سأطرحها . وأثناء سماعي للحديث الذي دار في هذه الندوة سجلت العشرات من النقاط، لكن سأضع هذه النقاط جانبا وأتناول ما أعتقد أنه يشكل الموضوعات المركزية فعلا التي تبين انها كذلك اثناء الحديث الذي دار في هذه الجلسة .

من الضروري أن نلاحظ نقطة في غاية الاهمية ، وهي ضرورة الفصل والتمييز الواضح جدا والدقيق جدا بين أي برنامج مرحلي تريد أن تستخرجه الثورة الفلسطينية الآن لتلافي — فلنقل — خطأ سابق وقعت به لعدم تحديدها مثل هذا الهدف ، ضرورة التمييز الواضح والدقيق بين هذا الموضوع ، وبين مؤامرة موضوعة الآن لتصفية القضية الفلسطينية . وما لم يكن مثل هذا التمايز واضحا كل الوضوح ، أمامنا وأمام كوادرنا وأمام جماهيرنا ، فمن حق الجماهير أن تتخوف ومن حق الجماهير أن تعتقد أن كل ما يقال في هذه المرحلة قد يكون مجرد تغطية لفظية ، مجرد تغطية افتائية للمؤامرة التي تدور الآن لتصفية القضية الفلسطينية. أعتقد اذا لاحظنا جميعا هذه النقطة ووقفنا أمام

مسؤوليتنا تجاهها فان هذا يقربنا خطوة كبيرة الى الامام من حيث فهمنا لبعضنا البعض من ناحية ، ثم من حيث قدرتنا على الوصول فعلا الى موقف موحد لحركة المقاومة ، ثم من حيث قدرتنا على استقطاب الجماهير بشكل ثوري حول هذا الموقف . ما الذي أقصده بالضبط من هذه النقطة ؟ أقصد بالضبط من هذه النقطة أن المجلس الوطني الفلسطيني اجتمع قبل حرب تشرين ببضعة أشهر ، وهذه واقعة معينة ، واستخرج برنامجا معينا من المفروض أن يكون كل تنظيم وكل فصيل مسؤول في حركة المقاومة قد وقف أمام النضال الفلسطيني بمختلف مراحله لاستخراج دروسه الاساسية ، ثم عكس ذلك على برامج النضال التي وضعت في تلك الفترة . ليس أمامي الآن برنامج المجلس الوطني الحادي عشر لكن هذا البرنامج يحمل ادانة واضحة وصارخة للقرار ٢٤٢ ، يحمل ادانة واضحة وصارخة لاي تسويات تصفوية ، يحمل ادانة واضحة وصارخة لاقامة اي دولة على جزء من التراب الفلسطيني في ظل المعطيات التي انعقد فيها المجلس الوطني الحادي عشر . بعد ذلك كانت حرب تشرين ، وبعد حرب تشرين أتى مؤتمر جنيف وعند مؤتمر جنيف شهدت الساحة الفلسطينية موضوع « ضرورة الواقعية » ، موضوع « مللنا كلمة لا » ، موضوع « من الضروري أن نتخذ مواقف ايجابية » الى آخر ذلك من الاشياء التي طرحت بعد حرب تشرين وبمناسبة مؤتمر جنيف بالذات . هنا من الضروري أن نفكر : أليس من حق هذا المواطن أن يعتقد ان البعض يرى ان ما حصل بعد حرب تشرين وميزان القوى الدولي والعربي والفلسطيني الذي حصل بعد حرب تشرين ، والمجرى الذي طرح بعد حرب تشرين من خلال مؤتمر جنيف ، هو الطريق لمثل هذا الهدف المرحلي الوطني ؟ اعتقد ان من حق الجماهير أن يحدث في ذهنها مثل هذا الارتباك . لماذا ؟ لان الجماهير كانت واقفة أمام حدث سياسي محدد ، حركة المقاومة مدعوة لحضور مؤتمر جنيف . محاولة واضحة في الواقع لاحتواء ما تبقى من حركة المقاومة وثورية حركة المقاومة . الجماهير كانت تدرك انه لا يمكن ان تجري تسوية للمنطقة كما تريدها اميركا وكما تريدها قوى غير اميركا في ظل بقاء هذا الفصيل (المقاومة الفلسطينية) الذي ما يزال يتميز بثوريته وبندقيته والتصاقه بالجماهير والتصاقه بأهدافه الثورية . اذن ستجري محاولات ، محاولات جادة جدا لاحتواء هذه القوة بكل الوسائل، بالضغوطات ، بالاكراه ، بمحاولات الاقناع ، بمحاولات التحريف ، بكل الوسائل الممكنة. وعندما تستعرض جماهيرنا ان بعض الثورات تخطىء وتقع في أخطاء وتنحرف أحيانا (وهذا ما قصدته عندما لفت النظر لضرورة رحابة الصدر لاننا نناقش قضايا علمية ، فكل ثورة من الثورات معرضة للانحراف ، معرضة لان تنحرف قيادتها ، معرضة لان تقف في نصف الطريق ، معرضة لان تكتفي باستقلالات شكلية كما حصل في حركات التحرر الوطني) عندما تستعرض جماهيرنا هذا وعندما تطرح كل هذه السلسلة من الموضوعات في ظل حدث سياسي معين هو مؤتمر جنيف فان هذا يفسر فعلا البلبلة التي عاشتها جماهيرنا .

اذا كانت عملية الحوار التي دارت منذ مؤتمر جنيف حتى الآن والتي ساهم فيها كثير من الفصائل وكثير من الرفاق قد بلورت المواقف بشكل أوضح وهذا ليس عيبا بل شيء ممتاز ، فان ما أقصد في الحقيقة أن أطرحه هو ضرورة التمييز بين مؤتمر جنيف وبين أي موضوع تواجهه الثورة قبل مؤتمر جنيف واثناء مؤتمر جنيف وما بعد مؤتمر جنيف ، وهو موضوع ما هو تصورنا لمرحلية نضالنا وصولا الى تحرير كامل التراب الفلسطيني ؟ اذا كنا متفقين على هذه النقطة بالذات وحتى يكون هناك فاصل واضح جدا ما بين محاولات ستتخذ شكل ارضاء الشعب الفلسطيني وما بين تفكير ثوري مرحلي للوصول الى التحرير فمن الضروري ان نؤكد على مجموعة قضايا ، فنطرح التحليل السياسي السليم لهذه المؤامرة التي تستهدف الثورة الفلسطينية ليس فقط من قبل اميركا ، نطرح كل

المواقف بوضوح على صعيد دولي ، نطرح كل المواقف بوضوح كما هي قائمة على صعيد عربي ، ونبين فعلا الى اين يمكن أن يؤدي مؤتمر جنيف . وما زلت رغم كل ما سمعت مقتنعا فعلا بعمق بضرورة تحديد موقف من قبل الثورة الفلسطينية تجاه هذا المجرى . بمعنى هل هذا المجرى يؤدي الى أي هدف مرحلي وطني نريده أم لا ؟ علينا أن نفحص هذا الموضوع ، ونقدم شرحا كاملا وواضحا للجماهير عن الوضع الدولي الذي نشأ عن حرب تشرين والوضع العربي الذي نشأ عن حرب تشرين وبالتالي ما نواجهه نحن من مخططات . أنا سمعت على لسان كل أخ من الاخوان هنا تخوفه من موضوع التسوية في هذه المرحلة ، بعبارات من نوع « كيف نحبط موضوع التسوية » . وهذا الموضوع يجب ان يكون واضحا كل الوضوح ، وبالتالي لا يختلط في موضوع آخر هو موضوع كيف نمرحل نضالنا وصولا الى تحرير كامل التراب الفلسطيني . هذه نقطة أولى وان لم أكن مخطئا فقد كان هناك في الواقع التباس واضح جدا ما بين الموضوعين . من يتحمل هذا الالتباس ؟ الجماهير بعفويتها ، أم اساءة فهمنا لبعضنا البعض ، أم ان المواقف عندما طرحت لم تحدد بدقة هذه الموضوعات ؟ هذا موضوع قائم بذاته ولا أريد أن أتطرق اليه، لكن جماهيرنا عاشت حالة معينة ، ومن مسؤوليتنا أن نسأل لماذا ؟ فهذه القيادة اجتمعت في المجلس الوطني الحادي عشر ، ووضعت برنامجا بنقاط محددة في ظل مؤامرة دولية تستهدف التصفية بشكل واضح كما بينت في حديثي السابق ، اذن فمن حق هذه الجماهير في الواقع أن تتخوف وأن تطرح كل علامات الاسئلة التي شهدتها الساحة الفلسطينية في الفترة السابقة .

هذه نقطة أولى حول الموضوع الرئيسي ، والنقطة الثانية هي ما هي الحلقة المركزية . وهنا ايضا علينا أن نميز فعلا بين رؤيتنا لهذه الحلقة المركزية بين ما هو مطروح دوليا من قبل اميركا بالذات أو فلنقل من قبل القوى المعادية ، أو من قبل المجتمع الدولي ، ولي وجهة نظر في هذا المجتمع الدولي سجلتها بجراة وبوضوح وأعتقد بعلمية في الجلسة السابقة . من الضروري أن نحدد الحلقة المركزية كما نراها نحن ، كما تراها الثورة الفلسطينية . أقول ذلك لان الحل المطروح من محصلة القوى الدولية هو موضوع كيان فلسطيني أو دولة على جزء من الارض الفلسطينية . طيب . نحن الان كثورة ، هل هذا هو تحديدنا للحلقة المركزية ؟ ما هي الحلقة المركزية ؟ كما ظهر اثناء الحديث كانت الحلقة المركزية في فترة من الفترات اسقاط النظام الرجعي في الاردن ، وفي فترة قبل هذه الفترة كان يجب أن تكون الحلقة المركزية موضوعا آخر . ما هي الحلقة المركزية الان ؟ هل نكتفي في الواقع بأن نقول ان الحلقة المركزية هي الاراضي الفلسطينية التي ستنسحب منها اسرائيل واقامة سلطة وطنية على هذه الاراضي بدون تنازلات ؟ لماذا ؟ أنكتفي بهذه الحلقة المركزية على أساس انها هي أقرب للواقع أم على أساس أنها تشكل قناعتنا — نتيجة تفكير — بغض النظر عن قربها من الواقع او بعدها منه . أقول ذلك لان هناك خصوصية موضوعية بالنسبة للساحة الاردنية أقصد شرق الاردن . فسبعون بالمئة من سكان شرق الاردن هم من الشعب الفلسطيني . فما هي الحلقة المركزية بالنسبة لهذا الجزء من الشعب الفلسطيني الذي يشكل نحو ٤٠ ٪ من شعبنا الفلسطيني ؟ هل يبقى نضاله أيضا بدون تحديد وبدون هدف ؟ أقصد من قولي أن ليس من الضرورة ان تكون الحلقة المركزية في هذه الفترة متشابكة مع الحلقة المركزية المطروحة على صعيد دولي ، وانما يمكن أن تكون في الواقع من بندين رئيسيين ، البند الاول هو مقاومة الاحتلال الاسرائيلي حتى يجلو بالقوة .. لان هذه الحالة — طريقة جلائه بالقوة العسكرية والسياسية — هي وحدها التي تمكنا من القول انه جلاء بدون اعتراف بدون صلح . والبند الثاني في الحلقة المركزية هي اسقاط النظام العميل الرجعي في الاردن عن طريق

الجبهة الوطنية الفلسطينية ـــ الاردنية ، وبالتالي فان لي وجهة نظر فيما يتعلق بموضوع ما هي الحلقة المركزية .

ومن الاشياء التي ولدت الالتباس أيضا أنه لماذا نقول في هذه الفترة أن الحلقة المركزية هي فقط ما هو مصير غزة والضفة الغربية ؟ لماذا لا يشمل تفكيرنا ، وبالتالي نقول ، ان الحلقة المركزية هي من بند أول وبند ثان ؟ لاننا بقدر ما نحن مطالبون بأن نحدد هدفا مرحليا لمليون وربع المليون فلسطيني داخل فلسطين المحتلة ، فنحن أيضا مطالبون بأن نحدد هدفا مرحليا واضحا لحوالي مليون فلسطيني أو على وجـــه التحديد ٩٠٠ ألف فلسطيني في الضفة الشرقية . نقطة ثالثة بالنسبة للحلقة المركزية أو فلنقل بالنسبة للهدف السياسي الذي نريد أن نطرحه ، أو ما يمكن ان يسمى الحلقة المركزية في البرنامج السياسي ، لان موضوع الدخول في البرنامج السياسي وترجمته الى بنـــود تفصيلية موضوع قائم بذاته . صحيح أننا حركة تحرر وطني فلسطيني ، ولكن مهما أردنا أن نؤكد على الهوية النضالية للشعب الفلسطيني ومهما أردنا أن نؤكد على الثورة الفلسطينية واستقلاليتها فنحن كما ذكر الاخ ابو اياد في المرة السابقة بقدر ما نحن حريصون على الاستقلال عن أنظمة عربية رجعية أو مستسلمة ، فنحن وراء أوثق العلاقات مع حركة التحرر الوطني العربية في أي جزء من الوطن العربي . وترجمة ذلك لا يمكن أن تتم الا بتبني مواقف محددة أيضا بالنسبة للمشكلات الوطنية التي تعانيها دول عربية معينة ، وبالتالي هذا يجب ان يدخل في صلب مواقفنا . ان موضوع بأي طريقة يريد السادات أن يحل القضية الوطنية الان في مصر من حقي كمواطن فلسطيني عربي أن يكون لي رأي فيه مثلما السادات له رأي . وكذلك كل مواطن عربي . ونحن يجب أن نعيد هذا التفكير لانه خلال عشر سنوات أو عشرين سنة لن تكون لنا قوة الا جماهيرنا المعبأة بالوعي السياسي ، ولن نستطيع أن نحقق أهدافنا الا عندما نبني مثل هذه القوة . صحيح تأتي مناسبات تحتاج الى حنكة سياسية ، وانا اوافق الاخ شفيق عـــلى هذا الموضوع ، فموضوع التكتيك أساسي لكن في ظل رؤيتنا للقوة الاساسية التي يمكن أن تصنع التاريخ، وهي قوة الجماهير . وقوة الجماهير لا يمكن ان تبنى الا على اساس برامج سياسية علمية وثورية ومتكاملة . ليس هناك فكر ثوري قطري ، الفكر الثوري هو فكر قومي ، وبالتالي نحن لا نستطيع في الواقع أن نعفي أيضا برنامج المرحلة (جوابا على قضية المراحل) من تحديد موقف واضح فيما يتعلق بمسلكية النظام القائم في مصر ، ومسلكية النظام القائم الآن في سوريا . صحيح هناك اعتبارات تكتيكيـــة ، لكن هنـــاك أيضا جماهيرنا التي تنتظر موقفا من الثورة الفلسطينية وتأثير هذا الموقف . من هنا فعندما لا يقف برنامجنا السياسي المعبر عنه في الحلقة المركزية ، عند ما هو مشترك فقط مع ما يطرحه المجتمع الدولي (اعني ماذا عن غزة والضفة الغربية) وانما نضع البرنامج الذي يعطي جوابا على كل هذه القضايا ، فان هذا يساعد أيضا على التمييز الواضح ما بين ثورة تريد أن تضع برنامجا علميا مرحليا آخذا بعين الاعتبار الوضع الدولي والعربي ، وبين موضوع آخر مطروح . هذا ولا نستطيع أن ندير وجهنا ونتصرف وكأنه لم يطرح شيء فأي شيء الان ستطرحه الثورة الفلسطينية او سيطرحه أي فصيل ، أردتم او لم تريدوا ، فان الجماهير ستنظر له وتحاكمه من خلال ما هو مطروح دوليـــا وعربيـــا (موضوع مؤتمر جنيف أو لا مؤتمر جنيف) . صحيح نحن كقيادة يمكن أن نقول ان هذا هو حجم مؤتمر جنيف ولكن متى يمكن أن يحصل ذلك ؟ عندما نطـــرح تحليلا للثـــورة الفلسطينية وبرنامجا للثورة الفلسطينية يضع الحد الفاصل والواضح وبين ما هو مطروح دوليا وبين خط الثورة في مواجهة ما هو مطروح .

نقطة أخيرة ، في تقديري بقدر ما يجب ان نؤكد على ضرورة كذا وضرورة كذا فأنا أشعر ان الجماهير قد تتساءل أيضا لدى تغييب أي قضية مركزية تحس بأهميتها

وتتساءل عن أسباب غيابها . لقد أكد الاخ زهير على ضرورة أن نحدد الهدف السياسي أولا ، وأنا بمستوى تأكيدي على الهدف السياسي أؤكد علـــى ضرورة التأكيد على أي وسيلة سأصل بها الى هذا الهدف . فليكن هدفنا السياسي مرحليـــا ، وليكن هدفنا السياسي مقبولا الان من قبل جماهيرنا الفلسطينية وجماهيرنا العربية والوضع العالمي، ولنضع فعلا هذا البرنامج السياسي الذي يمكننا تلخيصه في جلاء الاحتلال الاسرائيلي عن الضفة الغربية وغزة واسقاط النظام الرجعي العميل في الأردن وموضوع وجهة النظر في الموقف العربي الرسمي من القضايا او المؤامرة المطروحة الآن لتصفية الصراع العربي الاسرائيلي ، وكل ذلك وبشكل واضح دون أي اعتراف ، دون صلح ، دون مفاوضات مباشرة ، عندما نضع هذا الهدف فمن الضروري جدا ـــ وهذا يواجه كل ثورة وكل فكر ثوري ـــ أن نحدد ما هي الوسيلة للوصول الى هذا الهدف . وهنا في اعتقادي انه من الضروري أن تقول الثورة الفلسطينية ان كان ميزان القوى القائم الآن لا يحقق هذا الهدف أو يحققه . هذا الهدف الذي يمكن ان نتفق عليه ويجب ان يكون لدينا حماس شديد للاتفاق لان هدفنا هو التغلب على التناقض الرئيسي . وبعد أن نحدد هذا الهدف بوضوح ـــ دون صلح ودون اعتراف ـــ (وقـــد خضت في موضوع الصلح والاعتراف وبينت خطورتهما في الجلسة السابقة) بعد ذلك ضروري أن نقول ان ميزان القوى كما هو قائم الآن لا يمكن أن يوصلنا الى هذا الموضوع . لا يمكن ؟ لا نكتفي بهذا الكلام بل نقول أيضا أن النضال السياسي وحده لن يوصلنا لهذا الموضوع . طوال سبع سنوات من ٥ حزيران حتى حرب تشرين لم يؤد كل النضال السيـــاسي الذي خاضته الانظمة العربية الى أي جلاء عن شبر واحد . اذن فمن الضروري أن نؤكد ان موضوع النضال السياسي وكل التحالفات وقوة السوفيات وضغطهم ـــ في تقديري ـــ لن يؤدي الى هذا الهدف . اما الحرب الاقتصادية ، أقصد بذلك حرب النفط ، فان القوى التي تقودها هي قوى أعجز من أن تخوض مواجهة حاسمة مع الامبريالية . هي مستعـــدة لخطوات تكتيكية معينة تمرر من خلالها الحل الامبريالي الرجعي. اذن فلتكن هذه الامور واضحة. ما الذي يمكن اذن أن يوصلنا لهذا الهدف المرحلي . هذا شيء يجب أن يقال لجماهيرنا. انه القتال ومزيد من القتال . هذا الشيء الوحيد الذي يجب أن تصب كل قوتنا باتجاهه. والخلافات التي ربما قد تبدو بسيطة تكون في تقديري هامة : الى أين نكون مشدودين ، وأين الثقة ، وكيف نطرح الامور لجماهيرنا ، وبأي هدف نطرح الامور لجماهيرنا ؟ وهذه هي أهم الاسئلة . فان أي قضية أو أي موقف أريد أن أطرحه للجماهير علي ان أسأل نفسي : ماذا ستكون النتيجة على صعيد تصاعد قوة الجماهير في طريقها للوصول الى هذا الهدف ؟ في تقديري ان من أهم القضايا التي يجب على الثورة ان تركز عليها الآن ، في كل ندواتها وفي كل كلماتها وفي كل ما تكتبه ، أهم هذه القضايا هي اننا سنكون واهمين اذا كنا نظن انه يمكن الوصول الى هذه الاهداف المرحلية عن طريق مؤتمر جنيف . نكون واهمين اذا اعتقدنا اننا نصل عن طريق النضال السياسي . هذا الشيء لا يمكن أن نصل له الا عن طريق المزيد من القتال .

ويقودنا هذا الى البرنامج المفصل المتعلق بهذا الموضوع ببنوده المحددة . ان شعور كافة فصائل المقاومة بمسؤوليتها تجاه الوضع الذي نعيشه الآن يجعلها تحاول بأسرع وقت ممكن أن تصل الى وضوح حول هل هناك وحدة في الرؤية السياسية ، هل هناك تقارب في الرؤية السياسية ؟ أين نحن متفقون ، وأين مختلفون ؟ كيف نحدد علاقاتنا على أساس هذا الموضوع ؟ هذا موضوع لا بد من جلائه بين فصائل حركة المقاومة ، وهو في تقديري يمكننا من تصور طبيعة أداة الثورة وأسلوب عملها في المرحلة القادمة : بناء قاعدة جماهيرية مسيسة في فلسطين المحتلة تتوج نضالها السيـــاسي بالعنف ، العمل الجاد لخلق الجبهة الفلسطينية الاردنية على أرض الاردن بهدف نضال يومي وتراكمات

يومية هدفها الاستراتيجي أو شعارها الاستراتيجي اسقاط نظام الملك حسين ثم ربط كل ذلك بحركة الجماهير العربية وحركة الجماهير العربية تعبير هام جدا تندرج تحته حركة التحرر الوطني اللبناني والوقفة الجادة أمامها حتى تشكل حماية لحركة المقاومة ووجودها العلني هنا . لكن أبرز نقطة الآن ، وأقول هذا بقناعة ، أبرز نقطة الآن في هذه الفترة فيما يتعلق بالوضع العربي ، هي موضوع الرفض السوري . والاخ زهير يعرف ما هي علاقتنا نحن بسوريا بشكل خاص . ولكن هذا شيء ، وموضوع أن نرى الامور بعلمية وموضوعية شيء ثان . ان الرفض السوري لا توجد أوهام حول مداه . أنا ذكرت قضية موضوعية هي اختلاف موضوع سيناء عن موضوع الجولان، واكتفيت بهذا السبب تجنبا للنقاش . لكن اذا أردنا أن نذكر أسبابا أخرى فهناك أسباب اخرى . في تقديري ان البنية الطبقية للسلطة في سوريا تختلف عن البنية الطبقية للسلطة في مصر . بعد كل التوجه نحو اليمين الذي سار فيه السادات في مصر . ويمكن ان يكون هناك احيانا الفروقات الذاتية والشخصية . فشاب عاش في سوريا ، وعاش كل الحالة الوطنية فيها لا يقدر ولا يستسيغ أن يجلس هو واسرائيل على طاولة واحدة . وعندما يكون هذا الانسان قائدا فان هذا الموضوع يلعب دورا في الحقيقة . ولكن لو تركنا كل هذه العوامل جانبا ، فهناك قضية الرفض الآن . كيف تواجهها الثورة الفلسطينية ؟ نتأملها ؟ نقول هذه قضية تكتيكية ؟ نطرح هذا التحليل ونقول لا بد من قتال ، ونضع خطة كاملة لجبهة مقاتلة ، ليست جبهة رافضة سلبا ولا جالسة على الرف ولا ناسية جماهيرها ، ولا تريد ان تزايد لاننا فعلا نواجه مواقف ، كل واحد منا واقف بمسؤولية أمامها . الحل المطروح اذن برنامج قتالي يمكن أن يتم ارتكازا الى موقف موحد يمكن أن تتخذه المقاومة ويلتحم فعلا بالموقف السوري . وعندما يلتحم بالموقف السوري يبدأ نشاطنا السياسي لنضع العراق أمام مسؤولياته ، ونضع الجزائر أمام مسؤوليتها . نعرف جميعا القوى العربية التي كانت تنتظر ان تحدد المقاومة رأيها حتى تحدد هي موقفها . الحركة الوطنية اللبنانية تقول ما تحدده حركة المقاومة كذلك اليمن الديمقراطي والجزائر . فلتحدد حركة المقاومة وتقول هذا هو تحليلي وهذا هو فهمي لمؤتمر جنيف ، وهذه هي استراتيجيتي المرحلية الخاصة المتميزة والمستقلة عن مؤتمر جنيف والمتناقضة معه . وليس هذا فقط هذا هو مدى رؤيتي لاسلوب تحقيق أهداف هذه المرحلة ، فاذا كانت حركة المقاومة قد عاشت في الفترة السابقة في حالة ضياع مكنت بعض القوى من عدم القيام بالتزاماتها فعلينا ان نضعها أمام مسؤوليتها . ونحن نستند هنا الى عمق بشري وجغرافي ، عمق جغرافي يمتد من الجولان على طول سوريا ومعها العراق ، وعمق بشري بحدود ١٥ مليونا . وقد دلت حرب تشرين على ان هذا الخط السياسي ثم هذا العمق الجغرافي والبشري بالاضافة الى قيادات مصممة على استمرار القتال لفترة طويلة ، كل ذلك قادر على أن يهز ميزان القوى كما هو قائم الآن . ودلت حرب تشرين ان هذا التفكير ليس تفكيرا وهميا ، بل هو الطريق الوحيد الذي يجعل قوتنا نامية ، حتى لا نعيش سنة او سنتين في حالة جدل حول المواقف السياسية فقط لنجد بعد ذلك ان كافة اوهامنا حول امكانية جلاء اسرائيل كانت في الحقيقة مجرد اوهام .

أبو ايـاد

أود ان أبدأ بملاحظة اولى حول الحوار كله . اعتقادي ان هذه الجلسات في مركز الابحاث ، وغيرها من الحوارات التي تجري بين المنظمات ، اذا كان هدفنا منها هو تسجيل مواقفنا والتعبير عن مواقف منظماتنا فقط ، دون عملية أخذ وعطاء ، فربما يكون الحوار غير مجد ، ويكون كل واحد فينا سائرا في طريق مسدود ، ويكون حوارنا شبيها

بحوار الطرشان . اما اذا كان هدف هذا الحوار فعلا ان ينطلق من الحقائق ويثبت هذه الحقائق ، ثم بعد ذلك نفتش عن كل الوسائل التي يمكن بها تصليب هذه الحقائق العائمة واستمرار نضال شعبنا ، فأعتقد انه يمكن ان نصل نتيجة حوارنا الى موقف لفصائل المقاومة اولا ، وللشعب الفلسطيني الذي نعتبر نحن طليعته ثانيا .

على العموم انا لست متشائما . بالعكس ، قد أكون أكثر تفاؤلا بأن هذا الحوار مجدي وان ليس لنا بديل عنه الا ان نستمر فيه . في رأيي يجب في أي تحليل لمرحلة من المراحل ان نحاكم المسائل او نحاكم المرحلة على ضوء عناصر أساسية ، اولى هذه العناصر فعلا وقائع التاريخ النضالي التي مر به شعبنا وليس من قبيل ان نذكر المراحل التي مر بها نضال شعبنا وننقلها كما كانت في عام ٣٦ او عام ٣٣ او ٤٨ ، أو بعد ذلك . ربما لم يكن لنا دور كبير في حرب ٥٦ كحرب ٦٧ أو حرب تشرين . يجب ان نستقرىء التاريخ لهذا النضال حتى نأخذ منه العبرة . أين أخطأ قادتنا السابقون . أين وقفوا وقفات غير صحيحة وأين وقفوا وقفات سليمة . من هنا أقول اولا انه ليس بوسع انسان ان يقول ان موقف اجدادنا السابقين من قضيته التاريخية موقف خطأ . بمعنى ان شعبا يرفض ان يأتي عليه احتلال ويستوطن في ارضه ويحتل بلاده ويقيم دولة على انقاضه . من البديهي ان يكون موقفه موقفا وطنيا وموقفا ثوريا . كان الخطأ الذي يقع فيه اجدادنا دائما انهم كانوا يقفون عند حدود التمسك في الحق التاريخي لشعبنا من غير ان يناضلوا في كل مرحلة على ضوء المعطيات الموجودة فيها .

ان البعض يطرح القضايا وكأن هنالك اناسا يريدون ان يستسلموا واناسا يريدون ان يكملوا المشوار أن ذلك لا يخدم الحوار والمناقشة وهو نوع من الارهاب الفكري قد يجعل المرء يحجم عن التفكير بوسائل نضالية حقيقية لتحقيق اهدافه. ان سطوة الارهاب الفكري عليه تجعله يمتنع عن ابداء رأيه او يقول رأيه في مرحلة معينة من المراحل .

في هذه المرحلة ، اقف عند نقطة معينة . بعد حرب تشرين ، هل القيادات الفلسطينية المختلفة سواء منها من عبر عن مواقفه بالرفض المطلق او بالتريث هل هذه المواقف فعلا تتعارض مع البرنامج السياسي الذي أشار اليه الدكتور والذي أقررناه ؟ أما البرنامج السياسي فلم يصدر عن أية منظمة من المنظمات بيان يعلن انها تخلت عنه . ولم تقل أي منظمة من المنظمات ان هذا البرنامج السياسي لها او الميثاق الوطني لها . انما حصلت في حرب تشرين كما تحدثنا جميعا ، متغيرات في الواقع الدولي ، فيها التحرك والارادة الدولية ، ولكن الجانب الاميركي فيها متحرك بشكل مكثف أكثر وقدرته على التحرك وعلى الفرض أقوى من الطرف الصديق . وربما تكون الدول العربية التي خاضت الحرب كانت مخططة لحرب تكون محدودة ، تقف عند حد معين .

وكلنا أجمعنا في هذه الندوة ، على ان حرب تشرين أعطت معطيات جديدة ، هذه المعطيات الجديدة التي اعطتنا اياها الحرب يجب ان نحاكمها محاكمة موضوعية ، لا بمعنى التسليم بنتائجها ، لانه اذا سلمنا بنتائجها يعني اننا تخلينا عن كل مبادئنا . انما يجب ان ننظر الى ايجابياتها ونعتبرها نوعا من المد او مزيدا من العطاء لتفكيرنا في حرب الشعب وتفكيرنا في الكفاح المسلح واستمرار المقاومة ، ولكن ايضا لا يجوز ان نتجاهل ، انه يوجد ارادة قهرية عند الدول الكبرى وعند بعض الانظمة العربية التي فعلا كانت تفكر بحدود ان تصير الحرب ثم تحرك القضية ثم يصير مؤتمر سلام . هنالك دول عربية كانت تفكر بهذه الطريقة . أي انها حددت سقفا معينا لا تريد ان تتجاوزه .

والان يوجد مشكلة ستواجه جزءا من الارض الفلسطينية وجزءا من الشعب

الفلسطيني . هنـــا انطلق اول ما انطلق الى خيارات اساســـية ، واقول بكل صراحة وبكل وضـــوح ان هذه الخيـــارات يجب ان تكون واضحة لكل واحـــد لانه يجب ان يبـــدي رأيه ، وان اي فلســـطيني او عربي يقول انه علينـــا ان نحبط التســـوية فقط فأنا اعتبر ان هذا كلام غير ثوري وليس له علاقة بالوطن ، أول شيء يجب ان نجتمع ، ونحن كقيادات ، لم نجتمع الى الان حتى نقرر مـــا هو حجم قدرتنـــا على احبـــاط التسوية ، ســـواء كانت هذه التسوية باتجـــاه مذل او باتجـــاه الحل الجزئي ، او تســـوية بوجه عام ، لماذا ؟ لانه كما قـــال الرفيق زهير وكما قـــال الاخوان الدكتور ، والاخ نايف أن أية تســـويات بالطبيعـــة يوجد فيها تنازل وتنازل مقابله ، التنازلات المتقابلة هذه ، لا بد ان تفرض على حركتنا كشعب فلسطيني وعلى حركة الجماهير العربية قيودا .

ونسأل هنا ، هل وحدنا نقدر على احباط التسوية ؟.. وفعلا بكل صراحة ، اذا كان خيارنا هذا وأجبنا عليه بأننا نقدر ؟ فسنكون قد خنا قضيتنا اذا لم نبذل كل جهد وكل عطاء لاحباط التسوية .

نأتي لموضوع آخر الخيار الثاني ، اذا كان بامكاننا ان نخلق جبهة قتال عربية تمنع التنازل الجزئي وتصلب الموقف العربي بحيث يشعر ، أن الموقف السوري ليس وحده منعزل وما من شك في ان كل واحد يرى فوارق كثيرة بين المواقف العربية ، الا ان هذا الموقف العربي حتى نصلبه يجب ان نبذل كل جهد وكل امكانيات تحرك المقـــاومة ، حتى لو كان اعـــلان موقف مما يجـــري الان يصلب هـــذا الموقف ويجعـــله ســـائرا في الطريق فســـنرتكب خطأ فاحشـــا اذا لم نأخذ هـــذا الموقف . وعـــن مـــوقف العراق ، لقـــد اطلعت على مبـــاحثات العـــراق الدائرة . اذا كـــان العراق يريد ان يأخذ موقفـــا باتجـــاه تصليب جبهـــة ســـوريا واذا كان بامكاننـــا ان نـــدفع العـــراق الى هذا الموقف ونتـــأخر لحظة ايضـــا فســـنرتكب خطيئة كبـــيرة ، ولكن يجب يا اخـــوان ان ننظر للامور نظرة موضوعية . فاذا كانت هـــذه خياراتنا ويجب ان نبحث بها ، هل يمنع هذا ان نفكر انه اذا كانت هذه التسوية واذا فرضت علينا ، وعلى المنطقة فرضا ، كيف نستطيع ان نواجهها . قد أقول اننا في حوار طويل حول نتائج تسوية باعتبار ان التسوية قائمة ومفروضة ، ولم نبحث بالمسائل المحددة وفي نفس الوقت اقول ، انه ليس خطأ ان يشمل تفكيرنا مصير أي ارض فلسطينية او عربيـــة تنالها التسوية بشرط ان نبحث الخيارات ضمن البرنامج المرحلي ، واذا كنا نقول ان هناك تسوية قد تفرض بحكم الارادة الدولية وبحكم الواقـــع العربي وموازين القوى ، فعلينا ان نواجه وان نعطي حلا لهذه التسوية المفروضة . يجب ان نفرق بين طرحنـــا المرحلي وبين التسوية المفروضة بل يجب ان نطرح طرحا مستقلا اذا فرضت التسوية على المنطقة . هذا هو موقفنا من هذه الاراضي التي احتلت ونريـــد ان نضيف لهـــذا البرنامج اسقاط النظام الهاشمي ، ونضيف اليه أشياء اخـــرى . يعني انا مـــع كل الاضافات ولكن بشرط ان نكون قادرين على تحمل مهماتنا فعلا . وان نمارس باتجاه أخذ هذه المهمات مأخذ الجد حتى لا نحمل أنفسنا أكثر مما نطيق .

يجب علينا ان نقف على ارضية واحدة لنواجه كل المشكلات الراهنة التي تواجـــه منطقتنا الان . ان الطرف الامريكي الاسرائيلي الهاشمي يحاول ان يفرض التسوية على هواه ويرتب الاوضاع حتى يكون لهذه التسوية الطابع الامريكي الاسرائيلي الهاشمي . ولكي نستطيع مواجهة هذه التسوية التي يحاول هذا الطرف فرضها يجب ان نضع في وجهها العقبات . وليس من الضروري الان فتح المعارك مع الانظمة التي خاضت حرب تشرين . أنا ضد هذا الشيء ولكنني ايضا مـــع توضيح موقفنا مـــن كل تصرف

نشعر انه قد يجعل هذه الانظمة تتخلى عن مواقفنا . اذا نحن وضعنا الامور بالشكل هذا يكون عندنا أساس ، كحركة فلسطينية ، هو الاجتماع الذي تعقده اللجنة التنفيذية لقادة المقاومة كلها في جلسة تبحث فيها الامور كلها بصراحة تامة ويوضع فيها البرنامج الاساسي الذي لم نتخل عنه . ولكن من الضروري ان نضع برنامجا يواجه هذه المرحلة ويتضمن جوابا على كل ظرف طارىء او ظرف يفرض على المنطقة . ومن هنا نستطيع ان نمنع البلبلة عن جماهيرنا . فتصمد هذه الجماهير في مواجهة التحديات القادمة عليها . وبغير هذا الاجراء السريع الذي يجب ان يتم وبأسرع مدة ممكنة ، قد تمر بعض المشروعات التي تصب في المخطط الامريكي الصهيوني الهاشمي . وهنا اؤكد مرة ثانية على ان الحوار الذي تم في المرحلة الماضية لم يكن كله خطأ . القضية المصيرية كان لا بد ان نتحاور فيها وكان لا بد ان نبذل جهدا في ارائنا . ولكن آن لنا الان ان نبدأ مرحلة العمل لان المرحلة ليست مرحلة تسجيل مواقف للتاريخ ولا مرحلة تسجيل مواقف لهذا التنظيم او ذاك . المرحلة أخطر من هذا اذا كنا جادين في مواجهة كل ما ستفرضه القوى الامبريالية على المنطقة . علينا ان نواجه هذا الشيء صفا واحدا قويا ومتينا .

شفيق الحوت

مرة اخرى أقول — ربما لانني انتمي الى المستقلين — اني أشعر بالفعل وبصدق وبدون أي احساس بالتمني ، انه رغم التباين الجزئي الذي ظهر بين الرفاق والاخوان ، الا انني أشعر اننا ما زلنا جميعا على أرضية واحدة .

لم أستمع حتى الان الى رفيق او أخ مسئول تنازل عن الحق التاريخي لتحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني ، ولم أسمع أي أخ يقول بأنه على استعداد ، في سبيل مكسب راهن ، ان يتنازل عن الهدف التاريخي القومي في فلسطين ... الموضوع المطروح : كيف نحفظ الحق التاريخي . هذه هي النقطة . هنا ثمة تباين في وجهات النظر حول كيفية التصدي لما أسماه الدكتور المؤامرة . وانا اعتقد ان المؤامرة مستمرة، وان الصراع مستمر ، لانه لم يصدر بيان عن الحركة الصهيونية بأنها تنازلت عن ايديولوجيتها . ولم يصدر بيان ولم تقم ثورة في الولايات المتحدة الامريكية تعلن نهاية وتصفية رأس الحربة الامبريالية في العالم . كما انه لا يمكن ان يصدر عن الجانب العربي والفلسطيني بشكل خاص اي تنازل عن اهدافه القومية والوطنية . المشكلة الان كيف نتصدى لما يسمى بالتحديات الجديدة . ونحن في صراعنا ننتصر وفي صراعنا ننهزم . وهذه طبيعة الصراع .

السؤال الملح في خاطري هو « ما العمل » لو استطاع قطار جنيف ان يمر ؟ وليست جنيف في رأيي الا التجسيد الجغرافي السياحي لنتيجة ومحصلة صراع القوى على المستويات الدولية وعلى المستوى القومي . كان يمكن ان يحدث هذا في جنيف ويمكن ان يحدث في نيويورك . ليست الجغرافيا هي المهم وانما جنيف هي مصطلح تعبر عن محصلة الصراع الذي وصل ذروته في حرب تشرين . أنا أخشى ان يكون طرح الشعارات الاستراتيجية للرد على تحديات مرحلية عملية غير مقنعة . نحن الان لسنا في مرحلة تحرير كامل التراب الوطني . الظروف الموضوعية غير متوفرة . اداة التحرير غير متوفرة ، انا لا يمكن ان شئت ان أتصدى مثلا للنظام المصري في مساره الراهن ، لا يمكن ان نغير هذا النظام او نصحح من مساره، لو طرحنا امام الجماهير المصرية قضية تحرير يافا. ولكن ربما أؤذيه وأسقطه او أصحح مساره اذا قلت له ان أي تنازل عن شبر من حدود الـ ٦٧ هو تنازل عن موقفك ، وخيانة لآلاف الشهداء الذين استشهدوا هنا وهناك . أما لو قلت الان لثلاثة

ملايين مهاجر مصري ينظرون الى السويس والاسماعيلية وبور سعيد نظرة أمل وعودة انه عليكم ان تؤجلوا هذا في سبيل تحرير يافا ، أكون أطرح شعارا ليس خطأ من الناحية المبدئية ولكن من الناحية التكتيكية يرتد علي غالب الظن في موقف جماهيري سليم . وانا أخشى ما أخشاه بالفعل ، وقد أكون هنا اتكلم بالواقعية ان أخشى ما أخشاه ما يسعى اليه الامريكي في التعامل مع النظام المصري بأنه غدا يبدأ فتح القنال . يشتغل مئات الالوف من العمال . يعاد بناء ثلاث — اربع مدن على البحر الاحمر والبحر الابيض . ملايين من الدولارات . انفتاح وارتداد عن الخط الاشتراكي ، ستصبح مصر في نوع من ازدهار مفتعل يشعر الجماهير المصرية وكأنها أنجزت شيئا . وبالفعل تكون قد أنجزت شيئا ولكن على حساب الاهداف التاريخية . على أهداف النضال العربي القومي الثوري .

أريد ان نخاطب المرحلة بلغتها . وانا أعتقد ، ودعوني أفكر بصوت ، انني كطرف فلسطيني أقل الاطراف المعنية حرجا في الحديث عن هذه المرحلة . العدو معروف والصديق تأييده محدود والدول العربية رغم مواقفها القومية المعلنة الا انها معنية شئنا أم أبينا كذلك بقضايا قطرية وبانجازات قطرية . ممكن عربيا رسميا تأجيل كل شيء على حساب القضية الفلسطينية . ممكن تأجيل تحرير حتى الضفة الغربية وقطاع غزة اذا أخذنا هناك في الجولان قليلا وهنا في سيناء قليلا . صحيح ان الفكر القومي والثورة القومية من صنع الجماهير ، واشارك الدكتور انه كثيرا ما خاطبنا الانظمة أكثر مما خاطبنا الجماهير وحركاته الثورية ، وربما كان ذلك ايضا ، من نتاج مرحلة ليست من صنعنا . كنا مضطرين او كانت بعض فصائل الثورة ، تتعامل مع أنظمة محكومة نظريا بأنها رجعية وانها متخلفة وانها ربما تكون في الخندق المضاد للثورة ولكن ظروف المرحلة التي انطلقت فيها حركة المقاومة الفلسطينية ولا سيما بعد هزيمة ٦٧ كانت تفرض الكثير من الامور التي لا يقرها المفهوم النظري الثوري .

مرة اخرى أقول ان هذه المرحلة التي تطرح حلولا مرحلية لنا أجوبة عليها ، صحيح نحن نريد ولا يمكن ان نتنازل ، ومن يتنازل خائن ، وقد ننتهي كثورة وقضية ولكن الجماهير باقية وستستأنف الصراع ، نحن لا نملك ان نتنازل عن حق من حقوقنا في فلسطين . ولكن كيف نرد على المؤامرة على أجزاء بأجزاء مضادة ؟.

أنا أعتقد ان رفع شعار ان الضفة الغربية وقطاع غزة هي أرض فلسطينية ، ولشعب فلسطين وليس لاي جهة في الدنيا ان تتصرف بمصير هذه الارض بعيدا عن ارادة شعبها ، انا لا اعتقد انني بهذا الموقف أكون قد تخليت عن حقوقي القومية في الارض التي احتلت عام ١٩٤٨ . أما من يستلم السلطة فهذا موضوع آخر ولكن يجب أمام تحركات الملك حسين وأمام تحركات بعض الانظمة العربية ، ان يكون الرد المرحلي على قضية مرحلية بأن أقول لا لاية وصاية دولية او عربية على ارض فلسطينية فوقها شعب فلسطيني . وهذا الشعب ليس قاصرا ، هذا الشعب قادر على ان يخوض معركته وعلى ان يتسلم سلطته . انا مع الاخ زهير محسن بأن السلطة ليست كلمة بالفم ، ولكنها مسؤولية ومسؤولية تاريخية ، ولكن منذ اللحظة التي اصبح لشعب فلسطين دوره الخاص في النضال معنى ذلك انه مطالب كذلك بأن يتحمل المسؤولية التي تترتب على هذا الدور الخاص ، مع التحرير الكامل ومع التحضير لكل أدوات التحرير الكامل ، ومع الضغط من أجل الانتقال من هذه المرحلة ، الى مرحلة تؤدي الى هذا الطريق . من أجل هذا انا أشارك اقتراح الاخ زهير فهو اقتراح عملي ، ان تعالوا نقرر ماذا نريد لهذه المرحلة ، لا أحد يتحدث بالتحرير الكامل لان هذا تحصيل حاصل واعادة النظر فيه معناها تشكيك فيه ، اما الان فنحن في هذه المرحلة ، أمام

هذه المعطيات الجديدة ، امام هذه المتغيرات ، ما هو شعار المرحلة ؟ ماذا تقول جماهيرنا في هذه المرحلة . نقول تحرير كامل في الوقت الذي يتهدد فيه نصف سيناء ؟ وفي الوقت الذي تقول فيه اسرائيل انها لن تتنازل عن شبر أرض من الجولان ؟

لنقل وانا مع الدكتور انه كما يحق لهذا النظام العربي ، او لذلك الحزب العربي او لذلك التنظيم العربي ، او لذاك المواطن العربي ان يتدخل في شؤون القضية الفلسطينية وهذا واجبه ، علي كذلك ان اقول رأيي في كل شبر محتل في جمهورية مصر العربية ، وفي الجمهورية العربية السورية . أي ، لا يوجد موقف فلسطيني منفصل . وهذه طبيعة الصراع وطبيعة التفاعل . ومن هنا يا اخ زهير ، من هنا يمكن ان أكون براغماتيكيا مائة بالمائة . أنا أقول لك من الان موقفي . أنا لا أستطيع ان اتناقض في شكل نضالنا الحالي ومسيرتنا الثورية الحالية مع سوريا بالذات . قناعتي هي أنه لا أستطيع ان أكون في خندق مضاد لاي قرار سوري يتخذ ، ربما لا أقر الموقف نظريا ولكني لا أستطيع ان أتصارع مع سوريا الا اذا اردت ان اغير من مسيرتي ومن شكلها ومن جغرافيتها ، فأنا مع اقتراح الاخ زهير المحدد ، وهذا مطلوب الحقيقة من الاخوان قادة الفصائل، طالما اننا كلنا متفقون على خطنا الستراتيجي بأنه ثابت ولا نحيد عنه ولا نملك ، ان نتنازل عن شبر أرض ، ومن منطلق الثقة ببعضنا البعض ، ان يجتمع قادة الفصائل على أعلى مستوى مسؤول ، وهنا كمستقل أريد ان اقول ، ان هذا الاقتراح يجب ان يكون اقتراحا محدود الامد ، من المفروض ان تجيبوا على هذا السؤال ماذا نريد من هذه المرحلة ؟ كيف نتصدى للتحديات الجديدة ؟

واقول ، مختتما ، ان اي حديث يتجاوز المرحلة يكون هروبا من المرحلة وتشبثا بالهدف الستراتيجي الذي يكون طرحه مجردا عن هذه المرحلة نوعا من التفكير غير العملي وربما الهروبي عن غير قصد وعن غير وعي ، انتم أمام مرحلة جديدة . امام اقتراحات محددة امام وسائل تصفية محددة ، عليكم ان تردوا عليها واحدة ، واحدة . وان تقيموا كل الاحتمالات . ماذا لو تم ذلك ، ما هو الموقف ، ماذا لو تم الموقف الاخر ، التسوية الاخرى ؟ ما هو الموقف ، وعلينا ، كذلك ان نعبد اوسع الطرق لاعرض قواعد شعبنا وقياداتنا ، لكي تساهم في عملية التصدي لتحديات المرحلة الجديدة .

حول نتائج الانتخابات للكنيست الثامن :

اربعون عاما من الاستقرار السياسي داخل الكيان الصهيوني

صبري جريس

تشكل الانتخابات العامة للكنيست (البرلمان) الاسرائيلي ، التي جرت يوم ١٢/٣١/ ١٩٧٣ بعد ان كان من المقرر ان تجري يوم ١٩٧٣/١٠/٢٨ ثم تأجلت بسبب الحرب ، مناسبة فريدة في نوعها للوقوف على بعض ميزات النظام الاسرائيلي ، بعد مضي ربع قرن على قيام اسرائيل . وتكتسب هذه الانتخابات اهمية خاصة باعتبارها جاءت بعد فترة وجيزة من وقوع الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة ، وما أسفرت عنه من فشل منيت به العسكرية الاسرائيلية أدى الى تحطيم نظريات القوة والامن الصهيونية التي كانت اساسا للاستراتيجية الاسرائيلية خلال فترة طويلة من جهة ، واجبرت اسرائيل على اعادة النظر في موقفها وتقييمها للعالم العربي وامكانات القوة العربية من جهة اخرى . كذلك فان لهذه الانتخابات مدلولها لجهة استقراء رأي المواطن الاسرائيلي العادي ، بالمدى الذي يمكن ان تعتبر الانتخابات وفقا له وسيلة لذلك ، في المشاكل التي تواجهها اسرائيل داخليا وخارجيا وامكان الوصول الى تسوية للنزاع العربي ــ الاسرائيلي ، ثم محاولة التكهن بشأن معرفة موقف الحكومة الاسرائيلية المقبلة من تلك القضايا ومدى استعدادها ، او قدرتها ، على اتباع سياسة جديدة في ضوء نتائج الانتخابات .

دولة الكتل والقوائم الانتخابية

ان اول ما يلفت النظر في الانتخابات الاسرائيلية هو كثرة عدد القوائم التي خاضت معركة الانتخابات ، والتي وصل عددها في الانتخابات الاخيرة الى ٢١ كتلة وحزبا وقائمة انتخابية . وهذا الوضع ، الذي تعود أسسه الى طابع المنظمة الصهيونية العالمية على اختلاف فئاتها وتنظيماتها ، والى الاوضاع السياسية بين المستوطنين اليهود في فلسطين ايام الانتداب ، ليس بجديد وانما رافق الحياة البرلمانية في اسرائيل منذ قيامها . ففي الانتخابات للكنيست الاول وحتى السابع ، اشتركت ــ على التوالي ــ ٢١ و١٧ و١٨ و٢٤ و١٥ و١٧ و١٦ قائمة فازت منها ١٢ و١٥ و١٢ و١٢ و١٣ و١٣ قائمة بمقاعد في الكنيست(١). أما في الانتخابات الاخيرة للكنيست الثامن فقد فازت ١٠ قوائم بمقاعد في الكنيست وفشلت الـ ١١ قائمة الباقية . ويعتقد ان السبب الرئيسي لازدياد عدد تلك القوائم بهذا الشكل يكمن في طريقة الانتخابات النسبية المباشرة المتبعة في اسرائيل ، والتي تعتبر بموجبها اسرائيل بأكملها دائرة انتخابية واحدة ، بحيث تجمع لصالح أية قائمة كل الاصوات التي تحصل عليها في أي مكان في اسرائيل ويسمح لها بالاشتراك في توزيع المقاعد في الكنيست اذا حصلت على ١ ٪ من مجموع الاصوات العام او اكثر ،

الجدول ١

نتائج الانتخابات العامة للبرلمان الاسرائيلي (الكنيست)

(عدد النواب لكل حزب ــ من مجموع ١٢٠)

الحزب / القائمة / الكتلة	الكنيست الاول ١٩٤٩/١/٢٥	الكنيست الثاني ١٩٥١/٧/٣٠	الكنيست الثالث ١٩٥٥/٧/٢٦	الكنيست الرابع ١٩٥٩/١١/٣	الكنيست الخامس ١٩٦١/٨/١٥	الكنيست السادس ١٩٦٥/١١/٢	الكنيست السابع ١٩٦٩/١٠/٢٨	الكنيست الثامن ١٩٧٣/١٢/٣١
التجمع (معراخ)	—	—	—	—	—	٤٥(١)	٥٦(٢)	٥١
مبـــاي	٤٦	٤٥	٤٠	٤٧	٤٢(١)	—	—	—
أحدوت هعفوداه	—	—	١٠(٣)	٧	٨(١)	—	—	—
مبـــام	١٩	١٥	٩	٩	٩	٨(٣)	—	—
رافي	—	—	—	—	—	١٠(٤)	—	—
القائمة الرسمية	—	—	—	—	—	—	٤(٥)	—
التكتل (ليكود)	—	—	—	—	—	—	—	٣٩(٦)
غـاحـال	—	—	—	—	—	٢٦(٧)	٢٦	—
حـيروت	١٤	٨	١٥	١٧	١٧(٧)	—	—	—
الاحـرار	—	—	—	—	١٧(٧)	—	—	—
المركز الحر	—	—	—	—	—	—	٢(٨)	—
الاحرار المستقلون	—	—	—	—	—	٥(٩)	٤	٤
الصهيونيون العموميون	٧	٢٠	١٣	٨(١٠)	—	—	—	—
التقدميون	٥	٤	٥	٦(١٠)	—	—	—	—
الحزب الديني القومي (مفدال)		١٠	١١	١٢(١٢)	١٢	١١	١٢	١٠
اغودات يسرائيل	١٦(١١)	٣	٦	٦	٤	٤	٤	٥
عمال اغودات يسرائيل		٢			٢	٢	٢	
الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي)	٤	٥	٦	٣	٥	١(١٣)	١	—
موكيـــد	—	—	—	—	—	—	—	١
القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح)	—	—	—	—	—	٣(١٣)	٣	٤
هامولام هازيه	—	—	—	—	—	١	٢	—
قائمة الحقوق المدنية	—	—	—	—	—	—	—	٣(١٥)
القوائم العربية	٢	٥	٥	٥	٤	٤	٤	٣(١٦)
غـيرهم	٧	٣	—	—	—	—	—	—

مراجع الجدول رقم ١ :

١ ــ التجمع ، مباي ــ أحدوت هعفوداه ، بعد ان اتفق الحزبان على الاشتراك في الانتخابات بقائمة موحدة .
٢ ــ التجمع ، حزب العمل الاسرائيلي ــ مبام . وأسس حزب العمل الاسرائيلي سنة ١٩٦٨ بعد ان اتحد مباي واحدوت هعفوداه وبعض اعضاء رافي .
٣ ــ احدوت هعفوداه كان جزءا من مبام .
٤ ــ انشق عن مباي بعد اقامة تجمع مباي ــ أحدوت هعفوداه .
٥ ــ انشقت عن رافي بعد انضمامه الى حزب العمل الاسرائيلي .
٦ ــ يضم التكتل غاحال والمركز الحر والقائمة الرسمية وحركة العمل من أجل ارض اسرائيل الكاملة .
٧ ــ اقيمت غاحال بعد ان اتفق حزبا حيروت والاحرار على الاشتراك في الانتخابات بقائمة موحدة .
٨ ــ انشق عن غاحال (أعضاء حيروت) سنة ١٩٦٧ .
٩ ــ انشقوا عن الاحرار بعد اقامة غاحال .
١٠ــ اتحدا سنة ١٩٦١ واقاما حزب الاحرار .
١١ــ في الانتخابات للكنيست الاول اتحدت كل الاحزاب الدينية في قائمة موحدة : « الجبهة الدينية المتحدة ».
١٢ــ أسس الحزب الديني القومي (مفدال) سنة ١٩٥٦ بعد اتحاد مزراحي وهابوعيل همزراحي .
١٣ــ انشق الحزب الشيوعي الاسرائيلي سنة ١٩٦٥ الى شطرين : ماكي « اليهودية » وراكاح « العربية ».
١٤ــ تضم جماعة الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) .
١٥ــ تتزعمها عضو الكنيست شولاميت الوني ، التي انشقت عن حزب العمل .
١٦ــ قائمتان مرتبطتان بالتجمع (سابقا بمباي) .

وهو وضع يغري الكثيرين لتشكيل القوائم الانتخابية وخوض معركة الانتخابات ، سعيا وراء الحظ . غير انه على الرغم من ارتفاع عدد القوائم الانتخابية ، بالشكل الذي اشرنا له ، فقد دارت المعركة الانتخابية الاخيرة ، مثل سابقاتها ، بين ٣ كتل رئيسية هي التجمع العمالي (معراخ) ، التكتل اليميني (ليكود) وقائمتي المتدينين : الحزب الديني القومي واغودات يسرائيل بشطريها ، الذين حصلوا فيما بينهم على ٨٢،٠ ٪ من مجموع الاصوات (انظر الجدول ٢) ، بينما حصلت القوائم الست الاخرى التي فازت في الانتخابات على ١٣،٢ ٪ من المجموع وكانت الـ ٤،٨ ٪ الباقية من نصيب الـ ١١ قائمة الفاشلة .

تجدر الاشارة ، قبل بحث نتائج الانتخابات ، الى أن تسجيل القوائم التي اشتركت في الانتخابات تم قبل نشوب الحرب الاخيرة وبالتالي فان تشكيلها ووضع الخطوط العريضة لبرامجها الانتخابية ومواقفها المبدئية لم تتغير كثيرا بسبب الحرب . وقد ارتفعت بعد الحرب أصوات عديدة منادية بفتح باب الترشيح واعادة تشكيل القوائم او استبدال مرشحين ، وكذلك كان هناك من طالب بتأجيل الانتخابات لمدة سنة او اكثر واقامة حكومة تكتل وطني ، ولكن كل تلك الطلبات رفضت في نهاية الامر . ولم يحدث على هذا الصعيد ، بعد توقف القتال ، اي تغيير ملحوظ يجدر ذكره ، عدا عن ذلك الذي تضمنه برنامج حزب العمل الانتخابي الذي نجم عن ازدياد قوة الحمائم داخل الحزب ، وفسر وكأنه اعتراف « بوجود » الفلسطينيين . اذ على الرغم من ان البرنامج كرر معارضة اسرائيل قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية ، لان هناك مكانا ، بحسب رأي الحزب، لاقامة دولة عربية واحدة فقط الى الشرق من اسرائيل ، فقد تبنى البرنامج الموقف الصهيوني المستحدث واضاف ان العرب الفلسطينيين والاردنيين يستطيعون ان يجدوا

تعبيرا عن انفسهم في تلك الدولة الاردنية الفلسطينية المشتركة . وهذه على حد علمنا — اول مرة ترد فيها كلمة « الفلسطينيين » (بدلا من « عرب ارض — اسرائيل ») في وثيقة رسمية تصدر عن حزب العمل او اجداده ، منذ وطأت اقدامهم ارض فلسطين في مطلع القرن الحالي .

جاء تشكيل القوائم الانتخابية ، الذي تم قبل نشوب الحرب ولم يتأثر بنتائجها كما اشرنا ، انعكاسا للوضع الداخلي في اسرائيل ومشاكلها الاجتماعية ، التي اثرت بشكل ملحوظ على تشكيل القوائم ونوعيتها وعددها ، في ضوء الركود الذي ساد الحياة السياسية هناك والذي ظهر ، قبل الحرب ، وكأنه سيستمر لفترة طويلة . فقد اتجه التجمع العمالي الحاكم لخوض الانتخابات بالتركيب نفسه الذي اشترك به في الانتخابات السابقة ، اي تحالف بين حزب العمل الاسرائيلي (بأجنحته الثلاثة : مباي ، وهو اكبرها ، واحدوت هعفوداه ورافي) وبين حزب العمال الموحد ، مبام . ولكن قبل الانتهاء من عملية تشكيل قائمة التجمع الانتخابية ، انفصل عنه بعض اعضائه بقيادة عضو الكنيست (السادس) السابقة شولاميت الوني ، وشكلوا قائمة منفصلة خاصة بهم (« قائمة الحقوق المدنية » التي حصلت بعد الانتخابات على ٣ مقاعد في الكنيست) وذلك اساسا لاسباب داخلية : معارضة تسلط الجهاز الحزبي ، الحد من تعاظم النفوذ الديني(٢)، الدعوة الى تغيير طريقة الانتخابات ، الخ . اما التكتل اليميني على عكس التجمع ، فقد استطاع الاحتفاظ بكل قواه وابتلاع قوى جديدة ، اذ ان غاحال (كتلة حركة حيروت — حزب الاحرار) حافظت على تماسكها ، ونجحت ايضا في ضم نائبي الكنيست السابقين من كتلة المركز الحر اليها ، اللذين كانا قد انشقا عن الكتلة سنة ١٩٦٧ ، اثر خلاف بين شموئيل تامير ، زعيم المركز الحر وبين قيادة حيروت . كذلك انضم الى قائمة اليمين ٤ نواب من القائمة الرسمية ، التي تزعمها في السابق بن — غوريون (وقد عاش بن غوريون ليرى ، في نهاية ايامه ، بقايا انصاره ينضمون الى تكتل يرأسه عدوه اللدود ، مناحم بيغن) . وكانت القائمة الرسمية قد انفصلت عن رافي سنة ١٩٦٨ ، عندما اتحدت الاخيرة مع مباي واحدوت هعفوداه ضمن اطار حزب العمل ، بعد ان كانت قد انشقت عن مباي سنة ١٩٦٥ عندما اقام مع احدوت هعفوداه تجمعا اشترك بقائمة موحدة في الانتخابات التي جرت يومها . ولعل حادثة انضمام انصار بن غوريون هذه ، كبير مؤسسي الجناح العمالي الصهيوني وزعيمه خلال نصف قرن من الزمن ، الى تكتل اليمين الصهيوني ، وبن غوريون لا يزال على قيد الحياة ، كافية لتعطينا فكرة عن مدى تعاظم الاتجاه اليميني ، عامة ، بين صفوف كافة احزاب اسرائيل وفئاتها السياسية ، وهي الاتجاهات التي قويت بشكل خاص بعد حرب ١٩٦٧ . وبالاضافة الى تلك القوى فقد انضم الى معسكر اليمين ايضا ممثل عن حركة العمل من أجل ارض — اسرائيل الكاملة ، وكانت جماعة ارض — اسرائيل الكاملة قد اشتركت في الانتخابات للكنيست السابق ، ولكنها لم تفز بأي مقعد (بعد ان حصلت على ٧٥٩١ صوتا) . وفي مقابل تجميع قوى اليمين هذه انفصل عن التكتل عضو الكنيست العميد عيزر وايزمان ، القائد السابق لسلاح الجو الاسرائيلي ، لخلافات بينه وبين ادارة حيروت ، ولكنه لم يقم بأي نشاط انتخابي مضاد بحيث لم يؤثر انسحابه على كمية الاصوات التي حصل عليها التكتل . وينبغي ان نشير هنا الى ان العميد اريئيل شارون، أحد «فلاسفة» سياسة القوة الاسرائيلية والمنفذ الرئيسي للعمليات الانتقامية الاسرائيلية ضد الدول العربية خلال ١٩٥٣ — ١٩٥٦ وقائد عملية العبور الاسرائيلية الى غرب قناة السويس خلال حرب تشرين ، كان صاحب المبادرة التي دفعت نحو تكتيل قوى اليمين بالشكل الذي اشرنا له ، بعد أن احتل مرتبة المرشح السادس في القائمة الموحدة، وذلك في محاولة لخلق بديل للتجمع العمالي في الحكم . اما بالنسبة للمتدينين فقد

حدث ايضا انشقاق بينهم ، اذ انفصل عضو الكنيست افنر شاكي عن الحزب الديني القومي (مفدال) واشترك في الانتخابات بقائمة خاصة به ، ولكنه مني بالفشل ، بينما اشترك الجناح المتدين الاخر (اغودات يسرائيل وعمال اغودات يسرائيل) في الانتخابات بقائمة موحدة وبالتشكيل القديم نفسه .

حدثت تغييرات مماثلة بالنسبة للقوائم الصغيرة ايضا ، فالاحرار المستقلون ، وهم فئة يمينية معتدلة كانت قد انشقت عن الاحرار بعد اتحادهم سنة ١٩٦٥ مع حيروت ضمن اطار غاحال ، وكذلك القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) بقوا على حالهم واشتركوا في الانتخابات بتشكيلاتهم القديمة نفسها . اما الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) فقد وصل قبيل هذه الانتخابات الى قمة « التطور » الذي بداه منذ حدث الانشقاق الاخير في الحزب الموحد سنة ١٩٦٥ واستمر في تقربه من الصهيونية الى ان وصل اخيرا لحد التنازل عن اسمه والاشتراك في قائمة « صهيونية يسارية » اطلق عليها اسم موكيد . ولكن تغييرات ملحوظة طرأت على القوائم الصغيرة الاخرى ، فقد انشقت كتلة هاعولام هازيه على نفسها ، اثر خلافات شديدة نشبت في الماضي بين عضويها ، اوري افنيري وشالوم كوهين(٢)، فاشترك افنيري في الانتخابات وحده وتحالف كوهين مع جناح من الفهود السود ، بينما خاض جناح آخر منهم معركة الانتخابات وحده . كذلك ادخلت تغييرات على تشكيل القوائم العربية ، فارتفع عددها الى اربعة (اثنان مرتبطتان بالتجمع العمالي وثالثة بالتكتل اليميني ورابعة «مستقلة») . واشتركت في الانتخابات ايضا ٤ قوائم طائفية من اليهود الشرقيين ، بالاضافة الى القائمتين الطائفيتين اللتين مر ذكرهما : قائمة شالوم كوهين — الفهود السود وقائمة الفهود السود المستقلة . ويلاحظ ان ثلاثة من قوائم اليهود الشرقيين كانت برئاسة اعضاء كنيست سابقين انفصلوا عن تجمعاتهم الاصلية ، فبالاضافة الى القائمة التي تزعمها شالوم كوهين ، تزعم افنر شاكي الذي انشق عن الحزب الديني القومي القائمة الثانية وتزعم آشر حيسين ، الذي انشق عن مباي ، القائمة الثالثة . كذلك اشتركت في الانتخابات قائمة رابطة الدفاع اليهودية بزعامة مؤسس الرابطة ، الحاخام مئير كهانا والقائمة الاشتراكية الثورية برئاسة رامي ليفنه ، ابن عضو الكنيست ابراهام ليفنبراون من كتلة راكاح ، والذي حكم عليه مؤخرا بالسجن بصفته احد اعضاء «الجبهة الحمراء»، التي اتهمت بالتعاون مع المخابرات السورية . ولكن كل تلك القوائم الصغيرة ، بما في ذلك كل قوائم اليهود الشرقيين ، منيت بالفشل في الانتخابات ، كما اشرنا .

الاصوات للكتل الصغيرة ... والمقاعد للكبيرة

سجلت عمليات الاقتراع نسبة عالية من المقترعين، كالعادة، اشتركت في الانتخابات . فمن بين اصحاب حق الاقتراع البالغ عددهم ٢٠٣٧٤٧٨ شخصا اشترك في التصويت ١٦٠١٠٩٨ شخصا (واتضح ان ٣٤٢٤٣ صوتا منها كانت فاسدة)(٤)، أي ان ٧٨٫٦٪ من اصحاب حق الانتخاب اشتركوا في التصويت ، مقابل ٨١٫٧٪ اشتركوا في الانتخابات السابقة (١٩٦٩) و٨٣٫٠٪ سنة ١٩٦٥ و٨١٫٦٪ سنة ١٩٦١(٥). واسفرت نتائج الانتخابات عن فوز التجمع العمالي الحاكم بـ ٥١ مقعدا (التوزيع حسب تركيب القوائم الداخلي : ٣٠ مقعدا لمباي و٧ مقاعد لكل من احدوت هعفوداه ورافي ومبام) من مجموع مقاعد الكنيست ، البالغ ١٢٠ ، مقابل ٥٦ مقعدا في الكنيست السابق ، أي خسارة ٥ مقاعد (أنظر الجدول ١) . اما التكتل اليميني فقد فاز بـ ٣٩ مقعدا (حيروت — ١٧ ، الاحرار — ١٣ ، القائمة الرسمية — ٤ ، المركز الحر — ٤ ، حركة العمل من أجل ارض — اسرائيل الكاملة — ١) مقابل ٣٢ مقعدا في السابق ، أي بزيادة ٧ مقاعد . اما المتدينون ،

الجدول ٢

نتائج الانتخابات العامة في اسرائيل
بالنسبة للكتل الرئيسية*

الكتلة	الكنيست الخامس ١٩٦١	الكنيست السادس ١٩٦٥	الكنيست السابع(٥) ١٩٦٩	الكنيست الثامن ١٩٧٣
		عـــدد الاصـــوات		
العمال(١)	٤٩١،١٥٤	٦٠٨،٦٨٧	٦٣٢،٠٣٥	٦٢١،١٨٣
اليمين(٢)	٢٧٥،٨٥٤	٣٠٢،٢٥٦	٣٥٥،٣٤١	٤٧٣،٣٠٩
المتدينون(٣)	١٥٥،٣٩٢	١٦٩،٨٢٧	٢٠٢،٢٠٨	١٩٠،٣٦١
غـــيرهم	٧٧،٤٨٧	٩٥،٠٥٣	١٦٣،٣١٤	٢٠٦،٢٧٥
القوائم الفاشلة(٤)	٧،٠٧٧	٢٠،٩٠٥	١٤،٨٤٥	٧٥،٧٢٧
مجموع الاصوات	**١،٠٠٦،٩٦٤**	**١،٢٠٦،٧٢٨**	**١،٣٦٧،٧٤٣**	**١،٥٦٦،٨٥٥**
		نسبـــة الاصـــوات		
العمال(١)	٤٨،٨	٤٨،٨	٤٦،٢	٣٩،٦
اليمين(٢)	٢٧،٤	٢٧،٥	٢٦،٠	٣٠،٢
المتدينون(٣)	١٥،٤	١٤،١	١٤،٨	١٢،٢
غـــيرهم	٧،٧	٧،٩	١١،٩	١٣،٢
القوائم الفاشلة(٤)	٠،٧	١،٧	١،١	٤،٨
مجموع الاصوات	**١٠٠،٠**	**١٠٠،٠**	**١٠٠،٠**	**١٠٠،٠**

* المصدر : نتائج الانتخابات للكنيست كما نشرها مكتب الاحصاء المركزي (اسرائيل) ، سلسلة نشرات خاصة رقم ١٦٦ ، ص ٥ ورقم ٢١٦ ، ص ١٣ (المقدمة) وص ٥ ورقم ٣٠٩ ، ص ١٣ (المقدمة) وص ١٥ ، وكذلك نتائج الانتخابات للكنيست الثامن كما نشرتها لجنة الانتخابات المركزية ، ونقلتها « هآرتس » ، ١٩٧٤/١/٩ .

(١) في الكنيست الخامس : مباي ، أحدوت همفوداه ومبام وفي السادس : تجمع مباي — احدوت همفوداه ، مبام وراقي وفي الكنيست السابع والثامن : تجمع حزب العمل الاسرائيلي — مبام .

(٢) في الكنيست الخامس : حيروت والاحرار وفي السادس : غاحال والاحرار المستقلين وفي السابع : غاحال ، المركز الحر والقائمة الرسمية (باعتبار انها انضمت الى اليمين فيما بعد) وفي الثامن : التكتل (ليكود) .

(٣) الحزب الديني القومي (مفدال) ، اغودات يسرائيل وعمال اغودات يسرائيل .

(٤) لم تحظ بتمثيل في الكنيست ، حيث ان كل منها حصلت على اقل من ١٪ من مجموع الاصوات .

(٥) نجمت الخسارة النسبية لكل من العمال واليمين خلال هذه الانتخابات ، بالمقارنة مع الانتخابات السابقة ، بسبب انشقاق القائمة الرسمية عن جناح العمال والمركز الحر من اليمين .

بشطريهما ، فقد خسروا جزءا من قوتهم ، بمعدل لكل منهما فحصل الديني القومي على ١٠ مقاعد ، بدلا من ١١ في الكنيست السابق بينما حصلت القائمة الموحدة لاغودات يسرائيل وعمال اغودات يسرائيل على ٥ مقاعد ، ، بدلا من ٦ في السابق . وقد حافظ حزب الاحرار المستقلين وموكيد (ماكي سابقا) على قوتهما ، وحصلا على عدد المقاعد نفسها التي كانت من نصيبهم في الماضي : الاحرار المستقلون — ٤ ، موكيد — ١ . اما القوائم العربية المرتبطة بالتجمع العمالي فقد خسرت أحد مقاعدها وانخفض عددها الى ٣ ، بينما زادت مقاعد القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) بمقعد واحد وارتفع عددها الى ٤ . وكانت القائمة الجديدة الوحيدة التي فازت في الانتخابات ايضا قائمة الحقوق المدنية (الوني) التي حصلت على ٣ مقاعد .

يتضح بعد الاطلاع على نتائج الانتخابات ، لاول وهلة ، ان الجناح العمالي قد مني بخسارة واضحة (٥ مقاعد) بينما حصل اليمين على زيادة ملحوظة في قوته (٧ مقاعد)، تفوق نسبة الخسارة التي كانت من نصيب العمال . ولكن نظرة أعمق الى هذه النتائج تظهر ان تلك الفوارق في عدد المقاعد لا تعكس نسبة القوى الحقيقية التي تؤيد كلا من المعسكرين ولا تدل على أي تحول جذري في موقف الناخب الاسرائيلي ، حيث انها نجمت اساسا عن طريق توزيع فوائض الاصوات على فوائض المقاعد ، حسب القانون الجديد الذي أقره الكنيست بهذا الشأن ، خلال شهر نيسان (ابريل) من العام الماضي(٦)، («قانون بدر — عوفر») بمبادرة من الكتلتين الكبيرتين ، التجمع وغاحال ، في محاولة لسلب فوائض أصوات الاحزاب الصغيرة . وقد وقع التجمع — هذه المرة — ضحية لمكيدة من المكائد العديدة التي يحيكها ، أحيانا وحده وأحيانا باشتراك غاحال ، ضد الاحزاب الصغيرة ، واكتشف بعد فوات الاوان ان القانون الذي ساعد على سنه أدى الى زيادة قوة خصمه ، التكتل ، بعد ان سلب بعض القوائم الصغيرة فوائض أصواتها. وتشير هذه الواقعة بحد ذاتها ، من ناحية اخرى ، الى المحاولات الدائمة التي تبذلها الاحزاب الكبيرة في اسرائيل للقضاء على الفئات السياسية الصغيرة او ابتلاعها ، امعانا في تقوية سيطرتها على النظام الاسرائيلي ، وكانت آخرها سن قانون لتمويل الاحزاب(٧) من ميزانية الدولة ، بما في ذلك تمويل مصاريف حملاتها الانتخابية ، بشكل يحصل معه كل حزب على ١٩٥ الف ليرة مقابل كل نائب من نوابه في الكنيست لتمويل نشاطه(٨)، مما يضع مبالغ كبيرة نسبيا في تصرف الاحزاب الكبيرة اذا ما قيست بالمبالغ التي تحصل عليها الاحزاب الصغيرة . اما التغيير الذي ادخل على طريقة توزيع فوائض الاصوات ، الذي أشرنا له ، والذي ازدادت بسببه نسبة الزيادة في مقاعد التكتل اليميني بحوالي ضعفي نسبة الزيادة في الاصوات التي حصل عليها ، فقد تم بعد ان لاحظ زعماء الادارة الحزبية لكل من التجمع وغاحال ، وهما أكبر كتلتين في الكنيست السابق ، ان اكثر من قائمة من القوائم الصغيرة قد حصلت على عدد من المقاعد الاضافية بناء على كمية فوائض الاصوات التي كانت تحسب بشكل نسبي عادي ، أي ان من يتبقى لديه فائض اكثر من عدد الاصوات يحصل على فوائض المقاعد .

بعد ذلك « الاكتشاف » بادرت الكتلتان الكبيرتان الى تغيير القانون في الكنيست ، بشكل تتوزع معه فوائض الاصوات حسب أكبر معدل ينتج عن تقسيم الاصوات التي حصلت عليها قائمة ما على عدد المقاعد الذي كان من نصيبها ، أي — بلغة بسيطة — تقسيم الفوائض حسب معدل الاصوات المطلوبة للحصول على مقعد في الكنيست حسب مقاييس الاحزاب الكبيرة ، مما سيؤدي الى اخراج الاحزاب الصغيرة كليا عند حساب فائض الاصوات . وقد واجهت تلك المحاولة معارضة شاملة من قبل الاحزاب الصغيرة، التي حاولت عرقلة عملية الاقتراع على القانون في الكنيست ، بواسطة تمديد الجلسات،

التي استغرقت احداها ، ولاول مرة في تاريخ الكنيست ١٦ ساعة متواصلة ، عن طريق القاء الخطب الطويلة ، ولكن دون جدوى(٩). ولكن نتائج الانتخابات التي أسفرت عن فشل ١١ قائمة صغيرة ، حصلت فيما بينها على حوالي ٤،٨ ٪ من مجموع أصوات الناخبين العام ، بينما لم تحصل أي منها وحدها على ١ ٪ من مجموع الاصوات على الاقل لتشترك في توزيع المقاعد ، قلبت تلك المقاييس رأسا على عقب ، وحصرت النزاع على تقسيم فوائض الاصوات بين الكتلتين الكبيرتين : التجمع العمالي والتكتل اليميني . ولكن بما أن معدل الاصوات للمقعد بالنسبة للتكتل جاء ، صدفة ، أكبر من مثيله بالنسبة للتجمع ، فقد كانت معظم المقاعد التي نجمت عن توزيع فائض الاصوات من نصيب التكتل ، الذي حصل على ٧ مقاعد اضافية ، رغم ان الزيادة في نسبة الاصوات التي حصل عليها بلغت ٤،٢ ٪ فقط ، بينما خسر التجمع ٥ مقاعد مقابل خسارة ٦،٦ ٪ من الاصوات ، بالمقارنة مع الانتخابات السابقة ، أي ان الفرق بين نسبة زيادة أصوات التكتل ومقاعده زادت بضعفين عن نسبة خسارة التجمع ، بسبب طريقة توزيع فوائض الاصوات . ولو اتبعت طريقة تقسيم فوائض الاصوات القديمة ، لحصل التكتل على ٣٦ مقعدا بدلا من ٣٩ والتجمع على ٤٩ مقعدا بدلا من ٥١ ، ولكانت المقاعد الخمسة الباقية من نصيب الاحزاب والكتل الصغيرة .

استقرار سياسي مع زيادة طفيفة في قوة اليمين

ان ما ذكرناه حتى الان لا يعطينا فكرة كاملة عن طبيعة الصراع السياسي الدائر بين القوى السياسية المختلفة داخل اسرائيل، ولا يشير الى قواها الحقيقية. فبالنسبة للتجمع العمالي ، ينبغي ان نشير هنا الى ان المقاعد الثلاثة التي حصلت عليها قائمة الحقوق المدنية (الوني) جاءت أساسا على حساب التجمع الذي انشقت عنه ، واذا علمنا ان هذه القائمة حصلت على ٣٥،٠٢٣ صوتا ، أي ٢،٢ ٪ من مجموع الاصوات ، يتضح ان الجناح العمالي قد خسر ، في نهاية الامر ، ٤،٤ ٪ من مجموع أصوات الناخبين في اسرائيل ، مقابل زيادة ٤،٢ ٪ حصل عليها التكتل اليميني . والواضح ان الاصوات التي خسرها الجناح العمالي لم تكن بأكملها من نصيب اليمين ، اذ ان جزءا لا بأس به منها اتجه نحو الاحزاب والقوائم الصغيرة ، التي زادت من قوتها على حساب الكتل الرئيسية الثلاث . كذلك ازدادت نسبة الاصوات التي حصلت عليها القوائم الفاشلة ، التي لم تحظ بتمثيل في الكنيست ، بأكثر من ٤ اضعاف ما كانت عليه في الانتخابات السابقة (أنظر الجدول ٢) . ومن هذه الناحية ، لا تدل نتائج الانتخابات الاخيرة على أي تغيير ملموس في مواقف الناخبين الاسرائيليين ، اذ ان الاتجاه نحو زيادة قوة اليمين بشكل طفيف ، بالاضافة الى الاتجاه نحو دعم الاحزاب والكتل الصغيرة ، يرافق الحياة السياسية في اسرائيل منذ اوائل الستينات . ولقد كان هذا الاتجاه ، الناتج أساسا عن تبرم بالجناح العمالي الحاكم ، الذي لا يزال يحتفظ بمركز الصدارة داخل الكيان الصهيوني منذ اربعين عاما ، وتضعضع مركز الهستدروت ، النقابة العامة للعمال ، وتقلص نفوذ الحركة الكيبوتسية في الجهاز الحاكم ، اذا قيس بالوضع في الماضي ، أحد الاسباب الرئيسية التي دفعت قادة الاجنحة العمالية الى التفتيش عن طريق لتوحيد صفوفهم(١٠)، حتى وصلوا الى اتفاق مبدئي بهذا الشأن عندما أقاموا التجمع قبيل انتخابات ١٩٦٥ ثم حزب العمل الاسرائيلي سنة ١٩٦٨ . وكانت هذه التطورات بحد ذاتها هي التي دفعت الجناح اليميني الى تجميع صفوفه من الجهة الثانية : غاحال منذ ١٩٦٥ والتكتل (ليكود) منذ ١٩٧٣ . وتجدر الملاحظة هنا انه على الرغم من ان التجمع حصل على أكبر نسبة من الاصوات في الانتخابات ، عامة ، فان التكتل اليميني حصل على أكبر نسبة من أصوات الجنود . ولم يكشف النقاب عن عدد الجنود الذين اشتركوا

في التصويت ولكن ذكر ان التكتل حصل على ٤١٪ من أصواتهم مقابل ٣٩٪ حصل عليها التجمع ، ولعل السبب في ذلك يكمن في تعبير اولئك الجنود ، الذين يكثر عددهم نسبيا على جبهة قناة السويس ، عن تأييدهم لقائدهم العميد شارون ، مرشح التكتل . ولكن يجب ان نشير الى ان اصوات الجنود هي التي منحت ايضا قائمة الحقوق المدنية مقعدها الثالث ، مما يدل على اهتمام الجنود البالغ بقضايا اسرائيل الداخلية ، وكذلك حصلت قائمة موكيد المعارضة على نسبة لا بأس بها من أصوات الجنود .

واستمرارا لمقارنة نتائج الانتخابات بالنسبة للكتلتين الكبيرتين ، على صعيد انتخابات البلديات التي جرت مع الانتخابات للكنيست في المدن الثلاث الكبرى في اسرائيل : تل ابيب وحيفا والقدس نشير الى ان التجمع العمالي مني بالفشل في انتخابات بلدية تل ابيب وتنحى يهوشواع رابينوفيتش ، زعيم « الكتلة » (غوش) المسيطرة داخل مباي ، عن رئاسة البلدية لصالح مناوئه ، العقيد شلومو لاهط ، مرشح التكتل . ولا تتم هذه الواقعة ، ايضا ، عن اي تجديد جذري ، فبلدية تل ابيب كانت منذ تأسيسها سنة ١٩٣٤ ، ولاسباب لا مجال لبحثها هنا ، معقلا لقوى اليمين الصهيوني المناوئة للجناح العمالي اجتماعيا وسياسيا (في معارضتها « فلسفة » الجناح العمالي الصهيوني وتعاونها مع سلطات الانتداب البريطاني) ، ولم يستطع مباي « احتلالها » الا سنة ١٩٥٩ ، أي بعد مرور ربع قرن على انشائها ، ولكن الوضع عاد الان الى ما كان عليه قبل الاحتلال المبائي . اما حيفا « الحمراء » فقد حافظت على ولائها للجناح العمالي ومنحت مرشحيه لانتخابات البلدية أكثرية مطلقة ، بينما بقي الوضع في القدس على ما كان عليه ، أي ان مرشح التجمع العمالي ورئيس البلدية السابق ، تيدي كوليك ، سيستمر في الاحتفاظ بمنصبه ، على ما يبدو .

كذلك لم تسفر الانتخابات عن تغيير يذكر بالنسبة للقوة السياسية الثالثة ، من حيث كبرها ، في اسرائيل : احزاب المتدينين . ولقد استطاعت هذه الاحزاب المحافظة ، تقريبا ، على قوتها في هذه الانتخابات ، بعد ان خسرت مقعدين من مجموع ١٧ مقعدا . ويبدو ان هذه الخسارة نجمت عن وجود قائمتين انتخابيتين جديدتين جذبتا عددا من أصوات المتدينين ، هما قائمة عضو الكنيست السابق افنر شاكي الذي انشق عن الحزب الديني القومي وقائمة الحاخام مئير كهانا ، زعيم رابطة الدفاع اليهودية ، التي يبدو وكأنها جذبت عددا من أصوات المتدينين المتطرفين . وهما القائمتان اللتان كانتا بين القوائم الـ ١١ الفاشلة (بعد ان حصلتا ، كل منهما على حدة ، على ما مجموعه ٢٣٠١٣ صوتا) أي ان اصوات المتدينين بقيت داخل معسكرهم ولم تذهب لجهة اخرى .

ومما يلفت النظر ايضا في الانتخابات الاخيرة ، اذا ما قورنت بالانتخابات السابقة، هو ان نصف القوائم الصغيرة التي اشتركت في تلك الانتخابات كانت من القوائم الطائفية ، التي تزعمها يهود شرقيون . وتعبر هذه القوائم عن الفقر والضائقة الاجتماعية اللذين يميزان اوضاع قطاعات واسعة من اليهود الشرقيين ، مؤكدة شعور الغربة الذي يسود تلك القطاعات . وكانت العلاقات بين اليهود الشرقيين والسلطة الاسرائيلية قد تأزمت بشكل خاص منذ ١٩٧١ ، بعد الهدوء الذي ساد اسرائيل اثر ايقاف حرب الاستنزاف على جبهة السويس في صيف ١٩٧٠ وضرب العمل الفدائي في الاردن في خريف تلك السنة ، عندما ظهرت حركة الفهود السود بينهم . والواقع ان أية انتخابات للكنيست ، جرت في الماضي ، لم تخل من اشتراك قائمة انتخابية واحدة على الاقل يتزعمها يهود شرقيون ، غير ان كل تلك القوائم باءت بالفشل ، عدا تلك التي اشتركت في انتخابات الكنيست الاول . ويبدو ان اليهود الشرقيين لم يتعلموا دروس الفشل الذي كان من

نصيبهم في الماضي . بل ان فشلهم كان هذه المرة اكبر بكثير من الحالات السابقة . فقد حصلت قوائم اليهود الشرقيين الست التي اشتركت في الانتخابات الاخيرة ، منفصلة عن بعضها البعض ، على ٣٨،٢٠٨ اصوات ، وهي نسبة تؤهلها ـــ خلافا للماضي ـــ للحصول على ٣ مقاعد في الكنيست ، على الاقل ، لو كانت قد اتحدت فيما بينها قبل الانتخابات ، خاصة وان الخلافات بين تلك الفئات لا تتعدى ابدا مدى الخلافات بين الكتل الحزبية القائمة داخل التجمعات الكبيرة (كذلك فان القوائم الـــ ١١ الفاشـــلة ، التي حصلت على ٧٥،٧٢٧ صوتا ، كانت ستفوز بـــ ٧ مقاعد على الاقل ، لو اتحدت فيما بينها قبل الانتخابات) . ولكن بينما تتحد القوى الكبيرة في سبيل الحفاظ على مصالحها ونفوذها وثروتها ، يستمر الفقراء والمسحوقون في الانقسام على انفسهم . ويبدو ، من ناحية ثانية ، ان الاجراءات التي اتخذتها الاحزاب الكبيرة لاحتواء اليهود الشرقيين ، كما سنرى ، كان لها اثرها على تلك النتائج .

يتضح مما تقدم ان حرب تشرين لم تؤثر بشكل جذري على نتائج الانتخابات في القطاع اليهودي في اسرائيل ، رغم تأثيرها على الاوضاع والاستراتيجية الاسرائيلية بشـــكل عام . ولعل هذه الواقعة بحد ذاتها من أكبر الدلائل على استقرار النظام السياسي في اسرائيل من جهة وقوة الاجهزة الحزبية التي تحكم البلد وتجذب الناخبين اليها بمختلف الوسائل من جهة اخرى . كذلك تؤكد هذه النتائج ان مشاكل السياسة الخارجية ليست الوحيدة التي تشغل تفكير الناخب الاسرائيلي ، وانما هناك ايضا القضايا الداخليـــة على اختلاف انواعها التي لا تقل أهمية عن القضايا الاخرى . ويظهر الاهتمام بالقضايا الداخلية ، على اوضح ما يكون ، عندما نقارن بين نتائج الانتخابات للكنيست وللبلديات في عدد من المدن الاسرائيلية ، مثل القدس وحيفا ورامات غان ورحوفوت واشـــدود ورامات هاشارون ، حيث كانت فوارق كبيرة في عدد الاصوات التي حصلت عليها كل من الكتلتين الكبيرتين للكنيست او للبلديات ، واتضح ان نسبة كبيرة للغاية من الناخبين تصوت للبلدية على عكس التصويت للكنيست ، حسب تأييدها لهذا المرشح او ذاك وقدرته على ادارة مدينتهم ، دون اكتراث بالانتماء الحزبي . ولكن الحرب قد فعلت عكس ذلك بالنسبة للقطاع العربي وجاءت لتؤكد ، مرة اخرى ، ان نسبة لا بأس بها من الناخبين العرب في اسرائيل تصوت وفقا لاعتبارات قومية ، متأثرة بشكل مباشر بالاحداث التي تجري في المنطقة . وتعتبر نتائج الانتخابات بالنسبة للقائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) ، حزب المعارضة الرئيسي بالنسبة للعرب الذي يتمتع بتأييد قطاعات واسعة بينهم ، خير دليل على ذلك . ففي انتخابات الهستدروت التي جرت قبل نشوب الحرب بحوالي الشهر حصلت راكاح على نسبة من اصوات العرب الذين اشتركوا في تلك الانتخابات اعتبرت فشلا بالنسبة لها ، اذا قورنت بما كانت تحصل عليه في السابق . اما في انتخابات الكنيست فقد تغير الوضع بصورة ملحوظة ، اذ حصلت راكاح عـــلى ٥٣،٣٥٣ صوتا ، أي ٣،٦ ٪ من مجموع الاصوات (مقابل ٢،٨ ٪ سنة ١٩٦٩ و ٢،٣ ٪ سنة ١٩٦٥) ، بزيادة ٣٧ ٪ عما حصلت عليه في انتخابات الكنيست السابقة ، ويقال ان ٤٣ الفا من تلك الاصوات ، أي ان أكثر من ٨٠ ٪ من مجموع الاصوات التي حصلت عليها القائمة ، كانت أصواتا عربية ، وذلك بعد ان حصلت على أكثرية الاصوات في العديد من المدن والقرى العربية في الجليل والمثلث(١١)، ومن بينها مدينة الناصرة ، كبرى المدن العربية في اسرائيل . فقد زاد عدد مقاعد راكاح في الكنيست نتيجة لذلك الى اربعة مقاعد ، بزيادة مقعد عما كان عليه الوضع في السابق ، سيشغله الشاعر توفيق زياد من الناصرة . اما «عرب الحكومة» فقد خسروا واحدا من مقاعدهم الاربعة، بعد ان قرر التجمع العمالي الذي يتحكم بقوائمهم الانتخابية التخلي عن خدمات اثنين منهم (الياس نخلة وذياب عبيد ، اللذين اشتركا في الانتخابات وكان مصيرهما الفشل ،

كمصير باقي اعضاء الكنيست العرب الذين قرر التجمع التخلي عنهم في الماضي ، بعد ان كانوا مرتبطين به) . وكان التجمع العمالي قد قرر ان يشترك « عربه » في الانتخابات الاخيرة بقائمتين ، تزعم احداها سيف الدين الزعبي وجبر معدي ، اللذان لا يزالان يتعاونان مع السلطات الاسرائيلية منذ اقامة اسرائيل ، وتزعم الثانية وهي قائمة بدوية جديدة ، الشيخ حمد ابو ربيعة من بدو النقب ، وقد فاز الثلاثة في الانتخابات . ويبـــدو ان التجمع قد لجأ الى وسائله القديمة في استغلال الطائفية ، فشكل قائمة بدوية — لاول مرة — لاجتذاب أصوات البدو ، بعد ان شعر انهم درجوا في الماضي على منح أصواتهم لاية جهة تدفع ثمنا أكبر . كذلك أضاف التجمع الى قائمته الانتخابية ، على حساب مرشحي مباي ، أحد المرشحين العرب ، محمود عباسي ، رغم ان حزب العمل لم يقرر حتى الان قبول العرب اعضاء فيه . ولكن عباسي لم ينتخب ، حيث ادرج اسمه في مكان غير مضمون (رقم ٥٩ في القائمة الانتخابية) أما مرشح مبام العربي ، نائب وزير الصحة عبد العزيز الزعبي (رقم ٣٣ في القائمة) فقد أعيد انتخابه . كذلك حصل الحزب الديني القومي على حصة من اصوات العرب الذين يؤيدونه لقاء المنافع المادية التي يقدمها لهم ، من خلال سيطرته على وزارتي الداخلية والاديان .

استنادا الى ما قدمنا يمكن القول ، تلخيصا لنتائج الانتخابات ، ان الاستقرار السياسي الذي ساد اسرائيل منذ قيامها لا يزال على حاله (للاطلاع على نتائج الانتخابات السابقة ، أنظر الجدول ١) .

تركيب اجتماعي جديد ؟

ان النتيجة التي أشرنا لها بشأن استمرار الاستقرار السياسي في اسرائيل ليست النتيجة الوحيدة التي يمكن التوصل اليها استنادا الى نتائج الانتخابات ، فهناك نتائج اخرى لا تقل اهمية عنها ، تتعلق بقدرة الكيان الاسرائيلي على تطوير نفسه وصقل قوته لمجابهة التحدي الذي يوجه له داخليا ، مما ستنجم عنه ، كما يبدو ، نتائج بعيدة المدى في المستقبل .

يتضح من استعراض اسماء اعضاء الكنيست الجديد(١٢) ان ٤٠ عضوا منهم ، أي الثلث ، هم وجوه جديدة (التجمع — ١٥ ، التكتل — ١٦ ، الحزب الديني القومي — ٣ ، الحقوق المدنية — ٢ ، وواحد من كل من قوائم راكاح والاحرار المستقلين وموكيد والبدو) تدخل الكنيست لاول مرة . وهذه النسبة من الوجوه الجديدة هي من أعلى النسب التي تدخل الكنيست منذ تأسيسه ، وقد تكون لها دلالتها الخاصة . فلقد وجهت في الماضي انتقادات عديدة لزعماء النظام الاسرائيلي ، من كافة الاتجاهات ، لجهة احتفاظهم بمقاعدهم لفترات طويلة ، مما يفوت على القوى السياسية الصاعدة من مؤيديـــهم الحصول على مراكز ملائمة لهم ، تمكنهم من المساهمة في الحكم بشكل فعال . ويبدو ان الاجهزة الحزبية اعترفت مؤخرا بصحة تلك الانتقادات وعملت ، تدريجيا ، على اصلاح الوضع ، بدلالة تلك النسبة الكبيرة من الوجوه الجديدة التي تدخل الكنيست . كذلك يتضح ان نسبة لا بأس بها من الاعضاء الجدد تنتمي الى جيل « الشباب » ، بمفهوم الحياة السياسية في اسرائيل ، ومعظمهم في العقد الثالث او الرابع من عمره . ويبدو ان ابناء الهجرتين الثانية والثالثة ، الذين قدموا الى فلسطين قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها ، والذين سيطروا على الكيان الصهيوني وحكموا اسرائيل خلال العقدين الاولين من قيامها بدأوا ، الواحد بعد الاخر ، يتركون مواقعهم للاجيال الجديدة — وللتغييرات التي قد تنجم عن ذلك .

غير ان أهم تغيير في التركيب السياسي — الاجتماعي الذي يكشف عنه تشـــكيل الكنيست هو ذلك الذي تتضمنه قائمة التجمع العمالي . ويتضح بعد الاطلاع على

تركيب هذه القائمة(١٣) ان ١٠ اعضاء كنيست من الـ ٥١ عضوا الذين انتخبوا بموجبها، أي الخمس ، هم من اليهود الشرقيين (٥ من مواليد العراق — ٣ رجال وامرأتان — وواحد من مواليد كل من ليبيا ومراكش وتونس واليمن ومدينة القدس) . وهذه النسبة من اليهود الشرقيين هي ايضا من أعلى النسب التي تدخل الكنيست منذ تأسيسه . كذلك فان مرشحي هذه القائمة اللذين يقفان على عتبة الكنيست (رقما ٥٢ و ٥٣ في قائمة المرشحين) واللذين يحتمل ان يدخلا الكنيست اذا استقال او توفي أحد الاعضاء الذين تم انتخابهم من القائمة ، هما ايضا من اليهود الشرقيين (من مواليد العراق ومراكش) . وعلى ذكر اليهود الشرقيين نشير ايضا الى ان قائمة الحزب القومي تضم ايضا مرشحين اثنين ، تم انتخابهما ، من اليهود الشرقيين (من مواليد ايران ومراكش ، وعمر كل منهما ٣٥ سنة) . ويبدو ان ازمة العلاقات الطائفية بين اليهود الشرقيين والغربيين التي ثارت مؤخرا داخل اسرائيل كانت من الاسباب الرئيسية لتلك الزيادة في المرشحين من اليهود الشرقيين ، ويعتقد ايضا ان هذه التشكيلات ، التي جذبت دون شك عددا من أصوات اليهود الشرقيين لصالح قوائمها ، كانت من العوامل الهامة التي أدت الى فشل القوائم الطائفية الشرقية الصغيرة . كذلك يضم الكنيست الجديد ١٠ نساء ، منهن ٧ من قائمة التجمع (مقابل ٥ في الكنيست السابق) . ويلاحظ ايضا ان قائمة التجمع العمالي تضم ٦ من كبار الضباط السابقين في الجيش الاسرائيلي ، منهم ٣ من رؤساء الاركان السابقين ، برتبة لواء (راف ألوف) وهم : موشيه ديان وحاييم بارليف ويتسحاق رابين و٣ برتبة عميد (ألوف) : يغئال آلون وموشيه كرمل (قائدي البلماح السابقين) واهرون ياريف ، الرئيس السابق للمخابرات العسكرية ، وذلك مقابل عميدين استطاع التكتل اليميني ضمهما الى صفوفه : اريئيل شارون وابراهام يافيه ، ممثل حركة العمل من أجل ارض — اسرائيل الكاملة . اما الضابط السابع ، والاخير ، في الكنيست الجديد فهو العقيد مئير باعيل ، ممثل موكيد .

من الواضح ان الاوضاع الاجتماعية — السياسية التي تسود اسرائيل حاليا كانت من بين الدوافع الرئيسية لادخال التغييرات التي أشرنا لها على قوائم المرشحين ، ان ذلك تم لجهة زيادة عدد المرشحين من اليهود الشرقيين او من الضباط او النساء . ولكن على الرغم من ذلك تظهر فوارق واضحة بين التغييرات التي تدل عليها قائمة التكتل اليميني وبين تلك التي تحتوي عليها قائمة التجمع العمالي. ويتضح من استعراض اسماء مرشحي قائمة التكتل ان اليمين لجأ ، الى حد ما ، الى « دفاتره القديمة » لاختيار مرشحيه الجدد ، اذ نجد بينهم ضابط العمليات السابق في منظمة اتسل (الارغون) ، ايتان ليفني ، واحد قادة منظمة ليحي (شتيرن) السابقين ، يتسحاق شامير ، وكذلك المذيعة السابقة في اذاعة ليحي السرية ، غيئولاه كوهين . ويلاحظ ايضا ان نصف اعضاء الكنيست الجدد من قائمة التكتل جاؤوا على حساب المقاعد السبعة الجديدة التي حصلت عليها القائمة ، بينما نرى ان معظم مرشحي التجمع الذين يدخلون الكنيست لاول مرة هم من الوجوه الجديدة الشابة الذين جاء ترتيبهم في أماكن مضمونة مسبقا في القائمة الانتخابية ، تأمينا لانتخابهم . ومرة اخرى ، يثبت حزب العمل الاسرائيلي ، الحزب الجماهيري الذي وصل عدد اعضائه سنة ١٩٧٢ الى ٣٠٠ الف عضو(١٤)، ولكنه رغم ذلك لم يضع دستورا خطيا لنفسه ، للمؤيدين والمناوئين انه حزب « مسؤول » ، يتحمل اعباء حكم دولة ويكيف نفسه (واحيانا مبادئه) مع روح الزمن الذي يعيش فيه — ودائما في الوقت المناسب . ولعل هذه « المرونة » التي يتصف بها الجناح العمالي الصهيوني هي أحد العوامل الرئيسية التي ساعدته على السيطرة على الكيان الصهيوني في فلسطين منذ حوالي اربعين عاما وحتى اليوم ، دون انقطاع .

الجدول ٣

الاحزاب والكتل التي اشتركت في تشكيل الحكومات الاسرائيلية*

الحزب / القائمة / الكتلة	تاريخ تشكيل الحكومة(١)												
	١٩٤٩/٣/٨	١٩٥٠/١١/١	١٩٥١/١٠/٨	١٩٥٢/١٢/٢٣	١٩٥٤/١/٢٦	١٩٥٥/٦/٢٩	١٩٥٥/١١/٣	١٩٥٩/١٢/١٧	١٩٦١/١١/٣	١٩٦٣/٦/٢٤	١٩٦٦/١/١٢	١٩٦٧/٦/٤(٢)	١٩٧٠/٩/١
التجمع (معراخ)	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*
مبـــاي	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*		*	
احدوت هعفوداه							*	*	*	*			
مبـــام							*	*					
رافي												*	
القائمة الرســمية													
التكتل (ليكود)													
غاحـــال													
حـــيروت												*	
الاحـــرار													
المركز الحـــر													
الاحرار المستقلون													
الصهيونيون العموميون					*								
التقـــدميون	*	*		*	*	*	*	*					
الحزب الديني القومي			*	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*
اغودات يسرائيل	*	*											
عمال اغودات يسرائيل													
الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي)													
موكيـــد													
القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح)													
هاعولام هازيه													
قائمة حقوق المواطن													
القوائم العربية(٣)	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*	*
غـيرهم	*	*											

* **المصدر :** آشر تسيدون ، « بيت هانفحاريم » ، (« مجلس النواب ») ، تل ابيب ، احياسـاف ، ١٩٧١ ، الطبعة السادسة ، ص ٣٢١—٣٣٥ وص ٤٩٢—٤٩٦ .

١ — يشار للحزب المشترك في الحكومة بعلامة * . لا يشير الجدول الى الاحزاب التي انسحبت من حكومة ما بعد تشكيلها ، ولم تؤخذ بالحسبان القوى الصغيرة التي كانت تشترك من حين لاخر في الحكومات المختلفة او بعض الاشخاص غير الحزبيين الذين كانوا يعينون وزراء من حين لاخر .

٢ — حكومة التكتل القومي ، التي شكلت قبل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

٣ — القوائم العربية تؤيد الحكومات الاسرائيلية بصورة تلقائية نظرا لتبعيتها لحزب العمل الاسرائيلي (سابقا مباي) .

لا تأثير لنتائج الانتخابات على مواقف اسرائيل في المستقبل

. يتضح من نتائج الانتخابات ان وضع جهاز الحكم في اسرائيل سيبقى على ما كان عليه قبل الانتخابات ، رغم التغييرات الخفيفة التي طرأت على عدد المقاعد التي حصلت عليها الكتل المختلفة في الكنيست . ان نظرة سطحية على توزيع المقاعد النيابية في الكنيست تظهر ان التجمع العمالي هو الكتلة الوحيدة المؤهلة لتشكيل الحكومة الاسرائيلية المقبلة ، اذ انه بحاجة الى تأمين تأييد ١٠ اعضاء كنيست آخرين لتفوز حكومته بالثقة ، وباستطاعته تأمين هذا العدد لدى اكثر من جهة وبأكثر من وسيلة . فالتجمع ، باعتبار انه يرفض الاشتراك في ائتلاف يضم التكتل او راكاح ، يستطيع اقامة حكومة ائتلافية بالتعاون مع كل الفئات الاخرى الممثلة في الكنيست او مع اي جزء منها ، ان كان ذلك مع المتدينين وحدهم ، او مع المتدينين والاحرار المستقلين او مع أي من هذه القوائم والقائمتين الصغيرتين الاخريين ، قائمة الحقوق المدنية والقوائم العربية . وفي مقابل ذلك يتضح ان اليمين ، كالعادة ، عاجز عن تشكيل حكومة ، بل انه غيّر الشعار الذي نادى به قبل الحرب داعيا الاسرائيليين الى تأييده كبديل للجناح العمالي في الحكم ، متبنيا بدلا من ذلك شعارا آخر يدعو الى اقامة حكومة تكتل وطني من كل الفئات ، على غرار تلك التي قامت قبل حرب حزيران ١٩٦٧ وبقيت حتى صيف ١٩٧٠ ، عندما انسحب منها اعضاء غاحال بعد ان قبلت اسرائيل المبادرة الاميركية التي تضمنها مشروع روجرز . والواضح ان اليمين بشعاره هذا يريد فرض نفسه على الحكومة لمنعها من تقديم « تنازلات » ، وخاصة عدم « اعادة تقسيم ارض — اسرائيل » ، وبلغة عملية عدم الانسحاب من المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ، ضمن اطار اية تسوية سلمية للنزاع في المنطقة ، قد يتم الوصول اليها .

يتضح من المعطيات التي يمكن الاستناد اليها في ضوء نتائج الانتخابات من جهة وامكانات تشكيل الحكومة المقبلة و« ميزات » الاحزاب التي قد تشترك بها من جهة اخرى ، في ضوء « التقاليد » التي اتبعت لتشكيل الحكومات الاسرائيلية السابقة (انظر الجدول ٢) ان اليمين لن ينجح في مساعيه هذه اذ ان مجرد تشكيل مثل تلك الحكومة كاف لان يشل حتى امكانات المناورة الاسرائيلية ، نظرا لتصلب التكتل ، وهو وضع لا تستطيع اسرائيل احتماله طويلا . ولا نقصد بقولنا هذا ان الحكومة الاسرائيلية ، ان شكلت على غرار الحكومات السابقة ستهرول الى الموافقة على مشاريع التسوية لازمة المنطقة ، على عكس اليمين ، اذ لا ينبغي ان ننسى ان الخلافات بين التجمع العمالي والتكتل اليميني بالنسبة للموقف من العالم العربي ليست كبيرة الى المدى الذي يتصوره المرء وان التجمع العمالي كان وراء السياسة الاسرائيلية المتصلبة ، منذ اقامة اسرائيل . كذلك يبدو انه لن يطرأ تغيير كبير على مراكز الاشخاص والقوى المؤثرة على السياسة الاسرائيلية التي كانت قائمة قبل الحرب . ومن هنا فان ضرورة التعامل من خلال مراكز القوة ، باختلاف أشكالها ، والضغط ، عربية كانت ام دولية ، مع الكيان الصهيوني لا تزال قائمة لتأمين سلامة العالم العربي وامنه وحقوق الفلسطينيين ، بل ربما هنالك حاجة لمزيد من الضغوط او اللجوء الى استعمال القوة في ضوء نتائج الانتخابات التي زادت من قوة اليمين ، رغم أن الزيادة كانت طفيفة . وعليه فان ما نقصد قوله هو أن حكومة اسرائيلية يقودها التجمع العمالي ، قادرة على تنفيذ اي تسوية لازمة المنطقة ، بما في ذلك الانسحاب من كل المناطق المحتلة او معظمها ان « اقتنعت » بضرورة ذلك ، دون أن تخشى من فقدان ثقة الكنيست بها وسقوطها او تسلم التكتل اليميني الحكم في اسرائيل ، بحيث يمكن اعتبار الوضع الحالي استمرارا للوضع الذي كان قائما في اسرائيل قبل الانتخابات ، واعتبار أن نتائج الانتخابات لم تؤثر ، تقريبا ، عليه .

تشير الدلائل الى ان الحكومة الاسرائيلية المقبلة ستتشكل ، كسابقاتها ، بزعامة التجمع العمالي واشتراك الاحزاب الصغيرة الاخرى، شريكة الجناح العمالي «التقليدية» في الحكم ، الحزب الديني القومي وحزب الاحرار المستقلين ، او باشتراك بعض الكتل الصغيرة الاخرى ، او أي منها بالاضافة الى القوى الرئيسية . والواضح من هذه التشكيلة ان التجمع العمالي ، في ضوء علاقاته الماضية والحاضرة مع الاحزاب الاخرى التي قد تشترك في الحكومة ، يستطيع « اقناع » تلك الاحزاب بالموافقة على أية تسوية يضطر هو نفسه ، للاسباب التي أشرنا لها ، الى الموافقة عليها . فالحزب الديني القومي ، كبير الشركاء في الحكومة ، رغم ان بعض عناصره تطالب بحكومة تكتل وطني ورغم انه أعلن انه « لن يمد يد العون لاعادة تقسيم ارض — اسرائيل » بحاجة ماسة الى التعاون مع التجمع لتأمين نفوذه الديني في اسرائيل ، وهو هدف الحزب الاول ، بحيث ان شراكته مع مباي سابقا ، والتجمع حاليا ، كانت دائما من أجل تحقيق هذا الهدف ، ولم يقم مرة بفسخ تلك الشراكة ، ايام الانتداب او بعد اقامة اسرائيل ، لاسباب غير دينية . وعندما حدث وقام بذلك (في مطلع الخمسينات وفي آخرها احتجاجا على اجراءات اتخذها مباي وفسرت كأنها تمس بالوضع الراهن بالنسبة للشؤون الدينية) عاد وانضم الى الحكومة في اول فرصة سنحت له ، نظرا للاجراءات « التأديبية » التي اتخذها مباي بحقه(١٥)، بعد اتباع طريق « التسوية السلمية » بين الحزبين . والواضح ان التجمع العمالي لا يزال حتى الان قادرا على تقديم الاقتراحات المغرية للمتدينين للحفاظ على مصالحهم ، او تهديدهم باتخاذ اجراءات بحقهم ، بما فيه الكفاية لضمان تأييدهم لحكومته . كذلك يستطيع التجمع استغلال الحساسية القائمة بين شطري المتدينين لضمان تأييد الطرفين او اي منهما له . اما حزب الاحرار المستقلين ، اليميني المعتدل ، فيكاد لا يجد خلافات بينه وبين التجمع بشأن سياسة اسرائيل الخارجية والامنية ويرفض « مبدئيا » الاشتراك في حكومة يقودها التكتل اليميني ولهذا فان اشتراكه في حكومة التجمع شبه مؤكد . وهذا الحزب أيضا ، وآباؤه (حزب التقدميين) كانوا ، ولا يزالون ، من الشركاء المريحين في الحكم بالنسبة للجناح العمالي . كذلك يستند التجمع الى تأييد النواب العرب الثلاثة لحكومته ، ويستطيع ايضا ضم النواب الثلاثة من قائمة الوفي لتلك الحكومة .

يبدو ، من ناحية اخرى ، ان الخطر الوحيد على استمرار قيام حكومة بالشكل الذي أشرنا له او سقوطها اذا التزمت بتقديم « تنازلات » كبيرة في سبيل تسوية سلمية هو انشقاق بعض الزعماء الصقور عنها بزعامة ديان ومؤيديه وانضمامهم الى حكومة يشكلها اليمين او اندماجهم في صفوفه . ولكن نظرة اعمق الى هذه الناحية تظهر ان مثل تلك التطورات غير ممكنة ، وان حدثت فانها لن تؤدي الى تغييرات جذرية . فهناك اولا شك في أن يترك ديان التجمع ما دامت مئير ، القريبة منه في آرائها ، رئيسة للحكومة ، ولكن حتى وان قام بذلك ، اذا قرر التجمع تشكيل الحكومة من شخصيات لا تتصف بتعاطفها مع ديان ، يشك جدا اذا كان باستطاعة ديان حمل اعضاء الكنيست السبعة من كتلته ، رافي ، على السير وراءه ، بعد التجربة التي خاضوها في هذا المجال في انتخابات ١٩٦٥ والفشل الذي كان من نصيبهم وقتها ، اذ فازت رافي في تلك الانتخابات بـ ١٠ مقاعد من مجموع ١٢٠ ، رغم ان بن — غوريون وديان وبيريس تزعموا القائمة يومها ، وكانت النتيجة أن تاه ديان في « صحراء المعارضة » مدة ثلاث سنوات ١٩٦٤ — ١٩٦٧ ، الى ان جاءت حرب ١٩٦٧ وانقذته ، وذلك نظرا للمقاومة التي بذلها الجهاز المبائي الحزبي ضد رافي ، والتي لم تتوقف الا عندما انقسمت القائمة على نفسها ورجع جزء من اعضائها الى حزب العمل ، بينما توجه الباقون الى التكتل اليميني . يضاف الى ذلك أن هناك امكانا ، في مثل هذه الحالة ، لاختراق التجمع العمالي صفوف اليمين

وجذب عدد من أعضائه اليه ، خاصة من بين جناح الاحرار . كذلك لا يبدو ، من ناحية ثالثة ، انه ستكون ضرورة لاجراء الانتخابات مرة اخرى ان وصلت تطورات التسوية السلمية الى مرحلة الحسم ، او حتى تأزم الوضع وتجدد القتال ، وحتى لو تقرر اجراء انتخابات كهذه ، فليس هناك من سبب يدعو لان تكون نتائجها مختلفة كثيرا عن نتائج الانتخابات الاخيرة ، او تلك التي سبقتها .

خلاصة القول ، ان الجناح العمالي الذي يسيطر على الكيان الصهيوني منذ «انقلاب» المؤتمر الصهيوني الثامن عشر (١٩٣٣) ، ويحكم اسرائيل منذ قيامها ، لا يزال الفئة السياسية الوحيدة التي تستطيع الحسم ، عند الضرورة ، في معظم المواقف الاسرائيلية، ان لم يكن كلها ، ان كان ذلك بالنسبة للشؤون الخارجية ، بما في ذلك الامنية ، او الداخلية . وعليه فالمواقف الاسرائيلية في المستقبل ستكون استمرارا لمواقف الماضي والحاضر من جهة وانعكاسا للاجراءات التي سيتخذها العالم العربي تجاه اسرائيل ومؤيديها من جهة اخرى ، دون ان يكون لنتائج الانتخابات اي تأثير على ذلك .

---

١ — للتفاصيل ، انظر آشر تسيدون ، « بيت هانفحاريم » ، (« مجلس النواب ») ، تل ابيب ، احيآساف ، ١٩٧١، الطبعة السادسة، ص ٤٠ — ٤٥ ، ٤٧٧ ، ٥١٤ — ٥١٦ .

٢ — وكانت رئيسة القائمة ، شولاميت الوني ، قد نشرت قبل مدة كتابا (« هاهسدير : مدينات حوك لمدينات هلخاه » — « التسوية : من دولة قانون الى دولة شريعة » ، تل ابيب ، اوتبار، ١٩٧٠) انتقدت فيه بشدة وسائل الاكراه الديني المتبعة في اسرائيل ، وحملت حزبها السابق ، حزب العمل ، مسؤولية ذلك بعد أن كشفت النقاب لاول مرة عن بعض الاساليب التي اتبعها المتدينون لتأمين تعاظم نفوذهم .

٣ — بعد الخلاف بين الاثنين نشر كوهين كتابا (« هاعولام هازيه » — « هذا العالم » ، تل ابيب ، طفحوت ، ١٩٧٢) ضمنه العديد من فضائح افنيري ومجلته ، « هاعولام هازيه ».

٤ — استنادا الى بيان لجنة الانتخابات المركزية، كما نقلته « هآرتس » ، ١٩٧٤/١/٩ .

٥ — مكتب الاحصاء المركزي (اسرائيل) ، نتائج الانتخابات للكنيست ، سلسلة نشرات خاصة رقم ١٦٦ ، ص ٥ ورقم ٢١٦ ، ص ٥ ورقم ٣٠٩ ، ص ١٥ .

٦ — انظر قانون الانتخابات للكنيست (نص موحد) (تعديل رقم ٤) ، « الوقائع الاسرائيلية » ، كتاب القوانين رقم ٦٩٢ ، ١٩٧٣/٤/٩ ، ص ١٠٨ (بالعبرية) .

٧ — المصدر نفسه ، رقم ٦٨٠ ، ١٩٧٣/٢/١، ص ٥٢ (بالعبرية) .

٨ — انظر « الوقائع الاسرائيلية » ، مجموعة النشرات رقم ٣٠٣٧ ، ١٩٧٣/٧/٢٠ ، ص ١٦٧٨ ورقم ٣٠٤٦ ، ١٩٧٣/٨/١٤ ، ص ١٧٩٠ (بالعبرية) .

٩ — انظر النقاش في « محاضر الكنيست » ، ١٩٧٢/١٠/٢٥ ، ص ١٤٣ — ١٥٥ ، ١/١/ ١٩٧٣ ، ص ١٠٢٣ — ١٠٨٠ ، ١٩٧٣/٤/٣، ص ٢٤٨٦ — ٢٥٦٥ .

١٠ — انظر ايضا آدام دورون ، « ميفليجيت هاعفوداه هايسرائيليت » ، (« حزب العمل الاسرائيلي ») ، تل ابيب ، بيت بيرل ، ١٩٧٢، ص ١١٤ — ١١٦ .

١١ — انظر ايضا مقالة اهود يعري في « دافار »، ١٩٧٤/١/٤ .

١٢ — بناء على بيانات بهذا الشأن نشرت في « يديعوت احرونوت » ، ١٩٧٣/٩/٢٦ ، و« دافار » ٢٣ — ١٩٧٣/٩/٢٦ و« هآرتس »، ١٩٧٤/١/٣ .

١٣ — استنادا الى معطيات عن مرشحي القائمة الستين الاوائل ، كما نشرها التجمع في اعلان انتخابي في « هآرتس » ، ١٩٧٣/١٢/٢٨ .

١٤ — انظر آدم دورون ، « حزب العمل الاسرائيلي » ، المصدر السابق ، ص ١٥٨ — ١٥٩ .

١٥ — انظر ، مثلا ، يوناه كوهين ، « براكيم بتولدوت هتنوعاه هسادتيت هليئوميت » ، (« فصول في تاريخ الحركة الدينية القومية »)، تل ابيب ، قسم الاعلام في الحزب الديني القومي ، ١٩٧٣ ، ص ١١٤ — ١١٥ .

الدولة الديموقراطية التقدمية في فلسطين

الدكتور صبري عبدالله حلاوة

الطبيعة الطبقية للحركة الصهيونية ولعملية استعمارها الاستيطاني في فلسطين

لكي يصبح بالامكان فهم المحتوى التقدمي لشعار الدولة الديمقراطية ينبغي أن نشير هنا الى بعض الحقائق الموضوعية المتعلقة بالطابع الاستعماري الاستيطاني للوجود الصهيوني في فلسطين ودوافعه ، والاسس العنصرية التي يرتكز عليها في ترسيخ دعائمه على حساب الحقوق الوطنية والقومية للشعب العربي الفلسطيني . كما ينبغي التنويه بالدور الذي يضطلع به هذا الوجود في الدفاع عن مجمل النظام الامبريالي العالمي واعاقة مسيرة حركة التحرر العربية .

ان توضيح واقع سياسي ما يعني اجراء تحليل علمي لاسباب نشوئه وحركة تطوره وشروط اضمحلاله ، واعطاء شكله الاجتماعي المعقد صورة واقعية مبسطة . أي نقله من حالة التعقيد الى حالة التبسيط دون تشويهه أو ابتذاله ، الامر الذي يخلق امكانية رؤيته موضوعيا ويساعد على تحديد ترابط مختلف اجزائه ضمن اطارها العام المتحرك كما ان تجريد هذا الواقع من خصائصه الذاتية وارجاعها الى أصولها الاجتماعية في حقبة تاريخية محددة ، يضمن الابتعاد عن الشكلية في التحليل ، ويجنب الوقوع في الاوهام الطوباوية حول هذا الواقع .

فالمعرفة العلمية لنشوء وتطور عملية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين لا يمكن تحصيلها دون الفهم الموضوعي للتغيرات النوعية العميقة والهائلة التي طرأت على البناءين التحتي والفوقي للمجتمعات الاوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، حيث تكونت الشروط لنمو جذور الحركة الصهيونية العالمية .

ان انتصار الرأسمالية على الاقطاع في أوروبا والتطور اللاحق السريع للصناعة والعلوم الطبيعية والاجتماعية ، ونشوء طبقة البروليتاريا وتصاعد كفاحها الاقتصادي والسياسي قد خلق ظروفا جديدة أدت الى نشوء ظواهر اجتماعية وسياسية متعددة من بينها اندثار حواجز الجيتو اليهودي في اوروبا الذي تناسب وجوده مع طبيعة تركيب المجتمع الاقطاعي القائم على الاقتصاد المنغلق . كما تسارعت عملية اندماج اليهود مع سكان البلدان التي يعيشون فيها ، حيث ترتب على عملية الاندماج هذه رفع وصاية الفئات المسيطرة من كهنة وتجار وأصحاب مصانع وبنوك يهود عن جماهير اليهود الكادحة التي اندمجت مع غيرها من السكان تحت تأثير أسلوب الانتاج الجديد . وقد كتب فلاديمير ايتش لينين عن هذه الظاهرة قائلا : « في اوروبا كلها كان سقوط القرون الوسطى وتطور الحرية السياسية يسيران جنبا الى جنب مع رفع الوصاية السياسية عن اليهود ومع انتقالهم من لغتهم الخاصة الى لغة الشعب الذي يعيشون بين ظهرانيه ومع التقدم الاكيد مع السكان المحيطين بهم »(١) .

ان التطور الاقتصادي اللاحق للرأسمالية في اتجاه تمركز الانتاج ورأس المال في أيدي الاحتكارات الضخمة قد أثر بشدة على السياستين الداخلية والخارجية للدول الرأسمالية

فعلى الصعيد الداخلي ازدادت شدة التمايز الطبقي وأصبح الصراع بين البرجوازية المالكة لوسائل الانتاج وطبقة البروليتاريا المضطرة لبيع قوة عملها لقاء ما يكفل بقاءها على قيد الحياة يهدد مجمل علاقات الانتاج الرأسمالية . وعلى الصعيد الخارجي ازدادت حاجة الدول الرأسمالية الى تصدير رؤوس الاموال والاستيلاء على المستعمرات فيما وراء البحار لتأمين المواد الاولية وتصريف المنتجات الصناعية أي بجعل المستعمرات توابع لاقتصاد الدول الرأسمالية المتطورة ، حيث انتقلت الرأسمالية بفعل تأثير الشروط الاقتصادية الجديدة الى مرحلة أعلى أطلق عليها لينين اسم « مرحلة الامبريالية » او « مرحلة الاستعمار » .

ومن بين أهم المشاكل التي نشأت في تلك المرحلة من تطور الرأسمالية والتي توجب على برجوازية الدول الاستعمارية حلها لصالح توطيد مجمل النظام الرأسمالي مشكلتان أساسيتان :

الاولى تفتيت وحدة الطبقة العاملة في البلدان الرأسماليـــة (الاستعمارية) وشل قدرتها الكفاحية .

الثانية كسب أكبر عدد ممكن من المستعمرات فيما وراء البحار بمختلف الوسائل .

وقد كتب ف. أ. لينين عن هذه المرحلة قائلا : « ولئن كانت الرأسمالية في نضالها ضد النظام الاقطاعي قد لعبت دور محرر الامم ، فان الرأسمالية الامبريالية قد أصبحت أعظم مضطهد للامم . والرأسمالية التي كانت فيما سلف عامل تقدم قد أصبحت الان رجعية . فلقد طورت القوى المنتجة الى درجة ان الانسانية ما عاد أمامها من سبيل سوى ان تنتقل الى الاشتراكية أو أن تعاني طوال سنين بل عشرات السنين من الصراع المسلح بين الدول « الكبيرة » من أجل الحفاظ بصورة مصطنعة علـــى الرأسمالية بواسطة المستعمرات والاحتكارات والامتيازات وشتى اشكال الاضطهاد القومي »(٢) .

من أجل تحقيق المهمة الاولى لم تكتف البرجوازية الاستعمارية باستخدام جهاز الدولة الذي تملكه وما يتبع هذا الجهاز من أدوات القمع والارهاب ضد النضال الاقتصادي والسياسي للطبقة العاملة ، بل أنشأت مؤسسات جديدة ذات اختصاصات مختلفة منها ما هو سياسي او فلسفي او ديني او تنظيمي ، هدفها جميعا طمس الوعي الطبقي لدى الجماهير الكادحة وخاصة البروليتاريا التي تقف في طليعة هذه الجماهير للاطاحة بنظام الاستثمار .

ولتحقيق المهمة الثانية أنشأت البرجوازية الاستعمارية منظمات خاصـــة لممارسة النشاط الاستعماري في بلدان ما وراء البحار بقصد النهب والاثراء على حساب الشعوب الاخرى . ولتبرير هذا النشاط وكسب عطف وتأييد الجماهير الكادحة لسياسة التوسع الاستعماري أو الحروب التي خاضتها برجوازية هذا البلد أو ذاك ضد البلدان الاخرى ، فقد صاغ مفكرو البرجوازية مجموعة من الاراء والافكار التي لعبت على وتر النعرات القومية والتعصب الشوفيني ، واثارة العواطف والاوهام الدينية . كما اوجدت نظريات حول التفوق العرقي لهذه الأمة او تلك وبشرت بمفاهيم مزعومة حول الرسالة التاريخية أو الحضارية وأحيانا الالهية (السماوية) التي أنيطت بهذا الشعب أو ذاك الى مـــا هنالك من نظريات فلسفية وأدبية أو سياسية حيث شكلت مجموعها لب الايديولوجية الاستعمارية .

ان اندثار حواجز الجيتو اليهودية في أوروبا واندماج اليهود في الوسط الذي يعيشون فيه ، وتأثرهم بعملية الاستقطاب الطبقي في المجتمعات الرأسمالية المتطورة هي نتائج حتمية لاسلوب الانتاج الرأسمالي الذي اتسم بميزتين أساسيتيـــن : أولهما الطبيعة الاجتماعية لعملية الانتاج وثانيهما الطبيعة الخاصة لملكية وسائل الانتاج .

فقد تولد عن التناقض بين هاتين الخاصتين انقسام المجتمع الى طبقتين متعارضتين من حيث المصلحة المادية .

ان مساهمة المستثمرين اليهود في كفاح البروليتاريا الاوروبية قد شكل خطرا بالدرجة الاولى على مصالح الطبقات المستثمرة في المجتمعات الراسمالية وخلق أساسا موضوعيا لتلاقي مصالح هذه الطبقات مع مصالح الفئات اليهودية البرجوازية التي مارست سابقا السيطرة على جماهير اليهود الكادحة داخل اطار الجيتو . لهذا فقد أصبح لجميع الفئات المستثمرة سواء كانت مسيحية أم يهودية في أوروبا مصلحة مشتركة في منع عملية الاندماج وفرض العزلة على جماهير اليهود الكادحة وتحويلها من قوى ثورية تدعم الحركة العمالية الى قوى مضادة للثورة واعادة اخضاعها من جديد لسيطرة البرجوازية اليهودية تحت شعارات ومفاهيم تتلاءم وروح العصر .

وحول دعم الرجعية الاوروبية لعزلة اليهود ومنع اندماجهم كتب ف. ا. لينين عام ١٩٠٣ متسائلا : « هل يمكننا ان نرجع الى الصدفة هذه الحقيقة القائلة بأن القوى الرجعية في اوروبا كلها ولا سيما في روسيا تتكاتف جميعا ضد اندماج اليهودية ومن اجل تعزيز عزلتها »(٣).

ولا بد من التأكيد على ان فكرة عزل اليهود ومنع اندماجهم في الوسط الذي يعيشون فيه وتهجيرهم خارج اوروبا قد ارتبطت منذ القدم بمصالح الطبقات المستثمرة في اوروبا وخاصة تلك التي تسلمت زمام السلطة في الدول العظمى صاحبة الاطماع في السيطرة والتوسع على حساب الشعوب المتخلفة في آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية . فقد جرت محاولات جدية ومحددة في هذا الشأن قبل نشوء الحركة الصهيونية تحت زعامة هرتزل بزمن طويل . وبقصد الاستشهاد وليس الحصر نقدم بعض الامثلة على ذلك :

« فبموافقة الشركة الهولندية هندو غربية وتحت حمايتها تم تسليم جوزيف نونيز وآخرين غيره الاراضي الصالحة للزراعة في جزيرة كوراساوة عام ١٦٥٢ لاقامة مستعمرة يهودية هناك . لكن المحاولة لم تكلل بالنجاح »(٤).

وفي عام ١٦٥٤ فكرت بريطانيا جديا في مسألة توطين اليهود في مستعمرتها سورينام كما ان فرنسا أعلنت عن رغبتها في ذلك الحين حول استيطان اليهود في كينيا .

ولقد كانت الامبراطورية الفرنسية أول من حاول جديا تهجير اليهود الى فلسطين بقصد الاستيطان وذلك اثناء زعامة نابليون بونابرت لاهداف استراتيجية عام ١٧٩٩ . الا أن فشل حملة نابليون على سوريا وفلسطين كان احدى الاسباب الرئيسية المباشرة لعدم نجاح تلك المحاولة . وقد علق الكاتب السوفياتي يوري ايفانوف على محاولات فرنسا وبريطانيا المتعددة استخدام تهجير اليهود لصالح توطيد مركزيهما الاستعماري قائلا :«فاذا كانت محاولات المستعمرين الفرنسيين في استخدام اليهود لتحقيق مآربهم في الشرق الادنى يمكن اعتبارها فصلا تاريخيا لم يكتب ؛ فان جهود الاوساط الحاكمة الانكليزية في هذا السبيل كانت عملية تنفيذ لمخطط محكم »(٥).

يتضح من الامثلة السالفة الذكر ان فلسطين لم تكن المنطقة الوحيدة التي كان عليها ان تستخدم كمكان لاقامة الجيتو اليهودي الجديد المعبر عنه بطريقة حديثة نسبيا تلاءمت وروح العصر آنذاك وهو اصطلاح « المستعمرة اليهودية » . والادب السياسي الصهيوني يقدم لنا أمثلة محددة على ان هنالك أمكنة أخرى في افريقيا وامريكا الجنوبية كانت مجالا (موضوعا) ليس للبحث وحسب بل وللنشاط العملي في هذا السبيل .

وانطلاقا من الحقائق التاريخية المعروفة يمكننا القول ان الانتباه قد تركز على فلسطين في الفترة التي ابتدأت فيها الامبراطورية العثمانية بالضعف والتفكك ، حيث أخذت القوى

الاستعمارية الاوروبية تتصارع فيما بينها لاقتسام المناطق العربية الخاضعة لسيطرة الدولة العثمانية ، وخاصة سوريا بما فيها فلسطين باعتبارها منطقة استراتيجية هامة تقع على الطريق التجاري المؤدي الى الهند والصين والمستعمرات في جنوب شرقي آسيا . وقد تضاعف هذا الاهتمام بعد فتح قناة السويس .

ففي رسالة بعث بها السياسي الانكليزي المعروف آنذاك شافيتسبوري الى وزير خارجية بريطانيا العظمى بالميرستون بتاريخ ١٨٤٠/٩/٢٥، كتب يقول : « من الضروري تحويل سوريا الى مستعمرة انكليزية ، وأكد أن ذلك يتطلب رأسمالا وأيدي عاملة الا أنه أشار لطبيعة اتجاه رأس المال نحو البلدان التي تكون فيها الملكية والحياة مؤمنتين من الاخطار . وفي ختام رسالته اقترح شافيتسبوري : « فاذا ما امعنا التفكير في مسألة عودة اليهود في ضوء تجديد بناء او استعمار فلسطين لتأكدنا من ان ذلك هو أرخص واضمن السبل لسد كل حاجيات هذه المنطقة الفقيرة بالسكان »(٦).

وفي الخامس والعشرين من كانون الثاني (يناير) عام ١٨٥٣ صرح العقيد غيورج غاولر الحاكم العام السابق لجنوب استراليا والحائز من خلال وظيفته على خبرات عريقة بشؤون الاستعمار فيما وراء البحار اذ قال في البرلمان البريطاني :

« المشيئة الالهية جعلت سوريا ومصر في طريق انكلترا الى الاقاليم الاخرى الاكثر أهمية في مجال تجارتها الخارجية الاستعمارية — الى الهند والصين وجزر الهند واستراليا . ان اصبع المولى تشير على بريطانيا ، ان تعمل بهمة ونشاط من أجل خلق الشروط المواتية في هاتين الولايتين .. ان على بريطانيا ان تجدد سوريا بواسطة الشعب الوحيد الجدير بهذه المهمة والذي يمكن استخدام طاقاته بصورة دائمة وفعالة ، بواسطة الابناء الحقيقيين لهذه الارض أبناء اسرائيل »(٧).

فاذا ما نحينا جانبا بعض الالفاظ المخصصة لدغدغة العواطف الدينية لدى جماهير اليهود لوجدنا ان هذا المنطق ليس غريبا على المستعمرين بل يعكس مصلحتهم في السيطرة والتوسع والاثراء الفاحش . فالمسألة بالنسبة لهم تجارية محضة وحساباتهم تجري طبقا لمبدأ الربح والخسارة وليس لاي شيء اخر ، ولدينا من الوقائع التاريخية ما يبرهن على ان حقوق الشعوب ومستقبلها لم ولن تكن في اي يوم من الايام موضع اهتمام وتقدير من قبل السادة المستعمرين ، بل ان جل هذا الاهتمام قد تركز دائما على مصالحهم الانانية . وان محاولات المستعمرين البريطانيين منذ البداية ومن ثم دعمهم او مشاركتهم لعملية خلق مستعمرة صهيونية في فلسطين لم تكن خارج اطار هذه المصالح ولم يدفعهم لذلك اية اسباب انسانية او عطف على اليهود كما ادعوا ويدعون. كما ان السياسيين البريطانيين في تلك الفترة لم يفكروا غير ذلك بدليل ان السياسي الانكليزي شافيتسبوري كتب في الفترة الاخيرة من عمره يقول : « ان سوريا (ومن ضمنها فلسطين انذاك) ستصبح بعد تعميرها بلدا تجاريا من الدرجة الاولى . ومن هم التجار المتفوقون في العالم ؟ وهل من الممكن ايجاد مكان افضل او مناخا اكثر ملائمة لتطويره بجد من قبل اليهود ؟ او ليس لانكلترا مصالحها الخاصة في تحقيق الاجراءات الضرورية في هذا الشأن ؟ ان ضررا قويا سيلحق ببريطانيا اذا ما سيطرت احدى الدول المنافسة على سوريا »(٨).

لذلك فقد بدأت بريطانيا نشاطها الاستعماري المنظم في فلسطين فأنشأت في العام ١٨٦٥ صندوق اكتشاف فلسطين في لندن، حيث عمل به عسكريون من سلاح الهندسة في الجيش البريطاني . وبتوجيه من وزارة الحرب البريطانية قاموا باجراء مسح عام للنواحي الطبيعية والاجتماعية في فلسطين كما ان مهمة هذه المؤسسة قد توسعت فشملت بعض الاقطار الاخرى في منطقة الشرق الاوسط وخاصة سوريا وقبرص ومصر

والسودان . ولم تقتصر نشاطات موظفي هذه المؤسسة على البحث العلمي بل ان بعضهم ساهم بنشاط في تنظيم حملات القمع التي قام بها الجيش البريطاني ضد الحركة الوطنية في مصر والسودان مما اثبت علاقاتهم بالمخابرات البريطانية وكشف الطابع التجسسي لمهمتهم امثال الكابتن كوندر والملازم كتشنر ولورانس وغيرهم .

وفي السبعينات من القرن التاسع عشر انشئت في انكلترا الشركة الاستعمارية السورية الفلسطينية بقصد « ضمان استيطان سوريا وفلسطين والبلدان الاخرى المجاورة لها من قبل الفئات المرضي عنها مسيحية كانت ام يهودية». ايفانوف ص ٤٠ .

وهكذا لم يبق على الصهيونية الا الظهور والا « فستجد انكلترا نفسها مضطرة لاختراعها » كما صرح بذلك الزعيم الصهيوني ماكس نوردو في بداية القرن العشرين(٩) .

ففي نهاية القرن التاسع عشر انتهت عملية تحول الرأسمالية الى امبريالية وشمل التوسع الاستعماري جميع المناطق في العالم تقريبا . وابتداء من هذه الفترة اخذت تتكون تحالفات جديدة بين بعض الدول الاستعمارية ضد البعض الاخر بقصد اعادة تقسيم المستعمرات بحيث تتناسب مع نسبة التركيبة الجديدة للقوى الدولية التي تتغير باستمرار .

في هذه الفترة بالذات تكونت شروط اقتصادية وسياسية محددة موضوعيا (مصلحة الدول الاستعمارية) وذاتيا (مصلحة الفئات البرجوازية للجاليات اليهودية في اوروبا) لنشوء الحركة الصهيونية العالمية . لهذا فقد تداعى ممثلو الفئات البرجوازية للجاليات اليهودية في اوروبا — الطامحين للحصول على نصيب من غنيمة البلدان المستعمرة عندما يحين الوقت لاعادة تقسيمها من جديد — لعقد المؤتمر الصهيوني الاول في بازل عام ١٨٩٧ حيث وضعوا الاطار التنظيمي وحددوا المحتوى الحقيقي للحركة الصهيونية العالمية . لقد كانت مسألة اقامة مستعمرة صهيونية من أهم الاهداف التي وضعت على بساط العمل من أجل المباشرة في تحقيقها والتي قسمت الى ثلاث اقسام : التنظيم ، الاستعمار ، الاتصالات مع الدول الاخرى .

لهذا تعتبر الصهيونية من وجهة نظر تاريخية ملحقا للاستعمار العالمي وذيلا له لكونها قد ظهرت في مرحلة من التطور كان النظام الاستعماري فيها قد اكتمل نضجه بحيث شمل العالم باسره كشكل للعلاقات بين الامم وطبع العصر بطابعه .

لقد نشأت الصهيونية فكرا وعملا كاداة استعمارية مهمتها سد بعض الثغرات في النشاط الاستعماري واستكمال حاجاته والدفاع عن وجوده . ففي عام ١٩٠٠ صرح تيودور هرتزل (مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية) : « ان العودة الى أرض الاباء التي وعدت بها الكتب السماوية تمثل مصلحة سياسية جاءت في اوانها بالنسبة للدول التي تبحث عن مصالح معينة في آسيا »(١٠) .

ان تحديد الاطار التاريخي لنشوء الحركة الصهيونية العالمية يعتبر مسألة ذات اهمية بالغة ليس فقط لاولئك الذين وقعوا ضحية النشاط الاستعماري لهذه الحركة ويقع على كاهلهم العبء الرئيسي في انهاء النتائج التي ترتبت على هذا النشاط لكون مصلحتهم تكمن في ذلك ، بل وبالنسبة لاولئك الذين يهمهم بحكم موقعهم في الحركة التاريخية المعاصرة تحطيم جميع اشكال العلاقات الاستعمارية قديمة كانت أم حديثة .

لقد اكتسبت الصهيونية العالمية حق اقامة مستعمرة لها في فلسطين نتيجة قرار اتخذته الدول الاستعمارية المنتصرة في الحرب العالمية الاولى — ذات الطابع

الاستعماري ـ اثناء اجتماعات مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ والتي بموجبه جرى اعادة ترتيب اوضاع العالم وتقسيمه من جديد فيما بينها .. وقد كتب لينين واصفا الحرب العالمية الاولى : « فهي حرب ترمي اولا الى توطيد عبودية المستعمرات عن طريق تقاسم « اعدل » واستغلال لاحق افضل « توزيعا » ، وترمي ثانيا الى تشديد وطأة النير الذي تئن تحته الامم الاجنبية داخل الدول الكبيرة ذاتها ... وترمي ثالثا الى تشديد عبودية الاجراء ، واطالة امدها ، لان البروليتاريا مجزأة مرهقة ، بينما يستفيد الرأسماليون على جميع المستويات فيغتنون من وراء الحرب ويسعرون الاراء القومية المسبقة ويدعمون الرجعية التي رفعت رأسها من جديد في الاقطار جميعها ، حتى في الاقطار الجمهورية الاكثر تحررا »(١١).

وباختصار « انها حرب بين وحوش كاسرة لتقاسم الغنائم ولاستعباد البلدان الاخرى » .

لقد خصصت الدول الاستعمارية المنتصرة جزءا بسيط نسبيا من الغنائم التي ربحتها في الحرب الى الحركة الصهيونية العالمية مقابل دور محدد تضطلع به هذه الاخيرة في خدمة مجمل النظام الامبريالي العالمي وخاصة الدولة القائدة لهذا النظام آنذاك بريطانيا.

وحول تحديد الادوار المتبادلة بين الاستعمار البريطاني من جهة والمستعمرة الصهيونية المزمع اقامتها في فلسطين من جهة اخرى قال ماكس نوردو احد الزعماء الصهاينة الاوائل موجها كلامه الى الدوائر البريطانية الحاكمة في اجتماع جرى عام ١٩١٩ وبحضور كبار الامبرياليين البريطانيين انذاك لويد جورج واللورد بلفور ما يلي : « نحن نعرف ايها السادة ماذا تنتظرون منا . تريدون ان نحرس لكم طريقكم الى الهند عبر الشرق الادنى . ونحن على استعداد للقيام بهذه المهمة الشاقة لكنه من الضروري ان تسمحوا لنا بانشاء قوة ذاتية تمكننا من القيام بهذا الواجب »(١٢).

وهذا ما يفسر لنا حقيقة دمج النقاط الرئيسية الواردة في وعد بلفور ضمن صك الانتداب الذي اقرته اداة الدول الاستعمارية المنتصرة « عصبة الامم » حيث تسلمت بريطانيا بموجبه مهمة تحويل فلسطين الى مستعمرة صهيونية .

وعند بداية الانتداب البريطاني على فلسطين فان عدد اليهود فيها لم يكن يتجاوز ٥٦ر٧٠٠ نسمة من أصل مجموع السكان البالغ عددهم ٧٠٠ر٠٠٠ نسمة . فاليهود الاصليون والمهاجرون الجدد منهم كانوا وقتها يؤلفون نسبة ٨ ٪ من مجموع السكان ويملكون ما نسبة ٥ر٢ ٪ من مجموع مساحة اراضي فلسطين(١٣).

وخلال فترة وجوده التي تقارب الثلاثين عاما في فلسطين خلق الاستعمار البريطاني جميع الشروط الذاتية والموضوعية اللازمة لنشوء المستعمرة الصهيونية في فلسطين . فقد استخدم جيشه الاستعماري وجهاز امنه لسحق الحركة الوطنية الفلسطينية بالعنف اثناء الانتفاضات والثورات الشعبية الموجهة لانهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ووقف عملية الاستيطان الصهيوني فيها . كما ان سلطات الانتداب البريطاني سخرت جهازها الاداري لمساعدة الهجرة الصهيونية المنظمة الى فلسطين حيث ارتفع عدد اليهود في فلسطين بفضل هذه الهجرة من ٨ ٪ الى الثلث كما هيأ الظروف لانتقال الاراضي الى ملكية الشركات الصهيونية وذلك بمنحه جميع الاراضي الحكومية التي ورثها عن الدولة العثمانية مجانا الى المنظمة الصهيونية العالمية مما زاد في نسبة ملكيتهم لاراضي فلسطين حتى بلغت ٦ ٪ في عام ١٩٤٨ . كما ساعد الانتداب البريطاني على بناء القوة الذاتية الصهيونية في فلسطين وخاصة عسكريا واقتصاديا حتى اصبحت الوكالة اليهودية في فلسطين دولة داخل دولة وهيأ لها من الامكانات ما يؤهلها

بالاضطلاع بمهام الدولة من خلال خلق جميع الاجهزة اللازمة لهذه المهمة سواء كانت عسكرية او اقتصادية(١٤).

وعندما اصبح الوجود الصهيوني في فلسطين في وضع يمكنه من طرد السكان الفلسطينيين العرب اعلنت دولة الاستعمار البريطاني عن انهاء انتدابها على فلسطين وانسحاب قواتها العسكرية بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٥ . وقد قامت الاجهزة الصهيونية المعدة سلفا بعملية طرد شعب فلسطين خارج حدود وطنه بالقوة والعنف واقيمت على انقاضه المستعمرة الصهيونية في فلسطين قبل خروج اخر جندي بريطاني منها واعلن الكيان الصهيوني نفسه دولة واسماها اسرائيل في نفس اليوم الذي غادر فيها البريطانيون ١٩٤٨/٥/١٥ .

اما بالنسبة للتحالفات التي عقدتها الحركة الصهيونية — عبر تاريخها الذي يقارب ثلاثة ارباع القرن — مع هذه الدولة الاستعمارية او تلك فقد خضعت لطبيعة تركيب القوى الاستعمارية ونسبة توازنها ، بحيث ارتبطت الصهيونية على الدوام بالكفة الراجحة في هذه القوى او بالتحديد تقول انه كان على الصهيونية وما يزال باعتبارها اداة استعمارية ان تضع نفسها في خدمة الدولة الاستعمارية التي تتصدر موقع القيادة في هذا النظام .

وانطلاقا من وجهة النظر هذه يمكننا تفسير حقيقة ارتباط الصهيونية بل وتبعيتها الى مخططات الاستعمار البريطاني عندما تولى قيادة النظام الاستعماري العالمي بحكم موقعه الاقتصادي والسياسي في هذا النظام ، ومن ثم كيفية انتقال هذا الارتباط والتبعية الى الامبريالية الامريكية التي ورثت قيادة هذا النظام عن بريطانيا في أعقاب الحرب العالمية الثانية .

اما بالنسبة للامم المتحدة وقراراتها المتعلقة بفلسطين فنود الاشارة الى ان الحركة الصهيونية العالمية وكيانها المصطنع في فلسطين الذي اتخذ لنفسه صفة الدولة عام ١٩٤٨ لم يقيموا اي وزن كان لهذه المنظمة ولقراراتها وانما نظروا لها كعامل مساعد في تحقيق اهدافهم الاستعمارية . فيطرونها عندما تكون لجانبهم ويدوسون عليها بالاقدام عندما تتعارض ومصالحهم في العدوان والتوسع . وليس هذا مجرد رأي ذاتي محض بل الحقائق المتعلقة بتاريخ الدولة الصهيونية وسلوكها المدون منها الكثير في وثائق الامم المتحدة تثبت صحة رأينا هذا .

فعندما خرقت الجمعية العمومية لمنظمة الامم المتحدة ميثاقها وانتهكت حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره واوصت في ١٩٤٧/١١/٢٩ بتقسيم فلسطين التي لا تتجاوز مساحتها ٢٧٫٠٠٠ كم٢ الى ثلاثة كيانات ، رحبت الحركة الصهيونية العالمية بهذا القرار الذي اتخذ نتيجة ضغط الدوائر الامبريالية العالمية وخاصة الامريكية . ويصبح هذا الترحيب مفهوما اكثر عندما نعلم ان الصهاينة لم يملكوا حينها سوى ٦٪ من مجموع مساحة فلسطين في حين اعطتهم الامم المتحدة حقا لا تملكه بل يعود للشعب العربي الفلسطيني لاقامة دولة صهيونية على مساحة قدرها ٥٦٪ من مجموع اراضي فلسطين وفي حين كان يقطن هذا القسم عددا من الفلسطينيين العرب يبلغ ٥٠٩٫٧٨٠ نسمة و ٤٩٩٫٠٢٠ يهوديا ، بينما كانت الدولة العربية الفلسطينية المقترحة سوف تحوي ١٠٫٠٠٠ يهودي بين سكانها البالغ ٧٣٥٫٠٠٠ نسمة (صايغ السلام ص ١٦) .

فالصهاينة لم يكتفوا بما حدده مشروع التقسيم بل احتلوا ٧٧٫٤٪ من مساحة فلسطين بالقوة والارهاب المسلح مستخدمين المجازر الدموية على نمط مذبحة دير ياسين . وطردوا عنه ٧٥٠٫٠٠٠ فلسطيني عربي خارج ديارهم الى الدول العربية ولم يبق سوى ١٧٠٫٠٠٠ فلسطيني عربي داخل الدولة الصهيونية حيث صودرت املاكهم

وفرضت عليهم الاقامة الجبرية في مناطق مغلقة ومنعوا من الانتقال خارجها الا بموجب تصاريح خاصة كما هو الحال بالنسبة للسود الافريقيين في جنوب افريقيا . وقد رفضت دولة الصهاينة جميع توصيات الجمعية العمومية وقرارات مجلس الامن المتعلقة باعادة اللاجئين الفلسطينيين . لكن الدولة الصهيونية لم تتوقف عند هذا الحد بل ازداد نشاطها كاداة امبريالية فاشتركت عام ١٩٥٦ في العدوان الثلاثي المسلح الى جانب بريطانيا وفرنسا ضد مصر لاعادة السيطرة الاستعمارية على قناة السويس ونالت لقاء ذلك حق استخدام مضائق تيران المصرية .

وعندما تعاظم تيار حركة التحرر العربي عام ١٩٦٧ باتجاه تصعيد الكفاح ضد الوجود الامبريالي ولاح في الافق امكانية تأميم بعض مصادر النفط العربي سارعت الامبريالية الامريكية ودفعت الدولة الصهيونية لشن عدوان مسلح في ٥ حزيران (يونيو) لكي ترهب الحركة الثورية العربية . لقد توسعت مساحة الدولة الصهيونية بفضل هذا العدوان اربعة اضعاف عما كانت عليه قبل الخامس من حزيران . فاحتلت القسم المتبقي من فلسطين الضفة الغربية وقطاع غزة ، والبالغ مساحته ٦٢٤٠ كم٢ . كما احتلت سيناء والبالغة مساحتها ١٩٠ر٦١ كم٢ (والتي تؤلف نحو ٦ ٪ من مجموع مساحة مصر وتبلغ ضعفي مساحة اسرائيل) . واحتلت كذلك ١٥٠ر١ كم٢ في منطقة جولان السورية والتي تبلغ مساحتها نحو ٦ر٠ ٪ من مجموع الاراضي السورية .

وهكذا نرى ان الدولة الصهيونية اذ تقوم بدور الحارس الامين للمصالح الامبريالية في الوطن العربي وجلاد حركته التحررية وعازل بشري وجغرافي لشطريه في المغرب والمشرق انما تفعل ذلك بدافع مصلحتها الذاتية في النهب والتوسع . ولكن ينبغي التأكيد على انه ليس بوسع الدولة الصهيونية ان تقوم بهذه المهمات الشاقة لولا المساعدات الضخمة التي تتلقاها من الدوائر الامبريالية العالمية . فقد تلقت مساعدات مالية فقط من الولايات المتحدة بين عام ١٩٤٨ — الربع الاول من ١٩٧٣ — مبلغ قدره تسعة مليارات دولار اميركي . كما قدمت المانيا الغربية على شكل تعويضات للدولةالصهيونية حتى عام ١٩٧١ ٨ر١٠ مليار دولار . هذا ما عدى المساعدات العسكرية والاقتصادية.

ان تقديم المساعدات الضخمة للدولة الصهيونية لا يتم طبقا للعواطف الانسانية او بدافع اجتذاب اصوات الناخبين اليهود كما يجري تصويره احيانا ، بل هنالك دوافع اكثر جدية لان المستعمرين قد عودونا ان لا نرى خلف سياستهم سوى مصالحهم الانانية . وللعلم نشير الى ان سكان الوطن العربي يشكلون ٣ ٪ من عدد سكان العالم و ١٢ ٪ من دول الامم المتحدة وتزيد مساحة بلادهم بمقدار مليون كم٢ من مساحة القارة الاوروبية ويملكون اضخم احتياطي للنفط في العالم ٦٠ ٪ ويشكل وضعهم الجغرافي تقاطعا حيويا في التجارة العالمية برا وبحرا وجوا ، ولديهم طاقات اقتصادية وزراعية وصناعية ، حيث يمكن استخدامها في تسريع وتيرات التطور الاقتصادي والاجتماعي للوطن العربي اذا ما تحرر من النفوذ الاستعماري .

بعد ان حددنا الاطار التاريخي لعملية نشوء وتطور الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين يترتب علينا الانتقال الى تحديد شروط اضمحلاله .

يرتكز الوجود الصهيوني في فلسطين كأية ظاهرة اجتماعية اخرى على مجموعة من العلاقات والتي اوجدتها هنا عن وعي الحركة الصهيونية العالمية . ومما هو جدير بالملاحظة ان هذه العلاقات ليست انعكاسا لعلاقات الانتاج في المجتمع الفلسطيني انذاك كما انها ليست وليدة لاسلوب انتاجه . بل هي انعكاس لعلاقات الانتاج في المجتمعات الرأسمالية الاوروبية في مرحلة تحولها الى أمم مستعمرة . لهذا فان علاقات الدول الاستعمارية بالبلدان المستعمرة تحمل معها جميع الخصائص الجوهرية لعلاقات الانتاج

الرأسمالية وتناقضاتها القائمة على استثمار الانسان لاخيه الانسان حيث خلقت بنفسها ورغما عن ارادتها شروط زوالها .

ونظرا لكون الواقع الصهيوني الاستيطاني ودولته قائمين على اساس تشريد الشعب الفلسطيني من وطنه لذلك يصبح هذا الشعب نقيضا متعارضا موضوعيا مع الاستيطان الصهيوني ودولته اسرائيل . كما ان الغاء هذا التعارض يتطلب بالضرورة الغاء شكل العلاقة التي اوجدتها الصهيونية بين المستوطنين اليهود والشعب الفلسطيني .

ولما كانت رقعة الاستيطان الصهيوني قد توسعت بالفعل عدة مرات عن طريق القوة المسلحة وما زالت تتوسع طبقا لبرنامج محدد على حساب الدول العربية وبنفس النمط الذي استخدمته الصهيونية في فلسطين لهذا تكون الصهيونية قد خلقت حلفاء طبيعيين للشعب الفلسطيني حيث يشتد هذا التحالف طرديا مع زيادة خطر العدوان والتوسع الصهيوني .

كما ان زيادة حجم الدور الذي تضطلع به الدولة الصهيونية في تنفيذ مخططات الامبريالية العالمية سواء كان ذلك على صعيد تغلغل الاستعمار الجديد في افريقيا وآسيا حيث يجري تسريب رؤوس الاموال وارسال البعثات الاقتصادية والعسكرية عن طريق اسرائيل . ام على صعيد التخريب داخل المعسكر الاشتراكي وبشكل خاص الاتحاد السوفياتي . حيث تشن الصهيونية ودولتها اسرائيل حملة هستيرية لانقاذ مزعوم ليهود الاتحاد السوفياتي لكي يتم تهجيرهم والحاقهم بجيش الاحتلال الاسرائيلي . كل ذلك من شأنه توسيع قاعدة الجبهة المعادية للصهيونية ولدولتها في فلسطين .

وبما ان الدولة الصهيونية نفسها تشكل جيتو مغلق اقامته الصهيونية لعزل اليهود في فلسطين واخضاعهم لسيطرتها وتسخير نشاطهم لخدمة الرأسمال الاحتكاري العالمي ، واستخدامهم كأداة عدوان وتوسع ، وتخريب على الحركة الثورية العالمية الامر الذي جعلهم في وضع معاكس لاتجاه سير التطور التاريخي وخلق أساسا موضوعيا لتناقض مصلحة جماهير اليهود مع أهداف الحركة الصهيونية .

ان هذه الحقائق تشكل القاعدة التي ستنبثق منها الشروط اللازمة لزوال الدولة الصهيونية وجميع مؤسساتها .

واستطرادا لما تقدم نقول ان كفاح الشعب الفلسطيني لانهاء شكل العلاقات التي اوجدتها الصهيونية في فلسطين يشكل جزءا لا يتجزأ من كفاح جميع الشعوب المستعمرة في كل من آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية من أجل الغاء مخلفات النظام الامبريالي العالمي حيث يلتحم هذا الكفاح مع كفاح جميع الطبقات والفئات المستثمرة في المجتمع الرأسمالي لانها جميعا تخضع لاستثمار واضطهاد الرأسمال الاحتكاري العالمي .

واذا كانت هنالك بعض الخصائص المميزة لكل ظاهرة استعمارية على حدة الا انها جميعا تشترك في سمة عامة واحدة وهي كونها وليدة أسلوب الانتاج الرأسمالي في مرحلة الاستعمار .

وبما ان الربح والاثراء هو الهدف الاساسي لنشاط كل الفئات والطبقات الاجتماعية المتميزة في العالم ، لذلك تصبح مسألة المحافظة على نظام العلاقات الذي يضمن تدفق الارباح وتراكم الثروات في يد هذه الفئات مسألة حياة او موت . لان بقاءها كفئات متميزة في المجتمع يستحيل دون استمرار هذه العلاقات .

ولما كانت المنظمة الصهيونية العالمية هي الاداة السياسية والتنظيمية المعبرة عن

المصالح العليا للفئات البرجوازية الاحتكارية من الجاليات اليهودية في العالم فانه من الطبيعي بل ومن الضروري أيضا ان يكون الاثراء والربح على حساب الغير والدفاع عن نظام العلاقات الذي يكفل ذلك هو الهدف الرئيسي لنشاطها وكل ما عدا ذلك يبقى وسائل تتفاوت فقط في اهميتها بالنسبة لتحقيق هذا الهدف .

ومن هنا نستطيع ان نستنتج حقيقة كون جميع الانشاءات الفكرية التي صاغها منظرو الحركة الصهيونية العالمية حول « الامة اليهودية العالمية » و « شعب الله المختار » و« العرق اليهودي النقي » و« ابدية اللاسامية » و« عدم امكانية حل المسألة اليهودية في بلدان الاغتراب » والحنين الابدي الى « أرض الميعاد » وان « جميع الشعوب سواء كانت مجتمعة او كل منها على حدة هي لا سامية » . فهذه الانشاءات ليست سوى تبرير فكري لمنع عملية اندماج اليهود وتعزيز عزلتهم لان في ذلك يكمن سر قوة الصهيونية على اخضاع جماهير اليهود لسيطرتها ووضعهم في خدمة مصالحها العليا للاثراء والدفاع عن الامبريالية العالمية . (وهذا ما يفسر تركيز الصهيونية على تهجير اليهود السوفيات الى داخل الجيتو في فلسطين ، في حين لم تبذل اية محاولات لتهجير اليهود من الولايات المتحدة مع العلم ان عدد يهود الولايات المتحدة يفوق ضعفي يهود الاتحاد السوفياتي) .

ان النشاط الصهيوني في الحقلين الفكري والتنظيمي الموجه لعزل اليهود ومنع اندماجهم يمثل موقفا سياسيا واعيا لتلك الفئات التي تتطلب مصلحتها الطبقية اعاقة عملية الاستقطاب الطبقي في المجتمع بقصد المحافظة على علاقات الانتاج الرأسمالية. كما تستدعي وقف مفعول الميل العفوي نحو الاندماج . ان الميل العفوي نحو اندماج الناس المساهمين في عملية الانتاج بغض النظر عن لونهم وعرقهم وقوميتهم يشكل قانونا موضوعيا نابعا من طبيعة الحياة الاجتماعية حيث يزداد مفعوله طرديا مع اتساع دائرة قسمة العمل (وطنيا وعالميا) وتقدم العلم والتكنولوجيا .

وحول مقاومة العناصر الرجعية اليهودية في روسيا القيصرية ضد اندماج اليهود مع السكان هنالك كتب لينين عام ١٩١٣ متسائلا : « فعلام يدل هذا ؟ انه يدل على ان اولئك الذين يقيمون الدنيا ويقعدونها على « الاندماج » انما هم فقط اليهود البرجوازيون الصغار الرجعيون الذين يريدون ان يعكسوا اتجاه سير عجلة التاريخ . ان الاندماج لم يرذل أو يهاجم قط من قبل خيرة عناصر اليهود الذين نقشوا اسماءهم المجيدة في التاريخ اذ قدموا للعالم مرشدين طليعيين للديموقراطية والاشتراكية . والمولهون المعجبون بـ « المؤخرة » اليهودية هم وحدهم الذين يرفعون عقيرتهم ضد الاندماج »(١٥).

فاذا كان نشاط الفئات البرجوازية للجاليات اليهودية قد استطاع بالتعاون مع الرجعية العالمية في الفترة الممتدة من عام ١٨٩٧ الى عام ١٩٤٧ اقامة الجدار الروحي والتنظيمي للجيتو اليهودي على صعيد العالم ، فقد تمكنت هذه الفئات بفضل مساعدة الامبريالية البريطانية في المرحلة الاولى والامريكية في المرحلة الثانية اقامة الجدار الجغرافي للجيتو اليهودي الجديد الاكثر انغلاقا في فلسطين عام ١٩٤٨ .

ومن هنا يتضح ان الدولة الصهيونية في فلسطين ليست سوى تجسيد واقعي ملموس لعملية عزل اليهود ليس فقط ضمن جدار تنظيمي وروحي كما جرى ويجري في مختلف انحاء العالم بل ضمن جدار جغرافي أيضا ، حيث اقتضت اقامته طرد الشعب الفلسطيني من وطنه خارج الجدار الجغرافي للجيتو وحرمان هذا الشعب ليس فقط من التمتع بحق تقرير المصير السياسي كما هو الحال في البلدان المستعمرة في كل من آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية بل حرمانه كذلك من حقه الطبيعي في العيش على أرض وطنه التي حولت الى مكان لاقامة الجيتو اليهودي الجديد .

وما دامت عملية عزل اليهود داخل جدران الجيتو قائمة في فلسطين فان هذا يعني استمرار قيام المستوطنين اليهود داخل هذا الجيتو بدور اداة العدوان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني وكافة الشعوب العربية الاخرى، كما يعني كذلك استمرار خضوعهم للسيطرة الصهيونية وخدمة اهدافها التوسعية . اذا فالعدوان ليس وليد مرحلة معينة من مراحل تطور الدولة الصهيونية في فلسطين ولا هو نتيجة خطأ في سياسة الدوائر الحاكمة فيها كما يعتقد البعض ، بل أن العدوان ينبع من طبيعة تركيب هذه الدولة . فجذور هذا العدوان قد نبتت مع بدء تنفيذ البرنامج الصهيوني لاقامة الجيتو اليهودي في فلسطين الذي اتخذ شكل استعمار استيطاني على حساب الشعب العربي الفلسطيني . ولم يكن الاعلان الصهيوني عن تأسيس دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ سوى انجاز للقسم الاول من هذا البرنامج .

ولا يغير من هذه الحقيقة كون آلة الدعاية الصهيونية قد دفعت الى الاسواق بمئات الكتب السياسية والاف المقالات الصحفية لاقناع الرأي العام العالمي بان ما جرى في فلسطين عام ١٩٤٨ لم يكن سوى حرب استقلال ضد بريطانيا وللانفصال عنها . ولكن من سوء حظ الصهيونية ان الرأي العام العالمي التقدمي قد أصبح يملك اليوم رصيدا من التجارب والخبرات باساليب الاستعمار قديمة وجديدة ما يمكنه من كشف اكاذيب الامبرياليين العنصريين في جنوب افريقيا وروديسيا وفلسطين وخاصة نمط استقلالهم المزعوم الذي هو في الحقيقة سجن كبير يتم فيه اضطهاد سكان البلاد الاصليين من افريقيين وفلسطينيين .

لقد عبر الكاتب السوفياتي يوري ايفانوف عن رفضه الضمني للرأي الذي يعتبر بدء العدوان الصهيوني في الحرب التوسعية الثالثة التي شنتها الدولة الصهيونية في حزيران عام ١٩٦٧ عندما قال : « ان حرب الايام الستة ليست اول وقد تكون ليست آخر مغامرة للصهيونية العالمية اذ أن افاق مطامعها ومخططاتها لا تقف عند حدود منطقة قناة السويس »(١٦) .

واذا ما أريد فعلا العثور على حل جذري لمسألة العدوان الصهيوني فلا بد من التفتيش عليه في عملية خلق الدولة الصهيونية نفسها والتي تمثل عدوانا مزدوجا . فهي من جهة اولى قد اقيمت على حساب حرية الشعب الفلسطيني وحرمانه ليس من حق تقرير مصيره السياسي وحسب بل ومن حقه الطبيعي في العيش على أرض وطنه . ومن جهة ثانية فقد ارتكزت الدولة الصهيونية على أساس عزل اليهود في جيتو مغلق واخضاعهم لسيطرة الحركة الصهيونية التي سخرتهم للقيام بدور الأداة في اضطهاد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى حيث انطبقت عليهم الموضوعية الماركسية الشهيرة القائلة ان الشعب الذي يضطهد شعبا اخر لا يمكن ان يكون حرا . لهذا فان اي حل لمسألة العدوان الصهيوني يتجاهل هذه الحقائق الموضوعية سيبقى حلما طوباويا بعيد المنال لانه لا ينطلق من أرض الواقع بل يقفز من فوق تناقضاته .

ان الحل الجذري يتمثل في تجريد الصهيونية من سلاحها الرهيب الذي تمتلكه وتهدد به حرية الشعوب والسلم والامن ليس في منطقة الشرق الاوسط وحسب بل وفي العالم. ان هذا السلاح يتجسد في عزل اليهود ضمن جدار الجيتو الجغرافي في فلسطين والذي يتوسع باستمرار طبقا لبرنامج محدد يعكس مصلحة الصهيونية والامبريالية العالمية وخاصة الامريكية في الربح وكبت حرية الشعوب .

ان القوى التقدمية في العالم التي ترى في اللينينية « ماركسية عهد الامبريالية » لن تقع تحت تأثير الانشاءات الفكرية والحجج اللامنطقية المصاغة لتبرير حل المسألة اليهودية عن طريق خلق الحقائق الاستعمارية الاستيطانية في فلسطين . وستبقى هذه

القوى رغم بعض الملابسات ترى أن الحل الجذري الوحيد لهذه المسألة المنسجم مع اتجاه سير التطور التاريخي متمثل في الحل اللينيني المعروف بفك عزلة اليهود وتحطيم جدران الجيتو التي اقامتها الصهيونية اي بتحطيم هذه العزلة وتحقيق الاندماج . وقد كتب لينين حول هذه المسألة قائلا : « تبدأ المسألة اليهودية على هذا النحو » . أما الاندماج او العزلة . ان « القومية اليهودية » تحمل طابعا رجعيا سافرا ليس عند انصارهـــا « الصهاينة » فحسب ، بل وعند اولئك الذين يحاولون جمعها مع أفكار الاشتراكيين الديموقراطيين « البونديين » . . ان العداء للفئات الغريبة مـــن السكان سوف يمحـــى « فقط عندما تصبح الفئات اليهودية غير غريبة على السكان بل تندمج مع الجمـــاهير العاملة . انه الحل الوحيد للمسألة اليهودية وعلينا نحن أن نساند كل ما من شأنه ان يساعد في القضية على العزلة اليهودية »(١٧).

وعلى ضوء ما تقدم يمكن فهم الطابع التقدمي لشعار الدولة الديموقراطية الـــذي أعلنته الثورة الفلسطينية كهدف استراتيجي لكفاحها في مرحلة التحرر الوطني مـــن الاستعمار الصهيوني .

ان المضمون الحقيقي لهذا الشعار هو فك العزلة المفروضة على جماهير اليهـــود داخل الجيتو بفلسطين وتحريرهم من القيود التي تكبلهم بها الصهيونية وتربطهم بعجلة الرأسمال الاحتكاري العالمي ، ومن الجهة الثانية عودة الشعب العربي الفلسطيني الى وطنه وخلق الاسس الواقعية لاندماج طوعي تدريجي بين كافة المواطنين في فلسطين بغض النظر عن لونهم او عرقهم او أصلهم الاثني وخلق علاقات جديدة فيما بينهم طبقا لموقع كل منهم في عملية الانتاج اي الغاء الطابع الاستعماري العنصري الـــذي يميز العلاقات بين الجماعات البشرية داخل فلسطين . فالحل الديموقراطي لمسألة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين (والعدوان احدى خصائصه) يعني الغاء جميـــع أنواع العلاقات التي أوجدتها الصهيونية في فلسطين . ان هذا الحل يلغي العلاقات ذات الطابع الاستعماري والعنصري فقط والتي يترتب عليها سيطرة جماعة أثنية او دينيـــة على جماعة اخرى . ونحن لا نزعم انه سيحل بشكل آلي المسألة الطبقيـــة . الا أن طبيعة العصر الذي يجري فيه الكفاح لتصفية الوجود الصهيوني في فلسطين وترابط هذا الكفاح بحركة التحرر العربي التي اخذ مضمونها الاجتماعي يغلب على المضمـــون السياسي ، وكذلك ازدياد تأييد القوى التقدمية في العالم وخاصة المعسكر الاشتراكي لحركة التحرر الوطني الفلسطيني ، هذه العوامل ستمارس بالتأكيد تأثيرها علـــى مجرى سير العملية الثورية ضد الكيـــان الصهيوني . وستؤدي بجانب عوامل داخلية ايضا الى تغيير نسبة تركيب القوى الوطنية داخل حركة التحرر الفلسطيني لصالح القوى ذات المصلحة في الحل الطبقي . ويمكن القول انه ستنشأ ظروف جديدة تمكن من وصل عملية التحرر الديموقراطي من الاستعمار الاستيطاني الصهيوني بعملية التحرر الاجتماعي كما حصل في بعض الثورات الاخرى،اي حل المسألة الطبقية داخل فلسطين. كما أنه سيترتب على التحرير نقل ملكية الاحتكارات الصهيونية في فلسطين الى ملكية الدولة الديموقراطية الجديدة الامر الذي سيخلق حقائق جديدة ليست في مصلحة الفئات البرجوازية على اقل تقدير . لكن ذلك سابق لاوانه الان .

ان الكفاح المسلح الذي تخوضه الثورة الفلسطينية لتحقيق الدولة الديموقراطية على كامل التراب الفلسطيني هو تطبيق عملي لشعار « اخرجوا من المستعمرات » . وفي معرض دفاعه عن هذا الشعار ربط لينين بعبقريته الفذة بين الثورة الاجتماعية فـــي البلدان الرأسمالية المتطورة (استعمارية) والثورة الوطنيـــة التحررية فـــي البلدان المستعمرة فقال : « ان الثورة الاجتماعية لا يمكن ان تحدث الا في شكل عصر تتحالف

فيه الحرب الاهلية التي تشنها البروليتاريا ضد البرجوازية في البلدان المتقدمة مع سلسلة كاملة من الحركات الديموقراطية الثورية بما فيها حركة التحرر الوطني في الامم غير المتطورة والمتأخرة المضطهدة »(١٨).

وحول المكانة التي تحتلها حركة التحرر الديموقراطي للمستعمرات في الحركة الثورية العالمية والعلاقة بين تحررها السياسي وتحررها الاجتماعي كتب لينين عام ١٩١٦ قائلا : « اما الماركسيون فهم يعلمون ان الديموقراطية لا تلغي الاضطهاد الطبقي بل تجعل صراع الطبقات أكثر صفاء واتساعا ووضوحا وجلاء . وهذا بالضبط ما نحن بحاجة اليه . فكلما كانت حرية الطلاق أوسع نطاقا اتضح للمرأة بمزيد من الجلاء ان علة عبوديتها البيتية هي الرأسمالية ، لا انعدام الحقوق . وكلما كانت المساواة بين الامم في الحقوق أكثر كمالا (...) وكلما كان النظام أكثر ديموقراطية اتضح لعمال الامة المضطهدة بمزيد من الجلاء ، ان الرأسمالية هي رأس الداء ، لا انعدام الحقوق وهكذا دواليك »(١٩).

واذا كان نشوء وتطور الصهيونية وعملية استيطانها الاستعمارية لفلسطين قد حدث في سياق التوسع الاستعماري الاوروبي في بلدان ما وراء البحار فان من الضروري الاشارة الى ان عملية تحطيم الواقع الصهيوني في فلسطين تجري في سياق العملية التاريخية الجبارة لشعوب آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية لتحطيم النظام الامبريالي العالمي بل وفي الفترة الاخيرة من حياة هذا النظام . ولذلك يجب ان لا يثير استغرابنا الدفاع المستميت الذي تبديه الامبريالية العالمية عن وجودها في فلسطين لانه يشكل احد اهم معاقلها التي بقيت في أيديها بعد ان تحررت مئات الملايين من الشعوب المستعمرة .

ان كفاح الشعب العربي الفلسطيني ليست ظاهرة منعزلة بل يرتبط عضويا بالكفاح البطولي الذي تخوضه الشعوب المضطهدة للتخلص من عبوديتها والانطلاق نحو حياة أفضل .

كما أن شعار الدولة الديموقراطية ليس جديدا في حد ذاته على برنامج الحركة الوطنية الفلسطينية بل أن مضمون هذا الشعار يأخذ طابعا اكثر تقدمية في هذه المرحلة من تطور الكفاح الوطني التحرري الفلسطيني والذي يجري في ظروف تاريخية جديدة تتميز بتسارع وتيرات تفكك النظام الامبريالي العالمي .

فتاريخ فلسطين الحديث وخاصة القسم المتعلق منه بالكفاح الوطني ضد الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيوني في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الاولى حتى قيام الدولة الصهيونية العنصرية عام ١٩٤٨ ، يشهد ان شعار اقامة دولة ديموقراطية واحدة لكل الفلسطينيين دون استثناء ، قد كان مطلبا جماهيريا وهدفا اساسيا لهذا الكفاح الذي استغرق قرابة الثلاثين عاما على الارض الفلسطينية . ولم يختف هذا الشعار الا في الفترة التي اعقبت تشريد الشعب الفلسطيني خارج حدود وطنه حيث اجهض كفاحه بالعنف الامبريالي الصهيوني والرجعي العربي .

ولكن مع تصاعد الكفاح الثوري للجماهير الفلسطينية في اوائل الستينات من هذا القرن باتجاه تغيير الواقع المفروض من قبل الصهيونية وحلفائها اخذت الحركة الوطنية الفلسطينية تتحرر شيئا فشيئا من الشعارات الخاطئة . ويقول الدكتور محمد رشيد أحد مفكري الثورة الفلسطينية في هذا الصدد « أخذت تتكون نظرة جديدة الى العدو واصبح هناك معنى للتمييز بين اليهودي والصهيوني . كما أدى الادراك بأن الثأر ليس سببا لشن حرب تحررية الى مزيد من تمحيص الاهداف »(٢٠).

ان التخلص من الافكار الخاطئة الناجمة عن الويلات التي حلت بالشعب الفلسطيني

نتيجة قيام الدولة الصهيونية ليس عملا سهلا بل هو عمل معقد ويحتاج الى جهود متواصلة من قبل الثورة الفلسطينية وقيادتها . لهذا يقول الدكتور م. رشيد « عكف القادة الثوريون على البحث والدرس الجدي في الموضوع وبرز تعلم الحقائق القديمة من جديد ، فاليهود ذاقوا الاضطهاد على أيدي المجرمين العنصريين تحت حكم النازية ، وهذا ما حل بنا « نحن » في ظل الصهيونية . ولقد جرى اكتشاف العديد من المقارنات التي توحي بوجود التشابيه والتوازي غراح الثوريون يتساءلون : « كيف لنا أن نكره اليهود كيهود ؟ وكيف نقع في الفخ العنصري ذاته »(٢١).

ومرة اخرى يأتي الدليل المادي على صحة الموضوعة الماركسية القائلة ان الانسان عندما يغير الطبيعة (والواقع الاجتماعي والسياسي جزء منها) فانما يغير نفسه أيضا . فالمفاهيم الثورية يجري صقلها وتطويرها في سياق العملية الثورية لتغيير الواقع . ولذلك يقول الدكتور م. رشيد : « ان الثورة جلبت معها النضج للمقاتلين »(٢٢).

وحول دور الممارسة الثورية في صقل المفاهيم الثورية تقول الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين : « اننا من خلال المعركة سنكتسب الوعي السياسي لحقائق العصر . ومن خلال المعركة سنلقي بالاوهام ونتعلم قيمة الحقائق »(٢٣).

ان الكفاح المسلح من أجل اقامة الدولة الديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني لا بد وأن يمر بالضرورة عبر تحطيم الكيان الصهيوني المرتكز على مجموعة من العلاقات التي يجري تثبيتها بواسطة ادوات خاصة . فالغاء العلاقات التي فرضتها الصهيونية وتحرير الانسان منها يهوديا كان أم مسيحيا أم مسلما ام لادينيا يستحيل دون تحطيم هذه الادوات . لهذا فان تحطيم الكيان الصهيوني يمس فقط هذه العلاقات والادوات ولا يمس من قريب او بعيد الوجود الفيزيائي للانسان اليهودي في فلسطين الا بمقدار ما يبدي هذا الانسان من تعلق بالصهيونية ودفاع عن هذه العلاقات والادوات .

ومنعا لحدوث أي التباس حول تعبير « الديموقراطية » الواردة في هذا الشعار نود ان نشير الى ان المعنى المقصود لهذا التعبير هنا ليس المعنى الحقوقي البرجوازي المتعارف عليه بمبدأ تقسيم السلطات في الدولة بل انما المقصود هو المعنى التاريخي المتعلق بنمط العلاقات التي فرضتها الدول المستعمرة على الشعوب المستعمرة في فترة تاريخية معينة ، حيث شكل الضم والالحاق الاستعماريين مضمون هذه العلاقات . فمسألة تحطيمها واحلال علاقات من نمط جديد مكانها قائمة على المساواة في الحقوق والمنفعة المتبادلة ومعاداة جميع أشكال الاضطهاد والتمييز والانغلاق العنصري هو المقصود هنا بشعار تحقيق الديموقراطية في فلسطين . لذلك فالدولة الديموقراطية الواحدة في فلسطين تشكل نقيضا متعارضا للدولة الصهيونية من حيث كون الدولة الديموقراطية تمثل نمطا جديدا من العلاقات يختلف نوعيا عن النمط السائد الان ويستحيل التوفيق بين هذين النمطين او التعايش بينهما في آن معا . وحل هذا التعارض يمر بالضرورة من خلال تحطيم جميع الاجهزة والمؤسسات الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي تكرس السيطرة الصهيونية العنصرية المتمثلة في الدولة الصهيونية . وفي طليعة الاجهزة الصهيونية هذه تقف المؤسسة العسكرية الاسرائيلية المزودة باحدث أدوات التدمير والابادة المصنوعة في الولايات المتحدة الامريكية لكي تنجز مهمة العدوان والتوسع وارهاب حركة التحرر العربي .

لقد اثبت نشاط الدولة الصهيونية خلال وجودها على امتداد ٢٥ عاما ان العنف الامبريالي المسلح هو الاسلوب المعتمد من قبلها لفرض السيطرة الصهيونية الامبريالية في فلسطين ومنطقة الشرق الاوسط . كما ثبت ايضا ان العنف الثوري المسلح من

جانب الجماهير الشعبية صاحبة المصلحة الحقيقية في التحرر من هذه السيطرة هو الاسلوب الوحيد القادر على مجابهة الوجود الصهيوني وانهائه .

وكما أن العنف الامبريالي الصهيوني المسلح ليس هدفا في حد ذاته بل هو وسيلة لفرض السياسة الامبريالية الصهيونية ، فان العنف الثوري المسلح من جانب الجماهير المضطهدة ليس هدفا في حد ذاته ايضا بل هو امتداد لسياسة هذه الجماهير الرامية الى التحرر من السيطرة الامبريالية الصهيونية واقامة حياة ديموقراطية جديدة .

ان العنف الثوري المسلح الذي تمارسه حركة التحرر الوطني الفلسطيني لاسقاط الوجود الصهيوني واقامة الدولة الديموقراطية في فلسطين مكانه يمثل حربا وطنية عادلة تجري في سياق العملية التاريخية الجبارة لتصفية النظام الامبريالي العالمي . وعدالتها تنبع من كونها موجهة لتحطيم أحد أهم معاقل هذا النظام في عصرنا الراهن .

ان معرفة العلاقة بين الحرب والعصر الذي تشن فيه تكتسب اهمية قصوى بالنسبة لمن يهمهم فهم محتوى هذه الحرب وتحديد موقف منها .

وحول الموقف من الحرب العالمية الاولى كتب لينين : « ان المهمة هي أن نحدد بصورة صحيحة العلاقة بين العصر والحرب الراهنة فمن غير الممكن فهم الحرب الراهنة بدون فهم العصر »(٢٤) .

وقال لينين ايضا : « ينبغي التمييز بين حرب وطنية حقا وبين حرب امبريالية مموهة تحت شعارات وطنية » وتساءل لينين : « ما السبيل اذن الى اماطة اللثام عن «الماهية الواقعية» للحرب وكيف تحددها » ويجيب لينين على ذلك بقوله : ان الحرب هي استمرار السياسة . وينبغي ان تدرس السياسة قبل الحرب ، السياسة التي افضت وتفضي الى الحرب فاذا كانت السياسة امبريالية اي اذا كانت تدافع عن مصالح الرأسمال المالي وتنهب وتضطهد المستعمرات والبلدان الاجنبية فان الحرب التي تنجم عنها هي حرب امبريالية . واذا كانت سياسة تحرر وطني اي اذا كانت تعبر عن حركة جماهيرية ضد الاضطهاد القومي فان الحرب التي تنجم عنها هي حرب تحرر وطني»(٢٥) .

وكثيرا ما يعترض بعض التقدميين في العالم على شعار الدولة الديموقراطية في فلسطين بحجة انه غير واقعي اي غير قابل للتحقيق بحكم واقع التفوق العسكري للدولة الصهيونية المدعومة من الامبريالية العالمية وخاصة الامريكية ولكن نحب ان نذكر هؤلاء الرفاق أن لينين قد عالج مثل هذا النمط من المواقف المتجاهلة لجدلية الواقع وتغيره باستمرار لصالح القوى النامية التي تمثل المستقبل فكتب يقول : « ان المهم بالنسبة للرجل العادي (العامي) ، هو معرفة أين تقف القوات ؟ ولمن الغلبة في الوقت الراهن . أما بالنسبة الى الماركسي فان المهم هو معرفة ما الهدف الذي تشن لاجله الحرب الراهنة التي يمكن تارة لهذا الجيش وطورا لذاك أن ينتصر فيها»(٢٦) . ان الحرب التي تخوضها فصائل الثورة الفلسطينية المسلحة تمثل امتدادا لسياسة الشعب العربي الفلسطيني في التحرر من الصهيونية والامبريالية العالمية وتهدف الى تثبيت حقه في العيش بوطنه الى جانب المواطنين اليهود الراغبين في العيش معه بسلام ومساواة بعيدا عن تأثير الشوفينية والعنصرية ومصالح الامبريالية . انه كفاح من أجل حق تقرير المصير على كامل تراب الوطن والذي ينسجم كل الانسجام مع الموضوعة اللينينية الشهيرة حول حق تقرير المصير القائلة ان « حرية الامم في تقرير مصيرها لا تختلف في شيء عن الكفاح في سبيل تحرر الامة الكامل وفي سبيل الاستقلال الكامل وضد الالحاقات . والاشتراكيون لا يستطيعون ان يرفضوا شن مثل هذا النضال في مختلف أشكاله بما في ذلك التمرد والحرب من دون أن يكفوا عن أن يكونوا اشتراكيين »(٢٧) .

وعلى الرغم من أن الحرب التحررية التي يخوضها الشعب الفلسطيني ضد الدولة الصهيونية العنصرية تندرج تحت نمط الثورة الوطنية الديموقراطية ، الا أنها مع ذلك تتميز ببعض الخصائص النابعة من طبيعة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الذي تميز عن أشكال الاستعمار الاخرى بطرد السكان الاصليين واحلال المستوطنين مكانهم .

ان تفكيك الواقع الصهيوني القائم على أساس ان جماعة بشريـــة مشردة وجماعة اخرى مشردة ، جماعة مضطهدة وجماعة اخرى مضطهدة ، جماعة تتمتع بامتيازات متعددة وجماعة اخرى محرومة نسبيا من جميع الحقوق بما فيها حق العيش في أرض الوطن ، جماعة يرتبط نشاطها بمخططات الامبريالية العالمية وجماعـــة اخرى يرتبط نشاطها بحكم الضرورة مع حركة التحرر الوطني في المنطقة والعالم . نقول ان تفكيك هذا الواقع الاستعماري واستبداله بواقع جديد ديموقراطي تقدمي هو الهدف الاساسي لحركة التحرر الوطني الفلسطيني وهو يشكـــل المضمون الحقيقـــي لشعار الدولـــة الديموقراطية التقدمية في فلسطين .

ولا بد من الاشارة الى أن امتلاك الصهيونية آلة حرب متطورة مدعومة من الامبريالية العالمية وانتصارها في ثلاث حروب عدوانية توسعية خلال ٢٥ عاما مـــن وجودها لا يستطيع ان يكون سببا في عدم شن الكفاح المطلوب لتحطيم هذه الالة . بل العكس هو الصحيح ، حيث يشكل سببا مباشرا وضرورة حتمية لخوض حرب ثورية طويلة الامد تحشد فيها الجماهير صاحبة المصلحة في التحرر من الصهيونية كل امكانياتها البشرية والمادية . ومن الخطأ الفادح الاعتقاد بأن مثل هذه الحرب التحررية مستحيلة لاعتبارات آنية منها التضحيات المطلوب تقديمها لاحراز النصر في هذه الحرب . وقد واجه لينين مثل هذه المواقف قبل أكثر من نصف قرن حيث كتب يقول : « وغالبا ما تستخدم عبارة « استحالة التحقيق » بمعان شتى وغير محددة بما فيها الكفايـــة . ولهذا طالبنا في أطروحتنا بما تفرضه كل مناقشة نظرية تفسير المعنى المقصود من « استحالة التحقيق » تلك ، ونحن لم نكتف بطرح السؤال ، بل شرعنا بالاجابة عليه . فاذا كان المقصود ان التحقيق سيثير مصاعب سياسية او انه لن يكون ممكنا بدون سلسلة من الثورات فان المطالب الديمقراطية كافة هي « غير قابلة للتحقيق في عصر الامبريالية »(٢٨) .

لقد عملت الحرب الصهيونية الامبريالية الثالثة عـــام ١٩٦٧ على تعـــرية الوجود الصهيوني في فلسطين وتبيان حقيقته كعدو ليس للشعب العربي الفلسطيني وحسب وبل لمجمل حركة التحرر العربي والعالمي وأوضحت كذلك دور هذا الوجود في الدفاع عـــن المصالح الامبريالية العالمية وخاصة الامريكية . وهذا برهان جديد على ان الغاء هذا الوجود ليس ممكنا وحسب بل هو ضرورة تاريخية تقتضيها مصلحة التقدم والتطور . وكما ان كل شيء في الواقع الاجتماعي هو فعل وعمل أي ممارسة ، فان الانتقال الى الضرورة التاريخية يفترض أيضا العمل والممارسة وان كان ذلك ضمن شروط معينة .

وهكذا عندما يعترف التقدميون ان الكيان الصهيوني هو جزء من الامبريالية تكون في سياق نشاطها يصبحون عندئذ ملزمين بموقف محدد تجاه هذا الكيان .

وعندما تشن حرب ثورية لانهاء هذا الكيان يصبح التقدميون ملزمين بموقف محدد لدعم هذه الحرب الثورية .

وعندما يعترف التقدميون (ماركس ولينين في طليعتهم طبعا) ان عزل اليهود ومنع اندماجهم هو السلاح الفعال الذي تفرض بواسطته الصهيونية سيطرتها على اليهود وتسخرهم لخدمتها ، يصبح التقدميون ملزمين بموقف حازم يهدف الى نزع هذا السلاح من يد الصهيونية وذلك بتحطيم العزلة وتحقيق الاندماج .

وعندما يعترف التقدميون ان الكيان الصهيوني في فلسطين يقوم على أساس فرض هذه العزلة ضمن اطار جيتو جديد هو اسرائيل ، يصبح التقدميون ملزمين بموقف محدد يهدف الى ازالة الحواجز الجغرافية والفكرية والتنظيمية بين اليهودي وغير اليهودي في فلسطين . كما يصبح التقدميون ملزمين كذلك بمقاومة الحل القائم على اساس استمرار أي شكل من أشكال العزلة مخففة كانت أم مركزة . أي بمقاومة خلق أو تثبيت الكيانات ذات الطابع الاثني او العنصري في فلسطين لان ذلك يعني استمرار سيطرة الصهيونية على اليهود من جهة ومواصلة العدوان والتوسع الصهيوني على حساب الشعب العربي الفلسطيني والشعوب العربية من الجهة الاخرى .

وعندما يعترف التقدميون ان تثبيت عزلة اليهود عن غيرهم في فلسطين يجري بواسطة أجهزة صهيونية متعددة حيث تمثل قيدا على حرية اليهودي وغير اليهودي في فلسطين عندئذ يصبح التقدميون في العالم ملزمين بموقف محدد تجاه الكفاح الثوري الذي يخوضه التقدميون اليهود داخل الجيتو لفك عزلتهم داخل اسرائيل والمرتبط عضويا مع كفاح الفلسطينيين المشردين للعودة الى وطنهم وتحقيق الاندماج الطوعي داخل الدولة الديموقراطية التقدمية في فلسطين .

وحول وضع مشابه كتب لينين يقول : « عندما يعترف الاشتراكيون بأن هذه الحرب أو تلك مرتبطة بمصالح التحرر الوطني يصبحون ملزمين بتكتيك محدد وعندما يعترفون بأن حربا من الحروب هي حرب امبريالية توسعية ذات مآرب لصوصية يترتب عليهم تكتيك آخر »(٢٩) .

---

١ — ف.ا.لينين: **المؤلفات الكاملة** ، الجزء ٨ ، ص ٧٤ (راجع يوري ايفانوف ، **احذروا الصهيونية** ، ترجمة أحمد داود ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في سوريا ، بالعربي ، ص ٤٨ .

٢ — ف.ا.لينين : **المؤلفات الكاملة**، المجلد ٢١، ص ٣٠٩ — ٣٢٠ ، (**نصوص حول الوطن والوطنية** ، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة بيروت ، ص ٥٠—٥١ بالعربي) .

٣ — ف.ا. لينين : **المؤلفات الكاملة** ، الجزء ٥، ص ٧٤ (ايفانوف ، **احذروا الصهيونية** ، ص ٧ ، بالعربي) .

٤ — ايفانوف ، ص ٥٢ ، عن
Charles P. Daly, *The settlement of the Jews in North America :* N.Y. 1939 (quoted : Sokolow N. Vol. I), p. 57.

٥ — ايفانوف ، ص ٥٣ .

٦ — Sokolow N., *History of Zionism,* Vol. II, p. 230, London.

٧ — *Ibid.*, Vol. I, p. 138.

٨ — ايفانوف ، ص ٥٦ — ٥٧ .

٩ — *Max Nordau to his people.* N.Y. 1941, p. 57.

١٠— ايفانوف ، ص ٢٢ ، بالعربي .

١١ — ف.ا. لينين، **المؤلفات الكاملة**، المجلد ٢١، ص ٣٠٩ — ٣٢٠ ، كتب في تموز — آب ١٩١٥؛ (راجع كتاب **نصوص حول الوطن والوطنية** ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٥٤ — ٥٥) .

١٢ — الدكتور اميل توما ، **جذور القضية الفلسطينية** ، ص ٨٦ — ٨٧ ، مركز الابحاث ١٩٧٣ ، بيروت ، كذلك ايفانوف ، ص ١٤٣ .

١٣ — Dr. Fayez A. Sayegh. *Palestine, Israel and Peace,* Beirut. 1970. p. 11-12.

١٤ — الاحصاءات حول مساحة الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، ونسبتها مأخوذة عن **شؤون فلسطينية** ، عدد ٢٢، من مقال انطوان بطرس.

١٥ — ف.ا. لينين ، كتب في تشرين الاول وكانون الاول عام ١٩١٣ ، **المؤلفات الكاملة** ، المجلد ٢٠ ، ص ١٥ — ٢٢ . راجع كتاب **نصوص حول المسألة اليهودية** — دار الطليعة بيروت ، تموز (يوليو) ١٩٧٢ .

١٦ — ايفانوف يوري ، ص ٢٤١ .

١٧ — ف.ا. لينين ، **المؤلفات الكاملة** ، الجزء

٨ ، ص ٧٤ — ٧٥ ، انظر ايفانوف بالعربي ، ص ٢٥٩ .

١٨ — ف.ا.ا. لينين، (كتب بين آب وتشرين الاول ١٩١٦) **المؤلفات الكاملة** ، المجلد ٢٣ ص ٢٧ — ٨٣ . (راجع **نصوص حول الوطن والوطنية** ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ١٤٠) .

١٩ — **المصدر نفسه** ، طرابيشي ، ص ١٥٩ — ١٦٠ .

٢٠ — الدكتور محمد رشيد ، **نحو فلسطين ديموقراطية** ، مركز الابحاث في م.ت.ف. ، بيروت ، ص ١٨ .

٢١ — **المصدر السابق** ، ص ١٩ .

٢٢ — **المصدر السابق** ، ص ١٨ .

٢٣ — الجبهة الشعبية ، **فلسطين : نحو حل ديموقراطي** (كراس) ص ٢٠ ، ١٩٧٠ ، دائرة الاعلام .

٢٤ — ف.ا.ا. لينين ، كتب في آب ١٩١٦ **المؤلفات الكاملة** ، المجلد ٣٥ ، ص ٢٢٦ — ٢٢٨ ، (راجع **نصوص حول الوطن والوطنية** ، ترجمة جورج طرابيشي ، ص ٩٠) . **المصدر السابق نفسه** .

٢٥ — ف.ا.ا. لينين (كتب بين آب وتشرين الاول ١٩١٦) ، **المؤلفات الكاملة** ، المجلد ٢٣ . ص ٢٧ — ٨٣ . (راجع **نصوص حول الوطن والوطنية** ، **المصدر السابق** ، ص ١٠١) .

٢٦ — **المصدر السابق** ، جورج طرابيشي ، ص ١٠٢ .

٢٧ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠٣ .

٢٨ — **المصدر نفسه** ، ص ١١٢ .

٢٩ — ف.ا.ا. لينين ، (كتب في نهاية ١٩١٥ ، **المؤلفات الكاملة** ، المجلد ٢١ ، ص ٤٥٧ — ٤٦٠) ، (راجع **نصوص حول الوطن والوطنية**، ترجمة ج. طرابيشي ، ص ٦٤ . **المصدر السابق**) .

THE ARAB-ISRAELI CONFLICT :
THE PEACEFUL PROPOSALS
1948 - 1972

BY

LEILA S. KADI

Published recently by the
Palestine Research Center,
P.O. Box 1691, Beirut

108 pages
2 L.L. for a copy
Plus postal Charges : 0.50 L.L. Arab World,
1 L.L. Europe, 2.50 L.L. Other Countries.

القوة العاملة والاستخدام
في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ :

تحليل احصائي وتقديرات

الدكتور محمد فريد البستاني

نعمد في دراستنا لاوضاع وتطور القوة العاملة في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ الى اظهار الطاقات البشرية الفلسطينية في هذه البقعة من العالم العربي وكيف تسعى اسرائيل الى الاستفادة من جزء لا بأس به من هذه الطاقات في عملية الانتاج الهادفة الى تنمية الاقتصاد الاسرائيلي وخاصة في قطاع البناء . واسرائيل ان تقدم على ذلك فهي تسعى اولا ، الى تخفيض كلفة الانتاج لكثير من سلعها عن طريق استخدام يد عاملة ذات أجر منخفض اذا قورنت باليد العاملة الاسرائيلية ثانيا ، الى افقار سوق العمل في الاراضي المحتلة من اليد العاملة العربية وبالتالي عجز المزارع والتاجر العربي عن الوقوف في وجه المضاربة الاسرائيلية الهادفة الى تحطيم الدعائم الاقتصادية للاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . كما اننا نهدف ، عن طريق مقارنة مؤشرات العمالة المعدومة بمثيلاتها في الدول العربية المجاورة ، الى اظهار وتحديد الطابع الاقتصادي للمأساة التي يعيشها العرب في الاراضي المحتلة .

اما الارقام الاحصائية المعتمد عليها في هذه الدراسة فهي مستوحاة، بصورة أساسية، من « نشرة الاحصاءات الشهرية للاراضي المحتلة » بعد حرب حزيران ١٩٦٧ والصادرة عن المكتب المركزي للاحصاء في اسرائيل .

تعاريف ومفاهيم : لا بد لنا من الاشارة الى طبيعة البيانات الاحصائية المعالجة ومدى شمولها . الواقع ان البيانات الواردة في هذه الدراسة ليست نتيجة حصر شامل سكاني للاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وانما هي بيانات ناتجة عن دراسة للقوة العاملة عن « طريق العينات العشوائية » وبحيث عممت النتائج فشملت كامل الطاقات البشرية في هذه الاراضي المحتلة . وعندما نتكلم عن القوة العاملة العربية في الضفة الغربية وفي قطاع غزة وشمال سيناء ، فاننا نحدد شمول القوة العاملة بما يلي : تشمل القوة العاملة كل فرد فوق الـ ١٤ سنة ويقوم بنشاط اقتصادي معين او الفرد الذي له مهنة معينة ويبحث عن عمل . اذن القوة العاملة ، في بحثنا هذا ، هي جزء من السكان الذين هم فوق الـ ١٤ سنة .

أما في تحليلنا للاستخدام فاننا نقصد بالمستخدمين كل من يعمل في المؤسسات الحكومية العامة والخاصة ، اي أن فئة المستخدمين تشمل كل شخص يعمل باجر .

القوة العاملة في الضفة الغربية

القوة العاملة الفلسطينية في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ هي جزء من القوة العاملة الفلسطينية المشتتة في بقاع العالم العربي ولا بد لنا من تحديد الطاقات البشرية للشعب الفلسطيني للعمل على الاستفادة منها وتوجيهها لكسب معركة المصير. والاكثر من ذلك ان اسرائيل تحاول استغلال الطاقات البشرية الفلسطينية لدفع عجلة التطور الاقتصادي الاسرائيلي ، ولهذا فمعرفة الهيكل التركيبي للقوة العاملة من جهة وتطورها الزمني من جهة ثانية يشكلان الخطوط العريضة في هذه الدراسة .

١ ــ الذكور والقوة العاملة في الضفة الغربية : يظهر الجدول رقم (١) ، الاهمية النسبية لمشاركة الذكور في القوة العاملة ولقد سجلت هذه النسبة خلال الفترة ١٩٦٩ ــ ١٩٧١ معدلا وسطيا قدره ٦٢ ٪ وهي نسبة تقع في حدود مثيلاتها في البلاد العربية المجاورة ــ وبالفعل فقد بلغت نسبة مشاركة الذكور في القوة العاملة في الجمهورية العربية السورية ، حوالي ٦٨ ٪ (١) . ــ أما الجزء الباقي والذي يبلغ ٣٨ ٪ فمعظمه من تلاميذ المدارس الثانوية وطلاب الدراسات العليا بالاضافة الى غير القادرين على العمل بسبب العجز والمرض . وعلى الاغلب ان الانخفاض النسبي لمشاركة الذكور في القوة العاملة يعود الى الظروف التي يعيشها العرب الفلسطينيون من تعذيب وتشنيع بحيث أصبح قسما لا بأس به من القوة البشرية يعيش على هامش الحياة الاقتصادية بالرغم من الطابع الانتاجي للمجتمع الفلسطيني(٢) .

أما من ناحية التطور الزمني للقوة العاملة من الذكور . فاننا نلاحظ من الجدول رقم (١) تزايدا ملموسا في السنتين الاخريتين ١٩٧١ ، ١٩٧٢ وبالفعل فقد ازدادت القوة

جدول رقم (١) : القوة العاملة من الذكور في الضفة الغربية من ١٩٦٩ وحتى ١٩٧٢ (بالآلاف)

مؤشرات / السنوات	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
الذكور فوق سن الـ ١٤	١٤٨٫٦	١٥٣٫٧	١٥٧٫٧	١٦٠٫٩
القوة العاملة من الذكور	٩٢٫٤	٩٤٫٤	٩٧٫٨	١١٠٫٢
العاملون	٨٨٫٢	٩١	٩٥٫٣	١٠٩٫٢
المتعطلون	٤٫٢	٣٫٤	٢٫٥	١
نسبة العطالة (٪)	٤٫٦	٣٫٦	٢٫٦	٠٫٩

* ارقام ١٩٧٢ تمثل القوة العاملة في الربع الثاني من العام ولا تمثل العام بكامله .

١ ــ عادة تقدر العمالة بنسبة القوة العاملة الى القوة البشرية ١٤ ــ ٦٥ وفي هذه الحالة تبلغ النسبة في الجمهورية العربية السورية ٧٥ ٪ للذكور ، أما النسبة ٦٨ ٪ فقد حسبت باعتبار القوة البشرية هي فئة فوق الـ ١٤ سنة وذلك بدافع المقارنة مع الاراضي المحتلة .

٢ ــ دراسة السكان في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ــ للكاتب « شؤون فلسطينية » العدد رقم ٢٣ ــ تموز ١٩٧٣ .

العاملة المذكرة من ٩٢،٤ الفا في عام ١٩٦٩ الى ٩٧،٨ الفا في عام ١٩٧١ اي بزيادة قدرها ٥،٤ آلاف ولقد دلت الارقام المتوفرة لعام ١٩٧٢ عن زيادة هامة في القوة العاملة. أما العطالة فقد سجلت تناقصا ملحوظا اذ هبطت من ٤،٦ ٪ في عام ١٩٦٩ الى ٢،٦ ٪ في عام ١٩٧١ الى ٠،٩ ٪ لعام ١٩٧٢ حيث تناقص عدد العاطلين عن العمل من ٤،٢ آلاف لعام ١٩٦٩ الى ١٠٠٠ متعطل لعام ١٩٧٢ وهذا التناقص الملحوظ يعود الى تشغيل قسم كبير من المتعطلين في قطاع البناء داخل فلسطين المحتلة وذلك بعد خضوعهم الى دورات تدريبية مهنية .

تقتصر البيانات لعام ١٩٧٢ على حجم القوة العاملة من الذكور وعدد المتعطلين وذلك للفترة (نيسان ، ايار ، حزيران) من نفس العام واذا اخذنا موسمية العمل وطبيعة التغيير الحادثة في عام ١٩٧١ فاننا نقدر حجم القوة العاملة لعام ١٩٧٢ بحوالي ١٠٧ آلاف أي بزيادة قدرها ٦٢٠٠ عامل عن ١٩٧١ .

من الجدير بالذكر ان الزيادة المحسوسة في القوة العاملة المذكرة ، ليست موجهة بكاملها لدعم وخدمة اقتصاد الضفة الغربية وانما الجزء الكبير منها لخدمة اسرائيل وذلك بصورة مباشرة عن طريق مشاركتها في عملية الانتاج والنمو الاقتصادي الاسرائيلي وبصورة غير مباشرة عن طريق عدم مشاركتها في الحفاظ على دعائم الاقتصاد العربي الفلسطيني في الضفة الغربية .

جدول رقم (٢) : القوة العاملة من الاناث في الضفة الغربية من ١٩٦٩ وحتى ١٩٧٢ (بالآلاف)

مؤشرات / السنوات	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
الاناث فوق سن الـ ١٤	١٦٥،١	١٦٩،٢	١٧٢،٢	١٧٤،٥
القوة العاملة من الاناث	٢٢،٢	٢٤	٢١،٩	٢٤،١
العاملات	٢١،٧	٢٣،٦	٢١،٥	٢٤
المتعطلات	٠،٥	٠،٤	٠،٤	٠،١
نسبة العطالة (٪)	٢،٢	١،٧	١،٨	٠،٤

* ارقام ١٩٧٢ تمثل القوة العاملة من الاناث في الربع الثاني من العام ولا تمثل العام بكامله .

٢ — الاناث والقوة العاملة في الضفة الغربية : بصورة عامة ان نسبة مشاركة الاناث في القوة العاملة هي اقل بكثير من مشاركة الذكور والسبب هو فئة « ربات البيوت » المعتبرة خارج قوة العمل ، علما انها تشكل عاملا غير مباشر في عملية الانتاج(٣). ومن الملاحظ ان الجدول رقم — ٢ — يظهر الاهمية النسبية لمشاركة الاناث في القوة العاملة حيث بلغت وسطيا حوالي ١٤ ٪ خلال الفترة ١٩٦٩ — ١٩٧٢ وهي نسبة ضئيلة اذا قورنت بمثيلاتها في الدول العربية المجاورة (نسبة مشاركة الاناث في

٣ — تعتبر ربة البيت خارج عن قوة العمل لانها لا تمارس اي نشاط اقتصادي معين ولا تبحث عن عمل . وفي رأينا ان هذا الاعتبار خاطىء بالنسبة للمجتمع العربي بصورة خاصة حيث تقوم المراة كربة بيت بنشاط اقتصادي غير ملحوظ ، « تربية الطفل ، تدريسه وتعليمه ، الحياكة ... » .

القوة العاملة في الجمهورية العربية السورية هي حوالي ٣٦ ٪) والجزء الباقي فمعظمه من ربات البيوت ، التلميذات والعاجزات . وعلى الاغلب ان خوف المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية من اعمال العنف واللاخلاقية التي يرتكبها جنود العدو المحتل ، قد أدى الى انكماش المرأة العربية وعدم مساهمتها في عملية الانتاج المباشرة .

وتدل بيانات الجدول رقم ـــ ٢ ـــ على عدم انتظامية في التطور الزمني لحجم القوة العاملة من الاناث وبالفعل فقد هبط حجم القوة العاملة من ٢٤ الفا في عام ١٩٧٠ الى ٢١٠٩ الفا في عام ١٩٧١ ثم عاد الى الارتفاع ثانية فبلغ ٢٤٠١ الفا لعام ١٩٧٢ . اذن على الرغم من ازدياد القوة البشرية للسكان فان حجم القوة العاملة بقي شبه ثابت في الفترة الواقعة بين ١٩٧٠ و١٩٧٢ وهذا يعكس ـــ كما نوهنا آنفا ـــ اوضاع الاحتلال التي يعيشها المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية والتي أدت الى قيود فرضها الرجل العربي على مشاركة المرأة في عملية الانتاج ويؤكد تحليلنا هذا تناقص نسبة العطالة اذ هبطت من ٢٠٢ ٪ في عام ١٩٦٩ الى ٤ بالالف في عام ١٩٧٢ وبالفعل فقد هبط عدد المتعطلات من ٥٠٠ انثى لعام ١٩٦٩ الى ١٠٠ انثى لعام ١٩٧٢(٤). ولهذا فان انخفاض العطالة بين الاناث في الضفة الغربية يعود الى عدم مشاركة الاناث في القوة العاملة وليس لوجود فرص عمل متاحة للجميع .

جدول رقم (٣) : القوة العاملة في الضفة الغربية
من ١٩٦٩ وحتى ١٩٧٢ (بالآلاف)

مؤشرات / السنوات	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
السكان فوق سن الـ ١٤	٣١٣٠٧	٣٢٢٠٩	٣٢٩٠٩	٣٣٥٠٤
القوة العاملة	١١٤٠٦	١١٨٠٤	١١٩٠٧	١٣٤٠٣
العاملون	١٠٩٠٩	١١٤٠٦	١١٦٠٨	١٣٣٠٢
المتعطلون	٤٠٧	٣٠٨	٢٠٩	١٠١
نسبة العطالة (٪)	٤٠١	٣٠٣	٢٠٤	٠٠٨

* ارقام ١٩٧٢ تمثل القوة للربع الثاني من العام ولا تمثل العام بكامله .

٣ـــ القوة العاملة في الضفة الغربية : يلاحظ من الجدول رقم ـــ ٣ ـــ ان القوة العاملة ازدادت من ١١٤٠٦ الفا في عام ١٩٦٩ الى ١٣٤٠٣ الفا في منتصف عام ١٩٧٢ اي بزيادة قدرها ١٩٠٧ الفا خلال ثلاث سنوات وبالفعل فقد سأير تطور القوة العاملة التطور الزمني للقوة البشرية بحيث حافظت نسبة مشاركة السكان في القوة العاملة على معدل قدره ٣٦٪ خلال الفترة الواقعة بين ١٩٦٩ و١٩٧٢ . أما عدد العاملين فقد ازداد بصورة محسوسة خلال السنوات الاخيرة حيث بلغ حوالي ١٣٣٠٢ الفا في عام ١٩٧٢

---

٤ ـــ بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط حافظت الدول العربية على نسب عطالة متقاربة خلال السنوات الماضية مع اتجاه نحو التزايد . في الجمهورية العربية السورية نسبة عطالة الاناث ٩ ٪ اما الذكور فتبلغ حوالي ٦ ٪ لعام ١٩٦٩ .

مقابل ١٠٩٦٩ آلاف عام ١٩٦٩ وقد رافق ازدياد عدد العاملين انخفاض محسوس في عدد المتعطلين — أنظر الجدول رقم ٣ — حيث انخفضت نسبة العطالة من ٤٦١٪ لعام ١٩٦٩ الى ٨ بالالف لعام ١٩٧٢ وهذه الظاهرة الاقتصادية في سوق العمل عائدة الى استخدام اسرائيل للعمال العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة وتشغيلهم في قطاع البناء بصورة خاصة وفي مختلف القطاعات الاقتصادية بصورة عامة . وليست غاية الكيان الصهيوني من اتاحة فرص العمل للعمال العرب هو رفع مستوى حياة الفرد العربي انما الاستفادة من العامل العربي ذو الاجر المنخفض نسبيا للقيام بنفس العمل الذي يقوم به العامل اليهودي ذو الاجر المرتفع وبالتالي تخفيض كلفة الانتاج مع المحافظة على نوعية الانتاج ومستواه عن طريق دورات تدريبية ومهنية يخضع لها العامل العربي قبل مباشرته العمل .

جدول رقم (٤) : عمال الضفة الغربية المستخدمين في اسرائيل
حسب النشاطات الاقتصادية
من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٢

النشاط الاقتصادي / السنوات	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
الزراعـــــة	١٧٧٦	٢٥٤٨	٧٩٩
الصنـــاعـــة	٣٩٠٦	٥٤٧٤	٥٣٢٩
البنـــــاء	١٠٨٣١	١٢٢٤٤	١٢٦٦٣
نشـــاطات أخـــرى	١٣٨٦	٢٠٩٩	٢٢٢٤
المجموع	**١٧٨٩٩**	**٢٢٣٦٥**	**٢١١٠٥**

* بيانات ١٩٧٢ تمثل نصف العام فقط .

٤ — عمال الضفة الغربية المستخدمين في اسرائيل حسب النشاطات الاقتصادية :
سنحاول في تحليلنا لبيانات مكاتب الاستخدام الاسرائيلية الى اعطاء صورة واضحة عن بنية ذلك الجزء من القوة العاملة العربية والتي تستخدمها اسرائيـــل في قطاعاتهـــا الاقتصادية المختلفة . وبالفعل يظهر الجدول رقم — ٤ — النشاطات الاقتصادية التي يمارسها عمال الضفة الغربية في اسرائيل والاهمية النسبية لكل منها ، فالمستخدمون في قطاع البناء يشكلون ٥٨ ٪ من مجموع عمال الضفة الغربية المستخدمين في اسرائيل ولقد تطور عددهم من ١٠٨٣١ في عام ١٩٦٩ الى ١٢٦٦٣ لعام ١٩٧٢ . المستخدمون في الصناعة يحتلون المرتبة الثانية ولقد ازداد عددهم من ٣٩٠٦ في عام ١٩٦٩ الى ٥٤٧٤ لعام ١٩٧٠ اي بزيادة قدرها ١٥٦٨ مستخدما ثم عاد الرقم الى التناقص في عام ١٩٧٢ . أما في الزراعة فقد اظهرت بيانات عام ١٩٧١ ، استنزاف اسرائيل البشري للعمـــال الزراعيين في الضفة الغربية فقد بلغ عدد العاملين منهم في فلسطين المحتلة حوالي ٢٥٤٨ عاملا . مما أدى الى اهمال كثير من الاراضي الزراعية الخصبة بسبب فقدان القـــوة العاملة ومصادرة قوات الاحتلال الاسرائيلية لهذه الاراضي بحجة الاهمال وكذلك نفس الشيء بالنسبة للمؤسسات الصناعية والتجارية . فكثير منها اغلق وصـــودر بسبب الافلاس وعدم استطاعته الوقوف بوجه المضاربات الاسرائيلية الهادفة الى تحطيـــم

الاقتصاد العربي في الاراضي المحتلة . اذن فاسرائيل تستخدم حوالي ١٩ ٪ من مجموع العاملين في الضفة الغربية ساعية الى تغطية النقص في اليد العاملة الاسرائيلية وفي كثير من الاحيان الى خفض كلفة الانتاج عن طريق استخدام يد عاملة رخيصة نسبيا والاكثر اهمية الى فصل العامل العربي عن مجتمعه وبيئته وأرضه .

٥ ــ مكاتب الاستخدام الاسرائيلية في الضفة الغربية : تلعب مكاتب الاستخدام الاسرائيلية دورا هاما في تأمين استخدام العمال العرب في اسرائيل بصورة اساسية وفي الضفة الغربية بصورة ثانوية وقد بلغ عدد العمال العرب المسجلين في هذه المكاتب في حزيران ١٩٧٢ حوالي ٣٧٠٦٤ عاملا .

جدول رقم (٥) : العمال المسجلون في مكاتب الاستخدام الاسرائيلية من ١٩٧٠ حتى ١٩٧١

مؤشرات / السنوات		١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢
عمال يبحثون عن عمل	مهنيون	١٢١٨٦	١٢٤٥١	٤٣٩٩
	غير مهرة	٩٩٠٦	١١٥٧٠	١٨٥٦٦
	المجموع	**٢٢٠٩٢**	**٢٤٠٢١**	**٢٢٩٦٥**
المسجلون في مكاتب الاستخدام الاسرائيلية		٢٧٩٦٢	٣٠٥٤٨	٣٧٠٦٤*

* المسجلون في شهر حزيران ١٩٧٢ .

ويلاحظ ان معظم المسجلين في مكاتب الاستخدام الاسرائيلية يسعون عن طريق هذه المكاتب الحصول على عمل جديد اما في اسرائيل او في الضفة الغربية وبالفعل بلغ عدد الباحثين عن عمل عن طريق مكاتب الاستخدام الاسرائيلية حوالي ٢٢٩٦٥ لعام ١٩٧٢ مقابل ٢٢٠٩٢ في عام ١٩٧٠ اي بنسبة تراوحت بين ٧٩ ٪ و٦٢ ٪ في الفترة ١٩٧٠ ــ ١٩٧٢ . ان كل ما نخشاه ان تتطور مكاتب الاستخدام الاسرائيلية وتتحول الى جهاز يتحكم بمصير العمال العرب في الضفة الغربية بصورة خاصة وفي الاراضي المحتلة بصورة عامة . وما يجب ان يكون هو رفض العمال العرب في الاراضي المحتلة التعامل مع امثال هذه المكاتب والتي تحقق بصورة مباشرة ، اهداف دولة العدوان في تحطيم دعائم المجتمع العربي في الاراضي المحتلة .

القوة العاملة في قطاع غزة وشمال سيناء

ان ضرورة دراسة العمالة والاستخدام في قطاع غزة وشمال سيناء بصورة منفصلة عن الضفة الغربية ، ناتجة عن اختلاف في الطبيعة الاقتصادية والاجتماعية بين هاتين المنطقتين والتعرف على تركيب القوة العاملة في قطاع غزة وشمال سيناء مهم مثل ما هو في الضفة الغربية لان كل منهما يعيش نفس المأساة ويخضع الى نفس الظروف .

١ ــ الذكور والقوة العاملة في قطاع غزة وشمال سيناء : بلغت نسبة مشاركة الذكور في القوة العاملة لقطاع غزة وشمال سيناء حوالي ٦٢ ٪ خلال الفترة ١٩٦٩ ــ ١٩٧٢ وهي نسبة مشابهة لمثيلتها في الضفة الغربية واقل بقليل من نسب الدول العربية المجاورة ــ مثل الجمهورية العربية السورية حيث تبلغ النسبة حوالي ٦٨ ٪ ــ

وانخفاض هذه النسبة عن مثيلاتها في الدول العربية المجاورة بصورة خاصة وعن مثل هذا المؤشر بالنسبة للدول الاخرى يعود الى الظروف التي يعيشها في المنطقة وما خلقه الارهاب وملاحقة الشباب الفلسطيني المناضل من انكماش وابتعاد اجباري عن المشاركة في النشاطات الاقتصادية المكونة لدعائم القطاع .

جدول رقم (٦) : القوة العاملة من الذكور في قطاع غزة وشمال سيناء من ١٩٦٩ وحتى ١٩٧٢ (بالآلاف)

مؤشرات / السنوات	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
الذكور فوق سن الـ ١٤	٨٥٫٨	٩٠٫٤	٩٢٫٤	٩٤٫١
القوة العاملة من الذكور	٥٣٫١	٥٧	٥٧٫١	٥٩٫٧
العاملون	٤٩٫٥	٥٤٫٦	٥٥٫٨	٥٩٫١
المتعطلون	٣٫٦	٢٫٤	١٫٣	٠٫٦
نسبة العطالة (٪)	٦٫٩	٣٫٤	٢٫٣	١٫١

* ارقام ١٩٧٢ تمثل حجم القوة العاملة في الربع الثاني من العام وليس العام بكامله .

من جهة أخرى ، يظهر الجدول رقم ــ ٦ ــ التطور الزمني للقوة العاملة من الذكور حيث ازدادت القوة العاملة المذكرة من ٥٣٫١ الفا في عام ١٩٦٩ الى ٥٩٫٧ الفا في ١٩٧٢ أي بزيادة قدرها ٦٫١ آلاف حيث تتخطى بذلك ازدياد القوة العاملة في الضفة الغربية . وقد رافق ازدياد العاملين تناقص محسوس في عدد المتعطلين حيث هبط عددهم من ٣٦٠٠ متعطل لعام ١٩٦٩ الى ٦٠٠ متعطل لعام ١٩٧٢ . ويلاحظ ان ازدياد عدد العاملين ، تم بسرعة اكبر بكثير من سرعة تزايد القوة العاملة وبالفعل فقد كان وسطي التزايد السنوي للقوة العاملة هو ٢٢٠٠ شخص سنويا مقابل ٣٢٠ للعاملين . وهذا يؤكد بالطبع عملية استخدام اسرائيل لعمال قطاع غزة وشمال سيناء وما يظهره ــ فيما بعد ــ تحليلنا لمكاتب الاستخدام الاسرائيلية في القطاع وكيف تسعى هذه المكاتب الى تأمين العمل للباحثين عنه من العمال العرب هادفة الى التحكم بمصير هؤلاء العمال والى سلخ جزء كبير من العمال الزراعيين العاملين في بيارات البرتقال عن الارض التي يعملون فيها وبالتالي الى مصادرة هذه البيارات بحجة اهمال اصحابها الشرعيين لها .

٢ ــ الاناث والقوة العاملة في قطاع غزة وشمال سيناء : تعكس نسبة مساهمة المرأة في القوة العاملة لقطاع غزة وشمال سيناء ، واقع التخلف الذي يعيشه القطاع وشمال سيناء من جهة والخوف من اللاخلاقية التي يرتكبها جنود العدو المحتل في مجتمع يعتبر محافظا . وبالفعل فقد بلغت نسبة مساهمة المرأة في القوة العاملة حوالي ٥٫٤ ٪ لعام ١٩٦٩ مقابل ٤٫٤ ٪ لعام ١٩٧١ مع اتجاه في التناقص حيث تقدر لعام ١٩٧٢ بحوالي ٢٫٢ ٪ وهي نسبة ضعيفة جدا اذا قورنت بمثيلاتها في الدول العربية المجاورة وحتى بالنسبة لدول العالم الثالث .

أما الجزء الباقي وهو حوالي ٩٥ ٪ من النساء فهن ربات البيوت والتلميذات والعاجزات واللاتي يشكلن عبئا ثقيلا على عاتق الفئة المشاركة في عملية الانتاج وهذا بالطبع عامل أساسي في واقع التخلف .

جدول رقم (٧) : القوة العاملة من الاناث في قطاع غزة وشمال سيناء من ١٩٦٩ حتى ١٩٧٢

مؤشرات / السنوات	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
الاناث فوق سن الـ ١٤	٩٣٠٢	١٠٦٠٤	١٠٨٠٣	١٠٩٠٩
القوة العاملة من الاناث	٥٠١	٥٠٤	٤٠٨	٤٠٣
العاملات	٣٠٤	٤٠١	٤	٣٠٧
المتعطلات	١٠٧	١٠٣	٠٠٨	٠٠٦
نسبة العطالة (٪)	٣٣	٢٤	١٧	١٤

* ارقام ١٩٧٢ تمثل مؤشرات القوة العاملة عن الربع الثاني فقط من العام .

من جهة اخرى ، يظهر الجدول رقم ــ ٧ ــ طبيعة التطور الزمني لحجم القوة العاملة من الاناث في قطاع غزة وشمال سيناء . فقبل ١٩٧١ كان هناك اتجاه تزايد في حجم القوة العاملة من الاناث وايضا في عدد العاملات حيث ازداد العدد من ٥١٠٠ عاملة في عام ١٩٦٩ الى ٥٤٠٠ في عام ١٩٧٠ اما اعتبارا من ١٩٧١ فقد ظهر اتجاه نحو التناقص في كل من حجم القوة العاملة وعدد العاملات الذي بلغ ٤٣٠٠ في عام ١٩٧٢ وذلك على الرغم من الازدياد البسيط في حجم القوة البشرية من الاناث . أما بالنسبة للعطالة فيلاحظ تناقص النسبة من ٣٣ ٪ في عام ١٩٦٩ الى ١٤ ٪ لعام ١٩٧٢ وبالفعل فقد تناقص عدد المتعطلات حوالي ٩٠٠ متعطلة خلال الفترة ١٩٦٩ ــ ١٩٧٢ والسبب لا يعود الى فرص عمل جديدة اتيحت لنساء قطاع غزة وشمال سيناء وانما لاستنكاف قسم كبير من النساء العاملات عن العمل وذلك تحت ضغط الظروف الاجتماعية التي تحياها الاسر العربية في هذه المنطقة من العالم العربي .

٣ ــ القوة العاملة في قطاع غزة وشمال سيناء : يبتعد قطاع غزة وشمال سيناء عن حظيرة الدول العربية ــ من ناحية العمالة ــ فمساهمة القوة البشرية في القوة العاملة يقدر بحوالي ٣١ ٪ فقط وهي نسبة ضعيفة جدا وسبب انخفاضها عائد ــ كما رأينا فيما مضى ــ الى انخفاض نسبة مشاركة النساء في القوة العاملة . وهذا ما أدى بالطبع الى تجميد النفقات الاستهلاكية للمجتمع بأكمله على فئة قليلة من السكان . الذكور وبالتالي الى انخفاض في مستوى المعيشة في هذه المنطقة . اما بالنسبة لتطور حجم القوة العاملة فقد اتصف بعدم الانتظامية حيث تناقص ٦٢٠٤ الفا الى ٦١٠٩ الفا بين العامين ١٩٧٠ و١٩٧١ ثم عاد للتزايد بعد ذلك حتى بلغ ٦٤ الفا لعام ١٩٧٢ . بالنسبة لعدد العاملين فقد أظهر الجدول رقم ــ ٨ ــ تزايدا مستمرا خلال الفترة ١٩٦٩ ــ ١٩٧٢ حيث بلغت الزيادة حوالي ٥٨٠٠ عامل وقد رافق الزيادة في عدد العاملين نقصان في عدد المتعطلين بمعدل ١٠٣٥ متعطلا سنويا وهذا ما أظهرته نسبة البطالة اذ تناقصت ٩٠١ ٪ لعام ١٩٦٩ الى ١٠٩ ٪ لعام ١٩٧٢ متخطية بذلك مؤشرات العطالة في العالم العربي وحتى في بعض دول العالم المتمدن . ولهذا نجد انه من الضروري التنويه لطبيعة هذا النقص في العطالة . فهي على التأكيد ليست نتيجة انتعاش اقتصادي للمنطقة وانما عن طريق استخدام اسرائيل لجزء لا بأس به من عمال المنطقة متبعة ، في ذلك ، سياسة

جدول رقم (٨) : القوة العاملة في قطاع غزة وشمال سيناء من ١٩٦٩ وحتى ١٩٧٢ (بالآلاف)

مؤشرات / السنوات	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
السكان فوق سن الـ ١٤	١٨٩	١٩٦٫٨	٢٠٠٫٧	٢٠٤٫٩
القوة العـــاملة	٥٨٫٢	٦٢٫٤	٦١٫٩	٦٤٫٠
العاملون	٥٢٫٩	٥٨٫٧	٥٩٫٨	٦٢٫٨
المتعطلون	٥٫٣	٣٫٧	٢٫١	١٫٢
نسبة العطالة (٪)	٩٫١	٦	٣٫٤	١٫٩

* ارقام ١٩٧٢ تمثل الربع الثاني من العام وليس العام بكامله .

دفع اجور مرتفعة نسبيا ــ اذا قورنت بأجر العامل العربي في قطاع غزة ــ تؤمن للعامل العربي المستخدم في اسرائيل حياة بسيطة دون توفير يساعد اسرته في مكان اقامتها. وبالتالي دون امكانية دعم اقتصاد القطاع عن طريق ما يمكن توفيره من أموال .

٤ ــ عمال قطاع غزة وشمال سيناء المستخدمين في اسرائيـــل حسب النشاطـــات الاقتصادية : يظهر الجدول رقم ــ ٩ ــ توزيع عمال قطاع غزة وشمال ســـــــــيناء المستخدمين في اسرائيل بحسب النشاطات الاقتصادية . وباعتبار ان البيانات المدروسة صادرة عن مكاتب الاستخدام الاسرائيلية في القطاع، فتحليلها يعكس الطبيعة الاقتصادية لاستخدام اسرائيل للقوة العاملة العربية . وبالحقيقة فالوجه الزراعي لهذا الاستخدام هو الغالب فحوالي ٤٢ ٪ من مجموع العمال المستخدمين في اسرائيل يعملون في الزراعة، وهذا بالطبع ما تهدف اليه اسرائيل فافقار الارض العربية من العامـــل الزراعي هو الخطوة الاولى في تحطيم زراعة الحمضيات في قطاع غزة وبالتالي الاستيلاء على البيارات بحجة اهمالها وعدم زراعتها . ويأتي بالمرتبة الثانية ، البناء ، حيث يمتص ٣٠ ٪ من

جدول رقم (٩) : عمال قطاع غزة وشمال سيناء المستخدمون في اسرائيل حسب النشاطات الاقتصادية من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٢

النشاط الاقتصادي / السنوات	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢*
الزراعـــة	١٨١٦	٣٦٤٧	٥١٥٢
الصنـــاعة	٨٢٧	١٧٩٧	٢٥٥٦
البنـــاء	١١٥٧	١٦٢١	٣٥٣٩
نشـــاطات أخـــرى	١٣٦٣	١٧٥٦	٨٥٨
المجموع	**٥١٧٣**	**٨٨٢١**	**١٢١٠٥**

* بيانات ١٩٧٢ تمثل وسطي نصف العام فقط .

مجموع عمال قطاع غزة والعاملين في اسرائيل . أما بالنسبة للصناعة فهناك حوالي ٢٠ ٪ ، ولقد ازداد عددهم بصورة محسوسة فبلغوا حوالي ٢٥٥٦ عاملا في عام ١٩٧٠ مقابل ٨٣٧ عاملا في عام ١٩٧٢ .

وبهذا نجد ان مكاتب الاستخدام تستفيد من الطابع الزراعي لقطاع غزة وكذلك من الطابع الصناعي والبنائي للضفة الغربية وهي بذلك ضامنة الحصول على يد عاملة مؤهلة في جميع النشاطات الاقتصادية ومحافظة على مستوى الانتاج في هذه النشاطات عن طريق دورات تدريبية لهؤلاء العمال .

٥ ــ مكاتب الاستخدام الاسرائيلية في قطاع غزة وشمال سيناء : كما هو الحال في الضفة الغربية فان الجدول رقم ــ ١٠ ــ يظهر الدور الذي تلعبه مكاتب الاستخدام الاسرائيلية في تأمين استخدام العمال العرب في اسرائيل بصورة اساسية وفي قطاع غزة وشمال سيناء بصورة ثانوية . وبالفعل فقد بلغ عدد العمال العرب من قطاع غزة والمسجلين في هذه المكاتب حوالي ٢٨٧٥٣ في شهر حزيران ١٩٧٢ ولقد ازداد عدد المسجلين حوالي ٩٤٤٧ شخصا خلال الفترة ١٩٧٠ ــ ١٩٧٢ وهذه الظاهرة الخطيرة والتي تعبر عن اعتماد العمال العرب على مكاتب الاستخدام الاسرائيلية من أجل ايجاد فرص عمل لهم أو البحث عن عمل جديد ، تعتبر مؤشرا أكيدا على ضعف اتحاد العمال العرب في القطاع ان لم يكن على عدم وجوده ، ولهذا يبقى العامل العربي طعما لمكاتب الاستخدام التي تتحكم بمصيره واقتصاد بلده . ومهمتنا توعية العامل العربي في قطاع غزة ــ بصورة خاصة ــ على رفض التعاون مع أمثال هذه المكاتب وخاصة ان نسبة العمال الذين يبحثون عن عمل عن طريق هذه المكاتب بلغت حوالي ٧٩٪ من مجموع المسجلين فيها لعام ١٩٧٠ .

جدول رقم (١٠) : عمال قطاع غزة وشمال سيناء
المسجلين في مكاتب الاستخدام الاسرائيلية من ١٩٧٠ حتى ١٩٧١

مؤشرات / السنوات	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢
عمال يبحثون عن عمل			
مهنيون	٣٢٨٩	٤٠٢٠	٤٠١١
غير مهرة	١١٨٩٠	١٢٢٠٠	١٣٠٦٤
المجموع	١٥١٧٩	١٦٢٢٠	١٧٠٦٥
المسجلون في مكاتب الاستخدام	١٩٣٠٦	٢٠٢٣٤	*٢٨٧٥٣

* المسجلون في شهر حزيران ١٩٧٢ .

أضواء حول القوة العاملة والاستخدام في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧

تشكل القوة البشرية حوالي ٥٢٪ من مجموع سكان الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وهذا ما يعطي المجتمع الفلسطيني طابعا انتاجيا اذا كانت نسبة المشاركة في القوة العاملة مرتفعة وتقع في حدود ٧٠٪ ويبقى المجتمع السكاني في الاراضي المحتلة

مجتمعا فنيا اذا قورن بالمجتمع اليهودي في اسرائيل حيث تشكل القوة البشرية حوالي ٦٨٪ من مجموع السكان . واذا علمنا ان المشاركة في القوة العاملة للاراضي المحتلة تبلغ حوالي ٣٤٪ من مجموع القوة البشرية يمكننا تصور العبء الذي تحمله الفئة العاملة في الاراضي المحتلة من أجل تأمين لقمة العيش لابناء هذا المجتمع ، ونظرا للظروف التي تحياها المنطقة وما تدبره اسرائيل من خطط لتحطيم المقومات الاجتماعية والاقتصادية في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، فاننا نخشى ان يعيش الشباب العربي الفلسطيني يأسا قاتلا يرافقه شعور بتخل الدول العربية عنهم مما يدفعهم الى الهجرة والرحيل وهذا ما تسعى اليه اسرائيل .

جدول رقم (١١) : العمال العرب في الاراضي المحتلة ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ (بالآلاف)

مؤشرات / السنوات	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
عمال الاراضي المحتلة المستخدمين في اسرائيل	٩٠٥	٢٠٠٦	٣٣٠٨
عمال الاراضي المحتلة المستخدمين في الاراضي المحتلة	١٥٣٠٣	١٥٢٠٧	١٤٧٠٨
المجموع	١٦٢٠٨	١٧٣٠٣	١٨١٠٦

أما بالنسبة للعطالة فقد تناقص عدد المتعطلين عن العمل من ١٠ آلاف متعطل في عام ١٩٦٩ الى ٥ آلاف في عام ١٩٧١ أي ما يقابل نسبة عطالة مقدارها ٢٠٧٪ في عام ١٩٧١ وهي نسبة منخفضة جدا ولا تعكس بحال من الاحوال وضعا اقتصاديا متينا ، اذ ان تحليلنا للعمالة في الضفة الغربية من جهة وفي قطاع غزة وشمال سيناء من جهة ثانية أظهر استفادة اسرائيل من اعداد لا بأس بها من عمالنا الفلسطينيين العرب في دعم مختلف النشاطات الاقتصادية في فلسطين المحتلة وبالفعل فقد بلغ عدد العمال العرب المستخدمين في اسرائيل حوالي ٣٤ الفا لعام ١٩٧١ أي ما يعادل ٢٦٪ من العمال العرب المستخدمين في الاراضي المحتلة في ذلك العام وبالفعل يعكس الجدول رقم ــ١١ــ التطور الزمني للعمال العرب المستخدمين في اسرائيل والذي يتميز بزيادات مطلقة على جانب كبير من الدلالة . فبينما تناقص عدد العمال العرب المستخدمين في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة من ١٥٣٠٣ الفا لعام ١٩٦٩ الى ١٤٧٠٨ الفا لعام ١٩٧١ تزايد عدد العمال العرب المستخدمين في اسرائيل من ٩٠٥ آلاف في عام ١٩٦٩ الى ٣٣٠٨ الفا في عام ١٩٧١ .

مقارنة بين
المقاومة الفلسطينية والثورة الجزائرية

نانسي جلاجر

مقدمة : كثيرا ما نجد الكتابات حول حركة المقاومة الفلسطينية تشير اشارات عابرة الى الثورة الجزائرية. وغالبا ما يجري عقد المقارنات بين الحركتين من قبل الفلسطينيين والجزائريين أنفسهم . وعمد بعض الكتاب ، من ناحية أخرى ، الى ابراز الفروقات بين الحالتين ، وحذر من اجراء التعميمات السطحية والمبسطة . وعلى اي حال ، لا بد من الاعتراف بدرجة معينة من التشابه بين الحركتين اذ أن هناك تزامنا جزئيا بينهما ، وفي كل من البلدين شعب يواجه خصما متفوقا من الناحية التكنولوجية ، جاء من أوروبا وأقام لنفسه وجودا على الارض . كذلك فان نجاح حرب الاستقلال الجزائرية يجعل مثل هذه المقارنات أمرا شيقا . ان المسألة الفلسطينية ، انطلاقا من مثل هذه المقارنات ، تقع ضمن النضال المعادي للامبريالية في العالم الثالث ، وجزء من الحرب ذاتها التي خاضتها الجزائر والدول الافريقية وفيتنام . ولم يعد انشاء دولة اسرائيل مسألة فريدة ، ضخمة وغامضة . ولم يعد الفلسطيني ، بفعل درس الجزائر ، تلك الذبيحة تضحيها قوى مجهولة ، بل انسان يعاني من أحد أشكال ظاهـــرة التوسع الكولنيالي الغربي المألوفة .

سوف ننظر الى هذه المقارنات بشيء مـــن الحذر . وستبحث هـــذه المقالة أولا في الوضعين بشكل عام بحيث تظهر بعض الفروقات بينهما . ثم تعالج مجالات أربعة كان للنموذج الجزائري تأثير واضح فيها . واخيرا سنحاول تقييم معنى هذه المقارنة وفائدتها بالنسبة لممارسة النضال الفلسطيني في وضعه الراهن .

في ١٦ آب ١٩٧٢ كتب محمد حسنين هيكل في الاهرام مشيرا الى بعض الفروقات بين الوضع الفلسطيني والوضع الجزائري وكذلك الوضع في فيتنام . فقال انه في الجزائر كان هناك ٤٠٠ ألف جندي فرنسي وسط مجموع سكان الجزائر البالـــغ عشرة ملايين جزائري . اما في اسرائيل فالعرب يقلون عن المليون بينما يبلغ عدد الاسرائيليين مليونين وربع ، ولدى اسرائيل ربع مليون جندي يمكن أن يعبأوا بسرعة . وأرض فلسطين ليست كأرض الجزائر بجبالها الوعرة وأماكنها الطبيعية الصالحة للاختباء . فسهول فلسطين وتلالها الصغيرة ليست كافية ، خاصة برقعتها الضيقة المقفلة . ومن ثم يسهل العثور على الفدائيين بطائرات الهليكوبتر الواقفة دائما على أهبة الاستعداد . ولا توجد أماكن قريبة يمكن اللجوء اليها لاستعادة النشاط الفدائي والتحضير لهجمات جديدة ، كما لا توجد على الحدود دولة منيعة كما هي الصين بالنسبة للفيتناميين وكما كانت تـــونس والمغرب بالنسبة للجزائريين . فالاسرائيليون على استعداد لضرب أية دولة عربية دون ان يكون بمقدور أي من هذه الدول مقاومة مثل هذا الهجوم(١) .

ويختلف الاسرائيليون عن المستعمرين الفرنسيين بما هو أكثر من الفارق العددي .

ان للاسرائيليين، كما كان للمستعمرين الفرنسيين دافعا قويا وتصميما أكيدا على البقاء، وهذه مسألة لا جدال فيها . ولكن الاسرائيليين يشعرون بأن مسألة الخيار في العودة الى الوطن الام والعيش فيه كمواطنين سادة ، غير متوفرة بالنسبة لهم . فلقد اقتنع كثير من الاسرائيليين بالفكرة القائلة ان الطريقة الوحيدة لبقاء الشعب اليهودي في المستقبل تكمن في دولتهم الخاصة المعبأة بالسلاح . ولهذا لا يوجد في اسرائيل رأي ذو وزن يؤيد اعادة حقوق الفلسطينيين . وهذا الوضع يختلف عما كان في الجزائر حيث كان للثورة العديد من المؤيدين الفرنسيين في الجزائر ذاتها وفي فرنسا .

وكان الفلسطينيون يأملون ان يشكل اليهود العرب في اسرائيل قوة داخلية تعطف على نضالهم غير ان هذا الامل لم يتحقق له وجود ، اذ أن اليهود الاسرائيليين من أصل عربي أعلنوا عن ولائهم للدولة الجديدة .

ويفتقد الفلسطينيون الى التماسك الاقليمي الذي توفر في الجزائـــر . فلقد أبعد الفلسطينيون عن وطنهم وتوزعوا في مناطق عدة ، في العالم العربي وخارجه ، في أوروبا والاميركتين ، مما جعل الاتصال فيما بينهم في غاية الصعوبة . والبنيان الاقتصادي ـــ الاجتماعي الفلسطيني لم يتعرض فقط للاهتزاز والاضطراب كما حدث في الجزائر، ولكنه تحطم بشكل كامل ، وبالتالي فقد كانت اعادة البناء الاجتماعي خطوة أساسية من أجل مقاومة فعالة .

وعلى عكس الفلسطينيين الموزعين جغرافيا ، يتركز الاسرائيليون ، كأكثرية سكانية، في مختلف مناطق فلسطين المحتلة . وقد أبقيت الاراضي المحتلة في غزة والضفة الغربية تحت اشراف دقيق مباشر ولم يسمح لسكانها العرب بالاقامة في أي مكان آخـــر . والاعتماد على العمل العربي في اسرائيل اقل بكثير مما كان في الجزائر ، على الرغم من ان هذا الوضع يتغير الان ببطء . لذلك ليس بامكان الفلسطينيين ان يشكلوا تهديدا داخليا معرقلا لاسرائيل اذ لن يكون لاضراب جماهيري او مظاهرة احتجاج فعالية كبيرة .

كان بامكان الجزائريين اللجوء الى الحكومة الفرنسية بفرنسا والتي كانت قادرة على ممارسة سيطرتها واشرافها على المستعمرين . لكن الفلسطينيين لا يملكون شيئا من مثل هذه القنوات . وقد توضح عجز الامم المتحدة مرارا وتكرارا ، كما ان الدول الكبرى لا تريد فرض تأثيرها ونفوذها على الاعمال الاسرائيلية .

لقد تغيرت مصالح الدول الكبرى منـــذ الخمسينات . خرجت أوروبا مـــن الحرب ضعيفة ووجدت أن بنيانها الاقتصادي لا يتطلب سيطرة سياسية على المستعمرات . وأدى ظهور الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي كأعظـــم قوتين عالميتين الى حجب التنافس بين الدول الاوروبية للحفاظ على مناطق النفوذ في افريقيا وآسيـــا ، الا ان الاضطرابات في الشرق الاوسط لم تلحق الضرر بمصالحها . اما في الجزائـــر فكان للاحداث تأثير ثقيل الوطأة على فرنسا الضعيفة أصلا . وبدا ان الازمة الداخلية التي تولدت في فرنسا تحتم ايجاد حل للمسألة في الجزائر . اما اسرائيل فلم تظهر كعبء اقتصادي حتى الآن . بل انها كانت ماهرة جدا في الحفاظ على الذين يدعمونها اقتصاديا، وتعتمد عليهم ، في حين تتصرف هي بدرجة كبيرة من الاستقلال . ومثل هذا الامر لم يكن باستطاعة المستعمرين في الجزائر ، فالحكومة الفرنسية بباريس كانت قادرة على ارسال قواتها العسكرية وسحبها حسبما تشاء .

وهناك اختلاف هام أيضا يتمثل في الوضع العربي او البيئة المحيطة . فالجزائريون ، كما ذكرنا ، كان بامكانهم اللجوء الى الدول المجاورة دون ان يتعرضوا نسبيا لتدخل الانظمة المضيفة . ولم تشأ فرنسا ان تشن حربا ضد تونس والمغرب وتجاهلت بشكل عام الدور الذي كانتا تقومان به . كان للجزائريين قاعدة اقليمية ، لهم فيها كمواطنين

حقوق مشروعة لا نزاع فيها ، ولذلك لم يطلبوا المساعدة العسكرية من العرب الآخرين (في ميدان القتال) ولان أراضي الدول المجاورة لم تكن محتلة او مهددة بالاحتلال . وهكذا كان الجزائريون قادرين على العمل باستقلال كبير ، بينما الفلسطينيون يعتمدون الى حد كبير على رضا الانظمة العربية ، باستثناء الفترة القصيرة بين عامي ١٩٦٧ — ١٩٧٠ ، حيث كانوا قادرين على الاستفادة من فراغ السلطة القائم في أعقاب حرب ١٩٦٧ .

ان معظم الحكومات العربية الحالية حكومات ضعيفة ، همها الاول ، حتما ، ان تظل في السلطة . وهي تعتمد في قوتها على الجيش أكثر مما تعتمد على قاعدة شعبية . وهي لذلك عاجزة عن ارسال قواتها العسكرية لدعم الفلسطينيين ، وليست قوية بما فيه الكفاية للوقوف في وجه الضغوطات التي سيسببها هذا الدعم . كان التأييد الشعبي الواسع من أبرز النواحي التي ساعدت على ظهور المقاومة ، وشكل هذا التأييد الشعبي ضغطا على الحكومات العربية ، مثل حكومة لبنان وحكومة الاردن ، وجعلها تتكيف مؤقتا مع وجود الفدائيين . ولكن حين تنامت حركة المقاومة ، قوة ونفوذا ، بدأت الحكومات المضيفة تعيد تجميع أنفسها . ويقدم فؤاد جابر ، في هذا المجال ، توثيقا دقيقا لمجرى التحالفات العربية الجديدة ، في بحث له بعنوان « الانظمة العربية والثورة »(٢) . وكانت نتائج السياسات العربية على المقاومة من أهم وأبرز الامور في تطور الحركة .

ولقد حاولت عدة حكومات عربية ايجاد جماعات فدائية تكون تابعة لها وتنفذ سياساتها . ونظر الى الجماعات المستقلة على انها تمثل مصدر خطر على المستوى الداخلي حيث يمكن بفعل تأييدها الشعبي أن تشكل تحديا للحكومة ، وكذلك على المستوى الخارجي حيث يؤدي نشاطها داخل اسرائيل ، وقد أدى فعلا ، الى أعمال انتقامية عنيفة من جانب اسرائيل . وكان من شأن الحاجة للتعاون مع الحكومات العربية أن تضيف عاملا جديدا الى المتاعب الحاصلة بين الفدائيين والناجمة عن الاختلافات الايديولوجية .

كذلك أدى التعدد بين الفلسطينيين الى تعقيد تشكيل جبهة تحرير واحدة . كانت جبهة التحرير الوطني في الجزائر قادرة على استيعاب الفئات او العناصر المنافسة ، وعلى تحييد او تصفية الذين يشكلون تحديا حقيقيا لهيمنتها . ان هذا التكتيك لم يمنع ظهور انقسامات خطيرة من جديد ، ولكن جبهة التحرير الوطني كانت قادرة على طرح نفسها على انها الممثل الوحيد والشرعي لاهداف الشعب الجزائري . اما الفلسطينيون فقد امتنعوا عن اللجوء الى العنف لقمع الجماعات المنافسة وأعلنوا بوضوح انهم يرفضون تشكيل حكومة في المنفى . الا أن هذا لم يمنع من نبوء حركة فتح مركز العمود الفقري في الثورة الفلسطينية . وحين أصبحوا أقوياء حقا تعرضوا لضربات قاتلة على يد الجيوش النظامية لبعض الانظمة المضيفة، وهكذا أصبحوا يواجهون عدوين: عدوا في الجبهة التي يقاتلون عليها ، وعدوا من وراء ظهورهم . ان هذه الاختلافات تظهر أن الفلسطينيين يواجهون وضعا أصعب من ذلك الذي واجهه الجزائريون .

غير ان هناك تشابها أيضا بين الثورتين . ولعل من أبرز الامور المتشابهة هي الطريقة التي ظهرت فيها كل منهما . فخلال السنوات الاولى من المقاومة كان كل من الطرفين قادرا على القيام بعدة مئات من العمليات في السنة . وكان تكتيك الثوار متشابها — كانت الهجمات تتم بزرع الالغام ، ومدافع الهاون والمتفجرات المصنوعة محليا ... الخ(٣) . وكان انتقام العدو سريعا ومؤثرا بحيث كان الثوار في الحالتين مضطرين للحد من نشاطاتهم . وكانت فعالية الثوار ، من حيث الدمار الذي يلحق بأهداف العدو ، متشابهة في الحالتين ، الا أن الفعالية السياسية كانت مختلفة تماما . فلقد عجلت الحركة في الجزائر بالازمة الاهلية في فرنسا ، واستطاع الجزائريون في

النهاية كسب الرأي العام العالمي الى جانبهم . اما هجمات الثوار الفلسطينيين فقد أدت الى ازدياد قسوة السياسة الاسرائيلية ضد الفلسطينيين ، فواصلت اسرائيل ضمها للمناطق المحتلة في حين تمارس اجراءات الغرض منهـــا تشجيع نزوح الفلسطينيـــين العرب من الاراضي التي تحتلها اسرائيل .

عند بدء الثورتين واجه قادة كل منهما ظروفا متشابهة الى حد بعيد . فلقد واجهت كل من الجماعتين عدوا ضخما ومحصنا تحصينا جيدا . وكان الشعبان يفتقدان الى المؤسسات السياسية المتطورة ، ولم يكونا مدربين عسكريا ولا منظمين سياسيا لخوض مقاومة فعالة . لقد فقد الشعبان ، هنـــا وهناك ، زعماءهما المعروفين ، وكان على النخبة الثورية ان تبدأ الطريق من أوله في محاولاتها لتعبئة وتوجيه وخوض المقاومة الشعبية . ولم يكن بامكان أي من المجموعتين ان تصبح بمثابة « الدولة » .

وكانت هناك فروقات كبيرة بين الشعبين . معظم الجزائريين مسلمون ولكن ثلثهم على الاقل من البربر . وشكلت اللغة مشكلة للقادة ؛ فكثير من القادة كان يعرف الفرنسية أكثر مما يعرف اللغة العربية ، ولاقوا بذلك صعوبة كبيرة في الاتصال والتفاهم مع أهل الريف . وفي فلسطين حوالي عشر السكان من المسيحيين أما الغالبية فمسلمة . وأثناء سنوات المنفى اصبحت الفروقات الاجتماعية ـــ الاقتصادية بين الفئات الفلسطينية ، كبيرة .

كان على القادة في البلدين أن يجعلوا من هذا التنوع الشعبي جسما مؤيدا كخطوة اولى نحو وحدته الوطنية المتينة . وفي هذا المجال كان وضع القيادتين متقاربا جدا . ومن الواضح الآن أن شعب الجزائر أصبح بالفعل « امة » . لقد كلف النصر الجزائري ثمنا باهظا ؛ اذ فقدت الجزائر حوالي ثمن سكانها ، كذلك كان التدمير وفقدان الكوادر المدربة فنيا ، كبيرا أيضا . اما بالنسبة للفلسطينيين ، فالمستقبل وحده يعرف كم سيكون مقدار هذا الثمن ؛ مع ان الثمن الذي دفع حتى الآن كبير سواء بالنسبة للفلسطينيين او للدول المجاورة ويبدو ان هذا سيستمر على امتداد المستقبل المنظور .

مع اعترافنا الكامل بالاختلافات بين الثورتين ، فمن الواضح ان هناك أسسا معينة للمقارنة بينهما . ولذا فمن الطبيعي بالنسبة للفلسطينيين ان يتطلعوا الى الجزائريين يستلهمون منهم الدروس . ولقد قام الجزائريون بنشاط ملموس في تدريب الفلسطينيين، منذ أوائل الستينات على الارجح . وتتفهم الجزائر المشاكل الخاصة التي يواجههـــا الفلسطينيون وحاجتهم الى حلول جديدة . يقول ابو عمار ، القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ، في مقابلة صحفية :

« اننا نقوم بتدريب رجالنا على حرب العصابات ، وبشكل خاص في المناطق التي جرى او يجري فيها خوض الحروب الشعبية . ان تجربة اخواننا الجزائريين في نضالهم ضد الامبريالية الفرنسية كانت تجربة مفيدة جدا تعلمنا منها الكثير . وما نفعله اننا نكيف التجربة المحددة لشعب آخر مع أوضاعنا الخاصة . ان الاوضاع الطبيعية هنا ليست هي ذاتها في الجزائر او فيتنام . ويجب الا نقفز فوق الحدود التي تفرضها علينا الاوضاع العسكرية والمادية والطبيعية ، الا اننا قادرون على التغلب على هذه الحدود، وسنتغلب عليها اذا كيفنا استراتيجيتنا معها »(٤).

ما هي المجالات التي كانت التجربة الجزائرية فيها ذات فائدة للفلسطينيين ؟ ان التأثير الجزائري واضح ولا شك في بعض جوانب المقاومة الفلسطينية . وهذه الجوانب هي :

الدعم المعنوي : حين نفض الغبار عن عام ١٩٤٨ وجد الفلسطينيون أنفسهم يواجهون عالما ممزقا ، ومعضلة لم يكونوا مسؤولين عنها ولا أدركوا كنهها . كان العالم غير عابىء

بالمصير الذي آلوا اليه . ومع مرور السنين نما لديهم شعور بالمرارة والسلبية والامتعاض . وكانت الحقائق الاليمة تغيب امام الحجة القائلة بأن الاحتجاجات الصاخبة قابلة لان يساء فهمها وتفسر على انها معاداة للسامية في عالم يعتريه القلق والرغبة في أن يخلص نفسه من العبء النفسي للجرائم التي ارتكبت ضد اليهود في الحرب العالمية الثانية . وفيما بعد بدأ بعض الفلسطينيين يتأملون الوضع في محاولة لفهم اعمق للمسألة من جذورها . وقدمت الثورة الجزائرية المثال المباشر والمشجع . فلقد عززت من الفكرة القائلة بأن اسرائيل هي مستعمرة أوروبية لا تزيد من حيث شرعيتها ودوامها عن المستعمرة الفرنسية — الجزائرية . وأصبحت مع جنوب افريقيا وروديسيا وفيتنام موضع مقارنة بالنسبة للفلسطينيين . لقد قاتل بعض الفلسطينيين فعلا مع الجزائريين . وجاء توقيع معاهدة ايفيان يشكل دفعا قويا جدا للفلسطينيين . فالجزائريون اثبتوا ان من الممكن الانتصار على التفوق وعلى قوة أوروبية . كما انه من الممكن أيضا كسب قسم هام من الرأي العام العالمي .

وهكذا أصبحت حرب الاستقلال الجزائرية مصدرا هاما للدعم المعنوي والملهم بالنسبة للفلسطينيين . وكذلك كانت الايديولوجية ، والتكتيك ، والتنظيم ، والدعاية جميعها متأثرة بالمثال الجزائري .

الايديولوجية : كان الدين ، والقومية فيما بعد ، أبرز القوى الايديولوجية خلال الثورة الجزائرية . وفي وقت لاحق اسهم المثقفون في تقديم تحليل يساري مضاد للامبريالية . وثبت ان احدى نقاط الضعف في الثورة الجزائرية تمثلت في عدم اهتمام الثورة بتحليل الاوضاع الداخلية ، والتركيز الزائد على كسب الاستقلال السياسي . فلقد أحجمت جبهة التحرير الوطني الجزائرية عن وضع ايديولوجية خاصة ، وضمت الجبهة في داخلها عناصر الانقسام بدلا من التخلص منها ، وعملت كجبهة مؤتلفة وليس كحزب سياسي .

سارت فتح بشكل عام على هذه السياسة الرافضة لانتهاج ايديولوجية خاصة ، والقول بأن الخلافات الايديولوجية ستؤدي الى صراعات قاتلة . ثم ظهرت جماعات أخرى وابتدأت سلسلة من الصراعات والاختلافات بشأن الاستراتيجية . وعلى عكس ما حصل في الجزائر لم يؤد الاختلاف داخل حركة المقاومة الى قمع الجماعات الاخرى بالقوة .

وكان لمفكري الثورة الجزائرية اثرهم في تكوين الايديولوجية الفلسطينية . وفي هذا المجال تبرز أفكار فانون بشكل خاص . يقول فانون ان العنف هو العلاج او الوسيلة التي تؤدي الى انعتاق المواطن وتغسل عقليته من آثار الاستعمار وتهيئه للنضال الجماعي . وهذه الافكار واضحة تماما في استراتيجية ونشاط الفدائيين . ويعكس الموقف الايديولوجي التقدمي ، التحليل الجزائري للقوى الكولينالية والامبريالية ، كما وردت في برنامج طرابلس عام ١٩٦٢(٥) . الا أن الفلسطينيين يضيفون الى ذلك دعوتهم من أجل العلمانية ومساواة المرأة ، وتجاهل السلطة الدينية . وفي هذا المجال يقول أبو عمار :

« ان ثورتنا ليست ثورة فلسطينية أو عربية فحسب ، ولكنها جزء من الثورة العالمية من أجل انعتاق الانسان وحريته ، من أجل العدالة الاجتماعية ، والكرامة ، وتقرير المصير والوحدة . ونحن نتوقع ونحصل على دعم من العرب والمسلمين الذين لهم مصلحة خاصة في هذا النضال . كذلك نتوقع التأييد من جميع الذين يؤمنون بعدالة قضيتنا وبالنضال ضد الامبريالية والعنصرية ... ان مأساة فلسطين مأساة انسانية مثلما هي مأساة عربية وفلسطينية . ونعتقد ان معركة الحرية هي معركة واحدة على امتداد الساحة العالمية . وهزيمة الاستعمار في آسيا وأفريقيا واميركا اللاتينية تعتبر انتصارا للنضال من أجل الحرية ... »(٦) .

ووسعت بعض الجماعات الفلسطينية برنامجها ليشمل البلدان العربية المجاورة وبدعو الى الثورة الداخلية والنضال الموحد لجميع الشعوب العربية . وحاولت هذه الجماعات الافلات من الاطار-الاقليمي الضيق ، مما شكل مصدر ازعاج للانظمة العربية. واكبر هذه الجماعات هي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي تقدم تحليلا اشتراكيا متكاملا للوضع . ويقود هذه المنظمة عناصر فلسطينية مثقفة ثقافة غربية ، ويمكن تشبيههم بالعناصر الجزائرية ذوي الثقافة الفرنسية والذين لعبوا دورا بارزا في الثورة.

تحدد الجبهة الشعبية معسكر الاعداء باسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية والرجعية العربية(٧). وتعتبر نفسها حزبا ماركسيا ــ لينينيا ، وتطرح تحليلا طبقيا للصراع . وهي لا تقبل المساعدات من الانظمة العربية القائمة .

وتقول الجبهة في التقرير السياسي الصادر عن مؤتمرها الوطني الثالث :

« لقد أصبحت حركة المقاومة نموذجا يؤكد العنف الثوري أسلوبا تواجه به الجماهير اعداءها . كما أصبحت تمارس ضغطا على الانظمة الوطنية ممهدة بذلك الطريق لظهور حركة وطنية تتخطى هذه الانظمة ، وتشكل تهديدا حقيقيا للمصالح والقواعد الامبريالية في المنطقة ، خصوصا تلك التي يمثلها النظام الرجعي في الاردن . كذلك بدأت قوى اليسار في حركة المقاومة (أي الجبهة الشعبية وغيرها) تمارس ضغطا متزايدا على مجمل الوضع السياسي كما يبدو ذلك من خلال : موقفها من مشاريع التسوية ، وتأكيدها بصورة خاصة على الارتباط العضوي بين الوجود الاسرائيلي ، والمصالح الامبريالية ، والانظمة الرجعية في المنطقة . . . »(٨).

ويبدو واضحا من هذا الكلام ان النمو الايديولوجي الفلسطيني قد افترق عما هو لدى الجزائريين . ان القاسم المشترك بين الجهتين ــ المستعمر (بفتح الميم) ضد المستعمر (بكسر الميم) ــ يظل قائما . الا أن الفلسطينيين يرون نضالهم بمنظور أشمل .

الدعاية والتكتيك : يعرف الفلسطينيون ، كالجزائريين ، انه ليس بامكانهم الحاق الهزيمة العسكرية بالعدو بشكل حاسم وسريع . لذلك فالتكتيكات التي يتبعونها ترتبط مباشرة بقيمتها السياسية والدعاوية . كانت الدعاية الجزائرية تتوجه الى الجمهور بشكل عام . وأصدروا لذلك النشرات والصحف ، وحضروا اللقاءات والمؤتمرات السياسية وسعوا للحصول على الاعتراف الدبلوماسي حيثما أمكن . اما الفلسطينيون فيوجهون دعايتهم بالدرجة الاولى نحو اليسار . منذ الخمسينات والعالم يشهد انقساما متزايدا الى شطرين أساسيين ، وشهد اليسار والعالم الثالث قوة نامية. كان الاستعمار في الجزائر يعتمد على فرنسا الضعيفة نتيجة للحرب العالمية الثانية وحربها في فيتنام . في حين تحظى اسرائيل بتأييد العالم الغربي بشكل عام ودعم الولايات المتحدة بشكل خاص . وقد نجحت الدعاية الصهيونية في اظهار الاسرائيليين على انهم الضحية . ويركز الفلسطينيون ، بالنتيجة ، على العناصر التي من شأنها ان تقربهم من العالم الثالث وحركات التحرير .

ولجأ الفلسطينيون الى تكتيك لم يستخدمه الجزائريون ، وهو ما يمكن ان نطلق عليه تعبير « تكتيك ــ الصدمة » الذي يهدف الى ارغام العالم على تذكر المأساة الفلسطينية ووجود الفلسطينيين . وتشتمل هذه التكتيكات على خطف الطائرات والهجوم على السفارات والمؤسسات الاسرائيلية والصهيونية .

قام الجزائريون والفلسطينيون بالتنظيم الشعبي وسط شعبين يصعب اعتبار الواحد منهما « أمة » . فالشعب غير موحد ، غير منظم وليس أكيدا مما ينبغي عمله . وقام المندوبون في الحركتين بالتوجه الى الشعب لنشر الدعاية السياسية وتنظيم المؤيدين .

لكن الفلسطينيين يواجهون مشكلة خاصة ناجمة عن توزع الشعب الفلسطيني في عدة قطاعات ـــ داخل اسرائيل ، وفي الاراضي المحتلة عـــام ٦٧ ، وفي مخيمات اللاجئين ، بالاضافة الى المنتشرين في عدد كبير من الدول العربية وغير العربية . ويقوم الفدائيون بانشاء المدارس والعيادات والمؤسسات الاخرى في مخيمات اللاجئين ، وحققوا تأييدا شعبيا كبيرا . وفي السنوات التي تلت هزيمة ١٩٦٧ ، ملأ الفدائيون الفراغ الذي نجم عن فقدان الثقة بالحكومات العربية . ووصل التأثير الى الفلسطينيين في الخارج فبدأوا ينتظمون بطريقة شبيهة بتنظيم المنظمة الصهيونية العالمية لجمع الاموال من اجل دعم المقاومة .

لم يكن الاعتراف الدبلوماسي ممكنا بالنسبة للفلسطينيين . وقد رفضوا ، كما ذكرنا سابقا ، بشكل قاطع ان يشكلوا حكومة مؤقتة . تقول احدى نشرات المقاومة : « ان رفضنا لمشروع حكومة في المنفى يرتكز على فهمنا لميزان القوى بين الثورة وأعدائها . يجب أن يكون واضحا ، أولا ، اننا نواجه في الوقت الحاضر محاولة تصفية من جانب الصهيونية والامبريالية وكل قوى الرجعية في العالم العربي . ونتيجة لذلك، فاننا نحاول متابعة عملنا بطريقة سرية ونحول الاطار التنظيمـــي المنفلش الى جهاز يعمـــل تحت الارض ... ويجب ان ندرك ان حركة المقاومة الفلسطينية في وضعها الراهن لم تصل الى مستوى يمكنها من الاحتفاظ والسيطرة على مناطق محررة ، تقوم فيها حكومة ثورية مؤقتة...والى جانب ذلك فنحن لا نملك المكان المنيع كي نلجأ اليه كما يقول الوطنيون في فيتنام ، او كما فعل الجزائريون حينما كانوا يخوضون حرب الاستقلال »(٩).

تبدأ منظمات المقاومة عادة بنواة صغيرة من الاعضاء الواعين سياسيا ويحاولون تعبئة الجماهير . وقد بدأت الحركتان الجزائرية والفلسطينية ، بهـــذه الطريقـــة ، بنشاطات سرية وجهود لنشر الدعاية ، ترافقها عمليات عسكرية متقطعة . ثم ازداد التأييد للحركتين ، الا ان القيادة الفلسطينية لم تستطع انجاز وحدة فعلية رغم التقدم الملموس الذي تمثل في تشكيل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي انتخبت في كانون الثاني ١٩٧٢ في المجلس الوطني الفلسطيني والتـــي ضمت ممثلين عـــن المنظمات الرئيسية ومارست مسؤولياتها كقيادة جبهوية مسؤولة في مواجهة العديد من القضايا والاحداث . في عام ١٩٧٠ قامت منظمات المقاومة الرئيسية بعمليـــة توحيدية باشراف منظمة التحرير . غير أن تلك الوحدة كانت شكلية اذ استمرت المنظمات تتصرف كجماعات مستقلة . واختلفت المنظمات بشأن السياسة التي يجب اتباعها تجاه النظام الاردني ، وكان البعض يدعو الى الاطاحة به . وفي ايلول ١٩٧٠ تحرك الجيش الاردني ضد الفدائيين وحاربهم بشراسة . وقامت الحكومات العربية منذ ذلك الوقت بالحد من نشاط الفدائيين الى درجة كبيرة . ويقارن بعض المراقبين بين الفترة التي اعقبت معركة الجزائر المدنية عام ١٩٥٦ حين أضحى النشاط العسكري الجزائري في أدنى صوره ، وبين الوضع الراهن لحركة المقاومة ، الا ان الفلسطينيين لم يتحولوا الـــى الجبهـــة السياسية والدبلوماسية ، وبشكل فعال كما فعل الجزائريون بسبب اختلاف الظروف في الحالتين ، فالعمل السياسي بالنسبة للفلسطينيين يعني المساومة والتنازل اذا فهم منه انه بديل للكفاح المسلح ، كما وانه بالتالي لن يؤدي نتائجه الفعالة الا في ظـــل الاصرار على الكفاح مهما كانت الصعاب .

سار الفلسطينيون ، الى حد كبير ، في تكتيكاتهم العسكرية على النمط الذي استخدم في الجزائر ، كما يتمثل في : عمليات المدن ، اضرب واهرب ، القاء القنابل اليدوية وزرع الالغام . ولكن الفلسطينيين ، بسبب عدم امتلاكهم الاراضي الامنة يشنون منها غاراتهم، ظلوا معتمدين الى حد كبير على مواقف الانظمة العربية .

ان الفلسطينيين يواجهون عدوا لديه جيش قوي ويعمل من موقع استراتيجي متفوق.

وكان عليهم أن يفترقوا عن المثال الجزائري من عدة وجوه . لكنهم ، كالجزائريين ، يحاولون استخدام الكفاح المسلح لتحقيق التأييد الشعبي واقامة القواعد الامنة في الوقت الذي يتحاشون المواجهة المباشرة مع العدو الا في حالات محددة اثبتوا فيها عن فاعلية وروح معنوية عالية هزت صورة الجندي الاسرائيلي المتفوق كما حدث في الكرامة في آذار ١٩٦٨ وفي بيت فوريك وجنوب لبنان وفي عدة حوادث مجابهة في غزة .

أما نظرة الجزائر المستوحاة من تجربتها الخاصة ، الى المقاومة الفلسطينية فيصفها محمد يزيد على النحو التالي :

« (ينبغي على الفلسطينيين) الا يعتمدوا على أية جهة غير فلسطينية من أجل تحقيق هدفهم في التحرير . والدرس الثاني هو عدم القبول بالتدخل الخارجي في شؤونهم . ثالثا ، وهذه نقطة اود ان اركز عليها ، هي أن قوة الثورة لا تكون فقط بعدد المقاتلين ولا بعدد السلاح او بكميات الاموال التي بحوزتها . ان قوة الثورة هي في امتلاك المواقف الواضحة ، الهدف الواضح ، ان تعرف بالضبط ماذا تريد ، وأن تعلن ذلك بوضوح للاصدقاء والاعداء على السواء ... والفرق هو اننا في الجزائر بدأنا كفاحنا المسلح بموقف أساسي واحد هو وحدة حركة المقاومة ، وأعطينا ذلك اولوية حقيقية ، واعطيناه من التفكير بقدر ما اعطينا للقتال اليومي ضد الفرنسيين .ثانيا ، لقد كنا واضحين جدا حول شيء واحد ، هو أن العدو ليس المستعمر الفرنسي فقط ، بل والجزائري الذي يتعاون مع المستعمر الفرنسي ايضا . ثالثا ، ووجدنا انه مهم جدا ان يكون لنا قواعد في البلدان المجاورة ، ومنذ اليوم الاول تعاونا مع هذه البلدان على اسس واضحة ، أي عدم تدخل البلدان المضيفة في شؤوننا الداخلية ، وعدم تدخلنا نحن في شؤونها الداخلية »(١٠).

غير أنه ثبت صعوبة تطبيق هذه الدروس . فالفلسطينيون يدركون أن نضالهم سيكون طويلا ، والخسائر كانت كبيرة ، ولسوف تستمر كذلك ، كما ان تداخل ابعاد القضية الفلسطينية في الاوضاع العربية لم يكن هناك ما يماثله بالنسبة للثورة الجزائرية .

استنتاج : ان أية مقارنة بين الثورة الجزائرية والمقاومة الفلسطينية من شأنها ان تبرزبجلاء ضخامة الصعوبات التي تواجه الفلسطينيين . لكنها من جهة اخرى تشكل نموذجا لاستخلاص الدروس المفيدة . فهي تضع الوضع الفلسطيني في اطار اوسع للصراع العالمي . وتظهر اهمية الوحدة ، واقامة « الجبهة » المعترف بها ، ووضع برنامج استراتيجي متين .

كذلك أصبح واضحا في الوقت ذاته ، ان المقاومة ليست تماثلا . فهناك فروقات أساسية قد ظهرت بين الجهتين ، في معظم ، ان لم يكن في جميع الوجوه ، لذا فلا بد ان يختلف التحليل لكل منهما . ان القاسم المشترك ، حيث أهل البلاد يقاومون عناصر دخيلة غريبة ، مسألة واضحة تماما ، وكذلك الامر بالنسبة لوضع الشعب المتخلف تكنولوجيا يحارب شعبا يعيش مرحلة ما بعد العصر الصناعي . لكن الفلسطينيين يفتقدون الى العديد من العوامل التي ساعدت الجزائريين في نضالهم الشاق ، ومن ثم فان نجاح الجزائريين لا يعني ان الطريق سهل وقصير بالنسبة للفلسطينيين . غير انه يتعين علينا ان نتذكر أن المشاكل التي كانت تحيق بالقضية الجزائرية في اوائل الخمسينات ، بدت لكثير من المراقبين على انها لا يمكن التغلب عليها . والمقاومة الفلسطينية لا زالت في بداية الطريق .

ان العديد من المبادىء التي تعلمها الفلسطينيون كانت ناجحة بشكل ملحوظ . ففي

غضون بضع سنوات أصبح العالم يعي تماما وجود الشعب الفلسطيني ، وبدرجة أقل ، الظلم الذي لحق به . أما الاعتقاد السابق والقائل بأن الفلسطينيين سرعان ما يذوون وينتهون ، فقد تلاشى تماما .

تحت سيطرة دولة اسرائيل الان اقلية عربية تبلغ ٣٥ ٪ من السكان ، بما في ذلك سكان الاراضي المحتلة عام ٦٧ . وفي حال استمرار معدلات النمو والهجرة الحالية ، فسوف يصبح العرب نصف السكان في عشرين عاما . واي تحليل للوضع لا بد والحالة هذه من أن يتضمن عنصر التغيير الاجتماعي . فالاوضاع في اسرائيل وفي الدول العربية المجاورة اوضاع غير ثابتة .

ان الوعي الوطني الفلسطيني قد تمثل في ايديولوجية تقوم على تقرير المصير الوطني لضمان بقاء الشعب الفلسطيني كجماعة متميزة . وعلى العكس من الجزائريين الذين واجهوا عدوا يخضع للحكومة الفرنسية ، فان الفلسطينيين ، وعلى الرغم من الوحشية والتجاهل القائمين في الوضع ، قدموا لليهود المقيمين في فلسطين برنامجا متسامحا يتمثل في دعوتهم لاقامة دولة ديمقراطية تقدمية علمانية تساوي بين جميع سكانها ولا تميز بينهم بل وتساوي ما بين المستوطنين الذين قدموا منذ سنوات قليلة والذين قدموا أمس وسيقدمون غدا ، تساويهم بسكان البلاد الاصليين .

ان الفلسطينيين ، على اي تقدير ، يعيشون وضعا سيئا في الوقت الحاضر . وما يقوله قسطنطين زريق في كتابه « معنى النكبة » قد يكون هاجسا لا مبرر لـه ، وان « النكبة » قد تصبح دافعا لتطور متقدم في الشرق الاوسط . يقول قسطنطين زريق :

« ليست هزيمة العرب في فلسطين مجرد عنترة بسيطة او شرا عابرا . انها نكبة بكل ما في الكلمة من معنى وواحدة من أقسى التجارب والمحن التي لحقت بالعرب عبر تاريخهم الطويل ... ان الامكانات التي تتوفر للقوى الصهيونية من أجل النمو والتوسع سوف تضع العالم العربي والى الابد تحت رحمتها ، وسوف تشل حيويته وتعيق تقدمه وتطوره في درجات التقدم والحضارة — هذا اذا ما سمح للعالم العربي ان يوجد على الاطلاق »(١١) .

ليس من السهل على الفلسطينيين ان يقولوا وبكل بساطة « ونحن نستطيع أيضا كما استطاع الجزائريون » ، ولكن المرء لا يستطيع ان يتجاهل المكاسب المثيرة للاعجاب والتي تمثلت في اعادة خلق الاحساس بالتضامن والوعي الوطني والاصرار على مواصلة النضال ، والتي تحققت على يد الثورة الفلسطينية ، كما فعلت الثورة الجزائرية قبل ذلك بعقد من الزمن .

---

١ — **الاهرام** ، ١٩٧٢/٨/١٦ .

٢ — *Journal of Palestine Studies*, vol. II No. 2 (Jan. 1973).

٣ — Quandt, William B. *Palestinian Nationalism: Its Political and Military Dimensions*, 1971, p. 80.

٤ — *Palestine in the Western Press*, 196 ? p. 6.

٥ — **برنامج طرابلس** ، ١٩٦٢ ، ص ١—٣ .

٦ — *Palestine in the Western Press*, 196 ? p. 6.

٧ — Leila Kadi, *Basic Political Documents of the Armed Palestinian Resistance Movement*, 1969, p. 190.

٨ — *Bulletin*, No. 4, 1972, p. 5.

٩ — **المصدر نفسه** ، ص ١ .

١٠ — *Journal of Palestine Studies*, vol. No. 2, Winter, 1972, pp. 6-7.

١١ — مأخوذة من كتابه *A Palestine Entity ?* 1970, p. 21 & p. 31.

نظرة اولية في ميزانية وكالة الغوث ودلالاتها السياسية

نزيه قوره

موضوع وكالة الغوث وميزانيتها موضوع يستحق أقصى درجات الاهتمام من قبل جماهير الشعب الفلسطيني والمسؤولين في منظمة التحرير الفلسطينية بالدرجة الاولى ومن قبل الدول العربية التي يتواجد على ارضها الفلسطينيون. اذ ان ما جرى مؤخرا في المخيمات الفلسطينية من اضرابات واعتصامات في وكالة الغوث احتجاجا على الاوضاع اللاانسانية المفروضة على جماهير شعبنا في المخيمات ليست سوى البداية .

يجب أن ندرك ان المستوى الحالي للخدمات التي تقدمها الوكالة رغم هزاله هو المهدد . ولا نستطيع أن نحتمي طويلا وراء القول بأن الوكالة « مسؤولة » عن تقديم مثل هذه الخدمات ، وان هذه الخدمات « حق » للشعب الفلسطيني على هيئة الامم التي « ساهمت في اخراجه من ارضه وتشريده وحرمانه من وطنه » .

صحيح ان الامم المتحدة هي التي انشأت هذه الوكالة ولكنها لا تعتبر نفسها مسؤولة عن تشريد الشعب الفلسطيني اذ لم يرد اعتراف بالمسؤولية في اي من وثائق الامم المتحدة . ومن هنا فأن القياس الحاسم للمسؤولية الذي يتمثل في تخصيص ميزانية ثابتة تكون جزءا من ميزانية الامم المتحدة ، غير موجود . اذ أن ميزانية الوكالة تجمع بالطريقة نفسها التي تجمع بها الجمعيات الخيرية أموالها . والفارق الوحيد بين وكالة الغوث والجمعية الخيرية هو في الاسلوب الذي تتوجه به كل منهما الى المتبرعين . فالجمعية الخيرية تخاطب في المتبرعين مشاعرهم الانسانية ، أما وكالة الغوث فتخاطب مشاعر الخوف في نفوس المتبرعين . ان قراءة اي تقرير من تقارير وكالة الغوث الى الجمعية العمومية للامم المتحدة او قراءة محضر اجتماع يعقده ممثل الوكالة مع مندوبي الدول المتبرعة لميزانية الوكالة ، تدهشنا بكثرة تكرار عبارة « المحافظة على الامن والسلام في الشرق الاوسط » ، باعتبارها غاية اساسية من غايات الوكالة . كذلك نجد ان الحجة الاساسية التي يستعملها رجال الكونغرس الاميركيين ، او اعضاء مجلس العموم او اللوردات البريطانيين في حثهم تلك المجالس على اقرار التبرع لوكالة الغوث ، هي دور الوكالة في المحافظة على «الامن والسلام في هذه المنطقة المضطربة من العالم». ونجد المفوض العام للوكالة باستمرار يحذر الدول المتبرعة من النتائج الخطيرة التي تترتب على عدم دفع التزاماتها تجاه الوكالة او تخفيض هذه الالتزامات .

واذا ترجمنا كلمات « الامن والسلام في المنطقة » الى لغتنا فاننا سنجد ان « الامن والسلام » لا يعنيان شيئا في الواقع غير المحافظة على الوضع القائم الذي لا يخدم في النهاية غير ضمان استمرار خضوع شعوب المنطقة للسيطرة الامبريالية واستمرار نهب واستنزاف ثرواتنا الوطنية .

من هم « المحسنون » :

الحكمة التي تسير سياسة المتبرعين لوكالة الغوث هي الحكمة القائلة « واحسن كما أحسن اصحاب النفط اليك » . واذا ما بحثنا عن « فاعل الخير » الاول فلن نتعب في ايجاده . لقد قدمت حكومة الولايات المتحدة لوكالة الغوث عبر الفترة الممتدة بين ١٩٥٠ — ١٩٧٢ ، مبلغا قدره ٥٢٥ مليون دولار من مجموع ٨٠٠ مليون دولار تلقتها الوكالة من الحكومات المختلفة ، وهذا يعادل نسبة ٦٥،٦ ٪ من مجموع ميزانيات الوكالة عبر ٢٣ عاما . أما « فاعل الخير » الثاني فليس مصادفة كونه يأتي في الترتيب الثاني بعد الولايات المتحدة في امتلاكه امتيازات النفط العربي . فقد دفعت بريطانيا لوكالة الغوث عبر ٢٣ سنة (١٩٥٠ — ١٩٧٢) مبلغ ١٢٣ مليون دولار أي ما يعادل نسبة ١٥،٤ ٪ تقريبا من المجموع . وهذا يعني ان مجموع ما تبرعت به الدولتان يعادل ٨١ ٪ من مجموع ما تبرعت به ٩١ دولة من دول العالم .

ان درجة الحرص على « الامن والسلام » في المنطقة تتناسب مع الحرص على استمرار الوكالة في عملها . ولهذا نجد أن أشد الاطراف حرصا على الامن والسلام هم الذين كانوا أشدهم حرصا على استمرار عمل وكالة الغوث . غير ان الحرص على الامن والسلام في المنطقة له تعبيرات اخرى . اذ أن عمليات تطويع وتدجين الفلسطينيين ليست كافية لضمان « الامن والسلام » ، وخاصة ان عملية التطويع والتدجين غير مضمونة النتائج اذا تركت لوكالة الغوث وحدها ، كما اثبتت السنوات الاخيرة . ولهذا كان لا بد من زرع انياب حادة في لثتي « مستحقي صدقة » آخرين . لقد كلفت عملية زرع الانياب في لثتي وكالة اخرى غير وكالة الغوث ، وهي الوكالة اليهودية التي اصبحت في زمن ما « دولة اسرائيل » مبالغ تزيد بعشرين ضعفا عن المبالغ التي كلفتها عملية قتل العافية في جسد الشعب الفلسطيني .

كيف « يحسنون » ؟

هناك قانون اساسي تخضع له ميزانية وكالة الغوث : يجب ان لا يتحول اي جزء من ميزانية الوكالة الى رأسمال مادي أو بشري . وهذا يعني عدم السماح بتطور او نمو قوى منتجة من ناحية وعدم السماح بتراكم رأسمال من ناحية اخرى . ومن أجل تحقيق هاتين الغايتين قسمت الميزانية الى ثلاثة أبواب جرى تجميد البابين الاولين وجعل الباب الثالث متغيرا . ومن أجل توضيح الطريقة التي تمكنت بواسطتها الوكالة من تنفيذ استراتيجيتها عبر ميزانيتها الخاصة لاشراف دقيق من قبل « المتبرعين » ، سنعطي فكرة عن كل بند من بنودها .

١ — **الاعاشة** : ظلت المواد الغذائية التي تعطى للاجئين ثابتة من حيث الانواع ومن حيث الكمية . وبالتالي ظل المبلغ الذي ينفق على تزويد اللاجئين بالمواد الغذائية شبه ثابت . فهو لم يزد عن ١٢ مليون دولار في أية سنة من السنين . ومن جهة اخرى جرى وضع حد لعدد اللاجئين الذين يتلقون الاعاشة . فرغم ازدياد عدد اللاجئين المسجلين لدى الوكالة من حوالي ٩٠٠،٠٠٠ شخص عام ١٩٥٠ الى اكثر من ١٫٥ مليون عام ١٩٧٢ الا ان عدد المستفيدين من الاعاشة لم يتغير بشكل جذري . فقد بلغ عام ١٩٥٠، ٨٢٦ الف نسمة وفي عام ١٩٧٢ بلغ ٨٢١ الف نسمة . أي أن الفرد الواحد يتلقى ما يعادل ١٤،٥ دولار في العام من المواد الغذائية . وحتى يصبح لهذا الرقم معنى نذكر بأن قيمتها في الشهر الواحد هي ١٫٢ دولار ، اما في اليوم الواحد فتبلغ قيمة هذه المواد اربعة سنتات أمريكية وهي تعادل ١٢قرشا لبنانيا وهي لا تزيد كثيرا عن ثمن رغيف خبز جاف . وحتى هذه الكميات بدأت الوكالة بتخفيضها في الاشهر الاخيرة الى النصف.

٢ ــ **الخدمات الصحية** : رغم ازدياد الفلسطينيين بالنسبة التي ذكرناها اي من حوالي ٩٠٠،٠٠٠ الى اكثر من ١،٥ مليون فأن مخصصات الخدمات الصحية ظلت ثابتة نسبيا . وهي تزيد أو تنقص قليلا عن خمسة ملايين دولار في العام . وهذا يعني ان ما ينفق على الفلسطيني في العام الواحد يساوي ٣،٣ دولار . وهذه يجب ان تنفق على انشاء مجارير وجمع النفايات والتطعيم ومرتبات الاطباء والمستشفيات والدواء... الخ، علما بأن مبلغ ٣،٣ دولار ، أي ما يعادل عشر ليرات لبنانية وهو مبلغ لا يكفي لشراء بضعة علب اسبرو . ان ما ورد في مطالب اهالي مخيم البرج الشمالي والمخيمات الاخرى بشأن الوضع الصحي والخدمات الطبية والنظافة ودوام الطبيب وكميات وأنواع الدواء ، أمر يتفق تماما مع حجم مخصصات الوكالة للخدمات الصحية . ان هذه الارقام تبين كم هي شكلية وغير مجدية تلك الخدمات التي تقدمها الوكالة وتطلق عليها خدمات صحية .

ان حجم الخدمات الصحية وخدمات الاعاشة وتجميد هذا الحجم عند حد معين ، في ظل التغير السريع الذي تشهده انماط الاستهلاك في المجتمعات المحيطة وارتفاع مستويات المعيشة فيها ، لا يقصد منه ضمان حياة الفلسطينيين بمقدار ما يقصد منه جعل الحياة في مناطق تجمع الفلسطينيين امرا مستحيلا ، مما يدفع اعدادا كبيرة من الفلسطينيين وخاصة المؤهلين علميا وفنيا منهم الى الهجرة الى مناطق بعيدة عن الحدود الفلسطينية ، وهنا يأتي دور البند الثالث في ميزانية وكالة الغوث وهو البند الوحيد المتغير في هذه الميزانية ، نقصد بند التعليم .

٣ ــ **التعليم** : بخلاف البندين السابقين اللذين عملت الوكالة على تجميدهما عبر السنوات الثلاث والعشرين الماضية ، فقد ظلت مخصصات التعليم ترتفع سواء بالارقام المطلقة . او بنسبتها المئوية الى مجموع الميزانية . ففي عام ٥٣ ــ ٥٤ بلغت نفقات التعليم حوالي ثلاثة ملايين دولار تشكل ما نسبته ١٠ ٪ من الميزانية . وفي عام ٧٢ بلغت مخصصات التعليم أكثر من ٢٣مليون دولار تشكل٤٦،٦ ٪ من مجموع الميزانية. ومن هذا الرقم بلغت نفقات التعليم الاكاديمي الذي يشمل المرحلتين الابتدائية والاعدادية ١٧ مليون دولار أي ما يعادل ٧٤ ٪ من مجموع نفقات التعليم .

ان الهدف من اتباع هذه السياسة ، أي الاحتفاظ ببندين من بنود الميزانية ثابتين وتغيير البند الثالث ، هو تطبيق استراتيجية معروفة بأسم استراتيجية حذوة الفرس . ان المحافظة على شروط حياة متدنية مع عدم الاهتمام بالتطوير الاقتصادي لمناطق تواجد الفلسطينيين ، سواء كان هذا بسبب عوامل موضوعية أم بسبب سياسة مخططة ، لا يمكن أن يؤدي الا الى نتيجة واحدة ، عملية قصد دائم لدم الشعب الفلسطيني عن طريق حرمانه ، اولا بأول ، من عناصره الشابة المؤهلة علميا وفنيا لتشكيل هيكل عظمي له يحفظ تماسكه ويمنحه صلابة تمكنه من القيام بدوره في المنطقة. وفي النهاية تبقى الوظيفة الاساسية التي تقوم بها وكالة الغوث هي العمل على منع وجود تجمعات فلسطينية قوية على حدود الارض الفلسطينية . وقد تحقق هذا الهدف في مناطق التجمع الاساسية وهي الضفة الغربية وغزة ولبنان .

التطورات الاخيرة في الميزانية :

عندما بدأت الوكالة عملها على اساس القيام بمجموعة من مشروعات التوطين الزراعي للاجئين كانت تملك احتياطيا يبلغ ٤٨ مليون دولار ، وعندما فشلت هذه المشاريع بدأت الدول المتبرعة ، وعلى وجه الخصوص الولايات المتحدة ، بتقليص التزاماتها ، وبدأت ميزانية وكالة الغوث تعاني عجزا دائما وخاصة بعد سنة ١٩٥٥ . فقد انخفض الاحتياطي بين سنتي ٥٥ ــ ٥٧ من ٣٧ مليون دولار الى ٢٠ مليون دولار.

أي أن النفقات زادت على الواردات خلال سنتين بمبلغ ١٧ مليون دولار مما اضطر الوكالة في سنة ٥٧ الى الغاء او تخفيض عدد من المشاريع . ولعل اصرار الولايات المتحدة وبريطانيا في تلك السنتين على تخفيض مساهمتهما في ميزانية الوكالة يستهدف حرمان الوكالة ، بصفتها الدولية ، من المرونة التي يمنحها اياها وجود احتياطي يعادل او يزيد عن نفقات الوكالة خلال سنة واحدة ، وهو أمر يسمح لهاتين الدولتين ، وخاصة الاولى منهما ، بمراقبة مباشرة وتحكم أكثر شدة بأوجه انفاق ميزانية الوكالة . كما يسمح انعدام وجود احتياطي كاف ، للولايات المتحدة ، بالضغط السريع على الحكومات المضيفة للاجئين لضمان عدم معارضة هذه الحكومات لسياسة الوكالة .

وقد ظل هذا الاحتياطي البالغ ٢٠ مليون دولار ثابتا نسبيا بين سنوات ٥٧ ــ ٦٣ حيث بدأ بالانخفاض السنوي الى أن وصل الى أدنى مستوى له عام ١٩٧٢ وهو ٣ ملايين دولار ، في الوقت الذي بلغت فيه ميزانية الوكالة حوالي ٤٨ مليون دولار . فاذا حسبنا الانفاق الشهري لوكالة الغوث لبلغ ٤ ملايين دولار في الشهر وهذا يعني ان ثلاثة الملايين دولار التي تشكل الاحتياطي لا تكفي لاكثر من ٢٢ يوما ، فيما اذا تأخرت البلاد المتبرعة كلها او بعضها عن دفع « التزاماتها » .

ميزانية ١٩٧٢ : لقد طرأت تطورات عديدة على ميزانية الوكالة من ناحية عدد المتبرعين وحجم تبرعاتهم . فقد استمرت الولايات المتحدة في تخفيض مبلغ ما تتبرع به الى أن ثبتته على مبلغ ٢٢ مليون دولار تقريبا . وهذا يساوي حوالي نصف التبرعات الحكومية التي تتلقاها وكالة الغوث . وتصر الولايات المتحدة منذ اكثر من خمس سنوات على عدم زيادة تبرعاتها رغم ازدياد ميزانية الوكالة من ٣٧ مليون دولار عام ١٩٦٦ الى ٤٩ مليون دولار عام ١٩٧٢ وهي زيادة تعادل ٣٢ ٪ خلال ست سنوات .

وقد بلغ عدد الدول المتبرعة لميزانية عام ١٩٧٢ ، ٦١ دولة ، تبرعت ١٠ دول منها بما مجموعه ٤١ مليون دولار تقريبا من مجموع التبرعات الحكومية البالغة ٤٦ مليون دولار تقريبا ، ويضاف الى هذا مبلغ ٣،٥ مليون دولار تبرعت بها مؤسسات دولية غير حكومية وقد كانت التبرعات الحكومية لعام ١٩٧٢ موزعة على الشكل التالي :

ميزانية ١٩٧٢ (بالمليون دولار)

نصف ــ ١		١ ــ ٥		فوق ٥	
البلد	المبلغ	البلد	المبلغ	البلد	المبلغ
الدنمارك	٨٩٧،٣٢٣	كندا	١،٥٥٤،٥٥٠	الولايات المتحدة	٢٣،٨٧٦،٠٠٠
اليابان	٧٥٠،٠٠٠	المانيا الغربية	٣،٨٠٥،٠٠٠		
النرويج	٦٩١،٣٧١	السويد	٣،١٥٨،٠٠٠		
اسبانيا	٧٤٤،٥٠٠	سويسرا	١،٠١١،٧١٥		
		بريطانيا	٤،٨٨٦،٢٥٠		
المجموع	٣،٠٨٣،١٩٤		١٤،٤١٥،٥١٥		٢٣،٨٦٧،٠٠٠

وهناك بالاضافة الى الدول العشر المذكورة في الجدول حوالي ٥١ دولة تبرعت بما يقارب ٤،٥ مليون دولار اي ما يعادل ١٠ ٪ من مجموع التبرعات الحكومية . ونستطيع أن نلحظ عند مقارنة تبرعات هذه الدول ببعضها ، التناسب القائم بين حجم التبرع وحجم المصالح التي لهذه الدول مع الدول العربية ، كما اننا نلاحظ تناسبا أشد بروزا

بين حجم التبرع ودرجة ارتباط الدولة بالولايات المتحدة الاميركية .

اما الدول العشر التي تبرعت بما يقارب ٩٠ ٪ من ميزانية الوكالة فان ستة منها هي الدانمارك والنرويج وكندا والمانيا الغربية وبريطانيا والولايات المتحدة ، اعضاء في الحلف الاطلسي . اما الدول الاربع الباقية فان ارتباطها بالمخططات الاميركية التي تستهدف استمرار السيطرة على المنطقة ، غير خاف .

وهناك ملاحظات جديرة بالتسجيل حول الميزانية الاخيرة للوكالة (١٩٧٢) .

آ ـ ارتفعت تبرعات اليابان من ٤٠،٠٠٠ دولار عام ١٩٦٨ الى ٧٥٠،٠٠٠ دولار عام ١٩٧٢ ، علما بأن مجموع تبرعات اليابان للوكالة عبر ١٨ عاما (١٩٥٠ ـ ١٩٦٧) لم يزيد عن ٣٣٢،٥٠٠ دولار . أي ان التبرع في سنة واحدة هي سنة ١٩٧٢ زاد بمقدار الضعف عن تبرعات ١٨ عاما . وليس بمقدورنا ان نفصل بين ازدياد استثمارات اليابان في النفط العربي وازدياد حجم صادراتها الى الدول العربية وبين هذه الزيادة في تبرعاتها لوكالة الغوث .

ب ـ ازدادت تبرعات المانيا الغربية من ٢،١٤٩،٢٦٣ دولارا عام ١٩٦٨ الى ٣،٨٠٥،٠٠٠ دولار عام ١٩٧٢ . وعند المقارنة نجد أن مجموع ما تبرعت به المانيا الغربية خلال ١٨ عاما على وجود الوكالة لم يزد عن ٤،٣٨٨،٥٢١ دولارا . هذا بالمقارنة مع مساعدات عسكرية واقتصادية قدمتها المانيا الغربية لاسرائيل زادت عن ٢٠٠٠ مليون جنيه استرليني .

جـ ـ كذلك ازداد اهتمام بلجيكا ، وهي عضو اخر في الحلف الاطلسي ، بوكالة الغوث ، وهذا الاهتمام « بتوفير الخدمات للاجئين الفلسطينيين » عبر عن نفسه بزيادة تبرعات بلجيكا من ٣٥،٠٠٠ دولار عام ١٩٦٨ الى ٣٨٠،٠٠٠ دولار عام ١٩٧٢ ، مع ملاحظة أن مجموع تبرعاتها خلال الثمانية عشر عاما السابقة بلغت ٤٦٣،٠٠٠ دولار .

د ـ ان اكثر ما يلفت النظر في الميزانية الاخيرة لوكالة الغوث هو ما طرأ من تغير على مساهمة فرنسا في هذه الميزانية . فقد بلغ مجموع ما تبرعت به بين سنتي ١٩٥٠ ـ ١٩٦٧ ، ١٣،٧٠٩،٨٣٥ دولارا ، وفي سنة ١٩٦٨ بلغ ما تبرعت به فرنسا ١،١٢٨،٤٥٧ دولارا ، **وانخفض** هذا الرقم الى ٤٧١،٠٠٠ دولار . لقد حصل هذا الانخفاض في الوقت الذي حصلت فيه تغيرات هامة في السياسة الفرنسية تجاه مسألة الصراع العربي الاسرائيلي . كما ان السياسة الفرنسية ابتعدت كثيرا خلال هذه الفترة وفي الفترة التي سبقتها مباشرة عن السياسة الاميركية ، واضحت أقل تماثلا معها ، كما وضعت فرنسا اسسا جديدة لسياستها تجاه الدول العربية ، تتميز باقترابها اكثر فأكثر من تفهم واحترام المصالح الوطنية للشعوب العربية .

هـ ـ عبر دراستنا لميزانية وكالة الغوث وجدنا ان الدول الاشتراكية ، امتنعت منذ البداية عن المساهمة بأي مبلغ كان في ميزانية وكالة الغوث . وفي الوقت الذي لا نملك فيه تفسيرا رسميا لهذا الامتناع ، الا أننا لا نستطيع فصله عن موقف الدول الاشتراكية، وخاصة الاتحاد السوفياتي من مسألة المساهمة في ميزانية الامم المتحدة لاغراض الانفاق على القوات الدولية في الكونغو وقبرص وغزة . كذلك لا نملك الا ان نقارن هذا الموقف من وكالة الغوث ، بمواقف الدول الاشتراكية من قضايا حركة التحرر الوطني العربية ، والمساعدات التي قدمتها الدول الاشتراكية للدول العربية المتحررة .

الوضع الحالي :

تبلغ ميزانية الغوث لعام ١٩٧٣ حوالي ٥١ مليون دولار حسب ما ورد في الميزانية

المعدة عام ١٩٧٢ . وقد طرأت تطورات عالمية غير مباشرة على وكالة الغوث وتتطلب حلولا عاجلة :

آ ــ فمن ناحية انخفض سعر الدولار بنسبة كبيرة وظل سعره عبر السنة الحالية يتذبذب تذبذبا شديدا . فقبل بضعة أشهر كان سعر الدولار يساوي اكثر من ٣ ليرات لبنانية ، وفي فترة من الفترات هبط الى ٢،٣٠ ليرة لبنانية ثم عاد فاستقر على ٢،٥ ليرة لبنانية . أي أن نسبة السقوط بلغت الان نسبة ١٦،٦ ٪ . وهذا يعني ضرورة زيادة ميزانية الوكالة بهذه النسبة حتى تستطيع تقديم نفس الخدمات التي اعتادت تقديمها .

ب ــ ان المتطلبات التعليمية للشعب الفلسطيني تزداد باستمرار ، وهذا يعني المتحدة ، وبشكل خاص سعر القمح . فاذا أصرت الولايات المتحدة ، التي تقدم قسما كبيرا من مساعداتها عينا بشكل مواد غذائية وخاصة القمح ، على عدم زيادة مساهمتها في الميزانية ، فان هذا سيعني بالضرورة ، تخفيض حجم المواد الغذائية التي تقدمها .

ان النتائج المترتبة على عدم زيادة ميزانية وكالة الغوث ، حتى في حالة عدم المطالبة بتحسين مستوى الخدمات الحالي ، نتائج بالغة الخطورة وتتطلب أهتماما فوريا :

آ ــ فمن ناحية تعرض موظفو وكالة الغوث البالغ عددهم ١٤،٥٠٠ موظف الى خسارة مالية ، بسبب احتفاظ الوكالة لودائع هؤلاء الموظفين بالدولار . وهذا يعني ان كل موظف سيخسر من توفيره بالعملات المحلية ، مبلغا يعادل انخفاض الدولار .

ب ــ بأن المتطلبات التعليمية للشعب الفلسطيني تزداد باستمرار ، وهذا يعني ضرورة زيادة الاعتمادات لصالح جهاز التعليم ، من أجل تحسينه وزيادة قدرته على استيعاب الاعداد الجديدة . فاذا لم تزد هذه الاعتمادات فاننا سنشهد انخفاضا سريعا في مستوى التعليم المتدني أصلا والبعيد عن تلبية احتياجات شعبنا . وقد عبر الاعتصام الاخير الذي قام به ٧٥ معلما من معلمي الوكالة ، عن جانب من المشكلة . فقد ورد في بيانات المعلمين المعتصمين ان الوكالة صرفت هؤلاء المعلمين من وظائفهم في الوقت الذي تخسر فيه اكثر من ٥٥ طالبا في الصف الواحد . وباستطاعتنا ان نتصور جدوى العملية التربوية في وضع كهذا .

ج ــ ان قسما كبيرا من ميزانية الوكالة يقدم عينا لا نقدا . وهذا يعني ان اول من سيتضرر من الوضع المالي للوكالة هم الموظفون الذين ، كما ذكرنا آنفا ، يبلغ عددهم ١٤،٥٠٠ موظف . وقد يدفع العجز في الميزانية بالوكالة الى فصل قسم من هؤلاء الموظفين نتيجة عجزها عن رفع رواتبهم .

لقد تبينا ان الخدمات الصحية وخدمات الاعاشة التي تقدمها الوكالة محدودة الفائدة في جميع الاحوال . وقد لا يعني فقدانها حدوث كارثة . ولكن حرمان الفلسطينيين من الخدمات التعليمية ، رغم ضعفها واغراضها ، وحرمان اعداد منهم من وظائفهم سيشكل وضعا لا يمكن ان يمر بدون حدوث مضاعفات خطيرة . واذا أدركنا ان الدول التي تساهم في ميزانية الوكالة ، لا تفعل هذا ، بدوافع انسانية ، ولا تستهدف بالتالي أهدافا انسانية بمقدار ما تستهدف المحافظة على الاوضاع القائمة ، واذا كانت هذه التبرعات ليست ناتجة عن الخوف على صحة الفلسطينيين بل عن الخوف من الفلسطينيين ، في هذه الحالة يتوجب علينا أن نوفر اجابة منطقية على السؤال : كيف يمكن التوفيق بين النضال الذي يخوضه الفلسطينيون والقوى الثورية العربية الاخرى ضد الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة ، وبين ترك حياة وصحة الفلسطينيين وتربيتهم وتعليم أبنائهم تحت رحمة القوى نفسها التي يحاربونها ؟

ان الدول الامبريالية ستستمر في دعم وكالة الغوث ما دامت هذه الدول تلمس جدوى

دعم هذه الوكالة وفعاليته في تجميد أوضاع المنطقة لصالح هذه الدول ، ويعنينا هنا ان نؤكد ان صدى هذا الدعم ليس مرتبطا باحتياجات الفلسطينيين أو بمدى شعور هذه الدول بالاثم تجاه الفلسطينيين ، ومن هنا كان المستوى المتدني للخدمات التي تقدمها الوكالة .

ان تجميد حجم المساهمة الاميركية والبريطانية في ميزانية الوكالة يعني ان هاتين الدولتين لا تريان أية جدوى اضافية يمكن ان تنتج عن زيادة دعمهما للوكالة . وليست هناك اسباب تدعونا للاعتقاد بامكانية تغيير موقفيهما لصالح زيادة مساهمتهما . على ان المسألة قد لا تقف عند هذا الحد ، فقد تقرر الدولتان أو واحدة منهما على الاقل وخاصة الولايات المتحدة ، أن المردود السياسي لمساهمتهمـا لا يتناسب مع حجم هذه المساهمة ، فتقرر تخفيض او قطع هذه المساهمة . وهناك سوابق تشـير الى هذا الاحتمال . ففي عام ١٩٦٦ طلب الكونغرس الاميركي قطع الاعاشة عن مجندي جيش التحرير الفلسطيني في غزة . وفي هذه الايام يثيرون مع الوكالة مجموعة مـن القضايا تتعلق بوجود المقاومة في المخيمات الفلسطينية . واذا عرفنا ان الابقاء على المستوى الحالي لمساهمتها في ميزانية الوكالة لن يمنع وجود عجز سوف يبلغ عن السنة القادمة حوالي عشرة ملايين دولار ، بسبب انخفاض الدولار وارتفاع اسعار القمح ، فكيف سيكون الوضع لو قررت الولايات المتحدة تخفيض او ايقاف مساهمتها كليا ؟

ان الطلب من منظمة التحرير الفلسطينية تحمل أي جزء من هذه المسؤوليات أمر غير وارد ، والسبب هو عدم وجود الامكانيات وليس « حقوق » الفلسطينيين على الامم المتحدة ، فقد تبينا ان الامم المتحدة ليست ملتزمة رسميا بشيء تجاه الفلسطينيين . ان التفكير بمصادر محلية وطنية لتمويل الخدمات الاساسية التي اعتادت الوكالة تقديمها للفلسطينيين وخاصة خدمات التعليم ، أمر لا يمكن تأجيله ، اذا أردنا حقا توفير أسس صحيحة لخوض صراع ظافر ضد كل عوامل التجزئة والتخلف والتبعية التي تعاني منها شعوبنا .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

كتـــاب

دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني

« قرية ترمسعيا »

٢٦٠ صفحة من القطع الكبير

بثماني ليرات لبنانية للنسخة الواحدة

يضاف اليها أجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في اوروبة ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

أطلبه من مركز الابحاث ــ قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت .

الكركدن المحاصر
دراسة حول توفيق صايغ

الدكتور عيسى بلاطه

يوم الاحد الواقع في الثالث من كانون الثاني عام ١٩٧١ كان توفيق صايغ في طريق عودته الى منزله في تمام العاشرة مساء من حفلة عشاء في منزل أحد زملائه في بيركلي من اعمال ولاية كاليفورنيه الاميركية . وما أن استقل المصعد الى شقته حتى فاجأه الموت داخله . وحين فتح باب المصعد صرخت فتاتان كانتا تنتظران المصعد فور مشاهدتهما توفيق وهو جالس بلا حراك وعيناه تلمعان وتعلو وجهه ابتسامة كأنه في نشوة الابتهاج . وتبع ذلك كله حركة غير عادية نقل على أثرها جثمان توفيق الى شقته ثم اعلن نبأ وفاته للعالم عبر وكالة اليونايتد برس انترناشيونال على النحو التالي :

« بيركلي ، كاليفورنيه ي. ب. ا. وجد توفيق صايغ ، وهو شاعر عربي مرموق ومحاضر في جامعة كاليفورنيه ورئيس تحرير مجلة « حوار » سابقا ، ميتا في شقته ليلة الاحد هنا ، وكان في السابعة والاربعين من عمره . وقد اعلن مكتب التحقيق في الوفيات ان وفاته كانت نتيجة ذبحة قلبية » .

ولد توفيق في اليوم الرابع عشر من كانون الاول من العام ١٩٢٣ في قرية خربة في حوران ، جنوب سوريه . ثم انتقلت اسرته الى فلسطين قبل أن يبلغ الثانية من عمره حيث حصلت على الجنسية الفلسطينية وكانت فلسطين انذاك في ظل الانتداب البريطاني. أما والده عبدالله فقد ولد في خربة الشعار قرب دمشق نحو العام ١٨٨٥ وتلقى علومه في مدرسة الفنون الانجيلية في صيدا . وولدت والدته عفيفة البتروني في العام ١٨٩٣ في البصة في شمالي فلسطين ودرست في المدرسة التي درس فيها زوجها . وفي العام ١٩١٥ تزوج عبدالله من عفيفة . وكرس عبدالله قسيسا مشيخيا في العام ١٩٢٣ بعد تخرجه من كلية اللاهوت في القدس . وعاشا في البصة ثم رحلا الى طبرية في منطقة الجليل(١).

نشأ توفيق وترعرع بين اشقاء خمسة وشقيقة واحدة وكان طفلا حساسا منطويا على ذاته . تلقى علومه الابتدائية في طبرية ثم تخرج من الكلية العربية في القدس بدبلوم المترك الفلسطينية في العام ١٩٤٢ وانتقل بعد ذلك الى الجامعة الاميركية في بيروت حيث درس الادب العربي والانكليزي . وتخرج بدرجة بكالوريوس في الاداب في العام ١٩٤٦ ليعود في السنة ذاتها الى فلسطين حيث درّس في القدس خلال السنة الدراسية ١٩٤٦ — ١٩٤٧ . وفي هذه السنة كان الانتداب البريطاني على فلسطين يقارب على الانتهاء وبدأت الفوضى في الانتشار في البلاد عندما كان العرب واليهود يستعدون لانسحاب بريطانية من البلاد في أيار من العام ١٩٤٨ . وبدأ القتال بين الطرفين حتى قبل مغادرة القوات البريطانية البلاد واخذ المدنيون العرب غير المسلحين يبتعدون عن مسارح القتال ويهجّرون بالقوة عن بيوتهم. وغادر توفيق القدس عائدا الى منزل والديه في طبرية

التي لم تكن بدورها في أمان . لقد كان الصهيونيون على الرغم من كونهم أقل عددا من الفلسطينيين العرب أكثر وأفضل منهم عدة وأحسن تنظيما بحيث تركت نجـــاحاتهم العسكرية أملا ضئيلا للمدنيين العرب العزل من السلاح بأن يشعروا بالامان . ثم وقعت مذبحة دير ياسين الرهيبة التي جرى الاعلام عنها بطريقة مقصودة ترمي الـــى نشر الرعب في قلوب المدنيين العزل . وقد سقط ضحية هذه المذبحة ٢٥٤ مدنيا عربيا ـــ من الرجال والنساء والاطفال ـــ في التاسع من نيسان ١٩٤٨ . وارتكب الصهيونيون اعمالا وحشية مماثلة اثارت الهلع في النفوس وادت الى الفرار الجماعي من البلاد طلبا للسلامة بحيث اخليت البلاد تقريبا واعلن قيام اسرائيل .

وقررت عائلة صايغ مغادرة بيتها في طبرية مثل الاف الناس الاخرين ، وانتهى بها الامر في لبنان فاقامت في بيروت حيث درّس توفيق لفترة من الزمن الادب العربي في الجامعة الاميركية في بيروت ورئس تحرير « صوت المرأة » التي كانت تصدر في بيروت باللغـــة العربية عن الاتحاد النسائي اللبناني . ثم أصبح بعد ذلك مديرا لمكتبـــة مركز الاعـــلام الاميركي في بيروت .

وحاز توفيق في العام ١٩٥١ على منحة مؤسسة روكفلر لدراسة الادب المقـــارن في جامعة هارفارد . ثم نال في العام ١٩٥٢ منحة من المجلس الثقافي البريطاني لدراسة الادب في جامعة اكسفورد . وفي السنة الدراسية ١٩٥٣ ـــ ١٩٥٤ تابع الدراسات العليا في الادب في جامعة كامبردج منهيا على حد قوله «ثلاث سنوات من الحج الادبي» . وبعد ذلك عين أستاذا للدراسات المشرقية في جامعة كامبردج لينتقل منها في العـــام ١٩٥٩ الى جامعة لندن كمحاضر في الادب العربي حيث بقي في هذا المنصب حتى العام ١٩٦٢ .

وفي العام ١٩٦٢ نفسه عاد الى بيروت ليرئس مجلة « حوار » منذ بدايتها حتـــى نهايتها في العام ١٩٦٧ ، وكانت تجربة أثرت في نفسه كثيرا ما لبث بعدها أن ذهب الى الولايات المتحدة في خريف العام ١٩٦٧ حيث قضى نحو سنة جولة يحاضر فيها فـــي الجامعات الاميركية مثل جامعة برنستون حيث ألقى سلسلة محاضرات امتدت على مدى ستة أسابيع حول الشعر العربي المعاصر . وعين في خريف العام ١٩٦٨ محاضرا في قسم لغات الشرق الادنى والادب المقارن في جامعة بيركلي في كاليفورنيه ، وبقي فيها الى ان وافته المنية في كانون الثاني من العام ١٩٧١ .

لم ينشر توفيق صايغ شيئا بعد سفره الى الولايات المتحدة عدا ترجمته العربيـــة لرباعيات ت. س. اليوت . وقد صدرت في بيروت في العام ١٩٧٠ اثناء زيارة توفيق بيروت لهذا الغرض في ذلك العام . لكنه كان قد بدأ ترجمة هذا الكتاب في العام ١٩٦١ والعام ١٩٦٢ عندما كان لا يزال في لندن ، ثم نشرها مسلسلا في مجلة « أصوات » الفصلية الصادرة بالعربية في لندن وقد قدم للمسلسل بدراسة نقدية ممتازة . ولكن أوراق توفيق الخاصة لم تكن في المتناول اذ جمعها في شقته ومن مكتبه في بيركلي اخوه الدكتور فايز صايغ . ولا تزال عائلته تدرس تلك الاوراق قبل السماح بنشرها . ومع ان توفيق احاط نفسه بستار من الصمت الا انني اعلم انه كان يكتب نوعا من المذكرات الشعرية او بالحري سيرته الذاتية شعرا كما يراه الاخرون .

ولكن توفيق خلف وراءه عددا من اعماله المنشورة اكسبته مكانة في عـــالم الادب العربي المعاصر ، وهي مكانة لا تزال موضع نقاش : فالتقليديون ينكرون عليـــه هذه المكانة انكارا شديدا ، أما الطليعيون فيعترفون له بتلك المكانة بصورة رئيسية . ولقد استوحى توفيق صوغ أفكاره من القيم الثقافية الغربية أكثر مما استوحاه من القيـــم العربية التقليدية . هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية جاءت معاناته الروحية واهتماماته

الماورائية نتيجة لكونه مسيحيا منغمسا انغماسا شديدا بمسائل لاهوتية حول علاقة الخالق بالمخلوق . وهاتان الناحيتان لا تجدان بسهولة صدى في نفس القارىء العربي المسلم أو حتى المسيحي ما لم يكن قد تعرف الى هذه المسائل وتمرس بها . أضف الى ذلك ان رؤياه الشخصية جدا ، مصاغة بأسلوب شخصي جدا ومفردات شخصية جدا أيضا ، لا تجعل من آثاره رائجة وشائعة او سهلة الفهم والتذوق بين القراء . الا انني اعتقد ان العمق والاصالة والاخلاص والشجاعة لدى توفيق كشاعر تحدى التقليد ستجعل منه انسانا معروفا على نطاق واسع ولو متأخرا .

بدأ توفيق ينظم الشعر في اواخر الاربعينات ونشر بعضا من شعره في مجلة «صوت المرأة» التي رأس تحريرها لفترة قصيرة في بيروت . واختار منذ البداية الشعر الحر وسيلة للتعبير عما يتأجج في نفسه . ومنذ البداية كان متمردا لانه عرف ان ما اراد ان يقوله لم يكن ممكنا احتواؤه في الصيغ القديمة . لقد جاء شعره نوعا متطرفا من الشعر العربي الحر الذي أخذ يظهر في الدوائر الادبية العربية في اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات ، ذلك ليس فقط لان الشعر الحر رفض كل المفاهيم الكلاسيكية حول الاوزان والقوافي بل أيضا لانه لم يقبل بالعروض الجديد الذي أخذ يشق طريقه في صفوف الشعراء العرب الشبان والذي يعتبر التفعيلة المنفردة الوحدة العروضية الاساسية في الشعر ، ذلك مقابل التفعيلة المتعددة (البحر) في بيت الشعر العربي الكلاسيكي والتغيرات الحديثة التي دخلته . لقد كان شعر توفيق متحررا من جميع الاشكال الشعرية السابقة وخارجا على الوزن والقافية . لقد جاء شعره حرا ومنسابا ، ومتموجا رقراقا ، وغزيرا جارفا ، منسجما مع انسجام وتناغم الفكرة التي تنساب مع الكلمات التي تحملها محدثة جرسا موسيقيا جميل الايقاع . ان توفيق لا يعترف في شعره الا بذبذبات الجملة المنسابة مع نبض الفكرة .

القصيدة لدى توفيق هي كليا تعبير حر عن التجربة الانسانية ، هي تعبير يحمله الشاعر الى القارىء لا من أجل ان يتحسس التجربة بل بصورة رئيسية من أجل ان ينفث الشاعر قوة داخلية احدثت ألما في نفسه فأحس به وكأنه شحنة كهربائية تزداد قوة وتزيده ألما بازدياد قوتها وتزيده في أثناء انطلاقها خلقا وابداعا شعريا . من الواضح ان مفهوم الشعر هذا لم يكن ليقبل قيود العروض التقليدية لانه لم يرض ان يكون مقيدا وملجما ويفقد بالتالي طبيعته . ان مفهوم الشعر هذا آمن بحرية الشاعر حرية تامة في التعبير عن رؤياه الذاتية وعالمه الخاص بلغة عربية معبرة جدا عن ذلك . لقد نظم قليلون من الشعراء شعرهم مثله في ضوء هذا المفهوم ومنهم جبرا ابراهيم جبرا وانسي الحاج ومحمد الماغوط ثم ادونيس . ان غالبية «أصحاب الشعر الحر» الاخرين اختاروا الاحتفاظ بالتفعيلة في نظم شعرهم كما احتفظوا أحيانا بنوع من القافية ، وانغمسوا انغماسا عميقا في شؤون امتهم العربية الاجتماعية ــ السياسية عندما كانت الامة العربية تمر في مرحلة مضطربة اضطرابا عظيما بشأن التغيير وأزمة الهوية في منتصف القرن . وقد كان شعرهم ، الذي تعرض لهجوم العناصر المحافظة في المجتمع ، ملتزما بقضية الجماهير ومتبنيا مواقف ايديولوجية ماركسية او متمسكا بمبادىء الواقعية الاشتراكية .

أما توفيق صايغ فلم يكن ملتزما الا برؤياه الشخصية ولم يتمسك بغير مبدأ الحرية الفردية في تعبير جمالي . ومن هذه الناحية يمكن اعتباره من أكثر المتمردين تطرفا في الشعر العربي الحديث ، ولذلك قد يكون واحدا من العرب القلائل الذين فهموا معنى « الحديث » وليس فقط معنى « المعاصر » في مجال الابداع الفني في القرن العشرين(٢) .

ترك توفيق صايغ ثلاث مجموعات شعرية نشرت جميعها في بيروت . اولها «ثلاثون قصيدة»(٣) صدرت في العام ١٩٥٤ . وثانيها « القصيدة ك »(٤) ونشرت في العام ١٩٦٠ . والثالثة هي « معلقة توفيق صايغ »(٥) وصدرت في العام ١٩٦٣ . ثم نشر توفيق بعد ذلك قصائد اخرى في المجلات ولكنها لم تجمع بعد ، كان اخرها مجموعة من قصائد الحب بعنوان « أيضا وايضا » نشرت في اخر عدد من اعداد مجلة « حوار » في اذار — نيسان ١٩٦٧(٦) .

ركز توفيق في جميع اعماله الشعرية على ثلاثة جوانب رئيسية في وعيه الشعري يوحدها موضوع واحد : تلك الجوانب هي الوطن والحبيبة والخالق ، وذلك الموضوع هو الحب . الا انه لحظة ما يصل الشاعر الى ذروة الاحساس وقمة الوعي وأسمى درجات رقة الشعور تتداخل الجوانب الثلاثة معا وقد تفهم القصيدة عندها على مستويين او حتى ثلاثة مستويات من المعنى بالقدر نفسه . ويصير موضوع الحب الذي يعم شعر توفيق عميقا لدرجة يتحول معها من عاطفة متأججة الى كراهية ظاهرية .

وفي خضم هذا الحب الشديد يظهر الوطن وكأنه موضع كراهية بسبب تأخره مقابل ماضيه المجيد ، كما يظهر وكأنه موضع انتقاد وتأنيب بسبب خضوعه للزعامة المستبدة وتعهيره للمثل السامية . ومن اعماق هذا الحب الشديد ايضا ينظر الى حبيبته القاسية وكأنها حاملة العذاب والموت ، ويرى في رغباتها الجسدية وشهوانيتها خطيئة قاتلة لا بد من تجنبها . ومن حرارة هذا الحب ايضا نظر أخيرا الى الله وكأنه «حارس السماء» الذي يتبع الشاعر بلا كلل مراقبا ضعفه وخطيئته .

لذلك قد يكون من الانسب القول ان الموضوع الرئيسي الذي يدور حوله شعر توفيق هو الاغتراب : الاغتراب تجاه الوطن والاغتراب تجاه الحبيبة والاغتراب تجاه الله . يصح قول ذلك اذا ما فهمنا ان اغتراب الشاعر أمر لا خلاص منه ، مبعثه الحب الذي يراه الشاعر مشوها تشويها مأساويا ، ومحطما تحطيما مستمرا بواسطة ظرف الانسان او ضعفه ، وسببا دائما للمعاناة ، لذلك فان شعر توفيق هو صرخة متألمة تعبر عن وضع الانسان وتستحق الاهتمام والانتباه لانها تلقي ضوءا على روح الانسان في القرن العشرين .

لنتناول الجوانب الثلاثة الان بشيء من التفصيل .

الوطن : فلسطين هي الوطن الذي نشأ فيه توفيق طفلا وترعرع شابا . ان بحيرة طبريه والناصرة وجبل تابور والمجدل وبيت عنيا والقدس وبيت لحم كانت بالنسبة لتوفيق أكثر من أسماء لاماكن على الخارطة وأكثر من ذكريات ورد اسمها في الكتاب المقدس وفي «مدرسة الاحد» . تلك أجزاء من كينونته عملت على تكوين ذاته الواعية وغير الواعية التي عبر عنها في شعره فيما بعد . لقد أحب وطنه وتذكر اللحظة الحزينة التي طرد فيها من وطنه في العام ١٩٤٨ . ان صور تلك اللحظة المأساوية تتردد كلما نظر الى الوراء الى حياته المضطربة في « معلقته » التي نظمها في العام ١٩٦١ . يقول توفيق :

حياتي تلاحق نار ونار ، / زماني أؤرخه بالنار ، / تشعط وتأكل ، / تشحذ السيوف .

ثم يقول بعد رجوعه من القدس الى طبريه :

هربا من النار جئنا الماء . / من رفسة بالظهر الى / ذراعين في انفتاح . / هربا من النار المدنسة / جئنا المياه المقدسة ، / تضرب حيطان بيتنا / نشربها بلا تصفية . / يسوع الشيخ / عاد فتيا يلاعبني ، / اله الصلوات الطوال البعيد / انتشلني لدياره / جعلها دياري .

أما عن لجوئه الى لبنان فيقول في مكان اخر من القصيدة ذاتها :

ويوم ارتكضنا شمالا / كما كنا ارتكضنا لجنوب / وتركنا المياه المقدسة / يلوثها المغتصبون / يلوثها أكثر الاخصياء .

...

يوم تركنا الديار / ولم نحمل معنا / سوى الذكريات ، والمخاوف والمناشل ، / وقام بين الديار وبيننا / سيف مديد عنيد .

...

عرفت ان عهد التيه استهل / ولا بعد أمان، / ان كل قطر معاد / وكل بحر قد نشف / وكل خيط قد انقطع.

وفي قصيدة سابقة (القصيدة الرابعة عشرة في «القصيدة ك») يتذكر توفيق بيته الذي بقي وراءه في وطنه ويندب وضعه الحالي منفيا ولاجئا فيقول :

تشققت قدماي أبلاني العراء . / ومقاعد البارکات تركت / ترب أضلعي أضلعا جددا . / نظر لي الشرطة شزرا / وتجرجرت من مكان لمكان ، / معدما ، الا / من ذكريات طوال النهار لمنزل / كان لي بالامس / بالامس وحسب ، / وفي العشايا / من رؤى / لسكناي فيه من جديد ، / توقظني / لاهجا (لا أغفر) / بمن (لاأستطيع اللعن) / شردني .

لا يحصر توفيق نفسه هنا ، كما في كثير من قصائده ، ضمن حدود المعنى الظاهر للنفي المادي من فلسطين . فعلى الرغم من انه قد يتكلم عن اللاجئين العرب الفلسطينيين ولاجئي الشعوب المقهورة الاخرى في القرن العشرين المتميز بظاهرة اللجوء فانه يمكننا فهم قصيدة توفيق بمعنى اخر . فهو يتحدث من الناحية الرمزية عن الانسان الحديث الذي كتب تاريخه بالنار والذي تطارده قوى الشر من المياه المقدسة ليحيا في منفى عن الله . فهو يعاني في تلهفه للعودة الى يسوع الشاب الذي يحمله الى وطنه الالهي .

ويجد سعي الانسان الحديث الى الخلاص الروحي في ملكوت الله صورته في قصيدة رمزية اخرى هي القصيدة رقم ٢٤ من مجموعة « القصيدة ك » حيث يفقد الشاعر ، وهو المسافر بدون جواز سفر، الامل في دخول ملكوت الله أبدا مثلما فقد الامل اطلاقا بالعودة الى فلسطين المحتلة . انه يشعر نفسه وكأنه على ظهر سفينة ترسو في ميناء بعد اخر دون ان يسمح له بالنزول على ظهرها لانه لا يملك جواز سفر. ينزل مسافرون ويصعد اخرون وهو يبقى على متن السفينة يمنعه باستمرار عملاق من النزول في ميناء وجهته. وتأتي لحظة ينادي عندها بصوت حزين شجي :

« أوراقي سليمة / في كل جيب شهادة ، / لماذا لم يصدروا لي جوازي ؟ / ماذا وشى بي ؟ من وشى ؟ / ما تهمتي / فأدفع تهمتي ؟ / وليس في اليم سفارات » . / « وما سفارتك ؟ » / « كنت أعرفها / أرتادها في كل مناسبة : / نسيت نسيت / ما سفارتي » .

لم يكن شعر توفيق بشأن الوطن شعرا حماسيا انفعاليا في لهجته ، وذلك على عكس الكثير مما نشر من الشعر في هذا الوقت . وبما ان الوطن في شعر توفيق لم يكن محدودا ضمن مفهوم جغرافي فانه شمل الثقافة والحضارة العربية ككل . لقد أحزنه حزنا شديدا وحز في نفسه ان يرى العالم العربي يتلكأ خلف الامم الاخرى ويتقسم على نفسه ويهدر طاقاته او يخضع لحكم يحرم الفرد من حريته التي هو بحاجة ماسة اليها اذا كان ليساهم في بناء وطن عربي حديث . ونظر توفيق الى الامجاد العربية الغابرة فصعب عليه ان يصدق انهم وصلوا الى الحالة المتدنية التي هم فيها الان . ولكنه يعكس اعتقاده بذلك ليقول في مجموعته « ثلاثون قصيدة » قصيدة بعنوان « نشيد وطني » :

أحقا عرفت صبيا / وحقا أثار الفتنة / اصطخاب ردفيك في الشباب ؟ / أحقا ترأست المنتدى / وكرست

أعدادها لفساتينك / مجلات الموض ؟ / لا أصدق ؛ / أحقا قلبت زوجك زعيما وهدى / وبنى لك زوجك معلقات ، / يا بلادي ؟

أحقا غناك باجلال / من كان بحرقة غناك / وحقا حدوت الخيل / وساقها بنوك لبعيد المراعي / وما فتحت فاها لقضم / وفتحته لصهيل كترنيم مآذن ؟ / لا أصدق / لا أصدق يا بلادي .

لا لانك شخت : / ففي اغبرار الذوائب وقار / وللتجاعيد فعل قصر عنه الغضوض . / ولا لانك انزويت : / لو أنك اذ تنحت الاضواء عنك / احتضنت المعاهد / او افتتحت المياتم او جمعت التبرعات . / لا يا بلادي : / وكنت اذا لاهواك / وأغني جمالا يتدرج وما يزول ، / وكنت اذا أزورك / وأحرم اذ أزور .

لكنك تكللت مع المشيب بالهوان / ونفضت عنك ذكرى زوجك والشباب / كأنهما غبار على جسمك المعفر . / لكنك أخصيت بنيك / ورأيتهم طأطأوا الرأس لذكراك . / وتمرغت مع هذا وذاك من منحرفي الميول / (وكيف أصدق ما يقال عن ماضيك / يا بلادي / أنا الذي رأيت بيتك وأضواءه الخافتة ؟) / واما أشاح عنك العاشقون / قودت لبناتك / يا بلادي / يا بلادي .

علق توفيق امالا كبارا على امته العربية من المحيط الى الخليج . لكنه تألم وحزن لما رأى القيادة لا تتخذ الخطوات التي اعتبرها الخطوات الصحيحة المؤدية الى تحسين مصير الجماهير . كما أحزنه ايضا ان يرى الجماهير ، وقد فقدت ارادتها تقريبا ، لقد كان توفيق ليبراليا ومفكرا متمردا في وطن رآه يتجه نحو فرض القيود من شتى الانواع ونحو القبول بقيم اعتقد انها تبقي على حالة التخلف . لكنه لم يكن سياسيا ولم يحب السياسة . فهو يقول في القصيدة السادسة والعشرين من مجموعته «ثلاثون قصيدة»:

« رحماك زعيمي ! » / وقبلت أسفل القضبان . / ورماني بضحكة وقال : / « غن ، أكسر القضبان » . / وتنحنحت، أستجر النديب / أستجر الرجاء . / وغنيت وغنيت ، / وتراقص الصوت / ولم توقع له حنجرة، / وغنيت وطيبت لي . / وانتهى الي صوت بعيد : / « كفى ! » / قلت : « ابتعد ايها الشيطان » . / والح : « جئت بالمطرقة » ، / قلت : « بلى ، ولكن / لست ارى القضبان » .

وهكذا يجد توفيق الحرية في الشعر تلك الحرية التي يرى ان مجتمعه يفتقد اليها . ومن خلال الشعر يأمل ان يحول بني قومه ، لا من خلال السياسة . ولقد كان التوجه الرئيسي لمجلته « حوار » لدى عودته الى الشرق الاوسط في العام ١٩٦٢ بعد غياب دام سنوات في اميركه وبريطانيه هو خلق مناخ للمناقشة والحرية الفكرية . ولذلك سميت « حوار » . وفي الافتتاحية الوحيدة التي كتبها لمجلة « حوار » قال :

ونحن نؤمن ان المثقف العربي ، كاتبا كان أو قارئا ، فنانا أو أديبا أو مفكرا ، لا يعيش كما ينبغي أن يعيش الا ان تيسر له مناخ الحرية ، شأنه بذلك شأن المثقف في أي بلد آخر . ونؤمن ان المثقف في تعطش دائم الى مزيد من هذه الحرية ، اللازمة له أكثر من لزومها لاي سواه من أفراد المجتمع ، وان مجتمعات العصر الحديث لم تحقق في مجالات الحرية ما حققته في مجالات العلم والتقدم والحضارة .

لذا فان « حوار » ستعنى عناية خاصة بقضايا الحريات ، وعلى رأسها حرية الثقافة ، حرية التفكير والتعبير والقول والقراءة ، في العالم كله . ستدعو اليها ، وتنبه لها ، وتدافع عنها ، وتقيم المذاهب والنظم على أساس تبني هذه الحريات او تنكرها لها .

لقد حقق توفيق في اثناء اصداره مجلة « حوار » المثل التي أعلن عنهـا في تلـك الافتتاحية ولكنه ما لبث ان اصيب بخيبة أمل ومرارة أدت في النهاية الى اغلاق «حوار» . وفي قصائد الحب « أيضا وايضا » التي حملها اخر اعداد « حوار » مقطوعة يعبر فيها عن حبه للوطن بعد مرارته وخيبة امله ورفضه بقوله(٧):

في سني النفي / أنستني النفي ، / ساعة ساعتين في النهار ، / حفنة من تراب / رافقتني بتجوالي / غير ذات ثقل . / بعدت عن ارضي / حملت ارضي الي . / داعبتها لاعبتها / كحبيبة كمسبحة . / حمتني شددتني / شدتني للارض ، أرضي ، / علمت قدمي التقدم للوراء .

نثرتها في الهواء ، ذريتها ، / هواء وطني الخانق ، / قدمتها ذبيحتي / لا نباتا لا حياة / في اللحظة الاولى / في بلادي . / على وجهي ارتميت .

أرضي بوار ، / مدنها صوامت ، / هجرتها العقبان حتى ، / أشجارها اجتثت ، / ترابها وحل وبراز . / ليست لي الارض هذي / لم أرها فيما مضى ، / قلبي بعيد / تجد قدماي في لحاقه .

تسعيان للمنفى ، من جديد ؟ / تسعيان للمنفى . / أرضي لم تكن ارضي / التي عدت أمس اليها : / حفنة تراب / فقدتها / أرضي .

وهنا يظهر اغتراب الشاعر تجاه وطنه اغترابا كاملا . فهنا الحب الذي يبدو وكأنه استحال كراهية ومهد الطريق للمنفى الجسدي الاختياري . ولكن توفيق كان قبل ذلك منفيا وسط شعبه . فوطنه فلسطين كان صعب المنال وكذا كان مثاله . لقد كان مصيره ان يعيش منفيا الى الابد .

الحبيبة : ان المرأة بالنسبة له ، مع انها مصدر شعري ، لم تكن مبعث حب رومنطيقي بل مبعث حب ساحق ومعذب جدا وربما أيضا مصدر خطيئة أنهكه الى حد الموت .

لقد استوحى ثلث قصائد مجموعته « ثلاثون قصيدة » من الحبيبة . الا اننا لا نعلم من هي تلك الحبيبة أو ما اذا كانت هي حبيبة من حبيبات . اننا نقرأ في قصيدته السادسة عشرة عن حب جميل وقصير الاجل :

كالبرقة في منتصف ليل شتوي / ومضت ، / كالبرقة لمعانا وخطفا ، / لا رائدة غيث ولا بشرى ربيع . / لمعت ، ولمع الافق ، / واختفيت أبدا ، وكأن ما كان ما كان .

عرفتك / وأنا اناء من الزهر خلو ، / فكنت الزهر : لكن ما كان أسرع ما فني ، / وأنا ديوان ليس فيه شعر ، / فكنت الشعر : لكن ما كان أقصر غمرته ، / وأنا هيكل غاب عنه القدس ، فكنت القدس : / قدسا واشتهيتك .

وغبت وغبت ، / واستكان القلب ، من غير هدوء / وارتمى الفكر ، من غير سنة ، / ولكن أحقا أتيت ؟ / وحقا كنت ؟ / وكنت ؟

وفي قصائد حب أخرى من المجموعة ذاتها نرى سعادة وبهجة طفولية، نظرات عفيفة، عيون مثل بحيرات زرقاء تبعث في النفس رغبة في السباحة فيها . ثم نسمع توفيق يتحدث عن « نقص حقي أليم » في حبه « الى أن انزاح الستار الاخير » . ويقول بعد أن يتحدث عن الازدراء والخيانة والهجر :

كذا يكون الرحيل : / مطهر اماني وارتياب / فرعشة نعيم / تمحي في جحيم سرمدي ؟

اما في قصائده (في المجموعة ذاتها) التي يخاطب فيها الله فاننا نسمع صوت خاطىء تائب أحيانا ومتمرد أحيانا أخرى . الا أننا لا نعلم ما هي خطيئته ولكننا نراه يبحث في القصيدة الاولى في مجموعته « ثلاثون قصيدة » عن « الملذات » في الظلام ثم يعترف بقوله :

في لحظات الذرى رأيت الهاوية ، / ومع نشيق العطور تنشقت الحنوط .

ثم يتساءل توفيق :

أأنا الملوم / اذا استدار القفل ولم يتدحرج المفتاح / الا في منزل على جبين ربته / وصمة كوصمتي ؟

الا أن الشاعر يواجهنا في « القصيدة ك » التي صدرت في العام ١٩٦٠ بنوع آخر من الحب ، وانني أعتقد ان هناك حبيبة أخرى . الا ان ثلاثا فقط من الخمس وعشرين قصيدة التي تضمها هذه المجموعة مستوحاة مباشرة من الحبيبة ولكن تأثيرها يسير بقوة في كل القصائد الاخرى . وربما كان ذلك سبب اطلاق اسم « القصيدة ك » على هذه

المجموعة الشعرية اذ أن « ك » يشير الى اسم الحبيبة دون ذكرها . لم يذكر توفيق قط اسم تلك الحبيبة بل اكتفى بالاشارة اليها فيما بعد بالحرف الانكليزي «K» في « معلقته » .

من هي « كاي » ؟ ان أحد المصادر القليلة عنها هو جبرا ابراهيم جبرا ، صديق توفيق ، والشاعر والروائي وكاتب القصة القصيرة والناقد الادبي والرسام العربي الفلسطيني . وجبرا يكبر توفيق بثلاث سنوات وكان قد تعرف اليه في الكلية العربية في القدس حيث درسا في العام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ . وتخرج جبرا من جامعة كيمبردج ثم درّس في فلسطين والعراق مدة من الزمن ليعود في العام ١٩٥٢ لمتابعة الدراسات العليا في جامعة هارفرد حيث عاد فالتقى توفيق وتعرف اليه جديدا . وبعد ذلك عمل جبرا مديرا للشؤون الثقافية في شركة نفط العراق في بغداد ولا زال يحتفظ بمنصبه حتى الان ، وهو منصب أتاح له السفر لمدة خمسة أو ستة أسابيع سنويا الى لندن حيث التقى مرة أخرى توفيق الذي كان يدرس في كيمبردج وبعدها في جامعة لندن . والتقى الاثنان باستمرار في لبنان حيث كان توفيق يقضي صيفه . وكان تبادل الرسائل بينهما مستمرا . يقول جبرا(٨): « كانت كاي تغويه وتعذبه معا ، وتتقن كلا الفنين وتتمتع بهما . ما رأيته في لندن في أواخر الخمسينات ، الا وهو في تباريح غريبة من هذه الفتاة — وهي فنانة تقيم في لندن ، تتشبث به وتغار عليه ، وتعقد عليه لذة الحب بلذائذ من قسوتها السادية لا يستطيع منها فكاكا . تغار عليه حتى من أصدقائه ، فلا تريده أن يراهم ، ولا تريد هي أن تراهم . أسماء صحبه لديها تعاويذ شريرة . يأتيني منهكا ، شاحب الوجه ، محروم النوم ، مهووسا برعب هذا الحب اللذيذ المرير » .

اما المصدر الآخر لمعلوماتنا عن كاي فهو الكاتب والناقد الادبي السوري الاصل رياض نجيب الريس الذي كان يقيم في كيمبردج في العام ١٩٥٦ حيث كان توفيق يدرس . يقول الريس(٩): « لكن « كاي » كانت الهاجس الذي كان يأخذ توفيق صايغ منا كل جمعة في كيمبردج ولا يعيده الينا من لندن الا ليل الاثنين . وكان يعود متعبا منها ، حتى قضت على وتر الحيوية فيه ، فأعطى كل هذا الالم والكثير من ذلك الشعر . وعندما انتقل الى لندن استاذا في جامعتها ، كانت « كاي » بدأت تختفي من حياته ، الا أن عذابه بغرامها تصاعد حتى استوى على وتيرة واحدة من الالم ، اعتادها » .

يتضح من هذه المعلومات الضئيلة ان ذلك كان نوعا غير عادي من الحب . « فكاي » هي تلك الحبيبة السادية التي تحب أن تمتلك حبيبها وتوفيق هو ذلك الحبيب المطيع وربما الماسوكي . ربما كان توفيق مستمتعا بهذه العلاقة الى حد ما . الا انه يبدو بالرغم من ذلك أنه لم يكن سعيدا بهذه العلاقة وثار عليها أخيرا وأنهاها . ثم حاول أن يحرر نفسه من العذاب الناتج عن ذلك عن طريق التعبير المتألم عن تجربة حبه في تلك القصائد التي تضمها مجموعة « القصيدة ك » . لا بد ان عذابه كان عظيما اذ اعترف لجبرا في لندن انه كان يفكر في احدى ليالي ربيع العام ١٩٦٠ بالانتحار . فحاول جبرا جهده اقناع توفيق بالعدول عن مثل هذا العمل الجنوني ودعاه الى مأدبة طعام وشراب سخية في فندق بيرنر على شارع اكسفورد حيث كان يأمل اقناعه بعدم الانتحار عن طريق المنطق والحس المدرك(١٠) . ولا بد ان يكون جهد جبرا قد آتى ثماره فساعد توفيق على التغلب على أزمته وربما لا على رغبته الخفية في الموت ، اذ قال توفيق في مقالة غريبة كتبها فيما بعد بعنوان « أنا .. توفيق صايغ » متذكرا « كاي » وأمه أيضا التي توفيت في العام ١٩٥٠(١١):

مرتين ، في ١٩٥٠ وفي ١٩٦٠ ، كنت على وشك الانتحار دفعة واحدة . آنذاك اجتزت احدى أزمتين في حياتي (لا تضاهيهما الا أزمة الولادة) . في احداهما أقصيت عن النعيم ، وفي الاخرى عن الجحيم ، يتحدثون

عن فاجعة الفردوس المفقود : الفاجعة لا في أنه الفردوس الذي فقد ، بل في الفقدان ذاته ، لفردوس كان أو لنار . في ١٩٥٠ و ١٩٦٠ لم يكن الجبن الذي صدني ، اخيرا ، من الانتحار .

ولماذا لا أنتحر مرة واحدة ؟ ألم ... تكتشف ان في من (من ماذا ؟ أجل قلها : من النرطقة ، من الماسوكية ، من الانحراف ؟) ما يجعلني استمرىء الانتحار التدريجي البطيء ، أتلذذ ، أتمتع به ، ارتمي عليه ارتماء الرضيع على ثديي ماردة ، والمحب على حبيبة — أفعى ، فلا أود ان استعجل الشبع الكافي ، ولا اللذعة ، المرهقة — المريحة ، الحاسمة ؟

حاولت « كاي » العودة اليه ، لكنه قاومها رغم تهديدها له بالقتل او التشويه . الا ان قلبه لم يسترجع سلامه . ففي القصيدة الثانية عشرة من « القصيدة ك » يتذكر كيف كان ولهان بحب « كاي » ومستعدا لاعطائها قلبه ثم يجدها تغدر به :

خليا كنت ، / بريئة ارضي . / أجئت تعيدين علي / ماساة بلادي ؟ / فتحت ، فتحت لك أعماقي / وأعطيتك الشط والتلال / وحملت التربة الحية بكف / نبشتها لك من الاقاصي / والماء بكف ، / وقلت لخضرة واحتيك اليوم / وخضرة ارضي غدا / وللمدارس والمعابد والمصحات / والزورق الذي جاء على زرقة البحر / وكأنه جاء على زرقة السماء . / لو عرفت لو عرفت ، / وكيف بعرف زارع الزيتون والعنب / ان القتال ، / كيف يعرف عاصر الزيت والنبيذ / معنى للقتال ؟ / وأقصى أقصى ما علمتني الذكرى / جيشان يقتتلان بأرض ثالث / أو بلد يخرب الديار ويجلو / وينقى بعده الدم وتشمخ المباني ، / ولم تعلمني عن بلد / يخرب ويعمر لذاته / ويجلي ولا يجلو .

يلاحظ في هذه القصيدة أن الوطن والحبيبة يندمجان مع اشتداد حبه . ان المستوطنين الصهيونيين في فلسطين الذين أعطوا الساحل والتلال ليطـــردوا في النهايـــة العرب الفلسطينيين ترتسم صورتهم في وعي الشاعر عندما تصبح حبيبته امرأة غازية بعد أن فتح لها أعماق أعماقه . ان حبه لهذه المرأة هو في وعيه نقيض حبه لامه : ان حب «كاي» مهلك اما حب امه فهو دافق ، الاول جحيم والثاني نعيم . لقد ظن ان بامكانه احلال احدهما محل الآخر ولكن كانت الفرصة قد فاتته عندما اكتشف انهما متصارعان وأنه هو حلبة الصراع .

ان هذه الافكار ومشاعر الشاعر الدينية تجاه الخطيئة ونفيه من وطنه واغترابه في المدنية الحديثة شكلت مادة أعظم قصائده وهي تلك التي نشرت تحت عنوان « القصيدة الاخيرة » في العدد العشرين من مجلة « شعر » في العام ١٩٦١ والتي نشرت منفصلة في كتاب في العام ١٩٦٣ بعنوان : « معلقة توفيق صايغ » .

يصور الشاعر بايجاز في هذه القصيدة تجربته في الحياة وذلك في أجزاء اربعة مثل حركات السيمفونية الاربع ويرى في مكان آخر من القصيدة في امه و K مريمين فيقول :

سيفا النار لا يتعبان / يترنحان ولا يهويان / من يد المريمين : / مريم الاحزان ومريم الاحزان ، / مريم الهدوء ومريم المنخب ، / مريم الغرس والعناية / وميناء السلامة ومسح الجبين / ومريم المطرقة والفأس / وبذر البذور / والاظفار تغرز في الحبيب قبل الغريم / والذات قبل الحبيب ، / مريم البذل والوقاية / ومريم تطلب كل يوم ضحية ، / مريم القلب ومريم الجسد ، / مريم الاحزان ومريم الاحزان ، / مريم الحب ومريم الحب ، / مريمين ، مريم .

وبعد صلب الحب هذا يشطح الشاعر « جثته » مـــن مكان لمكان متمتمـــا صلوات قدسيتها ليقول في النهاية :

وأرفع يدي / وقلبي وفمي : / « أعني . أعني » .

انه يسعى وراء عون يسوع لانه بحاجة اليه ، فهو معلق بين الحياة والموت .

الخالق : وننتقل الى موضوع الله عند توفيق لنجده معرّفا حسب الظرف فهو يسوع

حينا والله حينا آخر مع ان الشاعر لا يذكر أيا منهما عادة . وهو يخاطب الله في معظم قصائده الدينية على شكل محادثة معه ، وهذا يصل احيانا درجة السخرية المهينة ، اذ يسخر الشاعر من ضعف الله او يعجب لعدم تحركه ويصل أحيانا الغضب عليه لانه ينظر نظرة ارتياح الى ضعف الشاعر وهو يتلوى ألما وشعورا بالذنب. ويتساءل الشاعر عن قيمة خلاص الانسان اذا ترك هذا الانسان بلا مساعدة .

ليس معنى ذلك ان الشاعر لا يؤمن بحاجته هو شخصيا للخلاص . بل هو ، على العكس، يشعر نفسه منجرا باستمرار بعيدا عن الله وانه بحاجة الى يد يسوع تنتشله. الا أن هذه اليد الممتدة لا يبدو له انها تمتلك القوة أو الارادة لانتشاله . انه يريد من الله أن يسعى اليه بلا انقطاع وان يحبه بلا فتور . يقول في القصيدة الاولى من مجموعته الشعرية « القصيدة ك » :

أكلما مسمر الوحل قدمي / وشلني الا يدين رفعتهما اليك / تمسمرت وشللت يديك / وطالبتني بالانبثاق بالارتقاء اليك ؟ / أكلما صرخت واستغثت / واكتسبت عطف من حواليك / عطفت لكنما اكتفيت / (يديك اريد يديك) / بتدلية حبل الي ؟

وعلى الرغم من حاجته لمحبة الله وعونه فانه يبحث عن وقت ومكان يكون فيهما حرا من الله وغير مراقب مراقبة دائبة . وهو يرغب في أن يستطيع اغمـــاض عينيه ليرى مشهدا لا يكون الله فيه « منتج الشريط والمخرج والممثل الوحيد » ، على حد قول توفيق.

يؤمن الشاعر بأن الله وهو يحتاج أحدهما الآخر وانهما في خطر السقوط عن الحافة. وهو بأن الله ميت في العصر الحديث بل انه ضعيف وغير قادر على الفعل . وهو يعجب كيف واجه المسيح الصلب بشجاعة ويتخلى الآن عن أتباعه . وفي رباعية بعنوان « أربع أغنيات لأحب » يتوسل الى المسيح ان « ينهض ويمزق الاكفان ويلون الوجنتين ويترك ديار الصقيع » ، ويطلب اليه الا يتركه يصبح ذبيحة اذا كان حقا يريد الرحمة لا الذبيحة. وينتظر مجيء المسيح الذي لا يصل أبدا ويتركه ينتظر :

ووعدتنا رجوعا قريبا كطرفة عين / محملا لنا بالعطايا . / وامتطيت ضاروخا وئيدا لم يختبر بعد ، / وانطلق ، وانطلقت ، واختفيتما / كأن ما كان ما كانا .

...

علينا ان ننتظر ؟ / علينا ان ننتظر .

وينتظر الشاعر « في الغرفة المهجورة » ليأتيه « اللهب الموقظ ، وارتجاف الحمامة »، ينتظر لحظة النشوة الفريدة ليسمع رسول المسيح يقول ان سيده « مغلوب كايانا وفي عوز مثلنا وأسر وصحراء » .

يبدو لتوفيق ان الخلاص مستحيل وهو يعرف انه بحاجة للخلاص . ولكن السماء ، مثل وطن توفيق الضائع فلسطين لا يستطيع العودة اليها طالما هو على ظهر سفينة بلا جواز سفر :

اقتراب ، ولا دخول / وسعي ، ولا وصول : / بدونه لا دخول / ولا تحمله / فلا دخول .

ما هي هذه المرارة التي يعبر عنها الشاعر في قصائده الدينية ؟ هل ملحد ؟ كافر ؟ لو كان كذلك لما اعطى الله أو المسيح معظم نتاجه الشعري . انه المؤمن الذي يشك لانه يريد لايمانه ألا يهتز ، مثل المحب المرتاب لانه يريد حبيبه أكثر صدقا ، أو مثل مقدم على الانتحار يريد العودة الى الحياة بنهم ولذة . يقول في رسالة الى صديقه جبرا بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٠(١٢): « ان من يحمل الصليب ولكن يحب أبا أو أخا أو زوجة أكثر من المسيح فانه لا يحب المسيح . ولا مجال للمساومة » .

ان ايمانه العميق هو الذي يجعله يتعذب ويعاني خاصة عندما لا يجد الخلاص لانه يعتقد انه يقع اكثر فأكثر في الخطيئة . ويدرك انه يستحيل على الانسان ان يكون بلا خطية . فهو يصرخ صادقا(١٣):

ألاحقك أبدا بدمائي ، / أكرره بدون رتابة : / وماذا علي ان خرقت طبلتيك / ولم تبق ما لم تخرقه في ؟

لا بد ان تكون قصيدته الطويلة « من الاعماق صرخت اليك يا موت » في « القصيدة ك » قد نظمت قبيل اعترافه لجبرا بنية الانتحار لديه . لم يكن فقدان فلسطين او فقدان امه وحبيبته « كاي » او السوء الذي لقيه وشعره في وسط المفكرين العرب او الجماهير العربية ، لم يكن ذلك مبعث رغبته في الموت كما لم يكن اعتقاده بأنه خاطىء او ان الانسان الحديث مصيره الهلاك ، انما مبعث تلك الرغبة هو نظرته الى الحياة ، تلك النظرة المأساوية هي التي تجعله يرى هذه الاشياء قاسية ومظلمة أكثر مما هي في نظر الاخرين . انه يرى نفسه :

مقعد ، ولا / أهل ولا / بيت حسدا ، / كسيح ولا مسيح(١٤).

ان الانسان الحديث في نظره محاصر بالشرور بأنواعها ، تحطمه وتفقده انسانيته . ومع ذلك لا يرى توفيق المسيح فاعلا في هذا العالم . انه يؤمن ان انتصار الشر على الانسان هو هزيمة لا للانسان وحده بل وللمسيح ايضا . لذلك يقول في نهاية معلقته :

لا تتركني أجف أنتهي / أنساق للغتة ملوثا بعيدا عنك . / لا تدع الملك الكالح / يتعرى يغتصبني / ويدمغني بدمغته / لا ليتهرني / بل (الهي الهي) ليقهرك .

وهكذا نفهم توسله لله : « أعني . أعني » .

أي حديث عن صقر توفيق لا يكون تاما دون ذكر الكركدن ، ذلك الحيوان الاسطوري الجميل المعروف في الثقافة الغربية منذ القرن الثاني عشر . يظهر الكركدن في ميثولوجيا القرون الوسطى على انه حيوان قوي شرس يشبه الحصان وله قرن واحد في جبهته . وهو لا يمكن اخضاعه اذ يفضل الموت على الخضوع . يشتهر الكركدن بعفته وسعيه المستمر للحصول على عذراء عفيفة . وما ان يجدها حتى ينبهر بحضورها ويلقي برأسه في حضنها . والعذراء هي الطعم الذي يلقي به الصيادون أمامه . وما ان يستقر في حضنها حتى يمسكوه ويقتلوه . وتذهب الاسطورة الى ان قرنه العاجي يزيد من قوة الرجل الجنسية ويخفف من آلام الولادة عند المرأة ويزيل عن السم ميزة القتل . ويشبه الكركدن بالمسيح الذي رفع قرن الخلاص من أجل البشرية وعاش في رحم مريم العذراء.

نشر توفيق في العام ١٩٦٣ قصيدة طويلة تزيد عن اربعمئة سطر من الشعر الحر تحت عنوان : « بضعة أسئلة لاطرحها على الكركدن »(١٥)، ثم أعاد نشرها في معلقته . وكانت تلك آخر قصيدة رئيسية له قبل ان ينشر قصائد حبه « أيضا وايضا » في العام ١٩٦٧ . وبعد ذلك لم يصدر عنه شيء حتى وفاته .

قد تكون هذه القصيدة أغرب قصيدة في الادب العربي . يقيم توفيق فيها أوجه شبه بين أسطورة القرون الوسطى عن الكركدن وبين حياة المسيح ، وهو شخصيا ينسب نفسه الى الكركدن . ويبدو انه وجد اخيرا لنفسه الصورة المناسبة التي تتناسب ونظرته الى نفسه والى الحياة . فهو يسعى هنا وراء عذراء نادرة بتلهف حب افلاطوني ليجدها مصيدة أقامها له الصيادون . هي ترغب في الحب الجنسي والامومة والحياة . وهو لا يستطيع ان يقدم لها ذلك لانه اذا مات فيموت لوحده . واذا لم يمت كذلك فسيسقط على يد الصيادين . انه محاصر من جميع الجهات ولكنه يفضل ان يبقى صادقا لطبيعته :

يعطي الحب العفيف فقط ويلقى الموت مقابله . الا ان موت الكركدن يختلف عن موت المسيح . يقول توفيق مخاطبا الكركدن :

لاحقتها / كما لاحق المسيح الصليب ؟ / (تنشدان الفناء . / يفنى ليفدي / فالفناء موقت / والصليب الكسير / وتفنى لتفتدى / غموتك الموت الاخير) .

ان الرمزية في هذه القصيدة غنية يمكن فهمها بأكثر من معنى . حتى بدون الوضوح نشعر بأن العذراء في القصيدة ليست بالضرورة امرأة عرفها الشاعر وأحبها ، فهي قد تكون « كاي » او غيرها من اللواتي كن بعيدات عن مثاله(١٦) ان العذراء تمثل فعلا بالنسبة للشاعر كل المثل والمبادىء التي يؤمن بها هو والتي ينكرها العالم . الا ان الشاعر يؤثر التمسك بحب ما يؤمن به حتى العذاب والموت على الخضوع للعالم والمساومة على مبادئه او مثله . ان خلاصه اذا يكمن في موته فقط .

هذا هو عالم توفيق صايغ الشاعر . وهو عالم ليس سهل الدخول او الفهم . وقد يكون عالمه شخصيا جدا حينا وخاصا جدا حينا آخر . الا ان الشاعر يريدنا ان نرى العام عبر الخاص . ولذلك فان شعره شهادة رهيبة على وضع الانسان في العالم الحديث(١٧) .

---

١ ــ المعلومات الشخصية حول عائلة صايغ وردتني من الدكتور انيس صايغ في رسالة بعثها لي من بيروت بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٧١ .

٢ ــ أنظر غالي شكري ، **شعرنا الحديث ... الى أين ؟** القاهرة : دار المعارف ١٩٦٨ ، ص ٨٤ ــ ٨٩ .

٣ ــ **ثلاثون قصيدة** ، بيروت دار الشرق الجديد ١٩٥٤ .

٤ ــ **القصيدة ك** ، بيروت ، دار مجلة شعر ، ١٩٦٠ .

٥ ــ **معلقة توفيق صايغ** ، بيروت ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ١٩٦٣ .

٦ ــ ص ١٦٢ ــ ١٧٠ . لقد كتب توفيق الى جانب اعماله الشعرية كتاب عن جبران خليل جبران تحت عنوان « **أضواء جديدة على جبران** » صدر في بيروت في العام ١٩٦٦ ، والكتاب وضع على اساس دراسة اكثر من ٦٠٠ من الرسائل المتبادلة بين جبران وماري هاسكل بالاضافة الى مذكرات ماري الموجودة مع الرسائل في جامعة نورث كارولينا منذ العام ١٩٥٣ . وكتب توفيق عددا من المقالات الادبية في المجلات العربية .

٧ ــ « **حوار** » ، العددان ٢٦ ــ ٢٧ ، بيروت : آذار ــ نيسان ١٩٦٧ ، ص ١٦٣ ــ ١٦٤ .

٨ ــ « **شؤون فلسطينية** » ، العدد الثاني ، بيروت : ايار ١٩٧١ ، ص ١٣٣ ــ ١٣٤ .

٩ ــ « **النهار ــ ملحق الاحد** » ، بيروت ، ٢٤ كانون الثاني ١٩٧١ ، ص ٧ ــ ٨ .

١٠ــ « **شؤون فلسطينية** » العدد الثاني، بيروت، ايار ، ص ١٣٣ ــ ١٣٤ .

١١ــ « **النهار** » ، بيروت ، ٤ تشرين الاول ١٩٦٠ .

١٢ــ « **شؤون فلسطينية** » ، العدد الثاني ، بيروت ، ايار ١٩٧١ ، ص ١٣٦ .

١٣ــ « **القصيدة ك** » ، العدد ١١ .

١٤ــ « **معلقة توفيق صايغ** » ، القصيدة الثالثة .

١٥ــ « **حوار** » العدد الثالث ، بيروت ، آذار نيسان ١٩٦٣ ، ص ٥٣ ــ ٦٤ .

١٦ــ أنظر مراجعة طربيه ، لمعلقة توفيق صايغ في **حوار** ، العدد الخامس ، بيروت ، تموز ــ آب ١٩٦٣ ، ص ١١٢ ــ ١١٧ عن تقييم الرمزية الجنسية .

١٧ــ نشرت هذه الدراسة في الاصل ، باللغة الانكليزية في « مجلة الادب العربي » التي تصدر دورية عن مؤسسة بريل في ليدن بهولندا ، وقد قامت شؤون فلسطينية بترجمة الدراسة الى العربية باذن من الناشر .

مراجعات

Yehoshafat Harkabi, **Palestine et Israel,**
(Editions de l'Avenir, Genève, 1972).

يهوشفات هركابي ضابط اسرائيلي . في الخمسينات شغل منصب رئيس الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية . اما اليوم ، فهو جامعي « وكاتب » اخصائي في الشؤون العربية ، وله العديد من المؤلفات والمقالات والمحاضرات في العبرية والانكليزية .

وكغيره من « المستعربين » (او المستشرقين اذا صح التعبير) ، التفت في السنوات الاخيرة الى المقاومة الفلسطينية . لان المقاومة غدت بعد حرب حزيران الموضوع المركزي في العالم العربي . ولان المقاومة الجديدة — بما مثلته من صعود الشعب الفلسطيني بقوة على خشبة التاريخ — هي اليوم كما كانت بالامس المصدر الرئيسي للقلق الكياني الذي رافق الصهيونيين في مشروع بنائهم للدولة « اليهودية » (اي الخالية من غير اليهود) .

وبما ان اسرائيل دولة « ديموقراطية » (اقرأ : مبنية على النمط الرأسمالي) وهركابي مثقف « اكاديمي » (اقرأ : مشبع بالفكر البورجوازي)، فهو يكتب « بموضوعية » (اي بوحي من الايديولوجية الرأسمالية البورجوازية) . وهنا تكمن قدرته على التأثير على اوساط واسعة في الغرب ، وحتى — ولو لم يعترفوا بذلك — على بعض اوساط المثقفين العرب ذوي الثقافة « الاكاديمية » (بمعناها اعلاه) .

كلمتان عن هذه الموضوعية قبل أن نعود لهركابي . يدعي المثقفون البورجوازيون انهم عندما يضعون الارقام وما يسمونه بالوقائع (facts) بعضها تلو البعض الاخر دون اي تعليق ، فهم بذلك يعرضون الحقيقة كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة . أما اذا دخل عالم الحقائق هذا ، تعليق تحليلي او توضيح لموقف الكاتب ورؤيته ، فتصر الموضوعية يكون قد انهار بفعل « الادلجة » و« التحيز » الخ ، وكأن ترتيب « الوقائع » **واختيارها** وطريقة عرضها والاسلوب « المجرد » ليس تعليقا او تحيزا .

أكثر من هذا ، في هذا النمط من العرض يكمن صلب الايديولوجية البورجوازية التي تعطي الناس والاشياء صفات ثابتة ابدية وتوحي بأن الانسان في دراسته للانسان والتاريخ قادر على التجرد عن موقعه وتاريخه الاجتماعي الاقتصادي وكأنه يتفحص طبقات الارض او قوانين الحرارة . اي ان انبياء هذه الايديولوجية التي توصلت في الدول الرأسمالية المتقدمة وحتى في العالم الثالث الى التأثير على قطاعات واسعة من الطبقات غير البورجوازية (وحتى من الطبقات المستغلة — بفتح الغين —) ؛ يلجأون عن عمد او غير عمد الى الايحاء بان الموضوعية هذه هي ارقى درجات الدراسة في ميدان العلوم الانسانية .

لنعد الى هركابي . فمنذ عام ونصف (وبالتحديد في تشرين الثاني ١٩٧٢) صدر عن احدى دور النشر في جنيف كتاب له باللغة الفرنسية تحت عنوان «فلسطين واسرائيل» . والكتاب عبارة عن مجموعة مقالات بعضها صادر سابقا والبعض منها جديد ، تقول المقدمة « انها من اهم المقالات » التي كتبها هركابي .

ويتضمن الفصل الاول الذي نشر عام ١٩٦٩ تحت عنوان **« وجهة نظر اسرائيلية »** ضمن مؤلف بعنوان « قنبلة موقوتة في الشرق الاوسط » صادر في نيويورك باللغة الانكليزية ، عرضا عاما لاراء الكاتب حول ما أسماه بالصراع الاسرائيلي العربي: « الصهيونية ، نمو التعنت العربي ، اللاسامية العربية ، الدولة الديموقراطية ، رفض التعايش

واقاق السلام » (ص ١٠) .

أما الفصل الثاني فيحلل **أسباب الهزيمة العربية** في حزيران ١٩٦٧ . وقد ظهر في عدد الخريف ١٩٦٧ من مجلة اوربيس الامريكية الصادرة عن جامعة بنسلفانيا . وتؤكد المقدمة ان التحليل قد يصلح لفهم أسباب « ضعف الفلسطينيين اثناء الحرب الاهلية التي واجهوا فيها الجيش الاردني في ايلول ١٩٧٠ » .

والفصل الثالث نص محاضرة القاها المؤلف في جامعة تل ابيب في أيار ١٩٦٩ ونشرت في «معاريف» في عدد ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٩ . وتدور المحاضرة حول **المقاومة الفلسطينية** . ويتلخص موقف المؤلف في تشديده على صعوبة ايجاد حل بين « اسرائيل والفلسطينيين » نظرا لما ينسبه الى هؤلاء من تعنت في رفضهم لوجود اسرائيل .

أما الفصل الرابع فهو تحليل المؤلف **للميثاق الوطني الفلسطيني** الصادر عن منظمة التحرير . وقد نشر التحليل في « معاريف » بتاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٦٩ كما نشر مع الفصل الثالث في « نشرة جامعة نيويورك للقانون والسياسة الدوليين » في ربيع ١٩٧٠ .

والفصل الخامس تلخيص لثلاث مقالات حول « الدولة الديموقراطية » ظهرت في نيسان وتموز ١٩٧٠ في معاريف كذلك ، وتستهدف مواجهة نجاح هذا الشعار بالحديث عن مصير اليهود في دولة المستقبل .

ويعالج الفصل السادس **بيان ٦ ايار ١٩٧٠** الذي اتفقت عليه كافة المنظمات الفدائية الفلسطينية . وقد ظهر لاول مرة في معاريف ايضا بتاريخ ١٧ تموز ١٩٧٠ .

أما الفصلان الاخيران اللذان كتبا في ايار ١٩٧١ وتشرين الاول ١٩٧٢ فيستعرضان **التطورات الاخيرة للاحداث** وتوقعات هركابي للمستقبل والنصان (المكتوبان اذا بعد معارك ايلول ١٩٧٠) سلسلة من عبارات التحقير والنعي للمقاومة الفلسطينية . والصيغة الجنائزية تختلف تماما عن صيغة المقالات السابقة التي كانت تأخذ شعارات واهداف المقاومة محمل الجد وتعمل بالتالي على ابراز ما يراه المؤلف من نقاط ضعف فيها .

وفي كافة هذه المقالات يلجأ المؤلف الى مقولات محدودة يهدف منها التأثير على القارىء باتجاه معاد للمقاومة وحقوق الشعب الفلسطيني . وابرز هذه المقولات التي تتردد مرارا في الكتاب :

١ ــ ان الفلسطينيين والعرب يضمرون **العداء لليهود** ويعملون من اجل ابادتهم ان لم يكن جسديا فسياسيا (politicide). وبهذه المقولة يقوم المؤلف بقلب الادوار . فبينما يواجه الفلسطينيون حرب ابادة حقيقية ، يركز المؤلف على « ابادة » محتملة وغير معقولة اعتبارا لميزان القوى الحالي ولاهداف الثورة الفلسطينية ، ليثير في مخيلة قرائه ذكريات العهود اللاسامية .

٢ ــ يعتبر المؤلف ان السبب الرئيسي للازمة الحالية هو **الرفض العربي** لوجود اسرائيل . ولو قبل العرب ــ والفلسطينيون بالذات ــ بالوجود الاسرائيلي لحلت المشكلة . وهذا المنطق تقليدي في اللغة الدعائية الصهيونية . وهو عبارة عن دعوة مباشرة للاستسلام الكلي للشهوات الصهيونية المتزايدة ، واستبدال للهجة الدفاعية بلهجة هجومية .

٣ ــ ان التكوين الايديولوجي للمؤلف يدفعه الى تحليل للواقع العربي والفلسطيني يعتمد الى حد بعيد على نظرة **عنصرية** . فالعرب في نظره لهم صفات عامة سيئة تمنعهم من التطور ومواجهة العالم الحالي بواقعية وتضفي عليهم طابعا عدوانيا شرسا الخ . ويعتمد على مصادر سوسيولوجية امريكية (الاصل او التربية) ليعطي لتحليله طابعا علميا (!).

٤ ــ يعمد المؤلف الى ابراز « **تناقضات المقاومة** وما يمكن ان يظهر كنقاط ضعف للتأكيد على انحلالها وعدم فعاليتها وحتمية فشلها . وينتهي الى الدعوة للاعتراف « بالهزيمة التاريخية » للفلسطينيين التي لا يغير منها ــ برأيه ــ اي اعتبار اخلاقي .

وسنعطي امثلة على كل ذلك .

يقول هركابي : « يرفض العرب اليوم اللقاء بنا وجها لوجه ، وكأن مجرد رؤيتنا تلوثهم . وهم يجترون بلا توقف رغباتهم في الانتقام ويصفون مرارا اسرائيل بأحط العبارات واكثرها اهانة ، ويصلون الى حد استيحاء سموم اللاسامية التقليدية » (ص ٣٥) . يلفت انتباهنا قبل كل شيء استعمال كلمة « العرب » والصاق اوصاف

وتهم عامة بهم جميعا . فعنده العرب كلهم سيان، لهم صفات واحدة ومواقف واحدة وتصرفات واحدة. فنوري السعيد مثلا مثل جمال عبد الناصر والامام يحيى وعلي سالم ربيع شيء واحد . ولو استعملنا كلمة اليهود مكان كلمة العرب في هذه العبارة وفي عبارات اخرى سنستعرضها فيما بعد ، لالصق هركابي بنا تهمة اللاسامية . على حق هذه المرة. ولكننا سنلتصق به تهمة العداء للعرب . العداء بمفهومه **العنصري** والذي يتبع بالتحديد من المنطلق الذي ذكرناه اعلاه . ونحن لا نتوقع من هركابي ان يتفهم او يقبل بهذا الوصف لانه من قبله موقف ايديولوجي — اي جزء من الايديولوجية العامة التي يتبناها هركابي عن ادراك او غير ادراك والتي نبعت الصهيونية منها وتنطق بوحيها .

وفي الاوصاف العامة التي يلصقها بالعرب يلجأ هركابي الى استعمال اسلوب تقليدي في الاعلام (او التجهيل) الصهيوني : وهو التشبيه بين مواقف « العرب » تجاه اليهود ومواقف اللاساميين التقليديين في اوروبا باستعمال الفاظ وتعابير توحي حتى بدون ذكر واضح — بهذا التقارب . وهو هنا يستعمل تعبير « التلوث » الذي يربط المخيلة مباشرة بالماضي اللاسامي . والعبارة الثانية اكثر وضوحا في هذا المجال .

ولا يضير الكاتب ان يناقض نفسه شكليا بعد صفحات فيقول بأن العرب يرفضون المحادثات المباشرة ليس لان « لديهم حساسية خاصة تجاه فكرة اللقاء بالاسرائيليين » وانما لخشيتهم من التخلي عن «مشاريع الابادة السياسية»politicide (وهو تعبير مخترع ليغطي فكرة القضاء على دولة اسرائيل كدولة ويعيد الى الاذهان الكلمة ذات التركيب المشابه génocideوالتي تعني القضاء على جنس بأكمله ، واستعملت في حينه لوصف عمليات القتل النازية ضد اليهود) . فالكاتب لا يخشى اذا ان يناقض نفسه في موضوع ثانوي هو « حساسية العرب تجاه اللقاء مع اليهود » ، طالما أنه في النهاية يؤكد لصدق التشبيهات اللاسامية بهم .

والامثلة على هذا النمط عديدة .

فالمقال حول الميثاق الوطني الفلسطيني يستهدف أساسا ابراز العداء « الرسمي » الفلسطيني (اي على صعيد « المنظمات الممثلة للشعب الفلسطيني ») لليهود وفكرة بقائهم في فلسطين الديموقراطية ، كما يستهدف التأكيد على عدوانية الفلسطينيين وحبهم للعنف (وهنا أيضا فكرة عنصرية : كأن الانسان الفلسطيني يلد عنيفا) ويركز الكاتب في كافة الفصول على المادة ٦ من الميثاق الوطني (التي تحدد من من اليهود فلسطينيون) ليؤكد رغبة الفلسطينيين في القضاء السياسي وحتى البشري على اليهود - politicide génocide (ص ١٧٢) .

وفي فصل اخر حول « ضعف وتناقضات الفدائيين » يقول هركابي في معرض حديثه عن الطرح الفلسطيني العربي لاسرائيل : « ان مسؤولية استمرار الصراع واستحالة التوصل الى سلم حقيقي موضوعتان (من قبل العرب) على حساب **الانحراف** التكويني perversité لاسرائيل» (ص ٢٢١) وفي الصفحة التالية يشير الكاتب الى استمرار الاذاعة والصحافة المصريتين في استعمال لقب « **عدوة الانسانية** » بين القاب اخرى تنعت بها اسرائيل التي « **تجسد الشر** » (ص ٢٢٢) والعبارات المشدد عليها من قبلنا اعلاه تعيد الى ذاكرة القارىء اليهودي او الاوروبي ما درج الادب اللاسامي على استعماله من اوصاف لنعت اليهودي واليهودية . فمرة اخرى ودون اللجوء المباشر الى تهمة اللاسامية ، يقوم الكاتب بعملية خبيثة تربط في اذهان القارىء (والمقال الاخير مكتوب خصيصا لقارئي الفرنسية) بين تصرف اللاساميين تجاه اليهود وموقف العرب من اسرائيل . فاسرائيل وريثة اليهودية (وهذا ما تريد الصهيونية ان تؤكده كل يوم) تواجه العرب ورثة اللاساميين. وهكذا يتم طمس القضية الفلسطينية وتاريخ الاستيطان والاحتلال كلية لصالح المسألة اليهودية التي يعرفها القارىء الاوروبي بشكل افضل .

وهذا التعطش العربي والفلسطيني « للدماء اليهودية » لا يقتصر على مجموعة دون اخرى بل يشمل الجميع يمينهم ويسارهم . ففلسطينيا مثلا من المعروف عن الجبهة الشعبية — على حد تعبيره — تعلقها بالعنف على مستوى عالمي بينما تعارض فتح العمليات الخارجية . « الا اننا لا نستنتج من هذه المعارضة ان فتح اقل رغبة في الابادة génocide » (ص ١٤٩) ويلي العبارة استشهاد باحد النصوص العسكرية في مجلة « الثورة الفلسطينية » يتكلم فيها الكاتب عن

« افناء العدو للحلول مكانه » . وحتى الجبهة الديموقراطية — التي يستعمل احيانا بعض انتقاداتها « لليمين الفلسطيني » ، ليست اكثر شهامة من الشقيري (ص ١٤٧) او اقل تعلقا بالعنف وبفكرة القضاء على اسرائيل (ص ١٤٨) ويستعرض الكاتب احدى الندوات التي نشرتها الانوار في ربيع ١٩٧٠ حول الدولة الديموقراطية ويشدد على رفض ممثل الجبهة الديموقراطية لفكرة امكانية تحول اسرائيل ذاتيا الى دولة تقدمية او اشتراكية (ص ١٥٧) وبالتالي ضرورة محاربتها (تذكير القارىء الاسرائيلي والغربي بعدوانية « العرب » وحتى اليساريين منهم لاسرائيل) .

وهنا نود ان نفتح قوسين لمناقشة هذه الفكرة بشكل سريع ، لانها مروجة بشكل واسع من قبل ما يسمى بيسار الصهيونية وتجد احيانا صدى حتى عند بعض الاوساط الصديقة . ولنضع السؤال كالتالي : **هل يعقل ان تتحول اسرائيل الى دولة تقدمية او اشتراكية ؟** جوابنا طبعا بالنفي وسنوضحه .

في احدى مقولاته الشهيرة ، يقول كارل ماركس انه لا يمكن ان يكون شعب ما حرا اذا اضطهد شعبا آخر . فكيف يمكن ان تكون اسرائيل تقدمية وهي رمز دائم لقمع واستعباد الشعب الفلسطيني . وما هي هذه الاشتراكية التي يبنيها غزاة في ارض الغزو بينما يقبع ضحايا اشتراكيتهم في مخيمات البؤس او تجمعات الاستغلال والقهر القومي .

هذا على الصعيد الاخلاقي . اما على الصعيد المادي ، فان تحول اسرائيل الى دولة تقدمية او اشتراكية على صعيد يهودها انفسهم (اذا تركنا جانبا القهر القومي) يقتضي القضاء على الاعتماد الاقتصادي على الامبريالية والرأسمالية الدولية (بما فيها الرأسمالية اليهودية ، والامريكية منها بشكل خاص) . وهذا التحول يعني تماما القضاء على الفكرة الصهيونية التي كانت اساسا لقيام الدولة والاتجاه نحو الانخراط الاقتصادي في المجتمع الغرب — اسيوي (او الشرق — اوسطي اذا شئنا استعمال هذا التعبير الهجين) أي المجتمع العربي . وهذا التحول بالاضافة الى حل المسألة القومية (الذي يعني الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني على الارض التي يختار العيش عليها) يؤدي بنا الى « الدولة الديموقراطية » التي تشكل حتى بهذا **المفهوم المبدئي العام** الذي يحتاج الى توضيح « الحل التقدمي الاشتراكي » الوحيد لما يمكن ان نسميه بالمسألة الاسرائيلية .

مرة اخرى الى موضوعنا .

يعمد هركابي اذا الى التركيز على العدوانية وحب العنف عند العرب والفلسطينيين ويصل الى حد مقارنتهم باللاساميين في عدائهم لاسرائيل . ويشير أيضا الى ان صلب المشكلة هو الرفض العربي وليس لاسرائيل أي ذنب في الوضع المتأزم في المنطقة . (مثلا : « ليست المشكلة في ان نعترف بحق الفلسطينيين في جزء من البلد ، بل في عدم اعترافهم هم والعرب بشكل عام بحقنا في حياة قومية مستقلة » ص ١٠٢) . في كل هذا يستعمل هركابي العسكري قانونا أوليا في مجاله وهو استبدال الدفاع بالهجوم وقلب الادوار للرد على الخصم . والامثلة هنا كذلك عديدة .

يقول مثلا : « كان التعنت العربي هو الذي ادى الى التقسيم ومن ثم الى خلق الدولة اليهودية » (ص ١٩) . نعم ، هكذا : العرب هم الذين خلقوا اسرائيل ، ولولا تعنتهم وعدوانيتهم لما وجدت ، فالصهاينة لم يفكروا اطلاقا في خلق دولة يهودية ولم يقبلوا بالتقسيم الا مرغمين . المبادرة العدوانية دائما في الجانب العربي . الصهيونيون لم يكونوا الا أدوات طيعة في يد القدر الذي يقتص من الاجرام العربي . هكذا يكتب الاستاذ هركابي التاريخ . هكذا يتحول تلامذة هرتزل (صاحب « الدولة اليهودية ») الذين أتوا من اوروبا وسائر أنحاء العالم ليخلقوا بؤرة نزاع (وهذه كلمة ملطفة) في منطقة يسكنها أناس مسالمون ، هكذا يتحولون الى مدافعين عن انفسهم ضد الغزو العربي .

الفصل الاول كله على هذا المنوال . فهو ليس تبريرا للاحتلال الصهيوني فحسب وانما تأكيد على الطابع الدفاعي (كذا) لعملية الاحتلال والتوسع الصهيونية : (« العداء العربي دفع اسرائيل للامتداد لمواجهته بشكل افضل » ص ٥٠) . ويضيف في معرض حديثه عن حلقة مفرغة في المنطقة : « ان هذا العداء ... يفسره العرب على انه نتيجة اتجاهات توسعية ذاتية [عند اسرائيل] مما يضاعف عداءهم » . والامور في الحلقة تعاد الى نصابها اذا قلبت رأسا على عقب . هكذا :

الاحتلال الاسرائيلي خلق العداء العربي ، وفي ادعائها مواجهة العداء العربي تلجأ اسرائيل الى التوسع مما يضاعف العداء . هذا اذا لم تكن اسرائيل بحاجة الى هذا « العداء » لطمس التناقضات في مجتمعها واستدرار تبرعات الرأسماليين اليهود وغير اليهود وكتبرير للتوسع بالذات الذي له منابع اخرى .

والامثلة على قلب الامور أقدامها فوق الرؤوس تكاد لا تعد . فكل العرض المفصل « لوجهة النظر الاسرائيلية » الموجهة للقارىء الغربي عملية تلاعب بالالفاظ وبالوقائع ، كما لاحظنا اعلاه . مثل آخر: في الصفحة ٢٢٤ يقول الكاتب على نمط المنطق السابق ان احد العناصر الاساسية في السياسة الاسرائيلية هو « حاجة اسرائيل الى مواصلة السيطرة على عدة مواقع استراتيجية لمنع العرب من العودة الى مواقع عدوانية » . والقارىء العربي لا يستغرب هذا المنطق الذي يشكل ترنيمة دائمة في الاعلام الاسرائيلي . فاسرائيل احتلت الضفة الغربية « لحماية » القدس الغربية والمدن الاسرائيلية الاخرى واحتلت غزة لمنع الفدائيين من العمل منها واحتلت سيناء لمنع الامداد عن غزة واحتلت الجولان « لحماية » قرى الجليل الشمالي وربما احتلت غدا المزيد من أراضي سوريا ولبنان لحماية مستعمراتها في الجولان والجليل الاعلى والضفة الشرقية لحماية مستوطناتها في الضفة الغربية ولعلم جرا . هذا هو المنطق اليومي لتبرير التوسع الاسرائيلي الذي تبثه بفعالية متدنية أكثر وأكثر أجهزة الاعلام الصهيونية .

هناك نقطة بحاجة الى عودة وتركيز : نظرة هركابي (العنصرية في نهاية التحليل) الى الواقع العربي . وتتجلى بشكل واضح في تحليله لاسباب الهزيمة العربية في حزيران ١٩٦٧ (الفصل الثاني). يستشهد الكاتب ببعض المصادر الغربية (ومن بينها بعض من يحملون اسماء عربية) ليدعم تحليله ، الذي يتناقض كليا مع اية نظرة مادية علمية . ولن ينقذ التحليل اللجوء الى بعض المصادر السوسيولوجية (الاجتماعية) والبسيكولوجية (النفسية) اللتين تنهلان من منبع المثالية الطوباوية . امثلة قليلة ستضيء مقولتنا .

يتحدث الكاتب عن استنتاجات بعض الباحثين التي تنسب الى العرب صفات « الارتياب وانعدام الثقة والشعور بالعداء بدرجة اعلى بينهم من بين أية مجموعات عرقية اخرى » (ص ٦٠) هذا « العداء العائم » يبحث عن ضحية يتجسد من خلالها . وهذه الضحية البريئة هي بالطبع اسرائيل .

وفي مكان آخر ، يقول هركابي : « رغم التصريحات (العربية) الموجهة للعالم الغربي ، فان اليهود المعادين للصهيونية ينعتون في الكتابات العربية بالخبث والدجل » (ص ٣١) .

مرة اخرى الكلام عن العرب ككل واتهامهم بالخداع والخبث في علاقتهم مع اليهود المعادين لاسرائيل والصهيونية . وهنا نريد ان نذكر هركابي ان مثل هذه التهم وجهها اللاساميون لليهود ككل بصدد الكلام عن طاقتهم وصداقاتهم مع الاخرين . وننتهز الفرصة لنؤكد له بأن بعض من يطلق عليهم اسم العرب ، وبالذات المقاومين الفلسطينيين ؛ يفخرون بأن يقف الى جانبهم عدد متعاظم من اليهود التقدميين في العالم وحتى في اسرائيل نفسها (وقد ذهب البعض من هؤلاء الى حد رفض الخدمة العسكرية وحتى المشاركة في خلايا مقاومة).

في حديث هركابي عن المقاومة الفلسطينية ، تبرز النقاط التالية :

— التركيز على **سلبيات ونقاط ضعف المقاومة** ، أحيانا من منطلقات يسارية ليست بشكل عام ضمن اسلوب التفكير العادي للمؤلف . المهم تحقير المقاومة واظهارها بأية حيلة كأنها كتلة من المساوىء .

— التشديد على **عدم فعالية اعمال المقاومة** وعدم تأثيرها على اسرائيل .

— التأكيد على **عدم واقعية أهدافها** وعلى حتمية فشلها أمام الواقع القائم في اطار عملية **تبئيس** شاملة :

فالفصل ما قبل الاخير (ص ٢٠٣ — ٢٢٦) يحمل عنوان « ضعف الفدائيين وتناقضاتهم » .

والفصل كله (المكتوب بعد أيلول ١٩٧٠) تأبين للمقاومة التي كان الكاتب يرهق نفسه قبل ذلك في التمحيص في نصوصها .

« فالفدائيون لم ينجحوا في اقامة خلايا مقاومة في الاراضي المحتلة » (ص ٢٠٥) ؛ والنشاط

الفدائي « شكل قبلا مشكلة ضئيلة بالنسبة لاسرائيل ، اما اليوم فهو يكاد لا يذكر » (ص ٢١٢) . و« حرب العصابات العربية ضد اسرائيل قد فشلت » (ص ٢٤٣) و« حتى عند اليساريين المتطرفين انفسهم بدأت تساؤلات تظهر حول قيام الفلسطينيين فعلا بحرب ثورية مستندة على جماهير ثورية » (ص ٢١٢) « والواقع ... انهم لم يقوموا بحرب تحرير وطنية حقيقية ، بينما قامت اسرائيل بحرب دفاع عن الوجود » (ص ٢١٣) .

ومشكلة الفلسطينيين في عدم واقعيتهم برأي هركابي لانهم « مهما عملوا ، فلن يتوصلوا ابدا الى اقناع الاسرائيليين بالتخلي عن سيادتهم على اسرائيل او نزع الصفة الصهيونية (وهذا يعني اليهودية) لبلدهم » (ص ٢٠٥) . فمأساتهم اذا ليست « بأنهم لم ينالوا الاعتراف بوجودهم كشعب او أمة ، ولكن لان ليس بمقدورهم ان يترجموا هذا الاعتراف الى وقائع سياسية » (ص ٢٣٣) .

وحتى يتوصل الفلسطينيون الى واقعية اكبر (أي استسلام تام امام الاستعمار الاسرائيلي) لا بد من استعمال كافة اساليب « الاقناع » : « أي تغيير بهذا العمق (باتجاه تليين مواقف المقاومة) لن يحدث الا اذا ضاعفت الدول العربية في تمعها ضد الحركات الفلسطينية . عندما تدرك الدول العربية لاي مدى يقودها الصراع الى الانحلال السياسي ... ربما قررت القيام بعمل حاسم ضد الاجهزة الفلسطينية في الخارج » (ص ١٠٤) . ومن المفيد الاشارة الى ان هذا النداء لقمع المقاومة من قبل انظمة عربية نشر في مطلع ١٩٧٠ .

وليس للكاتب الا ان يأمل بأن « الانكسارات المتتالية في العمل من أجل تدمير الدولة اليهودية سيقود جدليا الى ... الرضوخ الى وجودها ، وانتهاء الصراع هكذا » (ص ٥٠) .

لا طريق اذا الا القبول « بالسلام الاسرائيلي » ولا حل الا بدويلة او مقاطعة متعاونة او متحدة مع الاردن واسرائيل . وهذا الحل لا يشكل « الصورة المثالية التي يتمناها الفدائيون وعدد كبير آخر من الفلسطينيين ... الا ان التاريخ احيانا ظالم وبما انه ليس بمقدور الفلسطينيين ان يغيروا أيا من اسرائيل او الاردن حسب رغبتهم ، فالتاريخ لا يطرح لهم حلا آخر » (ص ٢٣٩) ولا تجدي الدموع شيئا « فقد نأسف لمصير الفلسطينيين الذين يجدون آمالهم هكذا محدودة . وقد نعتبر ان هذا المصير مأساويا . ولكننا يجب ان ندرك ان اي توقع آخر خيالي ويفتح المجال امام آلام جديدة سيكون المعنيون اولى ضحاياها طالما لم يعوا الحدود التي يفرضها الواقع عليهم » (ص ٢٤٠). « والمصير الانساني يقضي بأن العديد من المصائب غير قابلة للتعويض » (ص ٢٥٠) .

هذا هو ملخص النظرية الهركابية التي لا تختلف بشيء عن النظرية الرسمية الاسرائيلية : لقد خسر العرب والفلسطينيون حروبا متتالية ضد اسرائيل، والواقعية تفرض عليهم ان يقبلوا بهذه الهزيمة التاريخية (!) — كما فعل الهنود الحمر في امريكا — وان يقبلوا بحلول تضعهم عمليا تحت الرعاية الاسرائيلية . كل هذا يقال بصيغة متعالية توحي بنفس الوقت بشيء من التجرد «والموضوعية».

المشكلة بالنسبة لهركابي ولدولته ان الفلسطينيين لن يرضوا — كما قال احد قادة المقاومة — بأن يكونوا الهنود الحمر في المنطقة . ونضالهم المستمر وتضحياتهم ونضال وتضحيات الشعوب العربية الاخرى خلال اكثر من نصف قرن اثبات على هذا القول . لقد شاء التاريخ — عكس ما يقوله هركابي — ان تأتي الغزوة الاسرائيلية متأخرة في عصر اصبح فيه الاستعمار الاستيطاني غير قابل للتطبيق الناجح . ومأساة الهنود الحمر لن تتكرر في القرن العشرين في عصر ثورات العالم الثالث وانتصارات الاشتراكية المتتالية في العالم . والتاريخ — ولو لم ير هركابي ذلك بحكم موقعه — يسير باتجاه معاكس : اتجاه تحرر الشعوب وتطبيق حقها في تقرير المصير ، اتجاه انهزام الامبريالية في اركان متسعة من العالم . ومهما كان النضال الفلسطيني صعبا ، ومهما حيكت المؤامرات الامبريالية حوله وحول حركة التحرر العربية ، ومهما طالت عملية التطور داخل اسرائيل باتجاه تخلص السكان من الهيمنة الايديولوجية للصهيونية ، فالاتجاه العام في العالم ينطبق على المنطقة وسينتهي الصراع بانتصار قوى التحرر عربا ويهودا ضد اركان القمع الامبريالي والصهيوني . وخطابات التأبين التي ترددها اجهزة الاعلام الصهيونية و« المثقفون » (امثال هركابي) في خدمتها ، لن تدخل اليأس الى قلوب ابناء فلسطين وابناء قضايا الشعوب . وسيتذكرون عبارة احد القادة الثوريين : « ان يتهجم عليك العدو ، فهذا شيء حسن » .

بقي ان نستعرض المغالطات والتناقضات التي وقع فيها هركابي ، وهي ليست قليلة وسنكتفي باستعراض بعضها . يقول في معرض ذمه للمقاومة: « ان تعدد مجموعات الفدائيين ليس له مسابقة في تاريخ حرب الغوار » (ص ٢٠٧) . وهنا يظهر كل جهل هركابي عن حركات التحرر وتاريخها . فأي من دول امريكا اللاتينية لم يعرف العديد من المنظمات الغوارية . وأي من الدول الافريقية التي تحارب الاستعمار البرتغالي والعنصرية البيضاء اليوم او التي حاربت بالامس اشكالا اخرى من القمع لم تعرف منظمات عدة . وهل يجهل هركابي ان جبهة التحرير الفيتنامية تضم ٢٨ منظمة . وان اية حركة تخوض نضالا في مرحلة التحرر الوطني لا بد وان تضم ممثلين عن كافة القوى والطبقات التي لها مصلحة في التحرير ، والتمثيل يأتي بالتالي صورة لهذا التآلف . ونحن نقول لهركابي بأننا لا نعتبر التعدد حالة مرضية ، بل بالعكس انعكاسا لواقع المجتمع الفلسطيني . اما قضية الجبهة الواسعة التي تسعى حركة التحرر الفلسطينية لتشكيلها لتضم كافة المنظمات ، فمهمة بنائها تقع على عاتق الشعب الفلسطيني من خلال نضاله ، ونحن واثقون من ان هركابي لن يرحب بتحقق هذه الجبهة .

— في معرض عرضه لاراء ومواقف المنظمات الفدائية يقول هركابي : ان الجبهة الشعبية « تؤكد على القومية العربية ، بينما تنادي الجبهة المنافسة (أي الديموقراطية) بالاشتراكية الاممية والفلسطنة » (ص ٢٦٠) ولن نعلق على هذا القول ونضع العبارة أمام القارىء المطلع .

وعبارات اخرى شبيهة يقول فيها ان الجبهة الديموقراطية لا تطرح فكرة الوحدة العربية (ص ٢٦٤) وانها تطالب الطبقة العاملة وحدها بالقيام بمهمة التحرير (ص ٢٧٢) .

— في حديثه عن تاريخ الاستيطان الصهيوني يقول هركابي ان الاراضي التي حصل عليها الصهاينة « لم تنتزع من العرب وانما بيعت بأسعار مرتفعة » وتشكل — على حد تعبيره — « نسبة جيدة من الاراضي الزراعية في القطاع الخاص » (ص ١٧) . وفي مكان آخر يناقض هركابي نفسه تماما اذ يقول بأن معارضة العرب « اثناء الانتداب لكل بيع اراض لليهود ولاية هجرة يهودية لم يستهدف الا المحافظة على الشخصية العربية للمنطقة » (ص ١٣٧) و« بدل ان يرضوا بحل وسط ، مهما كان ، قام العرب باثارة الشغب ضد المهاجرين الجدد » (ص ١٨) . فبين البيع الاختياري للاراضي وبين المعارضة واثارة الشغب ضاعت حقيقة هركابي .

— في المقال نفسه يقول هركابي بأن الصهاينة « لم يريدوا اي شر بالعرب » في عملية استيطانهم. ولكنه يضيف بعد كلمات قليلة بأن « مقابل المصائب التي نجحوا في الفرار منها ... كانت معارضة العرب للهجرة ذات اهمية ثانوية » (ص ٢٤) وبالتالي فالشرور التي لقيها العرب شرعية ومقبولة طالما ان الذين يرتكبونها قد تلقوا « شرورا » أشد هولا منها . فالنية اذا كانت موجودة والتبرير كذلك .

— يقول كذلك : « ان العرب بحاجة الى السلام بقدر اسرائيل . واذا كان انعدام السلام كابوسا للدولة العبرية فهو أشد تدميرا للدول العربية » وفي نفس الصفحة (ص ٤٦) : « الصراعات الدولية دائما مصيبة . الا انها في الصراع الحالي ذات تأثيرات ايجابية على اسرائيل في اتجاه الدمج القومي وبناء البلد . اما بالنسبة للعرب ، فهي كارثة قومية وعقبة امام تقدمهم » . فالسلام تارة حاجة لاسرائيل وتارة وبال عليها . على اي حال، يعترف الكاتب بأن الحرب وحالة الصراع تساعد على بقاء التماسك الاسرائيلي الداخلي وتدفق المساعدات الخارجية ، اي ان الجنوح نحو العنف هو في صلب السياسة الصهيونية ، وليست ادعاءات السلام الا غطاء شفافا لم يعد يقنع حتى الاوساط القريبة من اسرائيل .

— يقول هركابي : انه « لن يكون هناك مكان كاف في نفس الوقت لليهود ولكل الفلسطينيين » (ص ١٧٣) وذلك في معرض حديثه عن الحل الديموقراطي للصراع . اما اذا تحول الفلسطينيون الى يهود ، فامكانية الاستيعاب تصبح غير محدودة : فالمعلوم ان حوالي مليون ونصف من الفلسطينيين يعيشون اليوم خارج الاراضي المحتلة، وهم « المرشحون » للعودة أليها . وفي الوقت نفسه يطالب القادة الصهاينة برفع عدد السكان اليهود الى خمسة ملايين اي بزيادة اكثر من مليونين وذلك في السنوات القريبة المقبلة . واذا اخذنا الموضوع بشكل حسابي محض أدركنا مدى الخداع في كلام هركابي . علما بأننا لا نخدع انفسنا

بحل كهذا ولا نترك مجالا للاوهام الحسابية بأن تسيطر على رؤيانا السياسية .

— يعمد الكاتب اكثر من مرة الى التأكيد على الاختلاف بين الوضع الجزائري والوضع الفلسطيني . فيقول : « ان الفدائيين يتمادون في اقامة تشبيه بين عملهم وعمل جبهة التحرير الجزائرية ولكن اذا تمكنت الجبهة من ارغام الفرنسيين على التخلي عن سيطرتهم على الجزائر ، فلن يقوى اي عمل ارهابي على ارغامهم على التخلي عن سيادتهم على فرنسا» (ص ٤٤ والفكرة نفسها معادة ص ٢٠٥) . الكاتب نفسه يقيم هنا تشبيها خادعا بين وضع الفرنسيين في فرنسا ووضع الصهاينة في فلسطين . ويريد بتشبيهه هذا ان يضفي شرعية تاريخية على عملية استعمارية لم يمض ربع قرن على تتويجها بقيام الدولة. ورغم فجاجة هذا التشبيه ، الا انه كثيرا ما يؤثر على الاوساط البسيطة والقليلة الاطلاع ، التي اعتادت ان تعتبر اسرائيل دولة مثل غيرها .

— يقول هركابي : « ان اسرائيل اعترفت بالفلسطينيين بمجرد قبولها بمشروع التقسيم عام ١٩٤٧ الذي نادى بخلق دولة فلسطينية مجاورة » (ص ١٠٢) . والولايات المتحدة اعترفت بوجود الفيتناميين بمجرد القائها القنابل عليهم . يكاد المنطقان يتشابهان . علما بأن كل المعلومات تشير الى رفض كافة المسؤولين الصهاينة الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني حتى هذه اللحظة . وتصريحات مئير الاخيرة ترفض حتى فكرة تمثيل هذا الشعب خارج اسرائيل والاردن .

وفي النهاية سننبري لمناقشة تعليقات الكاتب حول بعض مواد الميثاق الوطني الفلسطيني (وبالذات المواد ٦ ، ١٢ و٢٣) . المادة السادسة التي يعود لها الكاتب بمناسبة وبدون مناسبة أصبحت احدى المجالات الرئيسية للاعلام الصهيوني المضاد لفكر المقاومة واهدافها . ماذا تقول هذه المادة ؟

« اليهود الذين كانوا يقيمون اقامة عادية في فلسطين حتى بدء الغزو الصهيوني لهما يعتبرون فلسطينيين » .

وماذا يستنتج منها الكاتب ؟

ان الفلسطينيين يعتبرون اليهود الذين أتوا الى فلسطين بعد ١٩٤٧ اجانب ولا بد من طردهم بعد التحرير (ص ١١٢) . وفي مكان آخر يعيد الكاتب تاريخ فلسطينية اليهود الى ١٩١٧ ، اي ان اليهود الذين أتوا بعد وعد بلفور لن يعتبروا فلسطينيين ولن يسمح لهم بالتالي بالبقاء (ص ٣٤) . ويعود هو والعديد من الدعائيين الصهيونيين مرارا على هذه المادة ليؤكدوا للقارىء الاجنبي — ولليهودي كذلك — بأن شعار فلسطين الديموقراطية ليس الا خدعة يستعملها الفلسطينيون للاعلام الخارجي ، بينما يقررون غير ذلك في مجالسهم الوطنية .

ورغم محاولات الربط المفتعل بين فقرات متباعدة يسهل الرد على هذه الافتراضات . فالميثاق الوطني أراد في المادة ٥ ان يحدد من من العرب وفي المادة ٦ من من اليهود فلسطينيون . اي من يحق له الانتماء الى الشخصية الفلسطينية حاليا وليس من يحق له البقاء على ارض فلسطين بعد تحريرها . وهذا التحديد له علاقة بالمؤسسات الحالية القائمة وليس بمؤسسات المستقبل . ومن الواضح اننا لا يمكن ان نعتبر اليهودي الفرنسي فلسطينيا بالمعنى المحدد حاليا الا اذا أراد هو ذلك . وهنا تطرح قضية اليهود غير الفلسطينيين او بشكل اكثر تحديدا اليهود غير العرب الذين اصبحت لهم ثقافة مميزة وانتماء يحتاج الى تحديد اكثر في المستقبل في اطار الدولة الديموقراطية . وقد قامت المنظمات الفدائية الرئيسية بتحديد رؤياها في كتابات وتصريحات عدة مطالبة ببقاء كافة السكان الذين يرضون بالتخلي عن المواقف الشوفينية الصهيونية وبالتعايش مع السكان الاصليين في ظل نظام ديموقراطي تقدمي . وهنا قد يتساءل هركابي اذا عنى هذا الموقف استثناء الصهيونيين من هذه الدولة . والجواب هو انه في دولة ديموقراطية حقا تحرم كافة الفئات الرجعية من مستغلين وعنصريين من ان يمارسوا ما يسمونه حريتهم على حساب حرية ومصالح الشعب بمجمله ذلك ان الحرية كل لا يتجزأ . ونظرا لطبيعة الصهيونية العدائية لكل ما هو عربي ، والمرتبطة بالرأسمال والامبريالية العالميتين والمتناقضة مع امن وسلام شعوب المنطقة ، فلا يمكن ان يشمل حق تقرير المصير للفئات المشكلة للدولة الديموقراطية **انبياء** هذه الايديولوجية .

ولا بد من الاشارة مرة اخرى الى ان التركيز على البرنامج الفلسطيني لمستقبل اليهود يقصد منه

التغاضي عن المشكلة الرئيسية المطروحة حقيقة على ارض الواقع وهي مستقبل الفلسطينيين في اطار الوضع العسكري السياسي المسيطر للصهيونية . وهكذا يلجأ هركابي مرة اخرى الى قلب الادوار واستبدال الدفاع بالهجوم وتحويل موضوع الازمة الحقيقي الى موضوع مبدئي آخر لا تطرحه الموازين الحالية للقوى بنفس الحدة .

اما المادة الثانية عشرة فتقول : « الشعب الفلسطيني يؤمن بالوحدة العربية ولكي يؤدي دوره في تحقيقها يجب عليه في هذه المرحلة من كفاحه الوطني ان يحافظ على شخصيته الفلسطينية ومقوماتها ، وان ينمي الوعي بوجودها وان يناهض أيا من المشروعات التي من شأنها اذابتها او اضعافها » (الميثاق ص ٧) . وهركابي يرى فيها تناقضا مع المادة الرابعة التي تؤكد على اصالة وعدم زوال الشخصية الفلسطينية (ص ١٢٠) . وهذا التناقض ليس الا تناقضا شكليا . اما في الواقع فالترابط **الجدلي** عميق في الظروف الحالية بين التأكيد على الشخصية الفلسطينية وتميز الشعب الفلسطيني كطرف رئيسي في المطالبة بالحقوق القومية في البلد المحتل من جهة ، والتشديد على ترابط النضال الفلسطيني بالنضال العربي في المعركة الواحدة المتعددة الجبهات ضد السيطرة الامبريالية في المنطقة من جهة اخرى ، ومدى التركيز على الشخصية الفلسطينية او الجانب الوحدوي العربي يتوقف في كل حقبة على خصائصها المميزة .

فهكذا كان لا بد من الطرح الفلسطيني القوي في بداية النضال لابراز الضحية الاساسية للعملية الاستعمارية الصهيونية وحقوقها في النضال وتقرير المصير . كما انه لا بد من التأكيد على التعريب في مرحلة متقدمة يصبح فيها التلاحم الفلسطيني العربي ضرورة حيوية لبقاء واستمرار النضال من اجل التحرير .

اما عن الخصائص الاقليمية بشكل عام (لكل بلد عربي) ورؤية تناقضها مع النداء الوحدوي ، فهذه ايضا جزء من النظرة اللاجدلية للموضوع . فحتى في الاتحاد السوفياتي حيث تتعايش عشرات القوميات في اطار دولة واحدة ، لم تشكل الخصائص القومية المتباعدة بشكل اكبر عن الفروقات الاقليمية العربية عقبة امام احترام مزدوج لوحدة البلد وشخصية كل قومية .

اما المادة ٢٣ التي تقول بأن « دواعي الامن والسلم ومقتضيات الحق والعدل تتطلب من الدول جميعها ، حفظا لعلاقات الصداقة بين الشعوب واستبقاء لولاء المواطنين لاوطانهم ان تعتبر الصهيونية حركة غير مشروعة وتحرم وجودها ونشاطها » فيخرج منها هركابي باستنتاج غريب : ان الفلسطينيين التقدميين الذين ينادون بالاممية وازالة الحدود القومية يلجأون هنا الى موقف « قومي شكلي ضيق » بمنعهم (اليهود) من التعلق ببلد خارج حدود البلد الذي يعيشون فيه (ص ١٣١) .

وهذا بالطبع فهم غريب للاممية . بل هو نقيضها ويطلق عليه اسم آخر في القاموس اليساري « الكوسموبوليتية » . ولا بأس من التذكير باحدى عبارات الاشتراكي الفرنسي جان جوريس : « قليل من الاممية يبعدني عن بلدي وكثير من الاممية يعيدني اليه » . ذلك ان الاممية الحقيقية هي في العمل في بلد التواجد من اجل خدمة تطور مجتمعه وذلك اكبر اسهام في سبيل تطور وانتصار الانسانية . وهنا مرة اخرى لا بد من فهم **جدلي** للعلاقة بين خدمة الوطن والنضال القومي من جهة وخدمة قضية الشعوب والنضال الاممي من جهة اخرى .

ونحن هنا لا نناقش هركابي بقدر ما نستغل بعض التناقضات التي يقع فيها لتحديد قضايا نظرية وعملية متعلقة بها .

كلمة اخيرة : رغم الاطلاع على العديد من ادبيات المقاومة والسياسة العربية ، ورغم مسحة التجرد و« الموضوعية » التي يحاول الكاتب ان يضفيها على لغته ، فكتابات هركابي لا تخرج عن الاطار العام لعملية غسل الدماغ التي يقوم بها الاعلام الاسرائيلي والصهيوني بشكل دائم . وهركابي لا يتقدم بأي جديد على هذا الصعيد .

داود تلحمي

Jakob Goldberg: **Der Nahost - Konflikt,**
(Verlag Marxistische Blaetter, Frankfurt/Main, 1972).

ضاعفت الاحزاب الشيوعية والقوى التقدمية في البلدان الرأسمالية بأوربا الغربية جهودها بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ لتعريف جماهيرها بحقيقة مشكلة الشرق الاوسط . ويأتي اصدار هذا الكتيب لمؤلفه الماركسي يعقوب كولدبرك والصادر عن دار للنشر تابعة للحزب الالماني الشيوعي DKP كجزء من هذه المحاولة . وهو يكتسب اهميته ليس فقط من طبيعة الموضوع الذي يعالجه ، وانما لانه يحاول ان يقرب مشكلة الشرق الاوسط وبشكل مختصر ومبسط الى اذهان القراء الالمان .

يمهد المؤلف لبحثه بعرض عام لتطور الاوضاع السياسية والاجتماعية في بلدان الشرق الاوسط منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى الوقت الحاضر ، ويؤكد في هذا المجال ، وفي اكثر من موضع ، على تأثير اكتشاف النفط في الشرق الاوسط على تطور دول وشعوب المنطقة . لقد كانت الاحتكارات النفطية البريطانية هي المسيطرة على الجزء الاعظم من التوظيفات في هذا المجال في البداية ، اما اليوم فقد أصبح الاستعمار النفطي امريكيا بالدرجة الاولى .

لقد عمد الاستعماريون من اجل الحفاظ على استغلالهم للشرق الاوسط الى تطبيق سياسة « فرق تسد » ، فكان الاستعماريون البريطانيون اول من مارسها ثم تلاهم الامريكيون . ولهذا شجع الاستعماريون البريطانيون (والامريكيون في الوقت الحاضر) « ومنذ البداية الحركة البرجوازية — القومية الصهيونية التي اصبحت اصدق حليف لهم في مكافحة التطلعات القومية للشعوب العربية » — ص ١٤ — . ولهذا كان من المنطقي ان تصبح اسرائيل بانتهاء حرب ١٩٤٨ منطقة نفوذ للاستعمار، وخاصة الاميركي .

ويرد كولدبرك في مجال استعراضه للتطور المعاصر في سوريا ومصر على حملة التضليل التي تروجها الصهيونية في الغرب الرأسمالي حول حقيقة الاوضاع في هذين البلدين فيقول : « من اجل اسدال الستار على طبيعة عدوان حزيران ، تجري عندنا محاولات لوصف النظام القائم في مصر وسوريا بأنه عسكري — ديكتاتوري ، نظرا لوجود عدد كبير من العسكريين في الحكم ، بينما توصف اسرائيل بأنها « ديمقراطية » بل وحتى « اشتراكية » ، نظرا لوجود الكيبوتزات ، وكثيرون ، بل وحتى البعض ممن ينتمي الى اليسار ، وقعوا ضحية هذه الكذبة » — ص ١٩ — .

ويرى كولدبرك ان الصهيونية ، ومنذ نشوئها ، حركة بورجوازية قائمة على الكراهية العنصرية ، تحاول تغطية طابعها الطبقي الاستغلالي بغلاف قومي مزيف ، وقد وضعت نفسها ومنذ البداية في خدمة الاستعمار ولمحاربة الحركات الثورية . ويسفه كولدبرك في مناقشة طويلة عددا من المفاهيم التي يروج لها القادة الصهاينة ، ومنها مفهومهم عن « الامة العالمية التي تتجاوز الحدود » ، ويصف ما جاء في برنامج المؤتمر الصهيوني الذي عقد في القدس عام ١٩٦٨ عن « الدور المركزي لاسرائيل بالنسبة للحياة اليهودية » — ص ٤١ — ، بأنه خرافة .

اما الوضع « الاشتراكي » في اسرائيل فيكشف المؤلف بالارقام والادلة حقيقة أنه استعمار استيطاني يستند من ناحية الى الاستغلال الرأسمالي ، ومن ناحية اخرى الى الترويج للعنصرية وخاصة ضد العرب المقيمين في اسرائيل . وليس أدل على « اشتراكية » اسرائيل من تصريح لوزير الاقتصاد والمالية الاسرائيلي بنحاس سابير والذي نقله المؤلف عن معلومات نشرتها لجنة فلسطين في ميونيخ في حزيران/تموز ١٩٧١ ، يقول فيه : « بالامكان القول بأن لدينا نظاما ديمقراطيا ، فمن حق أي شخص ان يأتي الينا ويباشر نشاطه كرجل اعمال » .

ويتطرق المؤلف الى التعاون الاميركي — الاسرائيلي فيتحدث عن التنسيق الواسع بين الطرفين ، وعن تبادل المعلومات بينهما حتى حول امكانيات الاستخدام الفعال للاسلحة النووية في الشرق الاوسط. اما التنسيق بين اجهزة المخابرات فقد بلغ مرحلة متطورة ، « بل ان فاعلية السلاح الجوي الاسرائيلي في ٥ حزيران ١٩٦٧ ترجع ، في بعضها على الاقل ، الى المعلومات التي أعطتها المصادر الاميركية الى اسرائيل حول وضع المطارات المصرية بالاضافة الى المعلومات الدقيقة عن أماكن تجمع الطائرات المصرية المقاتلة » .

وبينما تواصل الولايات المتحدة الاميركية اسنادها الكامل لاسرائيل، تواصل الاخيرة مطالبتها الخداعة بالمفاوضات المباشرة بدون شروط مسبقة للضغط على الدول العربية وفرض سلام يضفي الشرعية على الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية . لقد تحولت الاراضي المحتلة الى مصدر للارباح الهائلة للمؤسسات الرأسمالية الاجنبية والاسرائيلية « أما نفط سيناء فهو مصدر ربح رئيسي ، وبموجب خطة أمدها ربع قرن فان انتاج النفط في سيناء الذي بلغ ستة ملايين طن في عام ١٩٦٧ سيرتفع الى عشرين مليون طن » . وبينما يجري هذا فان سياسة الترحيل وبناء المستعمرات الجديدة والارهاب ضد السكان العرب مستمرة ، فقد بلغ عدد الدور العربية التي فجرتها قوات الاحتلال حتى الخامس عشر من تشرين الثاني ١٩٦٩ ، ٧٥٥٥ دارا . كما ان اسلوب تعذيب المعتقلين قد تحول الى نظام متكامل يمارسه موظفو التحقيق . يقول دايان : « باستثناء الاعدام ، فان المعتقل يمكنه ان يتعرض الى كل ما يمكن تصوره » — ص ٩١ — .

اما حركة المقاومة الفلسطينية فيشخصها المؤلف تشخيصا صحيحا فيقول « ان الفدائيين يشنون كفاحا عمالا من اجل حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني ، وهم جزء من حركة التحرر الوطني العربية » . وبدين كافة المحاولات الهادفة الى تصفية حركة المقاومة ، وفي مقدمتها المذبحة التي دبرها الملك حسين والرجعية الاردنية .

وفي سياق استعراضه للمواقف السياسية والايديولوجية وبرامج منظمات المقاومة يشير كولدبرك الى ان مفهوم (فتح) عن اهداف حرب المقاومة والذي صيغ في معظمه في وثيقة « مبادىء الثورة الفلسطينية » التي أقرها المجلس الوطني الفلسطيني في ٦ ايار ١٩٧٠ لا يعطي اهتماما كافيا بالعلاقة الضرورية بين الكفاح المسلح والكفاح السياسي . ويرى ان قرار مجلس الامن لعام ١٩٦٧ يمكن ان يكون أساسا لحل في المنطقة ، ويدين اسرائيل لانها الطرف الذي لا يريد تحقيق السلام . وفي رأيه ان تحقيق انسحاب القوات الاسرائيلية وفقا لقرار مجلس الامن « يمكن ان يحسن ظروف كفاح الفدائيين من اجل حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني » — ص ٩٥ — . كما انه يرى ان الهدف الذي حددته وثيقة « مبادىء الثورة الفلسطينية » والقاضي باقامة دولة فلسطينية يتمتع فيها المسلمون والمسيحيون واليهود بحقوق متساوية « يبدو مغريا ، ولكنه بعيد عن واقع الامور ، ففي هذا الخصوص يجري تجاهل حقيقة ان أمة (Nation) قد تكونت في اسرائيل ، وان هناك دولة اسرائيلية اعترف بها العالم ، وايضا من قبل جاراتها الدول العربية التي تتبنى اقرار مجلس الامن . كما انه ليس من الممكن اعتبار اسرائيل والصهيونية اسمان لمسمى واحد ، بينما يكافح عدد متزايد من مواطنيها ضد الصهيونية . ان كفاح الشعب العربي الفلسطيني من اجل حق تقرير المصير كفاح عادل ، ولهذا فانه يتمتع بتأييد البشرية التقدمية . ان التناقض في « المبادىء » (المقصود وثيقة مبادىء الثورة الفلسطينية — أ. غ) يكمن في حقيقة انها تضع حق **الشعب** الاسرائيلي (des Israelischen Volkes) في تحقيق مصيره موضع التساؤل . ان المنطلق القومي الضيق يضر بالفدائيين ويساعد الاوساط الصهيونية الحاكمة في اسرائيل » . — ص ٩٥ و ٩٦ — *.

على الرغم من ان كولدبرك أثار مثل هذه الاسئلة وتركها دون اعطاء اجابة وافية عليها رغم اهميتها الحاسمة بالنسبة لقضية الصراع مع اسرائيل ، وعلى الرغم من بعض الاراء التي جاء بها والتي تحتاج الى مناقشة علمية ضافية لا مجال لها هنا ، فان البحث الذي قدمه محاولة مخلصة للتعريف بمشكلة الشرق الاوسط وبالقضية الفلسطينية في بلد كجمهورية المانيا الاتحادية يعتبر مجالا شبه مغلق للدعاية الاسرائيلية .

أنور الغساني

---

* خطوط التأكيد من وضعي ، وهي اشارة الى وقوع كولدبرج في تناقض حول تحديد هوية سكان اسرائيل ، هل هم أمة أم شعب ؟ ولم يستطع المؤلف أن يبت في هذه المسألة في مواضع اخرى في كتابه . ومن المعروف ان تحديد هوية سكان اسرائيل تحديدا علميا أمر له اهميته سواء من الناحية الاكاديمية او في المجال السياسي والتطبيقي. كما وأرجو ملاحظة ان هذه المراجعة محددة بالكتاب الذي تناولته ولم تأخذ بنظر الاعتبار التطورات الاخيرة بعد حرب اكتوبر .

سعد جمعه ، **ابناء الافاعي** ، (دار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٧٣)

أريد أن أقول اولا بأن هـذا هو ثالث كتـاب للاستاذ سعد جمعه ، رئيس وزراء الاردن السابق (كما يحرص على ذكر هذا اللقب في صدر كتابه) اقوم بمراجعته ، وبأني اتابع النشاط لهذا المؤلف بتدر لا بأس به من المتعة . واظني لا ابالغ اذا وصفت كتبه بأنها « صيد سمين » للباحث الذي يتمنى ان ينتشله من الانغماس في مراجعة الكتب الجدية المرتبطة باختصاصه ، كتاب يحتوي علـى نثر به درر كهذا الذي يفتتح الكتاب : « هذه الباقة الملمومة من هوامش النكبـة وحواشي المأساة ، أقدمها مشحونة بالاسى معجونة بالمرارة ، مغسولة بالدموع . قد صنعتها من دمي ، بنصها ونبضها ، في مناسبات عابرة تدل عليها تواريخها » . ان الاستاذ جمعه يختص منذ اول كتاب ألفه ، بالندب والنحيب لان « الامة الشريدة الطريـدة المثخنة بجراحها المدماة ، ما زالت [كعهد القارىء بها] تئن ولا من مجيب ، وتشكو ولا من ملب ، وتتلوى ولا من راحم .. » ولذا يكاد القارىء يرى آثار الدموع في كل سطر من سطور رئيس وزراء الاردن السابق .

ان المؤلف ينعي على العرب ميلهم الى اليسار ويرى في ذلك الفاجعة الكبرى . فبالنسبة اليه ، الميل الى اليسار معناه الكفر بالدين والخيـانة للقومية والتنكر للتراث والسير في طريق العمالة . ان جمعه يتمنى ان يتعلم العرب من بن غوريون الذي يورد قوله بأن الدين هو الذي وحد شمـل اليهود وحفزهم على بناء دولة صهيون . كما انه يستشهد بحديث لابنة موشي ديان وصفت فيـه « القوة الروحية الهائلة » التي بثها الحاخام الاكبر في قلوب الجنود الاسرائيليين عشية الهجوم على سيناء عام ١٩٦٧ . ولا يكتفي بهذا القدر للدلالة على ضرورة العودة الى الدين ، بل انه ايضا يثني على شارزار وبن غوريون لانهما امتنعا عن ركوب العربات اثناء وجودهما في لندن للاحتفال بدفـن تشرشـل . فقد صادف الاحتفال يوم السبت « فأبى الشيخان اللذان جاوزا السبعين ، ركوب العربات كغيرهما من الوفود ، بل سارا علـى الاقدام ، حفاظا على شعائرهما الدينية التي تحرم استخدام وسائل النقل ذلك اليوم ، مسافة طويلة تزيد على كيلومترين . فلم يتهما بالرجعية والتخلف ، بل استحقا احترام المشتركين ، واثبتا للعالـم أن العقيدة مقدمة عندهما على كل شيء » . وسعد جمعه يقدم هذه الامثلة الاسرائيلية الـى العرب ليقتدوا بها ، لانها في رأيه قمة العظمة . الا انه انتقائي في تبجيله للاديـان ، فاذا كان الديـن اليهودي يفوز بفائق احترامه ، فانه ايضا يكن كل الاحتقار للهنود ، « عبدة الابقار » ، كما يسميهم .

ويشعر سعد جمعه بأن الاسلام في حالة حصار ، اذ يقول : « جميع الاحزاب اليسارية قامت فـي الاساس لمحاربة الاسلام .. جميع الحركات القومية وجدت في الاساس لمناهضة الاسلام » . ولذا فانه ينصب نفسه محاميا للروحانيات ضد الهجوم الذي يتخيله . حتى الجبهات الطلابية التي تساند الموقف العربي يطعن بها لانها تنتمي الى اليسار ، فهو يكتب : « كما تبين عدم اخلاص الثورة الطلابية للمبادىء التي زعمت انها دفعتها الى التحرك ، وهي لا أخلاقية الحرب في فيتنام ووضع حد لمـا يسميه فولبرايت : « تذارة القوة الاميركية » .. **فهم لم يثيروا مرة واحدة الى لا اخلاقية الحركة الصهيونية في الشرق الاوسط ..** » وهكذا ينفـي المؤلف في سطر واحد جميع الجهود التي بذلتها فئات كبيرة داخل اليسار الغربي الجديد في سبيل الدفاع عن القضية الفلسطينية .

ويبدي المؤلف اشمئزازه من الارهاب . فهو عقب حادثة الالعاب الاولمبية في ميونيـخ كتب يقول : « اننا نستنكر الاعتداء على العزل من السلاح ، وننكر النضال القومي في غير ارض المعركة ، لان ذلك لا يورثنا الا الضياع والتبدد والخسران ، في هذا العالم المجنون الضالع مع الباطل ، المجانب للحق .. » وينبغي هنا التذكير بأن الاستاذ جمعه لا يتعاطف كثيرا مع المقاومة الفلسطينية . ففي كتاب سابق له اتهم رجالها بالانشغال عن القتال باقتناء الصور الخليعة !

ان قراءة كتاب لهذا المؤلف تترك انطباعا يمكن وصفه بأنه يشبه الاثر الذي يخلفه فيلم مصري من الاربعينات ، يتناوب فيه يوسف وهبي وأمينة رزق البكاء والنواح ، في نفوس جمهور في السبعينات من هذا القرن . فالكتاب يزخر بالصور الهزلية غير المتعمدة التي تستحق ان تحتل مكانة مرموقة في خانة الادب المضحك . وفيما يلي نموذج على هذه

الهزليات : « ان اسرائيل تسخو اليوم في رواتب العمال العرب ، ولكن الانباء التي جاءتنا تؤكد ان ما يقبضه العمال العرب باليمين ، يعيدونه الى اسرائيل بالشمال .. فبعد مغيب شمس كل يوم تنطلق مئات بـــل ألوف الفتيات الاسرائيليات ، **حاسرات عاريات متبرجات** الى الاحياء العربية ، حيث المناخ النفسي معد مسبقا للانجذاب الى الاغراء الكاسح المدمر ، بغية امتصاص الصمود العربي ، وضرب التحدي العربي ، وبروز جيل من شبابنـــا المنحرفين اللاابالين المذهولين بالشهوة والجنس ، تتحكم فيهم بواعث الرذيلـــة ، وتوجههم نزوات التهتك والجنس المحموم » .

الا يذكر هذا المنظـــر بأفلام المخرج الايطالـــي فريدريكو فيلليني ؟ ليتصور القارىء الشوارع وقد امتلأت عند المغيب بآلاف الاسرائيليات العاريات وهن متوجهات بتصميم صهيوني شرير لامتصاص الصمود العربي ، ولضرب التحدي العربي تحت الحزام . انها صورة مريعة لا شك . وقد يتساءل القارىء عن طبيعة العمل الذي يقوم به هـــؤلاء العمال العرب اثناء النهار ، ليصبحوا « ضحية لمناخ نفسي معد مسبقا للانجـــذاب الى الاغـــراء الكاسح المدمر » . حقا ان اسرائيل ماكرة !

وفيما يلي صورة سينمائية اخرى تذكر بمخرج « الحياة اللذيذة » و « روما » و « ساتيريكون » : « جرى مؤخرا في فندق الاردن عقد قران كلب المغني الزنجي في النادي الليلي في الفندق على كلبة مديره الاجنبي ، واقيمت للمناسبة السعيدة حفلة صاخبة وجهت لها الدعوة الى اصدقاء العروسين الجليلين، وجلس الزوجان السعيدان على مائدة غصت بما لذ وطاب وفي وسطها كعكة الزفاف ، وطافت بالمدعوين كؤوس الشمبانيا وعلا ضجيج الروك اندرول . قال لي احد المدعوين : خرجت من الحفل المهيب بعد منتصف الليل اشكو الى الله هذا الدمار الخلقي ، وحين سلكت سبيلي الى سيارتي ، استوقفني شاب ، مد الي يده يطلب حســـنة لوجه الله ، يضع بها شيئا في جوفه الذي لم يدخله طعام منذ ايام » . ولا يخبرنا الاستاذ جمعـــه لماذا حضر صاحبه هذا الحفل المهيب اذا كان يشكو الى الله من الدمار الخلقي ، أو لعل المؤلف نفسه كان احد المدعوين ؟

قد يلوح للقارىء لاول وهلة بأن كتاب الاستاذ جمعه يمكن اهماله على اساس انه ليس اول ولن يكون آخر كتاب تخطى فيه مؤلفه حدود العقـــل السليم الى الهبل المضحك . ولكـــن لنتذكر قبل القاء هذا الحكم بأن المؤلف سبق له وان شغل المناصب العـــالية فـــي بلاده ، اذ كـــان سفيرا ووزيرا ، وفي غضون حرب حزيران اصبح رئيســـا للوزراء . كما انه جاد في تأليف الكتب ، وقريبا سيصدر له كتاب رابع (ان لم يكن قد صدر فعلا) وهذا النشـــاط « الفكري » المستمر من شأنه أن يقودنا الى الاقتناع بأن نكون قد أحسنا الظن في نياته اكثر مما يجب ان نفعل فيما لو رمينا كتبه جانبا بحجة السخف المتناهي الذي يسري في كل سطر من سطورها . فالرجل يتصرف وكأنه يؤدي رسالة سامية أوكلت اليه . فهناك ناشرون ينشرون له كتبه ، وصحف تعلن عنها في مقالات كلها مديح ، وجهات تشتري النسخ بالجملة .

ويبدو ان هناك فئات معينة يسرها ان يعزف هذا المؤلف في كل كتاب يكتبه على النغمة العتيقة التي طالما فسر بها وعاظ السلاطين كل كارثة نزلت بقومهم ، وهي ان الاله غاضب على هؤلاء القوم لانهم تقاعسوا في عبادتهم له . على كل حال ، لا بد ان المؤلف قد شعر الان بأنه وضع قدمه في فمه عندما ارتفع صوته بالندب والنواح علـــى هزيمة الانسان العربي (ظهر كتابه اثناء حرب رمضان) في الوقت الذي كانت فيه القوات العربية تحارب العدو في ثلاث جبهات ببســـالة ادهشت العالم . ولذا فاننا نتمنى ان يصاب الاستاذ سعد جمعه ، رئيس وزراء الاردن السابق ، بنوبة من الحيـــاء تجعله يكف عن الوعظ والارشـــاد علـــى صفحات الكتب ، وينصرف الى نشاطات اخرى اكثر ملاءمة مع مواهبه وامكاناته .

فهد المنصور

صالح عبدالله سرية ، **تعليم العرب في اسرائيل** ، (مركز الابحاث في م.ت.ف. ، بيروت ١٩٧٣)

تعتبر المدرسة واحدة من اهم مؤسسات المجتمع الهادفة بشكل تعمدي مباشر الى تربية وتعليم الاجيال الصاعدة ، ففيها يقضي الفرد اهم فترة من سني عمره يتم خلالها القسط الاكبر من عمليات تكوينه وتشكيله عقليا وعاطفيا .

لذا يحرص كل نظام قائم في أكثر بلدان العالم على اعداد غلبغة للتربية والتعليم خاصة به ليضع على ضوئها البرامج الدراسية ووسائل تطبيقها التي تؤدي الى خلق الانسان الذي يريده في مواطنيه . ويتسنى للدولة ان تقوم بهذه المهمة عن طريق الاشراف على الدعامتين الرئيسيتين للتربية والتعليم ، المعلمين والمناهج ، اللتين تشكلان مع الطلاب المقومات الاساسية للمدرسة.

وقد خططت الصهيونية منذ البدء لتكون التربية احدى الاسس التي ترتكز عليها في بناء جيل يهودي — صهيوني يعيش في مجتمع عصري موحد من جهة ، وتهويد من تبقى من العرب داخل الاراضي المحتلة وابقاءهم كما متخلفا عن بقية المجتمع الاسرائيلي من جهة اخرى .

احب أن اشير منذ البدء الى أن قضيتنا في فلسطين ليست قضية عرب مضطهدين تحت الاحتلال ، بل قضية غزاة يجب طردهم . ولكن مأساة مئات الالوف من العرب في اسرائيل جانب هام من جوانب قضيتنا نسلط الاضواء عليه . لنكشف عن الطبيعة الفاشية لهذا الاحتلال.ولعل الحاجة ماسة الى تذكير العالم بحقوق من تبقى في فلسطين من اصحابها الحقيقيين ، والى تعرية التنكر الصهيوني لكل القيم والحقوق ، وان كنا على ثقة تامة بأن الحقوق لا تعود بالتذكير والمناشدة بل بالكفاح المسلح وحده .

وكتاب الدكتور صالح عبدالله سريه « تعليم العرب في اسرائيل » محاولة موضوعية تتناول احوال العرب في اسرائيل منذ ١٩٤٨ من المنظور التعليمي وما تعنيه هذه الاحوال وتترجم عنه من اوضاع اجتماعية واقتصادية . والكتاب في اصله اطروحة للدكتوراه حول تعليم العرب في اسرائيل قدمت لجامعة عين شمس في القاهرة في صيف عام ١٩٧٢ ، وقام مركز الابحاث بنشرها في حوالي ٢٥٠ صفحة موزعة على مدخل وثمانية فصول وخاتمة وثمانية ملاحق وثبتا بالمراجع العربية والاجنبية . وتناول الفصول الموضوعات التالية : نبذة تاريخية عن اوضاع العرب في اسرائيل ، معالم فلسفة التعليم وتطبيقاتها في اسرائيل ، النظام التعليمي في اسرائيل ، مشكلة الكم في تعليم العرب ، مشكلة الكيف في المدارس العربية ، صورة الامة العربية في تعليم العرب ، صورة اسرائيل واليهود في الكتب المدرسية العربية ، وتربية العرب من اجل الولاء لدولة اسرائيل والشعب اليهودي .

فلسفة التربية عند اليهود : تستمد التربية في اي مجتمع اصولها واهدافها من الفلسفة السائدة في ذلك المجتمع واهدافه من حيث هي انعكاس لمطالبه واحتياجاته كما يعبر عنها ذوو الشأن في المجتمع. وباستقراء ما كتبه زعماء الحركة الصهيونية وقادتها نستطيع ان نخرج بعدد من المعالم التي اشتقت منها الاهداف التربوية في اسرائيل ، وهذه المعالم هي مبدأ القومية اليهودية الرامية الى جمع شتات اليهود في العالم ، ارتباط الدين بالقومية وخاصة عقيدة الشعب المختار الذي يقتضي معاملة الامم الاخرى وخاصة المغلوبة بسياسة التمييز العنصري ، ولقد زاد هذه السياسة العنصرية ما عاناه اليهود من اضطهاد العالم لهم حتى أصبحت فلسفة الاضطهاد جزءا من عقيدتهم بالاضافة الى احياء الثقافة اليهودية والتراث اليهودي .

تطبيقات هذه الفلسفة على تعليم العرب : تلك هي المبادىء العامة التي تحدد سياسة التعليم في اسرائيل للطلاب اليهود . اما بالنسبة للعرب فيمكن ان نحدد منطلقات اسرائيل في وضع هذه الاسس بالمبدأين الاتيين ١ — خلق الانسان العربي — الاسرائيلي ، المنسلخ عن تراثه وانتمائه العربي،والمرتبط والمقدم الولاء للصهيونية ودولتها. ٢ — تهيئة الطالب العربي ليأخذ دوره كمواطن درجة ثانية في المجتمع الصهيوني . ويمكن تلمس هذه السياسة واضحة من خلال ١ — وجود نظام تعليم منفصل خاص بالعرب يكون خاضعا خضوعا مباشرا لادارة يهودية ومختلف تماما عن نظام التعليم الخاص باليهود وتكون مهمته متلائمة مع انتاج الجيل العربي الخادم الذليل . وعلى هذا

يحرم من كثير من الاتجاهات الحديثة او التسهيلات المادية اللازمة كالعديد من أنواع التعليم والخدمات التعليمية المختلفة . ٢ — تدني نسبة انتشار التعليم بين الاقلية العربية بكل مقياس سواء بالنسبة الى اليهود في اسرائيل او بالنسبة للاجئين الفلسطينيين في البلاد العربية او حتى بالنسبة للبلاد العربية او لعهد الانتداب البريطاني في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ . ويمكن ملاحظة تدني هذه النسبة بشكل اكثر حدة كلما ارتفع السلم التعليمي. ويزيد من حدة انخفاض انتشار التعليم بين العرب ضخامة المهدور فيه ، فمن أصل مئة طالب يدخلون الصف الاول الابتدائي لا يصل الى نهاية المرحلة الثانوية الا سبعة طلاب ولا يتخرج منهم الا طالب واحد فقط . ٣ — تدني مستوى التعليم حيث كانت نسبة الناجحين في الامتحان الوزاري للدراسة الثانوية قبل ١٩٦٠ تدور حول ١٠ ٪ في حين ان هذه النسبة لليهود كانت حوالي ٨٥ ٪ . ٤ — طبيعة محتوى المناهج والكتب التي تدرس للعرب والتي وضعت لتجهيل الاجيال الصاعدة بتاريخ امتهم مقابل تقديم معلومات مضخمة عن اليهود واسرائيل والعالم الغربي ، ويظهر ذلك بشكل جلي من خلال تشويه مناهج التاريخ والتراث العربي ، حيث يظهر التاريخ العربي تاريخ خلافات وفتن وحروب داخلية ، وتظهر الحضارة العربية بانها معدومة ومقتبسة من غيرها بشكل كامل . والاخطر من هذا محاولة غرس وتنمية الانتماء الديني الطائفي الضيق بدل انتمائه العربي لتمييع صراعه القومي مع الصهيونية كحركة سياسية عنصرية تستهدف عروبة فلسطين وشعبها ، يرافق ذلك تقديم الحركة الصهيونية كحركة حضارية متقدمة لها جذور في فلسطين وبالتالي حق اقامة الدولة عليها ، بل اقامة دولة ديمقراطية تتعايش فيها الطوائف بسلام . كل ذلك لنفي اسباب الثورة والصراع بالنسبة للطالب العربي تحت الاحتلال، بل وربطه بالدولة وخلق الولاء لها .

بعد هذا الاستعراض الموجز لاهم محتويات الكتاب ، لا بد من القول ، ان هذا الكتاب وان كان لا يكشف عن وثائق جديدة ولا يضيف معلومات جديدة ، وكل ما فيه مفرق في كتب عربية واجنبية ، فهو يثير قضايا جديدة ، والمؤلف مشكور على الجهد الذي بذله في اعداد هذا الكتاب المفيد للقارىء في ظروفنا المصيرية القائمة . ومع ذلك فلا بد من ابداء بعض الملاحظات التي لا تقلل من اهمية هذا الجهد .

فاول ما يلاحظ هو عدم الاهتمام الكافي والعميق بدراسة وتحليل ابعاد محاولة غرس وتنمية الانتماء الديني الطائفي الضيق للطالب بدل انتمائه القومي ، كما يلاحظ ضعف ومحدودية الدراسة التحليلية التي حاولها المؤلف وخاصة لمواد الاجتماعيات ، وثالث الملاحظات هو الايجاز المخل الذي قدم به المؤلف مقترحاته لمعالجة سياسة اسرائيل التربوية ، ورابعها هو التناول السريع والسطحي لدور مؤسسات التعليم العربية الخاصة في اسرائيل كالثانوية الاكليريكية في الناصرة والكلية الارثوذكسية العربية في حيفا ، التير اسانطه في الناصرة وعكا والفرير في حيفا ، الاميركان الانجيلة في الناصرة وكلية الجليل في عيلبون وغيرها الكثير من المدارس الابتدائية الطائفية والارسالية المنتشرة في المدن وبعض قرى الجليل والتي لعبت دورا كبيرا في نشر المعرفة والعلم والثقافة بين الطلاب العرب . وخامسها خلو الدراسة من معالجة لاوضاع التعليم في الضفة الغربية وقطاع غزة واثر حرب ١٩٦٧ واتصال الاقلية العربية الموجودة داخل حدود ١٩٤٨ بالعرب الموجودين داخل حدود ١٩٦٧ على التعليم لدى كل منهم . وسادس هذه الملاحظات هو معالجة المؤلف لموضوع بحثه من خلال تأكيده الملح على فكرة تقسيم العرب تحت ظل الاحتلال الى طوائف ومذاهب وفي هذا ما فيه من محاذير ومنزلقات خطرة ، واخر واهم هذه الملاحظات هو سؤال الدكتور سربه عن الكيفية التي توصل فيها الى استنتاجه ان المقاومة الفلسطينية لم تستطع استقطاب الاقلية العربية في اسرائيل لتشاركها الثورة بشكل فعال ومؤثر ؟ واذا جازت الشهادة بما يقول العدو فاود ان يقرأ معي الدكتور سربة ما قالته صحيفة هآرتس الاسرائيلية في عددها الصادر يوم ٧١/٧/٢ « ان معظم الذين يتجندون للنشاط التخريبي من بين عرب البلد ينتمون الى الشباب المثقف من ابناء الطبقات المتوسطة والغنية الذين حصلوا على مساعدات من الدولة تتجاوز المقاييس المعروفة للشبان اليهود المحتاجين للمساعدة وخصوصا في مجال التعليم » .

سمير ايوب

ثقافة

الشعر الحديث والبدايات الثورية

تقدم الشاعرة الفلسطينية سلمى الخضراء الجيوسي في دراستها « الشعر العربي المعاصر ، تطوره ومستقبله » المنشورة في مجلة « عالم الفكر » — المجلد الرابع ، العدد الثاني — سجلا يكاد يكون شاملا ، لاهم التيارات التي تتجاذب الحركة الشعرية المعاصرة . فالدراسة تعود الى بدايات هذا القرن لتكتشف المهدات الفنية والثقافية التي أدت الى بروز الحركة الشعرية الحديثة بمصطلحاتها وتياراتها الرئيسية. كما تقيم في الوقت نفسه بناء نقديا لا ينحصر في النقد الفني والجمالي، بل يمتد ليستوعب علاقة الشعر بالواقع السياسي وبالتحولات الاجتماعية التي طرأت على حياتنا العربية بعد « نكبة » فلسطين ١٩٤٨ . فعام « النكبة » هو الحد الفاصل بين القديم والحديث في رأي الكاتبة : « ولعل عام ١٩٤٨ هو التاريخ الوحيد الممكن اعتباره نقطة تحول فوري وحاسم في الادب العربي الحديث ، فقد اعلنت نكبة ١٩٤٨ نهائيا وبشكل قاطع افلاس نظام الحياة القديم وسقوطه ، وبرز عندنا جيل من شعراء الرفض والادانة والانكار » — وهي لا تنزلق الى معادلات العلاقة المباشرة للشعر بالتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية . بل تعتبر هذه التطورات صورة متحركة في خلفية الدراسة ، وتترك لنفسها البحث الادبي والفني المباشر .

تقسم الدراسة الى قسمين رئيسيين :

تعالج الكاتبة في **القسم الاول** مقدمات الحركة الشعرية الجديدة . **الرومنطيقية** المرتبطة بالثورة على الكلاسيكية التي مثلها شوقي . ثم **الاتجاه الرمزي** الذي مثله اديب مظهر وسعيد عقل . ثم تنتقل بعد هذا التقسيم الافقي الى تقسيم عامودي فتناقش **اللهجة والموقف من الحياة** متوقفة عند الاتجاه الشعري الساخر ، وعلى الموقف المزدوج من المرأة ، وتنتقل الى **اللغة الشعرية** لتتحدث عن الانجازات اللغوية الجديدة في هذه المرحلة ثم تتوقف عند ظاهرة **الشعر السياسي** كما تمثل في شعر الجواهري وتنتقل بعد ذلك الى مناقشة **مسألة الشكل الشعري** لتكتشف معها اهمية التجارب التشكيلية التي سبقت الحركة الشعرية الحديثة متوقفة عند تجارب العديد من الشعراء الذين استطاعوا بثورتهم على الشكل القديم التمهيد لتحرر الشعور العربي الحديث من القوالب الجامدة .

أما **القسم الثاني** من الدراسة فهو مخصص لدراسة الحركة الشعرية المعاصرة كما ظهرت بداياتها في الخمسينات : « واذا نظرنا الى الشعر المعاصر استطعنا ان نقول انه في جوهره شعر سياسي بمعنى واحد : هو انه ينزع الى التأكيد على ضرورة تغيير العالم » . وتقسم الدراسة شعر الطليعة الى قسمين : الشعر العقائدي : السياب في شعره الباكر والبياتي ، والشعر الذي لم تسيطر عليه عقائدية مؤمنة فهؤلاء « كانوا شديدي الصرامة والاتهام والادانة في حكمهم على عصرهم ولم يسر بعضهم (ادونيس ، بلند الحيدري ، السياب — بعد تحوله عن الماركسية) ان اسباب الامل أصبحت مشروعة ، فأرهصوا في شعرهم لحزيران ١٩٦٧ » . ونحن سنتوقف في استعراض هذا القسم من الدراسة عند نقطتين :

١ — ترى الجيوسي ان الشعراء كانوا أسبق من المفكرين الى اكتشاف الذات . « فالكتب الفكرية لم تجرؤ على الرفض الكامل الذي جرؤ عليه الشعر ، ولا على تلك الادانة الكاملة ، بل اتخذت موقفا تبشيريا قاصرا اكتفى بالوعظ والارشاد . ولم يعلن المفكرون سقوط القيم التي بني عليها المجتمع التقليدي وافلاسها الروحي والانساني الا بعد رؤية الشعراء » . هذه النقطة البالغة الاهمية

التي تقوم الدراسة ببسطها من خلال تحليلات سريعة لاعمال عدد من الشعراء بحاجة الى تفسير وتحليل . فهل يخرج الشعر بهذا التعميم عن مسار الايديولوجية العربية السائدة ؟ وكيف يتم خروجه ؟ أي عبر اية عملية خاصة استطاع الشعر دون غيره ان يكشف الغطاء عن واقعنا مجبرا « الفكر » على اللحاق به ؟ ان الدراسة لا تطرح هذا السؤال وهنا تكمن الخطورة الاساسية . فالنمذجة التي قامت بها الكاتبة لم تصل الى نهايتها المنطقية أي الى التقاط علاقة الشعر بغيره من المستويات . لذلك ونحن نبحث مع الكاتبة عن مفاصل التجربة الحديثة : اللغة ، الصورة ، الموسيقى ، اكتشاف الفاجع في حياتنا العربية ، الرموز ، لا نصل الى اكتشاف الجواب على السؤال المنطقي الذي يطرحه هذا النص .

٢ — في النمذجة السريعة التي قامت بها الدراسة ، نلاحظ ان الشعر المعاصر لا ينقسم الى مدارس ، بل ينقسم الى شعراء . فهناك ادونيس — السياب — حاوي — درويش الخ . ، لكننا لا نرى نمذجة للمدارس الشعرية بل تأتي النمذجة من نمط آخر : اللغة ، الصورة ، الشكل ، الوزن ، قصيدة النثر الخ . ، ان غياب النمذجة عن هذا القسم الثاني يدفعنا الى التساؤل حول مشروعية نمذجة القسم الاول . فالواضح من الدراسة ان رومنطيقية ابي شبكة ورمزية عقل ليست هي الرومنطيقية أو الرمزية الاوروبية . فهي تستعير منها لكنها ليست جزءا منها . والشعر المعاصر يستعير هو الاخر من الكثير من المدارس الشعرية الغربية . وربما كانت نمذجته المدرسية لا تزال سابقة لاوانها . غير ان سؤالنا يدفعنا الى البحث عن امكانية جديدة لنمو نقد عربي ينطلق اساسا من تحليل واعادة اكتشاف الادب العربي الحديث ، ويقدم على هذا الاساس نماذجه وطرائقه الخاصة به .

تتميز هذه الدراسة بميزتين هامتين :

فهي **أولا** تعيد التأكيد على نقطة بالغة الاهمية ، هي علاقة الثورة الشعرية الحديثة بتاريخها المباشر . أي بالمدارس الشعرية التي سبقتها . من هنا فالثورة الشعرية ليست طفرة بلا مقومات ، بل ان مقوماتها عميقة الجذور في تراثنا الادبي . ورغم أن هذه النقطة البالغة الاهمية تبقى ناقصة اذا لم يجر ربطها بالاثر المباشر الذي أحدثته الحركة الشعرية العالمية (وليس فقط الغربية وان كانت هذه لعبت دورا بالغ الاهمية) في دفع وتيرة التثوير في شعرنا المعاصر .

كما انها **ثانيا** تلتقط أهم مفاصل الرؤيا الشعرية وتعيد اكتشافها من جديد ، واضعة اياها في سياق تركيبي يحمل هم مرحلة شعرية بأسرها . ورغم ان الانطباعية تظهر في بعض ثنايا الدراسة ، فانها استطاعت ان تتحرر من أثرها لتصل الى اعطاء صورة موضوعية عن الحركة الشعرية العربية رغم بعض الانتقائية التي حجبت بعض الاعمال الشعرية الهامة كأعمال الماغوط والبياتي التي لم تلق عليها سوى ضوءا خافتا .

بقي لدينا ملاحظة واحدة : فالكاتبة تبدأ دراستها النقدية هذه بتحديد للشاعر العربي المعاصر من طبقة الرواد تقول فيه : « انه شاعر مصاب بجرح روحي عميق ، منقسم على نفسه ، تهيمن عليه مواقف مختلفة من الغضب والرفض والرعب والامل الجديد » . وتنتهي الدراسة بالقول عن زمننا الراهن : « انه وقت انفجار الشعر المروع والمبصر ، لانه زمن الحركة والمغامرة نحو المستقبل » . لكن مغامرة هذه الدراسة النقدية تتوقف عند حدود شعراء محدودين جدا ومن جيل واحد . ولم يخترق أحد جدار هذا الجبل سوى محمود درويش الذي يبقى التحليل الذي قدمته عن شعره بحاجة الى كبير نقاش ، لانه لا يصلنا بالتجريبية الجديدة التي دخلها هذا الشعر مع ديوانيه الاخيرين ومع قصائده الجديدة . غير اننا نتساءل هل تنتهي خريطة مستقبل الشعر المعاصر قبل دراسة الارهاصات الشعرية الجديدة التي تتشكل اليوم دون ذلك الخوف والاشتياق الى الغرب كثقافة سائدة ؟

على قمة الدنيا وحيدا

تتابع فدوى طوقان في مجموعتها الشعرية الجديدة « على قمة الدنيا وحيدا » الخط الذي رسمته لنفسها في مجموعاتها السابقة . فهي تبقى أسيرة الحزن بمعناه الرومانسي الفردي المباشر . وتبقى ضمن شبكة لغتها الشعرية المائلة الى القتامة والرتابة . وهي حين تحاول أن تجد لنفسها مكانا في الشعر الفلسطيني المعاصر تبقى على طرف هذا الشعر ، تحاول الحوار معه ومع نماذجه ، غير ان الصدفة تظل أقوى من الرياح التي تهب ، فلا تنفتح الا ببطء شديد وتعود بعد ذلك الى الانغلاق باحثة عن نقاط سابقة تستطيع استيعاب المجاري الجديدة . والتحول البطيء نحو الغنائية الجماعية الذي نشهده في هذه المجموعة الجديدة ، هو وليد تطور بطيء بدأ مع مجموعتها « الليل والفرسان » التي حاولت فيها الاقتراب من نماذج الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة . لكنها بقيت عند الحدود الخارجية الوصفية لهذه النماذج . من هنا يحاول الشعر الفلسطيني ان يقفز عبر تثوير لغته وتشكيله ، بينما تمشي طوقان ببطء شديد على القاعدة القديمة التي بنتها لنفسها عبر ممارسة الشعر فترة طويلة من الزمن .

ماذا تقدم هذه المجموعة ؟

قبل الاجابة على هذا السؤال ، فاننا سنحاول أن نقرأ المجموعة قراءة نقدية تسمح لنا باكتشاف مفاصل الحركة الشعرية . تضم المجموعة اثنتي عشرة قصيدة تتراوح بين البكائيات الحزينة والمراثي وتشذ قصيدتان عن هذا المنحى الفاجع : « نبوءة العرافة » و« أغنية صغيرة لليأس » . هنا يحاول الشعر اختراق رتابته بالوصول الى الغنائية الجماعية التي تنفجر وسط الالم . غير ان محاولة الاختراق هذه تصطدم بالتراث الشعري الخاص الذي بنته طوقان فلا يلبث الايقاع الرتيب من التغلب على انطلاقة المحاولة . وتعود المجموعة لتنتمي الى رؤية شعرية خاصة تبعدها عن مسار الحركة الشعرية الفلسطينية بتياراتها المختلفة . لكنها لا تسمح لطوقان بتشكيل تيار خاص بها . فليس في هذه التجربة شمول لغوي او رؤيوي ، أي انها لا تؤسس ، بل تتابع . من هنا تبقى صوتا خاصا له مذاقه ودوره .

تحاول هذه المجموعة أن تمركز نفسها حول خمس نقاط :

١ ــ فهي تنطلق **من احساس حاد بالغربة** : على قمة الدنيا وحيدا ، هو كذلك عنوان أهم قصائد المجموعة . فيستحيل الشهيد وائل زعيتر الى رمز فلسطيني شامل . فهو الحنين الى الارض ، وهو الغربة الشاملة الساحقة . لكن وحدته تستحيل مع فعل الموت الذي يدخل فيه الى جبر للوصول صوب الآخرين :

« نحن نمضي ونسافر
ونلاقيك ، نلاقيك على
قمة الدنيا وحيدا يا بعيدا ، يا
قريبا ، يا الذي نحويه فيضا في الخلايا ،
في مسام الجلد ، في نبض الشرايين التي
وترها الحزن المكابر »

هذا الامتداد الذي يشكل قمة التوتر الشعري في القصيدة ، هو قمة محاطة بسفحين من الحنين الرومانسي والتفجع العاطفي . فالغربة تبقى غربة فردية لها سماتها الخاصة ، وهي حين تحاول أن تتعمم لا تلبث أن تعود الى الشعارات الجاهزة والخاتمة المتوقعة . فالموت هنا ، هو موت حقيقي وعياني . والتجربة الشعرية لا تستطيع أن تمسك به كلحظة تاريخية . من هنا تصبح الغربة فردية ، رغم محاولة اقناعنا بجماعيتها ، ورغم ما فيها هي كتجربة حية من امتداد يتخطى الفرد ، ويصب في النقطة التي توحد شعبا بأكمله . هذه الغربة الفردية ، لا تلبث ان تطالعنا في أولى قصائد المجموعة « في المدينة الهرمة » فالتداعي بين لندن ونابلس يستطيع ان يتجاوز مسألة وعد بلفور ليصل الى صلب العلاقة الامبريالية نفسها . لكننا هنا ، بين وعد بلفور وبين تحقيقه في مجنزرة اسرائيلية تعبر شوارع الضفة الغربية . لذلك يأتي النفس الشعري خائفا من المواجهة . يحاذي المسألة ، ويتطلع اليها ، دون ان يصل الى ربط المسألتين . « كلنا في حصار التوحد » تقول القصيدة . وينساب اللحن جنائزيا امام العجز الكامل عن مواجهة الحقيقة . فالحقيقة المرة نعتادها دون أن نواجهها ونبقى في الوحدة القاتلة .

٢ — وننتقل الى **التقديرية المباشرة** في محاولة الاقتراب من الحدث اليومي في بساطته . ففي قصيدة « كوابيس الليل والنهار » تحاول القيام بعملية مزدوجة . التركيز على الرمز الشعبي « عنترة العبسي » والالتفات الى المشاكل اليومية — مصادرة الارض — هذه المزاوجة تحاول ان تنقل صورة الواقع الفلسطيني كما هو — الفدائي الذي يضربه النظام العربي — والجندي الاسرائيلي الذي يدق على الابواب وينهب الارض . في هذه العملية ينقلب الشعر الى مجرد انهيار بطيء فعبلة التي تزوجها الغرباء لا تستطيع فتح بابها . والعدو في الارض ونحن نرفع الشكاوى اليه لانه يعتدي على أرضنا . هكذا تضيق مساحة الامل . ويفقد الشعر قصره المتلىء ، ليتسطح بنثرية خالية من التوتر على الورق . والشاعرة تقوم من اجل انقاذ قصيدتها من السقوط بحبكة بارعة . فتكسر الرتابة في خاتمة القصيدة بصور متلاحقة تشد مفاصل النثر وتعطيه عبثية البعد اللاواقعي .

« ينكسر الصوت
يعوي حيوان في غابة
وتلمع في طيات السحب الرعدية
ضحكات الرب » .

٣ — ان شد خيوط الشعر والوصول الى القصيدة المتعددة العناصر يأتي مع قصيدة « نبوءة العرافة » . هنا يأتي **اللحن الذي يتكرر عبر لازمة دائمة** ، وهنا نشهد تجربة معقدة مبدئيا ، تتعدد فيها الاصوات . صوت العرافة ، صوت فلسطين ، وصوت الفدائي . لكن هذا الطموح الذي يمثله تعدد الاصوات وقدرة أحدها على الوصول الى غنائية شفافة — صوت الفدائي — لا يلبث ان يخنقه عاملان : المباشرة الفجة التي نسمعها من صوت العرافة . « حاذري اخوتك السبعة » فالرمز هنا ، الذي يبدو للوهلة الاولى معقدا ، تأتي هذه الجملة لتضربه ضربة قاتلة . فتدخل القصيدة امام اصرار العرافة على تكرار نبوءتها المل . فالقصيدة التي تحاول ان تكون شهادة على واقع النضال الفلسطيني ، تتحول الى مجرد سرد تقديري يفتقد التحليل العميق ، ويتفجع على الحلم الذي سقط قبل أن ينضج ويتكامل . لكن العرافة بعد أن تحققت النبوءة لا تتركنا فريسة لليأس . فترفع صوتها معلنة ضرورة عودة المقاتل :

« حين تتم دورة الفصول
ترجعه مواسم الامطار
يطلعه آذار
في عربات الزهر والنوار » .

٤ — تأتي **اللغة الشعرية القديمة والخافتة** ، لتشكل في النهاية دائرة كاملة ، فالصوت خافت ، واللغة الشعرية لا تبحث عن مجالات جديدة ، وعن آفاق خاصة بها . والصورة الشعرية ، تبقى أسيرة التشبيه المباشر . أي أن البحث عن ميادين جديدة للممارسة يبقى بعيدا عن هموم هذه المجموعة الشعرية . فالوطن الذي يمد ذراعيه ليستقبل جراح المناضلين ، لا يفتح لهذه الجراح أراضي جديدة خاصة بها ، بل يضعها الى جانب جراحه السابقة . لذلك فحين لا تتجدد الرؤيا الشعرية ولا تتعقد ، فان البحث عن لغة جديدة يصبح بحثا عقيما وتشكيليا محضا . وهذا ما لم تسقط فيه عدوى طوقان . فبقيت محافظة على تراثها الكلاسيكي ، وبنت لجراح الارض صورة خاصة مطبوعة بطابعها . لذلك بقيت الرؤيا الشعرية تراوح مكانها . فهذا الشعر يذكرنا بشكل مباشر بشعر الخمسينات ، في لغته ورموزه المباشرة وتشابيهه وفي هذا التوجه الرومانسي الذي ينفعل بشكل مباشر بالحدث المباشر ، ولا يعيد صياغته من جديد . « فأصابع الزنبق ، والكف المخملية وزهرة قلبي والعبق الطري » وغيرها من التشابيه والصور تعود بنا الى الذاكرة ، ولا تضعنا في مواجهة المستقبل . واذا كان لهذه المجموعة من محاولة على المستوى التشكيلي فانه يكمن في بحثها عن اكتشاف حركيتها من خلال الافعال . أي الابتعاد قدر الامكان عن التشابيه . لكن الفعل هو الآخر يأتي بطيئا وغير قادر على نقل البعد التشكيلي الذي يحمله ، فيأتي الشعر خافتا امام بوابة الوطن . يقف خلفها ويقرع .

٥ — في المقابل تحاول هذه المجموعة البحث عن **غنائية لمقاومة العدو** كما في قصيدة « أغنية صغيرة الى اليأس » . ففي هذه القصيدة ، يرتفع الصوت الغنائي لينضم الى صوت الشعر القادم من الارض المحتلة . فالعلاقة القمعية التي يفرضها المحتل ، تواجهها علاقة من نوع آخر . علاقة الانفتاح الكامل المليء بالامل . فالطبيعة ستبقى خضراء . وجسد المرأة تحت سوط الجلاد سيظل قادرا على الانجاب

وعلى التعلم من الطبيعة سر الخصب :

« وأعلم أن الحياة تظل صديقة
وأن القمر
وان ضل عني ، سيعرف نحوي طريقه » .

هذه القصيدة وحدها ، على قصرها ، تشكل علامة مختلفة الابعاد ، عن كل ما في المجموعة الشعرية . فهي تحاول الامتداد الى خارج سور المستوى السيكولوجي الذي تحشر فيه طوقان معاناتها الفنية . لكن هذا الخروج ، يبقى لحظة واحدة ، ولا يغير بشكل جذري في بنية العمل الشعري الذي نعرفه عند فدوى طوقان . ونجد لهذا الحس الغنائي أثرا في قصيدة أخرى « أمنية جارحة » ، لكن هذه القصيدة ، على ما فيها من المباشرة ، والحس الرومانسي ، هي أغنية فنية أكثر من كونها قصيدة متكاملة . فهي تلتقط لحظة واحدة وتضرب عليها بجميع الاوتار التي تتقن استعمالها . فالخبب ينقل الموسيقى الشعرية الى القدرة على الايصال . وربط التراث القديم بالحاضر ، يجعل من الحركة الشعرية عالما يتفتح ولا ينغلق . لكن هذه الغنائية المباشرة التي نلمسها في هاتين القصيدتين تبقى بعيدة عن الاندماج في حركة الشعر الفلسطيني المعاصرة .

ان تجربة فدوى طوقان الشعرية تستحق دراسة خاصة . فهي تمثل نسيجا مستقلا ، له ثوابته الفنية . من هنا ، فان دراسة هذه الثوابت ومدى ما طرأ عليها من تحوير وتبديل بعد الهزيمة وارتفاع أسهم الشعر الفلسطيني ، حري بالدراسة الهادئة ، لانه يكشف لنا عن أكثر من جانب واحد لعملية تطور الشعر وعلاقته بالإيديولوجيا .

من يقف على قمة الدنيا وحيدا ؟ مجموعة فدوى طوقان ، تحاول عندما تقدم صورة مباشرة للواقع الفلسطيني بعد مذابح أيلول ان ترسم صورة مسيح جديد ، يصلب في ارض غريبة . وهذه المعاناة تضيق ، تضيق كلما أعدنا قراءة هذه المجموعة . فلسنا أمام صورة شاملة . نحن أمام عدسة لا تعيد صياغة الحدث عبر المعاناة الجماعية . فالمعاناة تبقى فردية . ويسقط الفرد من قمة الدنيا ليكتشف أنه كان وحيدا .

صقر قريش والتاريخ الذي لا يستعاد

تعطي مسرحية محمد الماغوط « المهرج » انطباعا حادا بالفجيعة المباشرة . فهي تنسج نفسها بشكل دائري . تبدأ وتنتهي عند تنويعتين على مساحة واحدة من العلاقات . فحين تبدأ المسرحية بفرقة الممثلين الشعبيين الذين يقتحمون المقهى ويقدمون امام الناس مشاهد بطولية مضحكة من تاريخنا القديم . فانها تنتهي عند محادثات الممثلين الاصليين الذين يحتلون خشبة مسرح الاحداث السياسية وهم يساومون على رأس صقر قريش . وبين هاتين النقطتين ينتقل الضغط الدرامي من الكوميديا الجارحة الى توتر تراجيدي عنيف يقلب مقاييس القارىء أو المشاهد ، ويضعه مواجهة أمام واقعه السياسي المباشر ، وأمام فجيعته القومية . غير أن هذا التوتر التراجيدي يحمل في داخله انعطافات وتعرجات متعددة . فهو ينتقل من قمة الايقاع الدرامي الى الخفوت البطيء والحوار الذي يريد استجلاب الضحك بشكل مباشر . ثم يحاول العودة الى مواقعه الاصلية . وهو في تنقله بين هذين الحدين يحاول أن يستعرض موقفا موحدا من هزيمة حزيران عبر اضاءة أكثر من جانب واحد منه .

ان التعامل النقدي مع نص مسرحي يختلف من حيث التوجه عن التعامل مع مسرحية تلعب على خشبة . ففي الحالة الاولى فان العمل النقدي ينصب على محاولة اكتشاف منطق الحركة المسرحية في النص ، ويعامله بعد ذلك كنص أدبي . بينما في الحالة الثانية ، فان العمل النقدي ينصب في الاساس على دراسة علاقة النص بالحركة الواقعية الحية . وينتقل بعد ذلك الى دراسة العمل المسرحي كشبكة علاقات معقدة تضم الاخراج والحركة والنص والجمهور . ورغم ان « المهرج » لعبت منذ سنتين على خشبة مسرح سينما «أورلي» في بيروت ، فاننا سنكتفي بمناقشة القسم الاول ، أي قراءة المسرحية بشكل نقدي .

١ ـ **التاريخ والارضية الواقعية** : تبدأ مسرحية الماغوط بشكل واقعي مباشر . وتضعنا بدايتها الواقعية في صلب عملية البحث

التي يقوم بها المسرح العربي لاكتشاف أرضه الواقعية . فالبداية تقترب كثيرا من محاولات التمسرح ومن منطق اكتشاف ارضية تراثية تسمح للعمل المسرحي بتجاوز المسافة الثقافية التي تفصله عن تاريخنا وواقعنا العربي . فنحن في مقهى شعبي ، حيث تأتي فرقة من الممثلين ، يذكرنا رئيسها بالحكواتي التقليدي ، لكنه بدل أن يقوم هو بدور الحكواتي بأسره فانه يستعين بفرقة من الممثلين . ويبدأ برواية مقاطع من تاريخنا . عطيل. هارون الرشيد . صقر قريش . والخيط الذي يربط حركة هؤلاء الثلاثة هو خيط واحد من القمع والذل والقهر . تسمح هذه البداية لجمهور المتفرجين بأن يكشف عن جوانب من الايديولوجية السائدة. وتأخذ حيويتها من جو السخرية اللاذعة على واقعنا . لكننا فجأة ، وبدون مقدمات واقعية ، ننتقل من الواقع الى الحلم . يتلفن صقر قريش للممثل الذي يلعب شخصيته ويسحبه الى التاريخ القديم . هنا تنتقل المسرحية الى ذروة الحركة في داخلها . اذ ننتقل من السخرية المباشرة الى السخرية الحزينة أو الحضارية اذا شئنا . فمن خلال الحوار بين صقر قريش وحفيده الممثل نكتشف مسافة طويلة بين منطقين مختلفين لا يستطيعان اللقاء . فهناك قطيعة تامة بين منطق الماضي . منطق النهوض العربي . وبين منطق الحاضر . منطق الهزيمة والانحطاط . وحين يفاجأ صقر قريش بالواقع العربي يكشف له المهرج عن سبب الهزائم . فاذا هو القمع . رجال الشرطة هم اليوم أسياد التاريخ . يوقفون عجلته بسحق كرامة الانسان العربي . الى هنا والحركة المسرحية تتقدم بوتيرة متصاعدة، رغم بعض الخفوت الذي يصاحبها من جراء الاصرار على دمج هذا التوتر الدرامي ببعض النكات السريعة والمباشرة . لكننا مع بداية الفصل الثالث والاخير نعود الى الواقع . لكن العين التي تكتشفه هي عيون القارىء وقد وضعت في الماضي . أي نعود الى اكتشاف الواقع من خلال عين صقر قريش الذي يقرر المجيء الى تاريخنا الحديث شاهرا سيفه الذي سيحرر به فلسطين . هنا نكتشف ان المؤلف قد حشرنا بين نفقين ، ومنع عنا الضوء والهواء . فبين سذاجة صقر قريش المفرطة في تعامله مع رجل الحدود وبين خبث السياسيين الذين يقررون تسليم صقر قريش الى اسبانيا ، لا دور لنا سوى مع الجماهير التي أتت مصفقة مهللة لعودة صقر قريش ثم خرجت مستسلمة تاركة بطلها بين يدي جلاديه دون أن تتحرك . وتنتهي المسرحية ببطء شديد . الحركة دبلوماسية . والصقر يغيب عن الخشبة . ويأتي الظلام .

عندما خرج أهل الكهف في مسرحية الحكيم من كهفهم فانهم عادوا اليه . لانهم اكتشفوا أن الدنيا تغيرت . لكن صقر قريش لم يرجع الى كهفه . بل أعادوه الى اسبانيا ليحاكم هناك . فتاريخنا ليس فقط أمام جدار استحالة التكرار . لكنه حين يحاول العودة الى البروز فانه يحاكم بأيدي الغرباء . ويشنق . لذلك فحين لا يستطيع صقر قريش فهم واقع الحاضر فانه يدفع ثمن انتصاراته التاريخية واقفا وحده في السجن ، لا يعلم شيئا مما يجري. هكذا فأهل الكهف يقتلون من جديد . ليس لان الحياة تغيرت مقاييسها لانها تتقدم ، بل لان مقاييس البداوة استبدلت بمقاييس التجار ، ولان الحاضر هو مجرد تابوت نلقى فيه كجثث بلا حركة .

بين الماضي والحاضر ، هنالك هوة سحيقة . ولا يوجد مكان للضوء . ومن أجل الوصول الى هذه النقطة قام الماغوط بضغط الحاضر حتى الاعتصار ونحن لا نناقشه حقه الفني بالقيام بذلك. لكنه بعملية الاستعادة التاريخية على ارض الحاضر قام بعملية ارخاء لخيوطه سمح للحركة المسرحية بالركود في الحوار المضحك الذي لا يرى الحياة العربية الا من نافذة معلقة في أعلى جدار سجن الثقافة بمعناها النخبوي.فبنى نفقين مسدودين.وترك حواره ينز على الارض ولم يقم بعملية تكثيف عند نقطة لقاء النفقين ، بل تركها متعرجة ومنفلشة . وهو بذلك حول التاريخ الى مجرد انعكاس مقلوب للحاضر ولم يقم النص بعملية التمييز الحادة بينهما. ان هذه الرؤيا السوداء لعلاقة الماضي بالحاضر تغلف أفق المستقبل . ويعود الشعر الى مجرد مراث نلقيها أمام قبورنا قبل أن نموت .

٢ — **الدائرة والحركة** : حين يقوم النص المسرحي باقامة دائرة محكمة الاغلاق ، فانه لا يقوم بها لاسباب جمالية محضة . أي لا يقوم بها في سبيل الوصول الى خاتمة سهلة المنال فقط . بل هو يحاول أن يجد اطارات لحركة الشخصيات التي تتكون . لكننا هنا لسنا متابعين لصيرورة اجتماعية حتى نناقش الدائرة التي رسمها الماغوط من خلال تطور شخصياته . لكننا أمام واقع جامد لا حركة فيه . الحركة هي مجرد شكل او اطار لعلاقة احتكاك لا تفاعل فيها . فالفصل الاول الذي يسمح

للعلاقة مع الجمهور ان تكشف عن بعض بديهيات الايديولوجية السياسية السائدة ، ليس سوى المقدمة لحركة الاحتكاك الخشن بين الماضي والحاضر . لذلك لا تتطور الشخصيات ، بل تسمح للمؤلف من خلال مواقعها بادارة حوار فيه الكثير من النكهة الاسقاطية . فالحوار الذي يبدأ بوصف طريقة الحياة العربية بين المهرج وصقر قريش يسمح بأكثر من امكانية واحدة . لكن اختيار المؤلف مرتبط بنسق ايديولوجي يريد به الوصول الى لحظة الفشل الكامل دون أي فجوة أمل . من هنا ومع انتفاء الحركة بمعناها التفاعلي تصبح الدائرة مجرد اختيار ايديولوجي وصفي ، تصف الحياة العربية من خارجها دون ان يتداخل هذا الوصف مع منطق داخلي يشد بخيوط مناطق الانفجارات الثورية . لذلك يأتي العمل المسرحي مشدودا ، رغم كل محاولات التقرب من القارىء او المشاهد التي تعبر عن نفسها بافتقاد الكثافة الايحائية من لغة النص ، لتأتي هذه اللغة منفلشة وممدودة على مسافة شاسعة من الخفوت والبطء الذي يسمح بتنفيس اللحظتين المشدودتين في المسرحية : لحظة لقاء المهرج بصقر قريش ولحظة عودة صقر قريش الى حياتنا العربية المعاصرة . فالحركة السريعة في الفصل الاول تتحول الى مجرد لحظتين طويلتين في الفصلين الثاني والثالث . والمباشرة الشعبية تتحول مباشرة ايديولوجية مدروسة . فتفقد بذلك بكارتها التشكيلية واللغوية على حد سواء .

٢ ــ الاستعادة والاضافة : بين « المهرج » و « حفلة سمر من أجل ٥ حزيران » لسعدالله ونوس ، اكثر من رابطة . فهما يتحدثان عن نفس الموضوع : الهزيمة . ويقتربان من حيث الشكل المسرحي العام وان اختلفا من حيث تفاصيل هذا الشكل . فبينما يصل ونوس بعملية التمسرح الى حد اشراك الجمهور مباشرة في العمل المسرحي عبر نسف المسافة التي تفصل الخشبة عن جمهور المشاهدين فان الماغوط يمسرح عمله بشكل اكثر تحفظا عبر قيامه بعملية التمسرح فوق الخشبة وحدها . اما من حيث البناء الداخلي فان ونوس في مسرحيته اكثر انفلاشا . أي انه يسمح للحركة بأن تأخذ مجراها ، ويسمح للانفجارات بالتبلور على الخشبة . وحين يجيء القمع فانه يأتي من خارج الحركة الاجتماعية ليقمع هذه الحركة . بينما البناء الايديولوجي المحكم لمسرحية الماغوط ، لا يسمح للحركة الاجتماعية بالبروز أبدا . فالمسرحية مغلقة على التجسرك الداخلي . لذلك تأتي استعادته للحظة الخامس من حزيران ، استعادة خاصة تقترب من دور الشعر ، في كونه لحظة وموقفا ، وتبتعد عن الواقعية المسرحية في كونها تطورا وتحولات اجتماعية . من هنا فالماغوط حين يلجأ الى التاريخ ويعكسه على جغرافية الوطن العربي ، فانه يقوم ببناء فني يلغي المسافة بين الفن والايديولوجيا . فاذا كان النص الفني هو ممارسة ايديولوجية عبر الاحتماء بالبناء التشكيلي الموسيقي ومن داخله . فان نص الماغوط يجعل من هذا البناء هيكلا خارجيا لمادة ايديولوجية لا مكان في داخلها لمراعات الممارسة الحادة .

هكذا تأتي « المهرج » استمرارا غير مباشر « للعصفور الاحدب » أولى مسرحيات المؤلف . لكنه هنا يستعير أدواته من الواقع ليصل الى لحظة اليأس الكامل . فعلاقته مع الواقع علاقة محاذاة وليست علاقة تفاعل . لكنه على الاقل يسمح لحنجرته بالصراخ . والصراخ هنا صراخ يتفجر بلحظات الشعر والحزن .

دهشة الاطفال أمام الحرائق

في « دمشق الحرائق » نعود لنكتشف مع زكريا تامر في مجموعته القصصية الجديدة هذه نكهة الدهشة في ادبنا العربي . تأتي الدهشة طفولية وعارية ، وفيما هي تلبس ثياب الاسطورة الشعبية تعود لتكتشف ارضها الواقعية ، وتستحيل الى تجربة اجتماعية بالغة المرارة . بين هذين الطرفين الدهشة والواقع الاجتماعي ، تقوم الاسطورة الشعبية بدور الوعاء والحلم في آن . وبهذه الدورة الثلاثية تتمفصل تجربة تامر الجديدة، وتأخذ لنفسها دورها الخاص في القصة العربية القصيرة . انها بحث عن رؤيا خاصة ، تتكثف في داخلها مشاكل المجتمع العربي . لكن الكثافة تأخذ هنا شكلا بالغ

الشفافية . فالقصة ليست حلما ، لكنها تحمل في ثناياها ايقاع الحلم الهادىء السريع ، ايقاع البحث الطفولي عن معان جديدة ، وعن تشكيل لغوي جديد متردد في أحايين كثيرة ، لكنه يقتحم حين يجد نفسه مضطرا الى مخارج اللغة الجديدة والى تقاطيع الصوت الشعبي المباشر داخل هذه اللغة .

نستطيع بشكل أولي ، أن نكتشف في هذه المجموعة أربعة أصوات :

١ — الصوت الاول هو **الطفولة** . فالطفولة في هذه المجموعة تسمح لنفسها بولوج أبعاد جديدة . تاركة للكلمة حرية البحث عن صورها وأشكالها . وهي تصب مباشرة في الاسطورة الشعبية المبتكرة . فالطفولة لا تحيا وحدها ، لذلك تأخذ دلالة الرمز وان بعدت عن المعنى الرمزي المباشر . فالرمز هنا هو نقل لتجربة جماعية تصطدم دائما بالجدار الذي يمنعها من التقدم . انها طفولة الدهشة . فالدهشة باعادة اكتشاف العالم بعينين جديدتين تعادلها دهشة اعادة استخدام الصور واللغة بخجل يقارب صورة الحلم . « وكان سليمان حين يقف امام المرآة في غرفته ، يحلو له الصياح بلهجة خطابية وقورة : ايها السادة ... فمهما وطني » . لكن الحلم الطفولي لا يلبث ان يصطدم بجدار الواقع الاجتماعي ، فالسفينة تغرق وجسد المرأة يمتلىء بالدماء (الحب) والعاشقان يتحولان الى صخرة (الشجرة الخضراء) وسمبحة لا تستطيع العودة كما كانت قطرة ماء في غيمة (البستان) . هذا الصوت الطفولي ليس ساذجا لكنه بريء . أي انه يعيد تلخيص تجربة اجتماعية محددة في اطار اعادة اكتشاف العالم . غير ان الواقع يأتي ليسحق هذا الحلم الطفولي . فتموت الطفولة . لا تصالح ، اذ لا مكان لها ، ولا يوجد من يطلب منها المصالحة . هذا الصوت الطفولي الذي يبرز بشكل حاد في هذه القصص الثلاث ، يمتد ليشمل جميع قصص المجموعة . لانه يعطيها بعد الدهشة قبل ارتطامها بالحواجز الاجتماعية .

٢ — بعد الطفولة يرتفع صوت **التحليل النفسي**، فتامر لا يترك قصصه تنساب على مساحة العلاقات الاجتماعية بالعفوية التي يفاجئونا بها عند قراءة قصصه قراءة اولى . فالتوازن الدقيق بين عناصر القصة يدفعها الى البحث عن توازيات سيكولوجية تقيم بين عناصرها ورموزها توازنا دقيقا . ففي قصة (وجه القمر) نلاحظ اثر هذا التوازن السيكولوجي في قدرته على تحريك اطارات ورموز القصة . فالمعتوه والشجرة والفأس والزوج والفارس تتحول من وقائع مباشرة الى رموز جنسية واضحة تتحرك في لاوعي المرأة الجالسة قرب نافذتها وحركة الحلم التي تترافق مع ايقاع ضربات الفأس تعطي للحركة القصصية ايقاعها الموسيقي ، الذي يتراوح بين خفوت الحركة وعلو ضجيجها . هذا التفاوت يصل الى ذروة ايقاعه مع صوت سقوط الشجرة وتحول الحلم المجاني الى حلم واقعي « ستكون ذات يوم وحيدة في البيت ، وستغري المعتوه بالدخول ، وستتعرى من ثيابها دون خجل ... وابتسمت سميحة اذ تذكرت القمر فلن يرعبها مطلقا بعد ان شاهدت وجهه دون أقنعة » . هذه الذروة هي نهاية القصة ونهاية الكبت اللاواعي الذي يتحول في (موت الياسمين) من مجرد توازن سيكولوجي يلعب دور مفاصل القصة الى تحول فجائي واقعي فاجع . فالاطفال تركوا طفولتهم خلف باب المدرسة وجاؤوا ينهشون جسد سلمى المدرسة « اثر نيلها شهادة تثبت انها ضاجعت ٩٢٧ رجلا في سنة واحدة » . وحين استسلمت سلمى امام هذا العدد الهائل من الاطفال امتلكها الخوف المفاجيء، « وضحكت سلمى وهي توشك ان تبلغ ذروة الفرح ، فقد كانت تتمنى فيما مضى ان تعيش مع أطفال لم يعرفوا بعد أقنعة الارض السوداء، غير ان هلما جنونيا امتلكها فجأة حينما بدأت الاسنان الصغيرة تقرض لحمها وتصطدم بالعظم الصلب » . فالتوازن السيكولوجي في هذه القصص هو وجه من أوجه المأساة الاجتماعية ، يقترب منها مضيئا اياها من جانب واحد . غير ان هذا الضوء يشير في الوقت نفسه الى الاماكن الاخرى الى القاعدة — الاساس التي هي صلب المسألة في هذه القصص . فالبعد السيكولوجي حين يتدخل بوجهه الفردي لا يحافظ على هذا الوجه بل يمتد ليشمل البعد الاجتماعي واضعا اياه في اطار اسطوري . أي ان زكريا تامر يقلب هنا معادلته . فحين ترك للطفولة مجال حلمها الاسطوري قام الواقع المباشر بصدم هذا الحلم . وحين يقيم توازناته السيكولوجية الواقعية فانه يعود ليصدمها بالاسطورة . فيكون قد كسر اجنحة الحلم بالواقع وبالتالي منعه من الاستقلال

عن المجرى العام للعملية الاجتماعية . ويكون في الوقت نفسه قد مد الواقع باطارات جديدة تمنعه من السقوط في فخ الفجاجة . فلسنا اذن امام حركة وحيدة الجانب . فالحركة المركبة تأتي لتوحد أطراف التجربة وتعطيها بعدها الخاص .

٣ ــ اما **الواقع السياسي المباشر** ، فان لصوته الخاص ايقاع الحلم والاسطورة . لكنه حلم يعبأ في ثلاثة أنواع من التجربة الفنية :

أ ــ ففي قصة (التراب لنا... وللطيور السماء) ينسج تامر اسطورة خاصة تشبه الحكايات الشعبية . وفيها يؤكد على امرين : ــ ضرورة التفاعل مع العلم الحديث وضرورة ترك القديم الموروث . فدمشق المحاصرة ترفض على لسان طبقتها الحاكمة اختراع الطائرة وتجد لنفسها آلاف الاسباب التراثية . فمسألة التقدم العلمي ترتبط بمسألة التقدم الاجتماعي وبتحدي التصدي للاعداء. ولما التهمت النار البيت والعالم والطائرة ، صاح أعوان الملك فرحين ، ولكن صياحهم خنقه سريعا الاعداء الذين نجحوا في التسلل الى دمشق غير مبالين بأسوارها .

ب ــ وفي (الاستغاثة) ينهض يوسف العظمة من قبره . يخرج الى شوارع دمشق حيث يعتقل. وفي القصة تداعيات بين خطواته وحواره وبين احداث معركة ميسلون . فالمعركة كانت اصرارا بطوليا على التمسك بالارض . وحديثه مع المسؤولين اليوم فيه نفس النبرة التي لا تثير فينا الضحك بقدر ما تثير الكآبة . فحين يعود العظمة الى شوارع دمشق ويكتشف الواقع الجديد ، لا يجد لنفسه مكانا سوى في السجن الانفرادي. «وأغمض يوسف العظمة عينيه ، وأحس بأن شرايينه تمتلك آلاف الاجنحة التواقة الى فضاء رحب ، فأطلق استغاثة التقت بالاستغاثة الآتية من ارض يحتلها الاعداء ، وامتزجتا في صراخ مديد تبدد في ظلمة الليل المهيمن على دمشق النائمة ».

ج ــ وفي (رجل غاضب) يتخلى تامر عن البناء الاسطوري ليصل مباشرة الى غايته ، هنا يرتفع صوت احتقار الموت امام رجال يرتجفون هلعا منه. فالموت سخيف . والرجل الغاضب يترك الرجال الذين يرتعدون امامه بعد ان صرخ بهم طالبا منهم محاربة العدو . يتركهم ويطلق الرصاص على صدغه وهو يقول لهم « الموت كما قلت لكم تافه وسخيف » .

٤ ــ وفي قصص **حارة السعدي** يحافظ المؤلف على مذاق الدهشة في قصصه ، لكنه يطرح بشكل مباشر **المسألة الاجتماعية** . مسألة تحرر المرأة . فالمرأة تذبح في سبيل الشرف . وترتكب الجرائم من أجلها . والتخلف الاجتماعي الذي يسحق حارة السعدي يمتد الى جميع مرافق الحياة . فالحياة رتيبة باردة وجامدة . واي محاولة لتحريك الماء على سطحها تصطدم بسدود قوية من التقاليد والقيم . لذلك فحين ترتفع لوحة الحارة ، فانها تمزج بين براءة اطفالها واحلامهم وبين الواقع الاجتماعي الذي يسحق « نظمة » وشعرها الاسود .

في هذه المحاور الاربعة تتكامل تجربة « دمشق الحرائق » لتعطي وجها جديدا في بناء القصة العربية . غير أن قصة واحدة (رحيل الى البحر) تخرج عن اطار محاور هذه المجموعة وان كانت محاولة كثيفة لنقل تجربة عميقة الجذور في واقعنا. فهي تستبدل الحلم بالكابوس وتحول الرمز الاسطوري الشفاف الى رمز مباشر . فالبحر بعيد ولا يصل اليه أحد والرحيل صوبه او صوب جسد المرأة يبقى رحيلا بلا نهاية . فالطريق طويل وشاق. وعلى الجانبين يقف رجال الشرطة ليمنعوا الرجل من الوصول . وفي النهاية يأتي الموت حاملا حزنه البارد : « انا لا استطيع الضحك او البكاء لان الديدان والجرذان أكلت رئتي وعيني وحنجرتي . ارسلي الي ملابس صوفية . آه القبر بارد يا ابي وشمس البحر ناحية » .

في اطار هذه المحاور الاربعة يأتي البناء القصصي ليؤكد على مسألتين :

من **جهة اولى** فهو تأكيد على ضرورة اكتشاف مجالات جديدة للتعبير . وتعبر هذه الضرورة عن نفسها في التقاط لحظة الدهشة بالحياة . فالاحداث اليومية ، والمواقف العادية تجري هنا عملية اعادة سكبها من جديد انطلاقا من عيون الاطفال . لكن عيون الاطفال ليست وحدها منظور الرؤية . انها نغم قاعدي يتحرك في ثنايا جميع القصص . لكن النغم ما ان يعلو قليلا حتى يتدخل صوت الواقع الاجتماعي ويقوم بعملية قمعه . فالرؤية اذن تأتي من خارج السياق ، انها مكان يشرف

على التجربة ويقوم بعملية ارسال الصدمات الواقعية اليها . حتى يجري تحديد السياق من بنية الحلم فتفتحه بلا ادنى مقدمات على الواقع ، او على العكس من ذلك يأتي صوت الطفولة ليشحن الحدث العادي بطاقة الايحاء . فللدهشة اذن حدودها . انها ليست دهشة مجانية ، بل هي دهشة الارتباط بالواقع الاجتماعي . ولكن زكريا تامر حين يضع حدود الدهشة من خارجها يمنع البناء الاسطوري من الانسياب . كما منعنا من اكتشاف دلالاته بأنفسنا . فهو يصر على الهدف، على صوت الايقاع المباشر ولا يتمهل على مخلوقاته. لذلك نخرج وطعم الاكتشافات الجديدة لم يستقر بعد على شفاهنا . أي ان البناء الاسطوري يتخلخل من أساسه . وهنا يأتي السؤال . ما معنى الادب الملتزم اجتماعيا . وهل وظيفة الادب هو القاء الصدمة الواقعية المباشرة أم انه يستطيع ان يفتح نوافذه الرؤيوية ويترك حركة الحلم في تشكلها الخاص تصل الى نهايتها المنطقية . حيث يتوحد الحلم والواقع في سيرورة التغيير الثوري ؟

ومن **جهة ثانية** يأتي البناء اللغوي في هذه المجموعة مليئا بالشعر . فاللغة تغتسل في الحلم وتصير مليئة بالصور الجديدة : « وتخيل غيوما تركض في الازقة مغبرة الثياب وتتشاجر مع الصغار وتحطم بحجارتها زجاج النوافذ » . وتأتي الصور لتختصر مساحة التشبيه بشكل بالغ الايحاء « وسطع لحمها عاريا ، ويلألأ نهار الجسد » . ونستطيع ان نجد الكثير من هذا التشكيل الشعري في بنية اللغة القصصية ، مما يشحن البناء القصصي بطاقة الايحاء ويخفف من ثقل لغة السرد العادية . في المقابل فنحن امام لغة فصيحة بشكل شبه كامل. ورغم محاولات المؤلف لتبسيط لغته عبر تطعيمها ببعض الكلمات العامية القليلة « هكذا يتكلم السواق » في (شمس للصغار) مثلا ، فانها بقيت أكثر ضخامة ورصانة من تحمل خط الدهشة الطفولية الذي يسير في جميع قصص المجموعة . لذلك فنحن نواجه بهذه الفجوة التي تضيق وتتسع نتيجة لقدرة الالتفاف البنائية على ردم الهوة . فحين تأخذ القصة شكل السرد الشعبي فاننا لا نشعر بهذه الفجوة الا في الحوار . وحين يخف ايقاع الخيط الاسطوري تصبح اللغة حاجزا بيننا وبين النص . والقصص تتشكل في **زحف محدد انه الماضي** . وهذا يضيق بدوره حلم الطفولة . وربما كان هذا هو بالضبط هدف المؤلف . أي ان الاطار الماضي يأتي عاملا مساعدا على انزال الحلم الى الواقع . فالحلم لا يستطيع التحولات المفاجئة المتتابعة اذا بقي امام جدار الراوي . هكذا كان الماضي حاجزا امام التحول الذي يطرأ على الحدث من خلال البناء نفسه . وحين تخلى زكريا تامر عن الفعل الماضي كما في قصة (الاستغاثة) فانه استطاع الوصول الى اقامة توازيات سينمائية تتحدد من خلال علاقة شريط التداعي بالواقع الحدثي .

نكتشف من هذه الحرائق اكثر من خط واحد . لكنها تأتلف فيما بينها لتشكل قفزة نوعية حقيقية في القصة العربية؛حيث يتحدد البناء من داخل التجربة الجماعية ، وحيث يأتي صوت الاطفال ليكون أكثر الاصوات قدرة على الايصال .

الياس خوري

تقارير

[١]

القضية الفلسطينية ... والصحافة البريطانية خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر)

قضى السلام **الهش** الذي يسود جبهة قنـاة السويس ومرتفعات الجولان على شعور صحفيي لندن باللامبالاة ، وبدا كل منهم وكأنه يلعب دور دكتور كيسينجر جديد ازاء الاحداث . فقرار وقف اطلاق النار الاخير ، الذي أشرف الدكتور كيسينجر على وضعه ، جعل من صحيفة « الغارديان » ، التي كانت تكرس اهتمامها في الدفاع عن القرار رقم ٢٤٢ في السابق ، ان تبدو المدافع الاول عن قرار وقف اطلاق النار . ويبدو ، بالنسبة للصحافة البريطانية ، ان قرار مجلس الامن الذي أعلن انه اساس أي مفاوضات سلام منذ وضعه في عام ١٩٦٧ قد وضع في زوايا النسيان .

ان اتجاه الصحافة البريطانية الحالي في تناولها للازمة الاسرائيلية — العربية اتجاه خبيث للغاية . فهل أصبح قرار وقف اطلاق النار الاخير المركز الذي تتمحور حـوله جهود السلام التي تبذلها القوى الخارجية ؟ من الواضح جدا ، ان قرار مجلس الامن رقم٢٤٢، بالنسبة للقادة الاسرائيليين، ومن خلال خطبهم ، هو في طريقه الى الدفن ، ان لم يكن قد دفن بعد .

ان وقاحة صحفيي فليت ستريت في لنـدن تدفعهم الى ارتكاب العديد من الحماقات . فعلى الرغم من الاحتلال الصهيوني لصحراء سيناء ، الذي امتد لفترة ستة اعوام حتى الان ، واقامة جسور للعبور فوقها للتغلغل الصهيوني في افريقيا، فان صحف لندن لا تزال تعتبر ان تقديم التنازلات لا يزال من مسؤوليات مصر والدول العربيـة الاخرى .

ويبدو ان رسالة السادات حول الحـرب لم تصل الى محرر صحيفة « التايمز » ، او لم يقرأها . فجميع خطب السادات وبياناته حـول الاهداف المحدودة لحرب تشرين الاول (اوكتوبر)، بالاضافة الى مراقبة التحركات العسكرية المصرية خلال المعارك ، تؤكد ان الاهداف تحددت في عبور القنـاة وتحرير جزئي لبعض الاراضي المصريـة المحتلة . فبالتاكيد ، لم تهدف مصر الى تهديد أمن اسرائيل او وجودها .

على الرغم من ذلك حذرت صحيفة « التايمز » في الاول من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ، في مقالها الافتتاحي مصر بان « لا تغالي بقدرتها » . وأضافت انه « اذا تعرضت اسرائيل الى هزيمة شاملة ، فان الاميركيين سيجدون أنفسهم مضطرين للتدخل ، مهما كلفهم ذلك سياسيا ، ومهما تعرض السلام في العالم للخطر » . ولكن لا بد ان تكون القوة التي ستدفع دول العالم الى الحرب من أجل سلامة اسرائيل واستمرار احتلالها للاراضي التي اغتصبتها عام ١٩٦٧ ، لا بد ان تكون قوة خبيثة . وتحذر صحيفة « التايمز » انه لا يمكن الاعتماد على قدرات الدكتور كيسينجر في صنع السلام ، « فما يهودية الدكتور كيسينجر الا عذر جزئي ، وهو سوف يكون اول وزير خارجية يتسلم امر معالجة هذه المسألة في الوقت الذي يتعرض البيت الابيض لضغوطات صهيونية محلية » .

ولكن ، على اية حال ، ما هي الدروس التي يمكن ان يتعلمها المرء من حرب تشـرين الاول (اوكتوبر) ؟

في الواقع ، هناك الكثير من الدروس عـلى حد تعبير صحيفة « الديلي تلغراف » (٨ تشرين الثاني — نوفمبر) ، ويجب على الاسرائيليين ان يقبلوا تلك الدروس . و « الديلي تلغـراف »

معروفة بارتباطها الوثيق مع الحركة الصهيونية ، وجاء حديثها عن دروس حرب تشرين الاول (اكتوبر) في مقال كتبه « مراسل خاص » لها . ووصف الكاتب على انه خبير في الشؤون العسكرية ، وله جولات عديدة في منطقة الشرق الاوسط . ويقول في مقاله ان اسرائيل « لم تتمكن من اختيار سياسة أمنية غير الاعتماد على القوة المسلحة ... الا ان العديد من الاسرائيليين كانوا يدركون دائما ان هذه السياسة باهظة الثمن في المدى القصير، او المتوسط ، ومهلكة في المدى البعيد ... كما ان العرب يتمتعون بتفوق بشري وجغرافي ، وبامتلاكهم للمواد الخام والاموال ، بينما اسرائيل تتجه الى فقدان تفوقها التكنولوجي ونقصان قدرتها البشرية عاما بعد عام » .

ويضيف المقال « ان الحرب كانت امتحانا عسيرا لاستمرار السياسة الاسرائيلية الحالية ونتائجها : حرب تجر اخرى ، والحرب التالية أصعب وأكثر كلفة من التي تسبقها ، وهي تحارب طرفا يزداد قوة ، مما يؤدي الى جفاف العروق في جسم اسرائيل » ... « فالوقت قد فات على الاسرائيليين كي يقولوا انهم لا يجرأون على قبول الفرص المتاحة بشأن مسألة الامن . فمن الافضل لهم أن لا يدعوا الفرصة الاخيرة تفوتهم من أجل اقامة السلام ، أو على المدى البعيد ، البقاء » ... « ليس هناك أي شيء يطلق عليه اسم الامن العسكري المطلق ، ان الاصرار على ذلك يعني تحطيم امتهم (أي اسرائيل) » .

هذا ما تقوله « الديلي تلغراف » من أكثر الصحف البريطانية دفاعا عن دولة اسرائيل . اما ما تقوله مجلة « النيو ستيتسمن » (٩ تشرين الثاني — نوفمبر) ، وهي مجلة اخرى من المتعاطفين بشدة مع الدولة الصهيونية ، فشيء آخر . وتكتب « ناعومي شبرد » ، التي لا ينازعها أحد في مسألة التأييد المتعصب لاسرائيل ، في المجلة وتقول ان « اسرائيل ، بالرغم من الارهاق السياسي والعسكري الذي أصابها ، يجب ان تحسب مدى قدرتها لمواجهة حرب جديدة مع مصر ... فاذا كانت تستعد لسحب قواتها الى مواقع ما قبل الحرب اذا فعلت مصر الشيء ذاته ، فهي ليست مستعدة كي تدع المصريين يخرجون بسلام » .

وتضيف ان « اسرائيل التي كانت تعتقد بقدرتها الذاتية وبعد بقظتها الحالية ، وجدت نفسها تخشى الانتهاك المتصاعد لسيادتها » . ان الكاتبة «شبرد» تلخص في هذه الجملة واقعية التفكير الاسرائيلي . « فالانتهاك المتصاعد لسيادتها (اسرائيل) » ليس تهديدا لدولة اسرائيل التي اعترفت الامم المتحدة بها ، بل للدولة التي تمثل فلسطين واجزاء أخرى من اراضي دولتين عربيتين ، مصر وسوريا .

يبدو ان اسرائيل قد تعلمت الشيء القليل من الحرب الاخيرة ، ولا تزال تستعد لشن حرب اخرى واحتلال بعض الاراضي . وتضيف « ناعومي » انه « عند هذا الحد وفي الوقت الذي لا يتوافر فيه بديل حيوي آخر لدى الحكومة كي تتبناه ، تبرز الحاجة الماسة لروح جديدة بين قادة الامة ، روح قد يمنحها قريبا ، مناحيم بيغن ، للدولة الصهيونية ، مما لا شك فيه » .

لا بد من توجيه التهنئة الى « النيو ستيتسمن » لحرصها الشديد على ابراز وجهة النظر الاسرائيلية . ففي مقال آخر نشرته المجلة في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ، كتبه نيوري سايل ، يقدم اسرائيل للعالم على انها الدولة الاشتراكية العظيمة : « لقد صرفت معظم يومي في زيارة الكيبوتزات القريبة من الحدود اللبنانية ، متحدثا مع المسنين الذين اتى معظمهم من بولندا ، الجميع اشتراكيون » على حد تعبير « سايل » في الفقرة الاولى من مقاله .

ويتساءل سايل « ان المأزق الذي واجه الاساس الاشتراكي ، والانساني بالضرورة لمجمل الحركة الصهيونية وناقضه هو ، ما هو مستقبل الشعب الفلسطيني الذي اقيمت على ارضه الدولة اليهودية ؟ » ان الاساس الاشتراكي والانساني للصهيونية ، وفقا لمذكرات هرتزل ، هو طرد السكان خارج بلادهم وتشريدهم . هذا هو مستقبل الشعب الفلسطيني ما دامت الصهيونية قائمة في فلسطين . يجب ان يقرأ « نيوري سايل » العلاقة الودية بين حاييم وايزمان ، من اوائل الزعماء الصهاينة ، واول رئيس دولة ، وبين جان كريستيان سماتس ، رئيس وزراء جنوب افريقيا والامبريالي العريق. ويهاجم «سايل» اولئك الذين « يشبهون اسرائيل بروديسيا وجنوب افريقيا ، فهذه دول عرقية مستقلة ». الغريب ان «سايل» يتجاهل تماما ان حلفاء اسرائيل خلال حرب تشرين الاول (اوكتوبر) كانوا : البرتغال وجنوب افريقيا،

وروديسيا ، والولايات المتحدة الاميركية .

وقد تعرض حلف آخر الى الانهيار خلال حرب تشرين الاول (اوكتوبر) . والمقصود هو حلف الناتو (منظمة حلف شمال الاطلسي) ، وذلك عندما اعلن الرئيس نيكسون حالة الطوارىء والتعبئة النووية لجميع القوات الاميركية في العالم من دون ان يبلغ الامر للحلفاء الاوروبيين . فقد بذل العاملون في فلبت ستريت ، والذين يخضعون لارادة الاستخبارات المركزية ، جهودا بالغة لاقناع الحكومة البريطانية كي تمتنع عن اصدار بيان تنتقد فيه قرار الرئيس الاميركي . فقد اعربت مجلة « ذي كريستشن ساينس مونيتور » (٣٠ تشرين الاول — اوكتوبر) عن استيائها وذكرت : « .. ان حجر الزاوية في أمن الولايات المتحدة يرتكز على حلفائها من دول اوروبا الغربية . الا ان هذا التحالف قد تعرض لمحاولة تخريبية خطرة قامت بها واشنطن خلال ازمة الشرق الاوسط الاخيرة » .

على الاقل ، فقد اوضحت الصحيفة ان الولايات المتحدة تحتاج حلف الناتو أكثر من حاجة اوروبا لاميركا ، واضافت « ان تحميل السفن بالسلاح الاميركي من مرافىء (بريمرهافن) ، المدينة الالمانية ، من دون الرجوع الى ، او حتى اعلام ، حكومة المانيا الغربية ، هو حط من شأن هذه الحكومة . لقد تم ذلك اثر اعلان الحكومة الالمانية عن موقفها الحيادي ازاء الحرب العربية — الاسرائيلية » . وتساءلت الصحيفة : « من يسلح نفسه عن الاخر ؟ » واجابت « ان التصرف الاميركي يعتبر انسلاخا من الموقف الحيادي الذي اتخذته الدول الغربية الحليفة » . واضافت الصحيفة « ان الحليف الغربي الوحيد الذي سمح بنقل السلاح من بلاده الى اسرائيل كانت البرتغال » .

واخيرا ، تجدر الاشارة الى « انزعاج » صحيفة « الفاريان » من تعليقين وردا في مجلة « برايفت آي » وصحيفة « الاهرام » ، حيث ذكرا ان الصحافة البريطانية تؤيد ، من دون خجل ، الصهيونية . ولكن يبدو ان ما ذكرته المجلة والصحيفة ، اي « برايفت آي » و « الاهرام » ، حول الصحافة البريطانية ليس كافيا . فمن الحقائق البسيطة والواضحة بأن كل صحيفة تقريبا تملأ صفحاتها بقصص يكتبها العديد من المتعاطفين مع الحركة الصهيونية . والمعروف ان التقارير التي يبعث بها مراسلو الصحف الانكليزية من اسرائيل ، ليست الا عبارة عن حملة دعائية مؤيدة للحركة الصهيونية ايضا .

لا يمكن للقضية العربية ، من ناحية اخرى ، ان تحوز في الصحافة البريطانية على التكريس المطلوب ، لان هذا التكريس غير موجود . فالصهيونية تمارس دعايتها على العلاقات العامة يوميا . وقد بدأت الصحافة البريطانية ، منذ اعلان وعد بلفور بمنح اليهود « وطن قومي » ، تصف اسرائيل بالدولة اليهودية . فالعرب عامة لا يتمتعون بآلة دعائية معقدة ومتشابكة في هذا البلد . وقد نوافق مع الصحافيين البريطانيين ان اسرائيل توفر وسائل أفضل واكثر عملية من الوسائل التي تتوفر لهم في العواصم العربية ، بل ان الفارق ، كما اتضح خلال الحرب الاخيرة ، ان الدول العربية طلبت من الصحافيين الاجانب ان ينتقدوا ويكتبوا بموضوعية وتجرد ، وهذا كل ما طلبه العرب ، ولكن اسرائيل تطلب منهم دائما الولاء التام .

وقد توفر اسرائيل وسائل أفضل للصحافيين البريطانيين ، ولكن على اساس ان يكتبوا ما يرغب المسؤولون الاسرائيليون في كتابته . ويبدو ان « بيتر نيسواند » ، مراسل « الغارديان » ، هو الصحفي الوحيد الذي رفض قبول تقديم الخدمات لاسرائيل . فبالاضافة الى نقله وجهات النظر الاسرائيلية ، فقد انتقل الى الضفة الغربية خلال المعارك واجرى لقاءات صحفية مع الفلسطينيين .

ففي الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) كتب مقالة نشرت في صحيفة الغارديان بعد ان عاد من اسرائيل وقال فيها : « تجهم وجه الضابط الشاب الذي يشرف على رقابة التقارير الصحفية ، وبدت علامات الغضب عليه عندما قرأ تقريري . وقال : انني لم اقرأ شيئا أكثر قربا من هذا في حياتي... سأرفع بك تقريرا ، كما واني سأمنع جميع الصحافيين من الذهاب الى الجبهة . ان هناك طريقتين لتغطية أخبار الحرب : الطريقة السهلة وطريقتك » .

يكفي للمرء ان يتفحص عددا من الصحف والمجلات الغربية كي يتأكد من ان أغلب الصحفيين يختارون « الطريقة السهلة » .

مصطفى كركوتي

[٢]
الصحافة الفرنسية والحرب

نشرت مجلة Palestine Information (أخبار فلسطين) تصدرها في فرنسا حركة « مير » أي « الحركة المعادية للامبريالية وللعنصرية » نشرت في عدديها الصادرين في ١٥ و٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) ، مراجعة للصحافة الفرنسية خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ . ويهم مجلة « فلسطين انفورماسيون » ابراز وايضاح مواقف كبار الصحف الفرنسية كجريدة « لوموند » و « لوفيغارو » او جريدة « ليبراسيون » التي تعبر عن قسم من اليسار الجديد في فرنسا . ومما يجدر ذكره في البدء ان معظم الصحف الفرنسية اعتمدت على الاخبار الصهيونية باستثناء جريدة « لومانيته » الناطقة باسم الحزب الشيوعي الفرنسي التي اعتمدت على المصادر العربية والاسرائيلية وعبرت عن موقف اعلامي مؤيد للعرب وللمقاومة الفلسطينية ومناهض لاسرائيل .

في الواقع يتبين لنا ان موقف الصحافة الفرنسية الاساسي هو موقف مؤيد للصهيونية (سواء أعلن ذلك أم لم يعلن) . وحتى بعض الصحف التي تدعي انها يسارية مثل « النوفيل اوبسرفاتور » أظهرت سوء فهمها لدور اسرائيل كقاعدة متقدمة للامبريالية في الشرق الاوسط .

حرب اكتوبر كما رأتها جريدة « لوفيجارو » اليمينية : « ولمعت في عينه الوحيدة نظرة شرسة ... وضرب قبضته اليمنى في كفه الايسر وقال : آه ، لو حاول العرب ان يفعلوا هذه الحماقة (مهاجمتنا) » لوفيغارو ١٩٧٣/١٠/٨ اعادة لمقابلة اجراها « ايف كيو » مع موشي دايان في السنة ١٩٧٠ . وسنظهر موقف لوفيغارو بابراز العناوين الرئيسية لها (بالخط الاسود المشدد) وبعض الاستشهادات القليلة من نصوص المقالات (بالخط العادي) ، جامعين من جهة ما يخص الدولة الصهيونية ومن جهة اخرى ما يخص العرب. وذلك ابتداء من ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣.

لوفيجارو : ١٩٧٣/١٠/٨ : بداية الحرب ، ثقة كاملة بتفوق اسرائيل .

اسرائيل : « **القوات الاسرائيلية تقوم بهجوم مضاد جبار** » « **استعادة المواقع الاسرائيلية في الجولان** » .

العرب : « **عزل ٤٠٠ دبابة مصرية في سيناء** ».

اسرائيل : « **حرب يوم الغفران** » (مراسل الفيجارو في القدس) : « اسرائيل تشن هجوما مضادا يهدد طاقة اعدائها العسكرية » . « **نصبت اسرائيل فخا لاعدائها** : لن تدوم الحرب بالتأكيد أكثر من ستة ايام... لا وجود للقلق اطلاقا ... »

العرب : « **مراهنة مصر وسوريا الخطرة لاعادة المفاوضات** » .

« **حصيلة الاشتباكات** : عزل ٤٠٠ دبابة مصرية، ضرب الخطوط الامامية العربية. الطيران الاسرائيلي يسيطر سيطرة كاملة على الاجواء، معظم الجسور المصرية مدمرة » .

رسم في الصفحة الاولى يصور ابو الهول محاولا مد قدمه الى الضفة الشرقية ... وقنبلة اسرائيلية تنفجر على رأسه . الصورة في الصفحة الاولى : دبابات اسرائيلية تتجول في الجولان .

١٩٧٣/١٠/٩ : هستيريا مؤيدة لاسرائيل .

اسرائيل : « **الاسرائيليون يعبرون القناة** ».

العرب : « **تقدم باتجاه ضواحي دمشق في الجبهة الشمالية** » .

اسرائيل : « **العازر : سنقضي على عدونا حيث يجب** ». « **في اسرائيل كل شيء طبيعي أو شبه عادي** » . « **سيروا الى اقصى حد: فالمدحلة الاسرائيلية تتقدم** » .

العرب : « **مصر وسوريا تأملان بان تفرض الولايات المتحدة اليوم وقف اطلاق النار** » .

« اختياران امام القادة العرب بعد هجومهم الاحمق : انتظار وقف اطلاق النار الذي سيفرضه نيكسون بعد ان يكونوا قد تكبدوا خسائر فادحة ، او القيام بعمل يائس لاسترجاع كرامتهم » .

« معلق صهيوني شاهد عند الفجر ، جثث جنود مصريين تطفو بأعداد كبيرة على سطح مياه القناة».

الصورة في الصفحة الاولى : الجيش المصري يعبر القناة ، ومكتوب تحت الصورة : « كانوا

يأملون بالاحتلال ، اما اليوم فقد وقعوا في الفخ ».

٧٣/١٠/١٠ : بدأت لهجة الجريدة تتغير ...

اسرائيل : « **هجمات اسرائيلية عنيفة** » .

العرب : « **مقاومة شديدة** » .

اسرائيل : « **تل ابيب : بدأت معركة التدمير على الجبهتين** » .

العرب : « **القاهرة ودمشق : جيوشهم تواصل الضغط** » .

اسرائيل : يشرح « روجي ماسيب » رئيس تحرير الفيجارو ان « الاخبار الخاطئة التي نشرت في العدد السابق ، تعود الى ان الفيجارو مجبرة على استعمال المصادر المتوفرة لديها ... هل البلاغات العربية جديرة بالثقة ؟ » .

وفي الصفحة التالية :

اسرائيل : « **الثقة بديان ، الحرب صعبة** (باريف) » .

« **صواريخ سوفياتية** » . « **العامل الجوي يخدم اسرائيل اقل من فترة حرب حزيران** » .

العرب : قائد الاركان المصري : « **ان عبور القناة يتم بشكل مرض تماما** » . دمشق : « **الجيش السوري يحاصر القنيطرة** » . « **دمشق مصابة اصابة خطيرة** » .

« العرب يتلقون مساعدة » . « واشنطن خاب أملها بالاتحاد السوفياتي » .

٧٣/١٠/١١ : بدأ الشك يظهر ...

الصورة في **اول صفحة** : أسرى الكتيبة المدرعة الاسرائيلية ١٩٠ ، وأيديهم فوق رؤوسهم .

اسرائيل : « **السيدة مئير : اليوم الخامس من الحرب : الجولان بين أيدينا** » .

« **واشنطن تحذر موسكو** : بعد اعلان اقامة جسر جوي من الاسلحة للعرب » .

الصفحة الثانية :

« **المتحاربون يعتقدون ان النزاع سيكون طويلا وعنيفا** » .

اسرائيل : « **في اليوم الخامس ، اسرائيل تستغرب المقاومة العربية** » ــ باريف : « **الحرب لن تكون قصيرة** » .

« **أبا ايبان** : مستعدون لقبول وقف اطلاق النار في خطوط ١٩٦٧ » .

العرب : « شهادة من صحافيين غربيين مع المصريين في سيناء : **قادة الاركان في مصر وسوريا واثقون بانفسهم** » . « **١٦ الف جندي عراقي في الجولان** » .

٧٣/١٠/١٢ : يزداد الشك ...

اسرائيل : « **حرب يوم الغفران : القوات الاسرائيلية تقدمت نحو ١٠ كيلومترات باتجاه دمشق ، ما وراء خطوط وقف اطلاق النار في ١٩٦٧** » .

الصفحات التالية :

اسرائيل : « **في اليوم السادس من الحرب تحتفظ القوى المتواجهة بقدرتها العدائية** » .

ديان : « **اسرائيل ستلقن سوريا درسا لن تنساه ابدا** » .

العرب : «**رأيت مخازن النفط في اللاذقية تحترق**»

« **٨٠٠ دبابة فقدتها سوريا** » .

« **قلق قادة الاركان العرب : الصمود مهما كان الثمن الى ان تفرض الدول العظمى وقف اطلاق النار** » .

٧٣/١٠/١٤ــ١٣ : اخبار متناقضة ...

اسرائيل : « **هدف اسرائيل : تخريب مقاومة الجيش السوري الذي يدافع عن الارض بشراسة**».

جندي اسرائيلي : « **عادت الحياة الى طبيعتها في المناطق الجديدة المحتلة** » .

« تل ابيب : **مدينة مهجورة** » .

« لقد سحقناهم في أقل من خمسة ايام . والان سنؤدبهم ... »

العرب : « **مقبرة مدرعات في سيناء والجولان** ».

« **الاستراتيجية العربية** » : مقال يفسر اخفاقات اسرائيل على انها ناتجة عن عامل المفاجأة والمساعدة السوفياتية غير المشروطة للعرب .

استنتاجات : ما يلفت النظر في موقف « لوفيجارو » هو تغير لهجتها بعد اليومين الاولين للحرب . فبعد اخبار ٩ تشرين الاول (اكتوبر) الخاطئة التي اختلقتها الدعاية الصهيونية ، زال

للفرح الهستيري المؤيد لاسرائيل وحل محله دعم غير مشروط لكن يزداد قلقا وتناقضا حيال المقاومة العربية . فركزت عندئذ « لوفيجارو » على النقاط التالية :

١ ــ مفاجأة اسرائيل امام « العدوان » .

٢ ــ مساعدة الاتحاد السوفياتي « الضخمة وغير المشروطة » للدول العربية .

٣ ــ شعور بالاستغراب والالم امام التضامن النضالي العربي .

٤ ــ مخاطبة الضمير الاوروبي المذنب بسبب المجازر النازية .

٥ ــ التركيز على الطابع المقدس للحرب : حرب يوم الغفران « يوم الصلاة من اجل السلام » . « داود الصغير ضد جوليات البدين » .

٦ ــ انتقاد عنيف لموقف الحكومة الفرنسية الذي عبر عنه وزير الخارجية جوبير في قوله ان للعرب الحق في استرجاع اراضيهم .

٧ ــ انتقاد نيكسون لانه لم يفرض وقف اطلاق النار في الوقت المناسب لاسرائيل وذلك لانه يخشى ان يقطع العرب امدادات النفط .

وبأسلوب بشع ــ « المدحلة الاسرائيلية » ، « تأديب العرب وكسرهم » ــ تقوم جريدة « لو فيجارو » بدور الناطق باسم الصهيونية ، الفاشية ، العدوانية والهمجية .

لا تثق الجريدة الا بالمصادر الاسرائيلية ، وبالاكاذيب الصهيونية . ودائما ما تعتمد على العنصرية المعادية للعرب والمعاداة للسامية لدى القراء ، عارفة بأن المعاداة للسامية تغذي الصهيونية . وبالتالي لم تشجب الجريدة التصف الارهابي للمدنيين في دمشق والقاهرة وبورسعيد . وهي دائما تحاول ان تقنع قراءها بأن اسرائيل تمثل الغرب « وحضارتنا » في المحيط العربي الهمجي .

مفهوم السلام لدى « لو فيجارو » هو المفهوم الاسرائيلي للسلام ، فعندما أعلنت اسرائيل انها عبرت القناة في ٩ تشرين الاول (اكتوبر) وانها اصبحت على مشارف دمشق ، طالبت الجريدة من نيكسون ومن الدول الغربية ان تفرض « السلام » الاسرائيلي أي السلام الذي يمنح اسرائيل أراض جديدة .

ومن ناحية اخرى لم تذكر الجريدة ابدا الامدادات الاميركية بالاسلحة ، والمال والطيارين لاسرائيل .

اما بالنسبة لنضال الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة فتتخذ « لو فيجارو » موقف الصهيونية والامبريالية : صمت تام ، لا وجود لاي خبر عن الكفاح المسلح في الجبهة الشمالية لفلسطين المحتلة ، ولا شيء عن العمليات في غزة والقدس وتل ابيب . فالموقف هو تجاهل وجود الشعب الفلسطيني والمساهمة اعلاميا في تصفيته .

حرب اكتوبر ١٩٧٣ كما رأتها جريدة « لوموند »
(الوسطية الاقرب الى اليمين)

ــ تحليلات لوموند تجهل تماما وجود الفلسطينيين : في بداية النزاع تقدم جريدة لوموند (٧٣/١٠/٩) تحليلا للاوضاع هو في نفس الوقت موقف سياسي غير علني :

أولا : من ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ انتقلت مبادرة الهجوم من غريق الى غريق ، لكن المبررات المقدمة من المبادرين هي ذاتها : « في حرب ٦٧ ، قامت الدولة اليهودية بتدمير طاقة عدوها العسكرية ، لفك الحصار عليها . في حرب ٧٣ قامت الدول العربية بعمليات محدودة ، بعد فشل مساعيها لاستعادة الاراضي المفقودة ، وهي لا تهدف الا للتفاوض من موقع افضل » .

ثانيا : استؤنفت المعارك ، دون ان يكون هناك معتد : « القول بأن هناك اعتداء مصريا سوريا هو تناس لكون المهاجمين يريدون استعادة أراض لم تنقلها اي سلطة دولية لسيادة اسرائيل ... القول بأن الاعتداء اسرائيلي ، على غرار الصحافة الاشتراكية ، يناقض تصريح الزيات امام الامم المتحدة » .

وتسكت جريدة « لوموند » عن اساس النزاع الذي يعود الى استعمار فلسطين .

ثالثا : تعترف « لوموند » بأن العرب حققوا انتصارا وهو : تحطيم « الصورة المنتشرة بأن العرب جبناء يتقهقرون بعد اصغر هزيمة » ، لكن ان يكون « العرب قد قاتلوا جيدا ضد عدو يتمتع بسمعة رهيبة هي انه لا يقهر ، هذا لا يعني اكثر من انتصار كرامتهم ، والكرامة ليست كل شيء » . فلا يزال الاسرائيليون العدو الذي لا يقهر . وتتابع لوموند : « تحتاج الجيوش العربية الى قوة لم

بغترف اي خبير عسكري بامتلاكهم لها ، لاجبار اسرائيل على قبول ما رفضته ولا تزال ترفضه ».

لم تحدد الصحيفة ما هو هذا الشيء الذي ترفضه اسرائيل . وترى « لوموند » ان توقيت الحرب يشكل بحد ذاته عقبة امام « تنازلات » اسرائيلية :

« ان توقيت الهجوم في يوم الغفران يجرح حواسهم . وقرب الانتخابات غير مناسب للتنازلات. اما دعاة سياسة ضم الاراضي فلن يمتنعوا عن القول انه لو اعيدت الاراضي المحتلة ، لكانت المعارك الحالية تدور في جوار تل ابيب والقدس».

ما نستطيع أن نستخلصه من هذه التحاليل هو ان « لوموند » تنصح بشكل غير مباشر الدول العربية بالهدوء والتريث الى ان تغير اسرائيل عقليتها — لا شيء يشير الى ان « لوموند » ترى حلا آخر للنزاع .

في نهاية أول اسبوع من الحرب ، لم تتغير وجهة نظر « لوموند » .

تستبعد الجريدة تحقيق حل سياسي للنزاع ، وتتكهن بتدهور الاوضاع :

« غالبا يكسر الاسرائيليون عظام أعدائهم في سوريا ثم في مصر كما وعد بذلك اللواء أليعازار ... »

« اما ان الوضع سيستقر على الخطوط الحالية، ويطبق وقف اطلاق النار . لكن هذا الوضع لن يحل المشكلة ، لان تمركز المصريين على الضفة الشرقية، يوازيه احتلال أراض سورية جديدة من قبل اسرائيل . وهذا لن تقبل به دمشق أبدا ... » . (لوموند ١٤—١٥/١٠/٧٣) .

وللمرة الاولى ترى « لوموند » ان الاحتمال الثاني هو بمثابة « هزيمة اسرائيلية خطيرة » لان اسرائيل « لاول مرة يجب ان تعترف بتعادل القوى » .

وهناك تطور آخر في تحليل « لوموند » وهو « الدرس » الذي تستخلصه من الاحداث :

« حتى اذا أدت هذه الحرب الى هزيمة عربية جديدة ، ستعود الاشتباكات بعد خمس او ست سنوات ، وستكون أصعب وأشرس من قبل . وفي هذه الحالة لن تكون الاراضي المحتلة فقط مهددة . لكن أيضا وجود اسرائيل » (لوموند ١٤ — ١٥/١٠/٧٣) .

الثغرة الكبيرة في هذا التحليل هو ان « لوموند » تصور الوضع كأنه صراع عربي اسرائيلي في غياب الفلسطينيين .

«لوموند» تتجاهل تماما الفلسطينيين — لا وجود لفلسطين في رأي الجريدة . في اول ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ كانت الجريدة تعلن: « ان الدولة الاسرائيلية موجودة . رفض هذا الواقع هو موقف مثالي وذاتي » .

الاعلام المؤيد لاسرائيل : لقد فوجئت « لوموند » ومعظم الصحافة الفرنسية ، بقوة الهجوم المصري والسوري ، وفعالية معداتهم ، وتتالية جنودهم . وأجبرت على الاعتراف بأن ١٩٧٣ لن تكون تكرارا لسنة ١٩٦٧ . وبخيبة أمل واضحة تعلن « لوموند » بعد اسبوع من ابتدائها ان « الحرب طويلة في الشرق الاوسط » .

لا تزال الجريدة تؤمن بأنه يستحيل هزم القوات الاسرائيلية .

وفي عدد ٨ اكتوبر يؤكد « شيماما » مراسل « لوموند » في القدس ان دايان رفض اخذ مبادرة الهجوم . ويضيف قائلا :

« أصبحت اسرائيل الان قادرة على ممارسة التراجع الاستراتيجي وضرب العدو في المكان الذي تختاره . من الاسهل هزم الجيش المصري في صحراء سيناء » (٩/١٠/٧٣) .

وفي نفس النهار كتب ج. س. جيبو : « ان الحرب عادة في اسرائيل والانتصار ايضا » . (٩/١٠/٧٣) .

وفي ١١ اكتوبر يكتب شيماما من تل ابيب : « اننا نقترب الان من اللحظة التي ستندفع فيها بقوة ، القدرة العسكرية الاسرائيلية » . (١٠/١٠/٧٣) .

لا شك ان اسرائيل قادرة على احتلال دمشق ، لكن هل الرغبة السياسية موجودة لديها ؟ هذا هو السؤال الذي تطرحه « لوموند » : « هل تريد اسرائيل الاستفادة من تفوقها الى هذا الحد ؟ » . (١٣/١٠/٧٣) .

ان معظم الاستشهادات السابقة نابعة عن

مراسل « لوموند » الدائم في القدس ، وعن مبعوثها الخاص الى تل ابيب . لا بد من التشديد هنا على ان لهجتهما تختلف تماما عن لهجة مراسلي « لوموند » في المدن العربية . هؤلاء ينقلون أقوال المسؤولين المدنيين والعسكريين بصفة مشاهدين موضوعيين في حين ان المراسلين في القدس وتل ابيب ملتزمون بالدعاية لوجهات النظر الصهيونية وخاصة لتصريحات لواءات اسرائيل :

« من المستبعد أن يكتفي اللواء داڤيد اليعازر بتدفيع المصريين فقط ثمن القوات التي عبرت القناة. كل تصريحات المسؤولين الاسرائيليين تؤكد ان اي نزاع جديد مع مصر سيؤدي بهذا البلد الى الخراب الكامل » . (شيماما ، ٧٣/١٠/٩) .

« لقد أعلن اليعازر ، قائد الاركان الاسرائيلي ، بشراسة امام مئات الصحافيين : سنطاردهم في كل مكان ، ونحطم عظامهم » . (٧٣/١٠/١٠) .

« اعاد الجنرال هرتسوج الى الاذهان ان هدف اسرائيل « ليس فقط ، رد المهاجمين ولكن ايضا ، تلقينهم درسا سينزع عنهم لفترة طويلة ، حب الحرب » . ويضيف المراسل قائلا : « تحتاج اسرائيل الى فترة من الزمن لتحضير الضربة التي ستلقنها حتما لمصر وسوريا » . (٧٣/١٠/١١) .

« كسر عظام العدو » ، حسب قول اللواء داڤيد اليعازر ، هذا هو الهدف الاساسي . (١٣/١٠/ ٧٣) .

« لوموند » هي بالتأكيد الجريدة الفرنسية التي أعطت أكمل المعلومات عن حرب الشرق الاوسط . لكن هذا الاعلام مؤيد لاسرائيل ، كما ان معظم محرري الجريدة مؤيدون لاسرائيل .

ان المعلومات المتوفرة في الجريدة عن « ردود الفعل في فرنسا » ، تشير ايضا الى موقف متحيز: فقد قامت الصحيفة خلال كل الاسبوع بدور الناطق باسم الصهاينة في فرنسا . وأعطت مساحة غير عادية في صفحاتها لمظاهرات وتصريحات معظمها مؤيدة لاسرائيل . وقد نشرت خلال يومين متتاليين : « مواقف التجمعات البرلمانية للصداقة بين فرنسا واسرائيل » ونشرت لائحة بكامل الاسماء .

وفي المقابل لم تنشر جريدة « لوموند » بيان التجمع القومي من اجل فلسطين الذي كتب بعد تحرك يومي ٦ — ٧ اكتوبر .

لا شك أن الجريدة نشرت اخبارا سريعة عن بعض تظاهرات الدعم للمقاتلين العرب . لكن اللهجة كانت تختلف حسب المصدر . فاذا كانت التظاهرات مؤيدة لاسرائيل كانت لهجة الجريدة موضوعية ، اما اذا كانت التظاهرة تضامن فرنسي عربي أصبحت لهجة الجريدة « منتقدة » .

فحول الاجتماع الذي عقد في « الموتياليتي » لنصرة القضية الفلسطينية والعربية ، كتبت « لوموند » (١٤—١٥/١٠/٧٣) « ان التيار الماركسي — اللينيني (الذي دعا للاجتماع) ليس متماسكا»، « ان وجود الحركات اليسارية المتطرفة في باريس لا يعني انها موجودة على المستوى القومي ، وهي لا تمثل الا بشكل تعسفي ، منظمات قومية » .

— **تحليل « لوموند » و « لو فيجارو » للاوضاع بعد وقف اطلاق النار** : قدم الجنرال بوفر تحليلا لاسابيع الحرب الاربعة في جريدة « لو فيجارو » (٧٣/١٠/٢٧) ويبدو ان معظم الصحافة الفرنسية تبنت هذا التحليل .

كتب بوفر : « كانت المفاوضات مفتوحة منذ بداية الهجوم المصري السوري ، عندما أعلن الرئيس السادات انه لن يهدد اسرائيل وسيكتفي بتحرير الاراضي المحتلة في ١٩٦٧ . فكان واضحا منذ البداية ان هدف المجابهة المسلحة هو تحريك وضع سياسي مجمد وفتح الطريق للتسوية » .

« عندما اقام الاسرائيليون رأس جسر على الضفة الغربية للقناة ، توفرت كل الشروط لاقامة تسوية سياسية . العرب اظهروا قدرة عسكرية ، واستعادوا كرامتهم فأصبحوا قادرين على تقديم تنازلات على الحدود . والاسرائيليون بعد فترة المعارك الصعبة أنهوا الحرب بنجاح وأصبحوا هم أيضا قادرين على تقديم تنازلات ... »

« لكن بعض الاطراف في اسرائيل — وربما اللواء شارون — رفضوا أن يمنع وقف اطلاق النار اسرائيل من تحقيق النصر الكبير والممكن . وسمحت ثغرات وقف اطلاق النار للاسرائيليين بمتابعة عملية الخرق غربي قناة السويس ... ثم قبلت اسرائيل وقف اطلاق النار الثاني في جو من النصر الحاسم ... »

« لكن هذا النصر للكرامة الاسرائيلية أخل بالتوازن الدقيق الذي حدث قبل يومين ... » .

« فلأنهم لم يحترموا قوانين الحروب المحدودة ؛ وجد الفرقاء انفسهم أمام مشاكل لا حل لها » . (لو فيجارو ٧٣/١٠/٢٧) .

اما جريدة « لوموند » ، فبعد ٤٨ ساعة من وقف اطلاق النار ، لخص « ميشيل تاتو » الاوضاع بالنقاط الاربع التالية :

١ ــ « ان الاتحاد السوفياتي يبحث جديا عن حل سلمي ... »

٢ ــ « ... رغم المساعدة السوفياتية الضخمة، وبسبب الانتصارات التي حققتها ... يبدو ان مصر تعتمد اكثر على الولايات المتحدة ، البلد الوحيد الذي يستطيع ان يضغط على اسرائيل لدفعها على اخلاء الاراضي المحتلة ... »

٣ ــ « ان هذا التكتيك ذكي ، لان بعض المسؤولين الاميركيين يبدون استعدادهم للضغط على اسرائيل . السيدان نيكسون وكيسنجر يريدان دفع اسرائيل الى التسوية ... »

٤ ــ « اما من الجانب الاسرائيلي لا شيء يشير الى انهم تراجعوا عن فكرة «كسر عظام العدو»... ولم يستبعد اللواء دايان ان تضغط الولايات المتحدة على اسرائيل التي زادت تبعيتها لامريكا » . (لوموند ٧٣/١٠/٢١) .

وتلخص «لوموند» الاوضاع على انها مرور من مرحلة « لا حرب ولا سلم » الى مرحلة « لا غالب ولا مغلوب » او « نصف انتصار ونصف هزيمة ». (لوموند ٧٣/١٠/٢٤) .

« وأصبحت الكرة في أيدي الدولتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي » .

وتعترف « لو فيجارو » في عدد ٧٣/١٠/٢٤ : « ان المقاومة الفلسطينية التي ساهمت من خلال نضالها بعد هزيمة ١٩٦٧ ، في احداث الحرب العربية في اكتوبر ١٩٧٣ ، هذه المقاومة لن تسمح بتجاهل حقوق الشعب الفلسطيني . ولا يستطيع اي نظام عربي ان يتجاهل حقوق الشعب الفلسطيني . وحتى لو افترضنا ان مصر دخلت في اجراءات سلمية منفصلة وجزئية ، لن تحل المشكلة في الشرق الاوسط ــ واليوم اقل من البارحة ــ الا بأخذ حقوق الفلسطينيين بعين الاعتبار » . (لو فيجارو ٧٣/١٠/٢٤) .

الحرب كما تراها ليبيراسيون : الحرب كما تراها « ليبيراسيون » وهي جريدة تصدرها مجموعة يسارية من اليسار الجديد المتكون بعد ثورة مايو ١٩٦٨ (الطلابية) في فرنسا والتي يترأسها بصفة شرف الكاتب الفرنسي جان بول سارتر المعروف بموقفه المتذبذب من اسرائيل، وتبحث «ليبيراسيون» عن قرائها في الاوساط الشعبية : عمال فرنسيون ومهاجرون ، الشبيبة التقدمية الخ . والجدير بالذكر ان « ليبيراسيون » هي الصحيفة اليومية اليسارية الثانية في فرنسا بعد صحيفة « لومانيته » الناطقة باسم الحزب الشيوعي الفرنسي والتي توزع في الاوساط التقدمية اكثر بكثير من « ليبيراسيون » . (المترجمة) .

المقاومة الفلسطينيون اثناء الحرب كما تراها ليبيراسيون : في عددها الصادر في ٩ اكتوبر وتحت عنوان « مقاومة متقطعة » (!!!) تقدم « ليبيراسيون » سلسلة من المعلومات الصادرة عن وفا ، بعد أن وضعتها في صيغة « يقال أن » وفي نفس الصفحة نجد اخبارا من مصادر اسرائيلية وضعت في صيغة التأكيد . وهنا نتساءل : هل الاخبار الاسرائيلية أجدر بالتصديق من الاخبار الفلسطينية ؟

ونشرت الصحيفة أخبار المقاومة الفلسطينية دون تعليق او شرح ، ودون ابراز أهميتها ، مما يحد من فعاليتها على الصعيد العسكري والسياسي .

ثم تقدم « ليبيراسيون » وجهة نظر المواطن العربي الوسط ، تتجري مقابلة مع « طالب جزائري » يبدي وجهة نظره حول الحرب قائلا : « ان الحل المثالي بالنسبة لي هو التفاوض ، لكن اسرائيل لن تقبل ابدا ، لانها مغرورة بنفسها ، ولن ترجع ابدا اراضيها . لكن الاسرائيليين أذكياء ونظاميون أكثر من العرب . التعايش السلمي ممكن بين العرب واليهود بالنسبة لنا ... » . وهكذا استعملت « ليبيراسيون » اسلوب الصحافة الرجعية : وهو اجراء مقابلة مع فرد غير واع وتقديمها على انها تمثل وجهة نظر الجماهير العربية .

نعود الى تصريحات « ليبيراسيون » حول الشرق الاوسط . في عدد ٧٣/١٠/١٢ كتبت : « نعمل في الجريدة يهودا ذوي جواز سفر اسرائيلي ، ومناضلين عرب وفلسطينيين . وكلنا معادون للصهيونية » .

والمنظمات هم الذين سيخلصونهم .

٤ — **ازدياد مقاومة الاردن** . كاتب وصحفي مقدسي قال لي انه حسب رأيه ، **ان ٩٥ بالمئة من سكان المناطق ليسوا معنيين بالحياة في ظل الملك حسين** ، ولكنهم يخافون من اعلان ذلك لئلا ينتقم منهم الاردن فيما اذا اعيدت الضفة للاردن نتيجة لاتفاق سري بين الاردن واسرائيل » .

وتجاه حقائق قاسية كهذه بدأ الاردن في نشاط واسع في المجال السياسي عددته « معاريف » كما يلي :

« ١ — محاولة للتقرب من المنظمات ، محاولة لم تنجح لان المنظمات رفضت كل اقتراحات حسين لادخال عدة رجال من المنظمات في حكومته .

٢ — محاولة التقرب من الطبقة الشابة في المناطق عن طريق ضمهم الى مؤيدي النظام الهاشمي ، والذي شمل تجديد دفع الرواتب لموظفي الدولة من سكان الضفة ابتداء من الشهر القادم .

٣ — محاولة ادخال شخصيات من سكان الضفة ومؤيدي الملك حسين الى المؤسسات الفلسطينية التابعة للمنظمات الشيء الذي لم تظهر نتائجه حتى الان . **وحتى الان لا يبدو ان في قدرة الملك حسين وقف الموجة المتعاظمة التي تطالب الانفصال عن الاردن واقامة دولة فلسطينية في الضفة وفي غزة . « بالنسبة للملك هذه حرب على وجوده ». قال مستشار الملك الذي يسكن القدس : اقامة دولة فلسطينية تعني ليس فقط تنازله عن الضفة وانما ايضا اقامة دولة متطرفة لن تكف عن تهديد نظام حكمه حتى يسقط » .**

الى جانب الاتصالات التي اجراها الحكام العسكريون الاسرائيليون ومساعدوهم ، وما اجراه مندوبو صحيفة معاريف وغيرها ، نقلت جريدة الفجر عن جريدة معاريف الاسرائيلية ان عبد العزيز الزعبي نائب وزير الصحة الاسرائيلي — عربي من الناصرة — قد اجرى لقاءات مع عدد من زعماء الضفة والقطاع ، بتنسيق مع حزب المابام الذي ينتمي الى عضويته — المابام شريك حزب العمل في الائتلاف العمالي الحاكم — . وعن هذه المقابلات قال الزعبي « انني خرجت متفائلا اكثر مما كنت عليه في المرات السابقة » (الفجر ١٩٧٣/١٢/١)

وبعد التصريحات التي أدلى بها الجعبري لصحيفة معاريف وقال فيها ان منظمة التحرير ليست ممثلة للشعب الفلسطيني ، قام القنصل الاميركي العام في القدس الشرقية بالاجتماع مع الجعبري بهدف « **عقد اجتماع عام في الضفة الغربية لانتخاب ممثلين للمناطق المحتلة تذهب الى عمان وتشترك ضمن الوفد الاردني الى محادثات السلام** » (الفجر ١٩٧٣/١٢/١) .

التحركات السياسية للنظام الاردني

اما اذا انتقلنا الى الجانب الاخر من الاتصالات التي يجريها النظام الاردني ، ليس بهدف الوقوف على الرأي واستطلاع الاتجاهات ، وانما بهدف كسب ولاء الضفة الغربية السياسي الى جانبه ، هذا الولاء الذي يتخذ في هذه المرحلة أهمية عملية، لقرب احتمال التوصل الى تسوية سياسية ، فاننا نجد من مجموعة الاخبار التي نقلتها صحف الضفة الغربية — خاصة جريدة الشعب — ما يشير الى تركيز كبير من جانب النظام لقطع الطريق على أية محاولة دولية ، وفلسطينية تهدف الى سلخ الضفة الغربية عن المملكة الاردنية . ومن الطبيعي ان ينصب اهتمام الحكومة الاردنية اولا على الوجهات التقليدية ، التي شكلت طوال السنوات الماضية الركيزة الاساسية لنفوذها في الضفة والقطاع . لذلك ، وفي حمأة الصراع السياسي على كسب تمثيل الضفة الغربية وقطاع غزة ، استدعت الحكومة الاردنية خلال الايام الاولى من وقف اطلاق النار وطوال الفترة التالية « نواب واعيان » الضفة والقطاع لاجراء المشاورات معهم . وذكرت « الشعب » بعض أسماء من سافروا الى عمان خلال الايام الاولى من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) لهذه الغاية ، ومنهم النائب الدكتور امين مجج مع احد الاعيان الاخرين من مدينة القدس ، ومن نابلس الوزير راشد النمر وعبد القادر الصالح. وتؤكد « الشعب » ان محور الاستدعاءات والمشاورات يتركز حول ما هو رأي هؤلاء«الزعماء» بمستقبل الضفة الغربية « وايهما أجدى : العودة الى المملكة الاردنية كما كان الامر سابقا مع بعض الاصلاحات والغاء التمييز السابق المشكو منه ، او تنفيذ مشروع القطريين الفلسطيني والاردني .. ثم من هم مع الاردن في سياستهم وولائهم ومن هم مع الدول العربية الاخرى والمنظمات ومدى قدرة وقوة كل فريق » . وتذكر

الصحيفة ان شخصية عادت الى الضفة من عمان مؤخرا اطلعت على تفويض سلم الى البعض ممن عادوا الى الضفة من عمان ، للتوقيع عليه واعادته الى العاصمة الاردنية . وتذكر الصحيفة ان صيغة التفويض هي كما يلي : « انا أو نحن الموقعين ادناه ، والذي امثل او نمثل الحمولة او العشيرة او العائلة (الفلانية) وتعدادها كذا نفسا ، افوض او نفوض جلالة الملك الحسين المعظم تفويضا كاملا تاما ، فيما يتعلق بمستقبل الضفة الغربية ، وانه وحده الناطق باسم الشعب الفلسطيني » . وتضيف « الشعب » ان عشرات الالاف من الدنانير بدأت تتسرب الى الضفة وقطاع غزة من عمان . (الشعب ١٩٧٣/١١/٦) .

وكانت « الشعب » قد نقلت قبل ذلك عن صحيفة معاريف الاسرائيلية الصادرة يوم ١٩٧٣/١٠/٣١ رسالة لمراسلها ايدي سوغر ذكر فيها « ان عددا من شباب الضفة الغربية دعوا في اليومين الاخيرين الى عمان ضمن النشاط السياسي المكثف والمتشعب الذي يقوم به الحكم الاردني بالمناطق المحتلة . ومعظم المدعوين من الاطباء والمهندسين ، وصفتهم احدى الشخصيات في الخليل بأنهم وجوه جديدة. واضاف المراسل بأن من بين المدعوين صحفي مقدسي معروف وهو صاحب ومحرر احدى الصحف اليومية التي تصدر في القدس [الجريدة اليومية الوحيدة التي تصدر في القدس باستثناء صحيفة الشعب هي جريدة القدس لصاحبها ومحررها المسؤول محمود ابو الزلف ، الموصوف بأنه من المحسوبين على الحكومة الاردنية] . وقال المراسل ان مصادر مقربة من البلاط الملكي في الضفة الغربية ذكرت له بأن بهجت التلهوني وعامر خماش انتظرا يومين في القاهرة لمقابلة الرئيس السادات وانهما في النهاية قابلا حسين الشافعي وعادا الى عمان يحملان ردا خيب امال الملك حسين كثيرا من مفهوم مصر للممثل الشرعي للشعب الفلسطيني في محادثات السلام » وتضيف « الشعب » نقلا عن نفس الصحيفة الاسرائيلية وعلى لسان « شخصية » من الخليل « **بانه على ضوء هذه الوقائع يجب رؤية نشاط عمان في هذه الايام في المناطق المحتلة ومحاولة التقرب من فئة المثقفين الشباب من انها تنبع من رغبة عمان في الحصول على اقصى تاييد بين سكان المناطق المحتلة** » (الشعب ١٩٧٣/١١/١) . وفي عدد «الشعب» الصادر في اليوم التالي جاء ان التحركات السياسية في الضفة الغربية ، والمتصلة بالحكومة الاردنية اوسع مدى ومتعددة الوجوه . فبعض هذه الحركات تمثل في الاجتماعات داخل بعض مدن الضفة الغربية وبعضها تمثل بالمسافرين الى عمان بدعوة او بدون دعوة من حكومتها . ومن المسافرين « النواب وبعض رؤساء البلديات والمجالس القروية والاطباء والصيادلة والشيوخ ، الى جانب ممثلين عن التربية والتعليم ومن باقي القطاعات الاخرى ». وتشير الشعب الى ان **محور هذه الاتصالات يدور في مدينة الخليل** . وتنقل على لسان المواطنين في المحافظة بان هناك « لعبة جديدة يريد الاردن ان يلعبها » . وتقول « الشعب » ان غالبية الناس « **ينظرون ان هناك من يحسن تمثيلهم خارج الاردن وخارج الاحتلال** » . وبالطبع فان الاشارة هنا واضحة الى منظمة التحرير الفلسطينية . وقد أكدت صحيفة معاريف الصادرة يوم ١٩٧٣/١١/١٢ ، ما كانت قد ذكرته صحيفة الشعب حول هذه التحركات . فقالت الصحيفة الاسرائيلية انه قد جرت في الايام الاخيرة « عدة اجتماعات في بيوت عدد من زعماء الضفة الغربية على ضوء امكانية بحث القضية الفلسطينية في مؤتمر السلام » واضافت الصحيفة ان هذه الاجتماعات « **لا تحمل طابعا رسميا بل تتم على أساس اجتماعي بين اناس يوجد بينهم تناسق فكري او روابط عائلية او يحاولون بلورة الموقف وسماع الردود** » .

ومن ابرز ما نقلته صحف الضفة الغربية عن تحركات اردنية بهدف احتواء مواطني الضفة سياسيا ، ما ذكرته « الشعب » عن **رسائل كتابية وشفوية بعث بها اميل الغوري** نائب مدينة القدس الى بعض المخاتير والوجوه في نابلس والخليل ورام الله وبيت لحم والقدس ، يهيب فيها بهم ، الالتفاف حول الملك حسين . وقد وجه لبعضهم الدعوة لزيارة عمان . كما قام بهذا الدور ، كما ذكرت « الشعب » ، بعض النواب والوزراء الفلسطينيين الموجودين في عمان حيث « اخذوا هم بدورهم يمارسون حكاية الاتصال باصدقائهم واقاربهم في الضفة الغربية من أجل هذه الغاية ايضا » (الشعب ١٩٧٣/١١/٢٦) .

التحرك المضاد للنظام الاردني

ولكن ماذا على الجانب الاخر ؟ جانب الرافضين

لهذه الاتصالات والتحركات الهادفة الى مصادرتهم سياسيا من جديد ؟ .

لقد نقلت جريدة الشعب الخبر التالي عن جريدة الجروزاليم بوست الاسرائيلية ، وهذا الخبر في فحواه ومدلوله يمكن ان يعتبر دليلا جديا على أن هناك بالفعل من سيقاوم اتجاه الزعامة التقليدية المرتبطة ماديا وسياسيا مع النظام الاردني . وننقل في ما يلي النص الحرفي لما جاء في صدر الصفحة الاولى من جريدة الشعب : « **ذكر عدد من الشخصيات البارزة في الضفة الغربية انهم تلقوا رسائل تهديد محذرة اياهم من الاشتراك في اي نشاط سياسي نيابة عن الفلسطينيين . وقيل ان جماعات من الهيئات السرية هي التي بعثت بهذه الرسائل والتي جاء فيها ان المنظمات الفلسطينية هي الوحيدة التي تنطق باسم الفلسطينيين . وذكر بعض الذين تلقوا هذه الرسائل انه جرت محاولات لاتلاف ممتلكاتهم وبصفة خاصة سياراتهم** » (الشعب ١٩٧٣/١١/٢٣) .

أما صحيفة الفجر التي تصدر اسبوعيا في القدس فقد ادلت هي الاخرى برأيها في كل التحركات والنشاطات السياسية التي ينظمها انصار النظام الاردني في السر والعلانية . ففي افتتاحية عددها الصادر يوم ١٩٧٣/١١/٢٤ نقتطف مما قالته حول هذا الموضوع ما يلي : « ان انصار النظام الهاشمي في المناطق المحتلة، قد وجدوا انفسهم بعد النتائج التي تمخضت عنها الحرب الاخيرة،يعيشون في عزلة من الجماهير الفلسطينية ، وحتى في عزلة من نظام « سيدهم » في عمان ، لهذا اسرعوا في عرض أنفسهم كناصحين وكأصحاب مدارس سياسية ، وكمخططين لرحلة المستقبل الفلسطينية ، ناسين او متناسين ان « النواة » ستظل طاهرة ... **ان تجاهل التناقض بين النظام الهاشمي وحقوق الشعب الفلسطيني ، هو تنكر لكل قيم الصمود والتحدي ، التي تصرف شعبنا بوعي كامل عليها ، كما ان هذا التجاهل من جانب « العقلانيين » هو اكبر اهانة توجه لمشاعر واحاسيس ثمانية الاف ارملة فلسطينية ، فقدن ازواجهن برصاص البطش الهاشمي ، وبقنابل اقليمية حسين وطغمته في مخيم الوحدات وحده .. واما الحديث عن الوحدوية والانفصالية ، فلماذا لا يوجه الى الذين طعنوا الوحدة في ايلول ١٩٧٠ ...** » .

الى جانب ذلك فقد نشرت صحيفة الشعب تحت عنوان « **سكان المناطق المحتلة يرفضون ان يكون للاردن دور في مستقبل الشعب الفلسطيني ويؤيدون بشدة المنظمات الفلسطينية** » ، قول مراسل لاحدى وكالات الانباء الاوروبية جاء فيه : « لطالما حدثني بعض الوجهاء التقليديين وبعض رؤساء بلديات الضفة الغربية ، أن منظمة التحرير الفلسطينية وبقية المنظمات الفلسطينية قد فقدت نفوذها في المناطق المحتلة . واعترف بانه في فترة من الفترات قد صدقت هؤلاء التقليديين ورؤساء البلديات ، **لكنني اكتشفت انني قد خدعت . فالاحاديث التي اجريتها في غزة والخليل والقدس ورام‌الله ونابلس وطولكرم ومخيمات اللاجئين ، قد اثبتت ان التأييد السياسي الذي تحظى به المنظمات في المناطق المحتلة هو من القوة بحيث ان تجاهله سيؤدي الى كوارث سياسية** » . وتذكر « الشعب » ايضا على لسان مراسل لاحدى كبريات الصحف البريطانية قوله : « يظهر انه كانت هناك مصلحة لاسرائيل والنظام الاردني والوجهاء التقليديين في الايحاء بان موقف سكان المناطق المحتلة سوف يكون مستقلا عن موقف منظمة التحرير الفلسطينية .. لقد كشفت هذه الحرب حقائق يجدر بكل العقلاء ان يتعاملوا بها . ومن هذه الحقائق المهمة **ان الفلسطينيين في المناطق المحتلة ينظرون الى منظمة التحرير على انها الممثل الحقيقي لهم ، وان أية محاولة لتوجيه هذا الولاء الى أي جهة اخرى سيؤدي بلا شك الى تعقيدات سوف لا تكون في مصلحة السلام** » (الشعب ١٩٧٣/١١/٢٩) .

*

تناولت صحف الضفة الغربية خلال النصف الثاني من شهر كانون الاول الماضي ، عددا من المسائل المتصلة بالموقف الراهن والاحداث المتغيرة، وتراوحت تعليقاتها بين الحديث عن نتائج حرب تشرين ، مرورا بمجادثات الضباط في لجنة العمل العسكرية المنبثقة عن اعمال الدورة الاولى لاجتماعات مؤتمر جنيف ، وانتهاء بالانتخابات الاسرائيلية . ويمكن القول ان المسائل التي انشغلت بها صحف الضفة الغربية في تلك الفترة، تشير الى الاهتمام بهذه المسائل في اوساط سكان المناطق المحتلة ، وان غابت عنها بشكل رئيسي مسألة اساسية وهامة ، وهي موضوع ابعاد السلطات العسكرية الاسرائيلية لثمانية من

المناضلين الفلسطينيين وما تركه هذا الابعاد من اثار وتفاعلات سياسية شملت معظم مدن ومناطق الضفة الغربية وقطاع غزة .

فحول نتائج حرب تشرين الاول كتبت صحيفة الشعب تصف اثار الحرب على الصعيد الشعبي الاسرائيلي قائلة : « كان الزلزال في رد فعله بالغا حد الانسحاق ، ذلك ان التعبئة الغطرسية ، حصلت من مردودها ما لم تتمكن معه السلطة ، ولا الصحافة ، ان تتستر عليه او تخفيه » . وانتقلت الى وصف ردود الفعل على المستوى الرسمي الاسرائيلي لتقول : « أما على ساحة (المكابرة) الرسمية في مختلف مؤسسات الحكم ، فقد صارت في وجهها الخارجي تفتش على المناورات التي باتت من المكشوفية على شكل لم تعد تجد نفعا كما لم يعد لها أي بريق خاطف او خافت » . ثم تستطرد الصحيفة : « غير ان الاهم ما تبدى على الساحة الداخلية من مردود عصبي ظاهر ، ولا يعنينا في هذا المضمار حكاية القرض (الاختياري) ولا تدابير الاقتصاد المهزوز ، ولا الغلاء الفاحش الذي يعيشه الشعب الاسرائيلي ، ولا حتى النفسية المنرفزة بين الجميع ، انما يعنينا المردود الذي وجد متنفسه فقط في عرب الاراضي المحتلة الذين شاء القدر ان يكونوا من غير حرب » . ثم تختتم الشعب تعليقها قائلة ان « الانجازات » التي حققها الاحتلال « أصبحت بعد تشرين انجازات عصبية اكثر حدة وعنفا ، ليست في صالح الشعب الاسرائيلي ولا في صالح السلام ولا في مصلحة الامن والنظام » (الشعب ١٩٧٣/١٢/٢٠) .

وتحدثت الشعب في افتتاحيتين متتاليتين عن ما سمي فصل القوات الاردنية الاسرائيلية عقب انتهاء المرحلة الاولى من مؤتمر جنيف ، كما طالب بذلك رئيس الوزراء الاردني زيد الرفاعي . فقالت الشعب حول هذا الموضوع : ان هذا الامر ينطوي على ابعاد هامة لها من الدلالات الشيء الكثير . فالجبهة الشرقية لم تخض حربا « وكل من الطرفين غربي النهر وشرقيه يحرص على تجميد الاوضاع الى حد لا يحتاج معه الى دورية راجلة من الفرسان او دورية محمولة بسيارات الجيب » . وتقول الشعب « ونحتسب في حالة كهذه — ان تمت عسكريا — ان يعود الجيش الاردني المتقدم يرابط على مرتفعات السلط وعجلون والكرك ، مقابل انسحاب اسرائيلي مماثل الى طوباس وابو دبس وبني نعيم ، لكي تصبح اربحا والجفتلك والفشخة منطقة حراما او حلالا ، مما يهيء لمشروع التنمية الثلاثي بالاغوار على الضفة نجاحا على مناخ مدني هادىء . اما من الناحية المعنوية او النفسية رغم اصرارنا .. على الانسحاب من كل شبر من الارض العربية ، وحتى تكتحل العين لاول مرة بعد سنوات الاحتلال العجاف الثقال برؤية اي اخ عربي ، من اي قطر عربي ، فان الامر له بعد وثيق الارتباط بقضية وصولية هي : من يمثل الشعب الفلسطيني ، بل لعلها عملية التفاف مسبقة وذكية ومدروسة للايحاء بأن من تعطى له الارض او يضع اليد عليها هو صاحبها وهو ممثلها ، قطعا للطريق على المالك الفعلي والممثل الشرعي الحقيقي » (الشعب ١٩٧٣/١٢/٢٥) .

وبعد ان وضعت « الشعب » يدها على المعنى الحقيقي لمسألة « فك ارتباط » القوات الاردنية — الاسرائيلية عادت في اليوم التالي تقول : « ولتكتمل صورة (الالتفاف) التي أشرنا اليها في حديث الامس ، من حيث التمثيل الشرعي للفلسطينيين ، ذلك الالتفاف الذي يربط بين طرف الفصل بين القوات كمصلحة مشتركة ، الى جوانب مشتركة اخرى معروفة ، يقول المصدر الدبلوماسي الاميركي بانه « لما كان موقف الاتحاد السوفياتي يميل الى حل القضية الفلسطينية على صورة تتعارض مع مصلحة الاردن ، فانه من الممكن ان يسعى الاردن واسرائيل لاجراء تلك المحادثات الثنائية . واضاف: ان واشنطن لن تعارض في ذلك » (الشعب ١٩٧٣/١٢/٢٦) .

اما صحيفة القدس فقد علقت على محادثات العسكريين المصريين والاسرائيليين في جنيف قائلة : «ستكون محادثات العسكريين المصريين والاسرائيليين في موضوع فصل القوات ، احدى اثنتين : الشعرة التي تقصم ظهر « السلام » او الشعرة التي تسمح باستئناف المسيرة في مؤتمر « السلام » ... ومن موضوع التركيز على موضوع الفصل ، لا يلوح في الجو ما يدل على انه يسير في الاتجاه المأمول ، لا من خلال محادثات العسكريين في جنيف ، ولا من خلال تعاملهم في الجبهة » . وتضيف القدس قائلة ان تهديد مصر بالانسحاب من المحادثات اذا لم ينسحب الاسرائيليون بما يتمشى مع قرارات

الامم المتحدة هو تعبير موضوعي « عن الالتزام بالحق المشروع وعدم السماح باهدار المزيد من الوقت في حوار غير منتج . ولكن الذي يحمل على التساؤل باستمرار هو معرفة الهدف الذي ترمي اليه اسرائيل من التعطيل ؟ » .

وكانت « القدس » قد تحدثت من دور الولايات المتحدة في مؤتمر السلام قائلة : « ان دورا يمكن ان لتعبه الولايات المتحدة واسرائيل ، يقوم على الاقناع بحل التكامل والالتفاف الى العوامل مجزأة، والتفاوض في كل جزء من جهة الاختصاص ، سيكون خطرا تقترب معه الامور من نهايات مفزعة . (القدس ١٩٧٣/١٢/٢٦) .

أما حول مؤتمر جنيف ككل فقد تحدثت عن ذلك كلتا الصحيفتين اليوميتين اللتين تصدران في القدس : « القدس » تساءلت بعد انعقاد المؤتمر وبعد أن اخذت الوفود ترد على المقر الاوروبي عما اذا كان ممكنا ان « يهبط السلام على ارض السلام » قائلة « على الرغم من الهالة الضخمة التي تحاول اميركا بالذات ان تضيفها عليه [المؤتمر] ، لظروف قد لا تعني اكثر من اميركا .. صحيح ان العالم كله سيكون مشدودا الى هذا المؤتمر ، ولكن بدوافع اخرى غير تلك التي تنشد اميركا . ولقد يعنينا بخاصة ، ان ننظر الى مردود هذا المؤتمر ، وان نسبق بنظرنا الزمن ، لنعلم مسبقا ما اذا كان ممكنا ان يؤتي أكلا مقبولا ، ام أن ذلك غير متوقع ؟ فان الجوانب السلبية فيما نعتقد هي التي تأتي في الكفة الراجحة » . وعندما تتطرق القدس للتحدث عن دور الفلسطينيين في المؤتمر تقول : « اما الفلسطينيون ، فعلى الرغم من أن ثمة موقفا محددا من دعوتهم للمؤتمر وفي أي مراحلة لم يتبين بعد بوضوح ، فان التواطؤ على تجاهلهم ، او دعوتهم على الاقل في المراحل الاخيرة من المؤتمر ، هو الشيء الواضح فقط . وفي هذا تقول جريدة معاريف « ان الولايات المتحدة الامريكية أخذت على عاتقها ان لا تتضمن الدعوة الرسمية للمؤتمر ذكرا للفلسطينيين ، وان تعمل بالتشاور مع اسرائيل لاحباط امكانية دعوتهم للمؤتمر ، لما في ذلك من مصلحة مشتركة » . ثم تعقب الصحيفة على ذلك بقولها : «ومع ذلك فان الفلسطينيين الذين تتعاقب اجيالهم منذ نصف قرن تقريبا ، حاملة راية الدفاع عن الارض والحق ، لن يلقوا بالا لهذا التواطؤ ، وسيتابعون مسيرتهم ، بحثا عن السلام بمفهومهم الخاص ايضا ،ما دامت هذه المسيرة هي قدرهم؛ وبحسبهم ان يذكروا دائما ان سلاما لا يرضون عنه ولا يكونون طرفا رئيسيا فيه سيظل سلاما ابتر غير مستقر لانه لا يقوم على العدل » (القدس ٢٠ /١٢/ ١٩٧٣) .

أما صحيفة الشعب فقد كتبت حول نفس الموضوع قائلة ان المؤتمر كان دعاية للحزب الحاكم في اسرائيل « أسهمت فيه دول كبرى ، ودول عدوة ، والمنظمة الدولية » . ومن خلال تقييمها لهذا المؤتمر تتطرق « الشعب » الى الدور الاميركي قائلة : ان الولايات المتحدة « تسرح وتمرح بانجازات وهمية خادعة ، اهمها في رأيها انعقاد المؤتمر ، وتوقيف اطلاق النار او النزف ». وتقول متنبئة بمستقبل المؤتمر : « ويقينا وبعد تشكيل الوزارة الاسرائيلية ، ستمتلىء الساحة ، ساحة المؤتمر وادراجه ، بمشاريع هامشية ، وتحولات جانبية ، فضلا عن امور شكلية اخرى كثيرة ، كوسيلة جيدة جديدة ، تتيح لاسرائيل مناخا للمناورات هي من امهر لاعبيها ، وتسنح لها بذلك فرصة هي اقدر على اهتبالها وانتهازها ، طالما ظل العمل السياسي (الدولي) مجرد وسيط للاخذ والرد ، والمد والجزر ، مع ان ذلك العمل ... قادر على وضع الامور في نصابها الحاسم بكلمتين: الانسحاب الفوري لا الجدول الزمني ، وتنفيذ جميع مقررات الامم المتحدة منذ عام ١٩٤٧ وحتى اليوم » (الشعب ١٩٧٣/١٢/٢٤) .

وفيما يتعلق بمؤتمر جنيف ايضا ، خصصت صحيفة الشعب افتتاحيتها الرئيسية للتحدث عن الموقف السوري من مقاطعة المؤتمر . فقالت تحت عنوان « المقعد السوري الصامت ابلغ الخطباء » ان سوريا « كانت في غيابها عن المؤتمر، أبعد نظرا واعمق احساسا . فهي تعرف في اسرائيل مناوراتها والاعيبها . وتعلم في اميركا انحيازها ، وتعلم اكثر انه لا يجوز ان يجلس المتهم مع المعتدى عليه في قفص واحد ، حتى ولو كان قفصا فخما اسمه قصر الامم ... » . وتضيف الشعب ممتدحة الموقف السوري من المؤتمر بقولها: « وسوريا تفهم المعنى الحقيقي للسلام ، او اي مؤتمر يهدف الى السلام ، ان ينعقد المؤتمر بعد ان تلتزم اسرائيل علنا بقبولها كافة قرارات الامم المتحدة الصادرة حول هذه القضية .. بل تفهم

سوريا حضور المؤتمر اذا ما بدأت اسرائيل في سحب قواتها من الارض العربية المحتلة والمباشرة في الخضوع والانصياع بالتسليم بالحقوق العربية الفلسطينية ، وبالشعب الفلسطيني . فالمفهوم الطبيعي والمنطقي لاي مؤتمر سلام ان ينعقد اولا في جو خال من الاسباب التي أدت الى عدم السلام » . وتختتم الصحيفة تعليقها بالقول : « ولن يفوتنا في النهاية ان نشير الى ان الصمت السوري الذي يؤدي دوره غيابيا ، ويؤديه الوفد المصري الشقيق حضوريا ، ليس الا تكملة هامة وامينة للصورة العربية الواحدة ، في أن ما تعتنقه سوريا من قناعات أكيدة ضد النوايا الاميركية والاسرائيلية ، سيصبح — ذلك الاعتناق — قناعة دولية عامة بكشف كل الاحابيل والاباطيل والنوايا والمناورات ، بعد أن لم تتركا وسيلة للسلم الا قامتا بها ، ولا طريقا نحو الحق والعدل الا واتبعتاها » (الشعب ١٩٧٣/١٢/٢٢) .

بقي موضوع اخر تناولته صحف الضفة الغربية بالتعليق ، وهو موضوع الانتخابات الاسرائيلية التي جرت في ١٩٧٣/١٢/٣١ . وقد تناولت كلتا الصحيفتان موضوع الانتخابات من زاوية مختلفة. فصحيفة الشعب ركزت في تعليقها على صراع الاحزاب الاسرائيلية في اكتساب اصوات العرب الذين يحق لهم الاقتراع في الجزء المغتصب من فلسطين عام ١٩٤٨ ، بالاضافة الى سكان القدس التي ضمت رسميا الى اسرائيل عقب احتلالها عام ١٩٦٧ . وقالت الشعب : « امتلأت شوارع القدس العربية المحتلة أمس وقبله ، بشتى انواع الاعلانات والبطاقات تناشد اهلها العرب التصويت الى هذا التجمع الاسرائيلي او ذاك ، كما تعددت الخلوات هنا وهناك ، وراء اصطياد الاصوات ، رغم أن الشباك مختلفات » . . ونقلت صحيفة الشعب عن صحيفة معاريف الاسرائيلية قول الاخيرة في تحقيق لها « ان التصويت السلبي » هو المتوقع في معركة الكنيست والبلديات ، وتعني الصحيفة بالتصويت السلبي ، انه سيكون في صالح الحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » بوصفه مقاوما لدولة .. اما عن بلدية القدس فالمعركة تدور بين الحزب الحاكم « المعراخ » والحزب اليميني المعارض «الليكود» فضلا عن المتدينين ، حيث يقومون بنشاط دؤوب في القدس العربية ، ويتوقعون حسب اعترافهم بأن النسبة التي قد يحصلون عليها منهم ستكون ضئيلة لقناعة عرب القدس العربية بأن تقسيم البلدة سيرجع الى ما كان عليه قبل الاحتلال » . وتضيف الشعب قائلة : « وامس في رام الله المجاورة للقدس ، وكلاهما من الارض العربية المحتلة من الضفة الغربية ، قام طلبة كلية بيرزيت بأروع احتجاج صامت لكنه معبر خير تعبير ، عندما تأبطوا مكانس البلدية بدلا من الكتب المدرسية واخذوا يكنسون الشوارع ، لان كليتهم اغلقتها سلطات الاحتلال بأمر عسكري » . ثم تنقل الشعب حادثة اخرى من القدس تقول فيها ان احد التجار أغلق محله احتجاجا على الضرائب البلدية . وعلق التاجر الى جانب اليافطة التي اعلن فيها عن اغلاق محله اوراق الدعاية الانتخابية التي وصلته من الاحزاب الاسرائيلية . ثم تتطرق الشعب الى مسألة اخرى مهمة فتقول : « وتمضي معاريف في تحقيقها تقول بأن حاجات الشباب العربي المثقف توجد نقط في مجال الايديولوجيا « المعقيدة » وهم بذلك يقضون على الوهم السابق بانها حاجات اقتصادية ، لان الحاجات الاقتصادية هذه باتت الان حاجات ثانوية ، ومع ذلك ، كما تقول الصحيفة فالصراع على اصوات الناخبين العرب في القدس سيبلغ ذروته هذه الايام » (الشعب ١٩٧٣/١٢/٢٨) .

أما صحيفة القدس فتناولت موضوع الانتخابات الاسرائيلية من زاوية اخرى ، هي ارتباط محصلتها النهائية بمؤتمر جنيف ومسألة السلام في المنطقة . وتصفها القدس بأنها « الانتخابات التي ستضع المنطقة بأسرها على مفترق طريق ، فاما الى طريق السلام واما الى طريق ضياع هذه الفرصة الى امد بعيد » . وتقول الصحيفة ان ذلك هو سبب اهتمام العرب في كل مكان ، بما فيهم سكان المناطق المحتلة بنتائج هذه الانتخابات . وتختتم القدس تعليقها بالقول : « وعلى أي حال فان هذه الانتخابات وفي هذه المرحلة الهامة من تاريخ المنطقة ستظهر مدى وعي وتفهم الشعب الاسرائيلي لحقيقة الموقف ولحقيقة الاوضاع الراهنة ، فاذا ما اثبت المؤاطن الاسرائيلي تفهمه هذا فان نتائج الانتخابات ستكون بلا شك الى جانب اولئك الذين ينادون بالسلام ، والا فستتحمل المنطقة بأسرها النتائج الصعبة لسوء التقدير » (القدس ٣١ /١٢/ ١٩٧٣) .

عيسى الشعيبي

[٤]
الثروة النفطية في فلسطين

بمناسبة حرائق آبار النفط في سيناء تنشر « شؤون فلسطينية » هذا التقرير للمهندس الدكتور فلاح سعيد جبر كجزء من دراسة يعدها عن الثروة النفطية في فلسطين .

في ابحاث سابقة نشرتها في اعداد ماضية من « شؤون فلسطينية » بينت ان اهتمام اسرائيل باقامة اقتصاد متين ذاتي اعتمادا على خيرات وثروات الاراضي المحتلة المعدنية والزراعية دعاها الى ان تولي عمليات البحث والاستكشاف عن كل المصادر الطبيعية التي من الممكن استغلالها خدمة لاغراضها . ولكون الشرق العربي يعتبر مخزن الوقود العالمي والاحتمالات النفطية العديدة في فلسطين اولت اسرائيل عناية خاصة للتحري عن كافة الاحتمالات لوجود مكامن نفطية وغازية في الاراضي المحتلة . ولم تبق هناك بقعة بها أدنى احتمال لوجود مكامن نفطية الا وتحرتها اسرائيل وقامت بالعديد من الحفريات الاستكشافية فيها . فمنذ عام ١٩٤٩ وحتى عام ١٩٥٢ جمعت اسرائيل كل المعلومات واجرت العديد من الدراسات الاولية لتحديد وتقسيم المناطق النفطية في فلسطين المحتلة، فصدر عام ١٩٥٢ قانون البترول الذي ثبت فيه اسس التحري واستغلال الثروة النفطية في فلسطين الذي قسمت بموجبه الى عدة مناطق نفطية اعتمادا على الخواص الجيولوجية للطبيعة الفلسطينية . واهم ميزة لهذا القانون انه اعطى الحكومة الاسرائيلية ١٢،٥ بالمائة من قيمة الترسبات المكتشفة كبدل استثمار من قبل الشركات التي تود العمل في هذا المضمار .

تلي ذلك تحريات مكثفة جيولوجية وجيوفيزيائية في كافة الارجاء الفلسطينية كان من نتائجها العثور على مكامن نفطية في حقل حيلتس — برور في الجزء الجنوبي القريب من ساحل البحر الابيض المتوسط في فلسطين عام ١٩٥٥ ، واستمرت الابحاث في نفس المنطقة حيث عثر فيما بعد على حقلين نفطيين بالقرب من الحقل الاول .

وفي عام ١٩٥٨ وفي منطقة جنوبي البحر الميت تم العثور على مكامن جيدة للغاز الطبيعي في منطقة روش زوهر . ومع مطلع الستينات تم العثور على حقلين اخرين للغاز الطبيعي بالقرب من الحقل الاول وفي نفس المنطقة .

عام ١٩٦١ كان مجموع الاستثمارات الاسرائيلية التي صرفت على مشاريع التحري والتنقيب عن النفط والغاز تقدر بعشرة ملايين ليرة اسرائيلية وتم خلال الفترة ما بين عام ١٩٥٣ وعام ١٩٦١ حفر (١٠٦) ابار عميقة و(٢٣٤) بئرا متوسطة الاعماق . ومع بداية عام ١٩٦٢ كان هناك (٢٦) بئرا منتجة طاقتها الانتاجية الاجمالية السنوية (١٣٠) الف طن من النفط الخام وهذه الكمية كانت تعادل عشر احتياجات اسرائيل من النفط ذلك الوقت اضافة الى ان الطاقة الانتاجية لحقول الغاز في حينه كانت تسعة ملايين قدم مكعب اي بمقدار (٩٠) الف طن من النفط الخام . وفي نفس العام ١٩٦١ اتمت اسرائيل انشاء انبوب لنقل الغاز بقطر (٦) بوصات يصل ما بين روش زوهر ومدينة سدوم لاستغلال الغاز في توفير الطاقة اللازمة للعديد من المنشآت الصناعية في المدينة .

عام ١٩٦٣ زاد انتاج اسرائيل من النفط الخام الى (٩٤٩) الف برميل وتم حفر ابار استكشافية وتطويرية مجموع أعماقها (٩٦٣٦٧) قدما . استمرت الزيادة في الاستكشافات والتحريات والانتاج عام ١٩٦٤ حيث بلغ مجموع اطوال الحفريات (١٣٥٦٩٧) قدما أي بزيادة مقدارها (٤٠٫٨) بالمائة عن عام ١٩٦٣ .

وحفر ما بين عام ١٩٦٣ وعام ١٩٦٤ تسعة عشر بئرا ، ادت هذه الحفريات الى العثور على قمم نفطية في الصخور الجيرية التابعة لعصر الجوراسك في مناطق حيلتس ونيرعام. وتتسم طبيعة التحريات الجيوفيزيائية التي اجريت عام ١٩٦٤ بالتركيز على طريقة المسح الزلزالي لمردوداتها الايجابية . وانشأت الحكومة الاسرائيلية في العام نفسه مؤسسة تمويلية لاعمال التحريات الجيولوجية والجيوفيزيائية لاجراء التحريات ذات العلاقة

بالترسبات النفطية وحسب الحاجة .

كان توزع الابار التي حفرت عام ١٩٦٤ على النحو التالي (٨) ابار بالقرب من الساحل الجنوبي الفلسطيني وفي وسط وشمال النقب و (٨) آبار اخرى حفرت في حقل حيلتس أدت الى اكتشاف مزيد من الاحتياطي في الحقل المذكور. التحريات الجيوفيزيائية عام ١٩٦٤ كانت مركزة في مناطق الساحل الجنوبي الفلسطيني كما اجريت تحريات زلزالية على طول (٣٠٠) ميل جنوب فلسطين . كان عدد الابار المنتجة عام ١٩٦٤ ثلاثون بئرا من مجموع (٥٦) بئرا محفورة في الحقل المنتج في فلسطين ، جزء من الابار المنتجة في مناطق حيلتس — برور وفي كوخاف ثلاثة وتعطل الانتاج في سبعة آبار لاسباب فنية كما اغلقت نهائيا أربعة ابار مع العلم انه من مجموع الثلاثين بئرا المنتجة كان اثنان منها يعانيان من عدم اقتصادية انتاجهما. كان معدل الإنتاج اليومي من النفط من حقل حيلتس (٣٩٢٠) برميلا وخططت اسرائيل في حينه لزيادة الانتاج ليصل حسب اعتقادهم عام ١٩٦٦ الى (٤٥٠٠) برميل يوميا .

وتجدر الاشارة الى انه في منطقة برور حقن الهواء عام ١٩٦٤ في الحقل من اجل دفع التجمعات النفطية أسفل انحدار الصخور الرملية الحاوية على تجمعات البترول لتسهيل عملية سحبها للاعلى .

فيما يتعلق بحقول الغاز الطبيعي المكتشفة ذات الاحتياطي الجيد نسبيا فان الحقل الاول (حقل زوهر) الذي بلغ احتياطيه من الغاز الطبيعي نتيجة حفر تسعة ابار بين اعوام ١٩٥٧ وعام ١٩٦١ اربعين بليون قدم مكعب ، هذا الحقل كان معدل الانتاج اليومي منه (٢ر٢) مليون قدم مكعب . اما الحقل الثاني للغاز الطبيعي وهو حقل حار — ماكاتين الذي قدر احتياطيه نتيجة حفر بئرين فقط عشرة بلايين قدم مكعب ، هذا الحقل لم يستثمر ما به من غاز وذلك لعدم وجود حاجة ماسة له ولاكتفاء اسرائيل باستثمار حقل زوهر لتغطية احتياجاتها من الغاز .

اهم الاكتشافات عام ١٩٦٤ كان اكتشاف البترول في نيرعام التي تبعد بمسافة ستة كيلومترات جنوب حقل حيلتس حيث عثر على النفط على عمق (٦٤٠٠) قدما في ترسبات صخور الجوراسك الجيرية . في نفس العام كان هناك سبع شركات ومؤسسات بترولية عاملة في فلسطين هي :

AOC — Asher Oil Corporation.
DEL — Delek, the Israel Fuel Corporation.
ICOC — Israel Continental Oil Company, Ltd.
INOC — Israel National Oil Company.
LIOP — Lapidot Israel Oil Prospectors Corporation.
NIPC — Naphtha Israel Petroleum Corporation, Ltd.
PET — Petrocana Ltd.

ولقد منحت الحكومة الاسرائيلية للشركات المذكورة اعلاه عشرة امتيازات للتنقيب عن البترول حيث كان مجموع مساحة الاراضي الفلسطينية التي تغطيها هذه الامتيازات (٣٥٩٢٥٠٠) فدان اضافة الى ان اسرائيل كانت قد منحت عقدين طويلي الامد الى شركتين نفطيتين للتنقيب واستثمار البترول على مساحة من الارض تبلغ نصف بليون فدان .

ادناه قائمة باسماء الابار الاستكشافية التي حفرت عام ١٩٦٤ والشركات التي حفرتها ونتائج الحفر .

اسم الشركة	اسم البئر	العمق (قدم)	الطبقة الجيولوجية	النتائج
ASH	اشار (١)	٧٨٠٠	جوراسك	جاف
LIOP + PAZ	حوسا (١)	٨٠٧٠	جوراسك	جاف
NIPC + DELEK	رامان (١)	١١٢٨٣	اركوس	جاف
LIOP	كرتون (١)	٨٠٨٣	جوراسك	جاف
LIOP + INOC	نيرعام (١)	٧٩٦١	جوراسك	جاف
LIOP	كرتون (٢)	٧٦٢٣	جوراسك	جاف
LIOP	ماروش يازك (١)	٨٤٠٩	جوراسك	جاف

LIOP + INOC	نيرعام (٢)	٦٢٢٠	جوراسك	جاف
INOC + NIR + IAOC	مفتاح (١)	٧٨٥٥	جوراسك	جاف
LIOP	نيرام (٣)	٨٥٠٥	جوراسك	جاف
NIPC	هاردوف	٥٤٩٢	رمليه	جاف
LIOP + INOC	نيرعام (٤)	٦٩٦٨	جوراسك	منتج
LIOP + INOC	برور	٣٦٧٧	١	—

زاد انتاج اسرائيل عام ١٩٦٥ من النفط الخام حيث بلغ معدل الانتاج اليومي (٤٤٩٥) برميلا وكان مجموع ما انتجته اسرائيل ذلك العام (١٤٩٥) الف برميل وبلغ عدد الشركات والمؤسسات النفطية العاملة (١١) ، حصلت هذه الشركات على ٢٦ اجازة استكشاف واستثمار اضافة الى عقدين طويلي الامد من الحكومة الاسرائيلية . زادت مساحة الارض الفلسطينية المعطاة للشركات البترولية من (١٠١٠٠٠) فدان الى (٢٨٨٥٥٥٠) فدانا . في نفس العام كان معدل زيادة الانتاج اليومي ٢٦ر٣ بالمائة عن العام السابق وزادت اطوال الحفر عن العام السابق بمعدل ١١ بالمائة . اما فيما يتعلق بالابار المحفورة فان عشرة منها كانت آبار استكشافية و (١٢) بئرا الباقية ابار تطويرية انتاجية .

ولقد اجرت اسرائيل في نفس العام العديد من التحريات الجيولوجية والجيوفيزيائية في مناطق الامتياز الممنوحة للشركات حيث ان التحريات التي اجريت عام ١٩٦٤ لم تكن كافية .

أدناه الجدول الاول يبين اسماء الشركات التي عملت في حقل الاستكشافات البترولية في فلسطين عام ١٩٦٥ ومساحة ومناطق الاراضي التي منحت لكل منها والجدول الثاني يبين مواقع ابار البترول المحفورة ونتائج الحفر .

الجدول (١)

الشركة	المساحة (فدان)	منطقة العمل
ARAVA	١٤٨٢٥٠	عربه
AOC	٩١٤٥٠	اشار
HRL	٢٢٢٤٠٠	بيت بوفرين
INOC	٢٢٩٧٠٠	جيلات — ناتايا
LIOP	٤٤٢٥٠	عسقلان — اريم
LIOP + PS	٤٩٦٧٠٠	تمير — اودات — عرض حيمشر باران
NAPHTA	٢٦٩٣٥٠	بيت التقوى
LIOP + NAPHTA + INOC	١٨٥٣٥٠	ردمان
NAPHTA + DELEK	٩٨٨٥٠	طوبار — تامار
NAPHTA + DELEK + PS + ISC	٩١٩٢٥٠	الساحل

الجدول (٢)

الشركة	المنطقة	العمق (قدم)	الطبقة الجيولوجية	النتائج
LIOP	البيره	٧٦٦٧	جوراسك	جاف
INOC	شارشيريت (١)	٨٥٩٢	جوراسك	جاف
LIOP	شيمون	٧١٣٩	جوراسك	جاف
LIOP	عسقلان	٧١٩٢	الكريتاس الوسطى	جاف
INOC	شارشيرت (٢)	٩١٢١	جوراسك	جاف
NIPC	باربور	٨٥٤٣	جوراسك	غاز
LIOP	شيمون (٢)	٢٩٩٩	جوراسك	جاف
NIOP	ساريد	٦٦٠٤	—	جاف
LIOP	جمايش	٥١٧١	ما قبل الكمبرين	جاف
LIOP	الحديه	٧٠٣٧	جوراسك	جاف
AOC	اشبر (٢)	٤٣١٤	جوراسك	جاف
LIOP	عيدات	٣٢٤١	جوراسك	جاف
		٧٧٦٢٠		

عام ١٩٦٦ كان هناك اربع عشرة شركة ومؤسسة بترولية عاملة في فلسطين المحتلة وزادت مساحة الاراضي الممنوحة لهذه الشركات عن العام السابق حيث كانت ٢٨٨٥٥٥٠ فدانا الى ٣٣٢٥٧١٣ فدانا في نهاية عام ١٩٦٦ .

بلغ عدد الابار المنتجة ذلك العام (٣٨) بئرا للنفط في حقلي حيلتس — برور وكوخاف وقدر انتاجها الاجمالي بـ (١٢٨٦٦١٣) برميلا أي بمعدل (٣٧٠٠) برميل يوميا وهذا يشكل نقصان في الانتاج عن عام ١٩٦٥ بمقدار ٢٥ بالمائة . والسبب في ذلك يعود الى النجاح المحدود في اكتشاف مصادر بترولية جديدة في فلسطين . وفي نهاية عام ١٩٦٦ كان مجموع ما أنتج في فلسطين المحتلة من النفط عشرة ملايين برميل منذ بدء الانتاج وعليه كان المتبقي من الاحتياطي المعلن لا يتعدى الخمسة عشر مليون برميل .

فيما يتعلق بانتاج الغاز الطبيعي فلقد بلغ معدل الانتاج اليومي (٩٢٨٠) مليون قدم مكعب اي بزيادة مقدارها ٣٢ر٤ بالمائة عن معدل الانتاج اليومي لعام ١٩٦٥ واتخذت الاجراءات ذلك العام لدفع الطاقة الانتاجية للغاز لتصل الى (١١٠٠٠) مليون قدم مكعب في اليوم مع مطلع عام ١٩٦٧ . وتجدر الاشارة الى ان اهم المعامل المستهلكة للغاز في فلسطين المحتلة هي معامل البوتاس ومعامل الفوسفات في اورون .

عمليات الحفر للتنقيب عن مكامن النفط زادت عام ١٩٦٦ دون أن تؤدي الى أية اكتشافات جديدة الا ان مجمل عمليات الحفر كانت اقل من العام السابق اما فيما يتعلق بمواقع الابار التي تم حفرها فكانت ستة منها في حقل حيلتس ، اربعة منها في النقب وثلاثة عشر بئرا حفرت في شمال فلسطين .

قامت بعمليات الحفر شركتان فقط هما شركة LIOP وشركة NIPC وكان مجموع اطوال الحفر الاستطلاعي (٨٩٦١١) قدما والحفر التطويري (٦٠١٧) قدما . ولقد عثر على الغاز الطبيعي في احد الابار التي اخترقت طبقات الكريتاس السفلي ومكمن الغاز الطبيعي هذا وجد في طبقة رملية مسامية .

أجرت اسرائيل عام ١٩٦٦ العديد من المسوحات الجيولوجية والجيوفيزيائية (الجذبية) في منطقة وادي الاردن وعدة مناطق في النقب ومنطقة وادي عربة ومع انتهاء عام ١٩٦٦ كانت اسرائيل قد أعدت خطة كاملة لاجراء مسح شعاعي عام جرى لكل الاراضي المحتلة في حينه .

عام ١٩٦٧ كان هناك (١٢) شركة ومؤسسة

بترولية عاملة في فلسطين المحتلة وبلغت مساحة الارض المشمولة بعقود الامتياز (٢٩٤٢٩٦٢) فدانا وانتهت ذلك العام أعمال شركة Asher Oil في حين شاركت في عمليات التنقيب ولاول مرة شركة May Flower بالتعاون مع بعض المؤسسات الاسرائيلية ذات العلاقة بالتحريات عن مكامن النفط وشهد ذلك العام زيادة في عمليات الحفر حيث بلغت اطوال الابار المحفورة (٩٨٠٢٨) قدما كان أغلبها آبار تطويرية في حين ان عمليات الحفر الاستطلاعية نقصت من عام ١٩٦٦ (نقصت من (٩٠) الف قدم الى (٦٦٤٤٩) قدما) بعكس الحفر التطويري الذي ارتفع من (٦٠١٧) قدما الى (٣١٦٠٩) أقدام .

مجموع الابار التي حفرت ذلك العام كان عشرة ابار ستة منها على الساحل واثنين في النقب واخر في وادي البحر الميت حيث وجد فيه اثار لزيوت بترولية .

كثفت التحريات الجيولوجية والجيوفيزيائية وشملت مناطق اوسع من الاعوام السابقة وخاصة التحريات التي اجريت على الساحل وفي المياه الفلسطينية الاقليمية في البحر الابيض المتوسط .

بلغ عدد الابار المنتجة للبترول ذلك العام (٣٢) بئرا وقدر انتاجها الاجمالي بـ (٩٧٤٠٠٠) برميل وعليه نرى ان معدل الانتاج نقص بمقدار (٢٧) بالمائة اذ أن معدل الانتاج اليومي لم يتجاوز (٢٧٠٦) براميل ومع نهاية ذلك العام كان مجموع ما استخرجته اسرائيل من النفط (١١٣٧٥٠٠٠) برميل .

أما انتاج اسرائيل من الغاز الطبيعي من مجموع الابار التسعة المنتجة فكان (٣٨٩٩) مليون قدم مكعب في السنة اي بمعدل (١٠٣٣٠) مليون قدم مكعب يوميا وكان هذا يمثل زيادة في الانتاج بمعدل ١٢ بالمائة عن عام ١٩٦٦ مع العلم انه في نهاية ذلك العام كان مجموع ما استخرجته اسرائيل من الغاز الطبيعي يقدر بـ (١٢٤٨٧) مليون مليون قدم مكعب .

عام ١٩٦٧ شهد زيادة ملحوظة في استهلاك النفط والغاز من قبل معامل ديمونه للطاقة الذرية ومعامل البوتاس ــ البحر الميت ــ ومعامل اورون للفوسفات ... وفي نفس العام استخرجت شركة اسرائيلية خاصة تسعين الف برميل يوميا من حقل بليان في شبه جزيرة سيناء التي احتلتها اسرائيل في حزيران ذلك العام . وفي نفس الوقت كانت اسرائيل قد انهت كافة الدراسات الجيوفيزيائية (المغناطيسية) ونشرت الخرائط ذات العلاقة .

وادناه جدول بعدد واماكن الابار التي حفرت ذلك العام :

اسم الشركة	الحقل	بئر نفطي	بئر غازي	جاف	عدد الابار	اعماق الحفر (قدم)
LIOP	حيلتس	١	—	١	٢	١٧٠٤٢
LIOP	برور	١	—	—	١	٤٩٤١
LIOP	كوخاف	—	—	١	١	٥٣٤٨
NIPC	كيدود	—	١	—	١	٤٨٢٦
NIPC	حاكانم	—	١	—	١	١٦٤٠
NIPC	زوهر	—	١	—	١	—
المجموع		٢	٣	٢	٧	٣٣٧٩٧

مع نهاية عام ١٩٦٩ كان هناك ثلاث عشرة شركة بترولية عاملة في فلسطين المحتلة وبلغت مساحة الاراضي المشمولة بامتيازات هذه الشركات (٢٩٨٤٩١٤) فدانا ، من مجموع هذه المساحة كان هناك (٨٠٠) الف فدان في المياه الاقليمية الفلسطينية في البحر الابيض المتوسط .

زادت ذلك العام اعماق الابار التي حفرت للتنقيب عن النفط حيث كانت عام ١٩٦٨ (١٨٥٠٩) اقدام فقط وبلغت عام ١٩٦٩ (٧٤٢٠٧) أقدام ولم يكن من الابار التي حفرت ذلك العام ابار تطويرية .

فيما يتعلق بالابار التي حفرت كان ثلاثة منها في المياه الاقليمية ، وبئر واحدة في كل من حقل زوهر — وادي الاردن — وشمال فلسطين بالقرب من بحيرة الحمه حيث عثر هناك على مكامن للغاز الطبيعي .

الابحاث الجيولوجية والجيوفيزياوية ذلك العام ركزت على الساحل الفلسطيني .

عدد الابار المنتجة للنفط ذلك العام كان (٣٠) بئرا كان مجموع انتاجها (٧٢٥٠٠٠) برميل اي بمعدل (١٩٨٦) برميلا يوميا وهذا يمثل تناقصا في الانتاج مقداره ١٢ر٥ بالمائة في حين ان مجموع الانتاج منذ بدء استغلال اسرائيل للنفط بلغ في نهاية عام ١٩٦٩ ما مقداره (١٢٩٢٣٠٠٠) برميل.

أما الغاز الطبيعي الذي انتج من مجموع الابار الغازية المنتجة وعددها تسعة فقد بلغ (٥٥٦١) مليون مليون قدم مكعب اي بمعدل مقداره(١٥٢٣٦) مليون قدم مكعب يوميا . اي ان الانتاج زاد عن عام ١٩٦٨ بمقدار (١٠) بالمائة .

وتم نشر نتائج الابحاث الجيولوجية والجيوفيزياوية التي اعدها معهد الابحاث البترولية الاسرائيلي بالاشتراك مع المؤسسات الجيولوجية الاسرائيلية الاخرى التي اوضحت ان هناك احتمالات جيدة للعثور على مكامن جديدة للنفط في ترسبات عصر الجوراسك والترياسك والبالليوزويك .

عام ١٩٧٠ كان هناك عشر شركات ومؤسسات بترولية عاملة في فلسطين المحتلة ، مساحة الاراضي التي غطتها امتيازات تلك الشركات بلغت (٢٢٨٠٥٠٠) فدان منها (٨٠٠) الف فدان في المياه الاقليمية وزادت اعماق الحفريات التي تمت ذلك العام اذ بلغت اعماق عشرة ابار استكشافية (٧٧٥٩٥) قدما ، تم حفر اربعة منها داخل المياه الاقليمية واربعة اخرى على الساحل وبئرين بالقرب من البحر الميت . الا ان نتائج هذه الحفريات لم تسفر عن أية مردودات ايجابية للعثور على مكامن جديدة للنفط .

واستمر انتاج اسرائيل بالتناقص بما يتعلق باستخراج النفط من الثلاثين بئر المنتجة في حقل حيلتس — برور وكوخاف اذ بلغ مجموع انتاج هذه الابار (٥٥٤٨٨٣) برميلا أي بمعدل (١٥٢٠) برميلا يوميا . وهذا يشكل نقصانا في الانتاج عن عام ١٩٦٩ مقداره (٢٣) بالمائة .

وبلغ انتاج اسرائيل من الغاز الطبيعي ذلك العام (٤٧٥٢) مليون قدم مكعب أي بمعدل (١٣٠١٩) مليون قدم مكعب يوميا وكان هذا يشكل نقصانا في الانتاج الاسرائيلي مقداره (١٤) بالمائة عن عام ١٩٦٩ .

لمحة موجزة عن شبه جزيرة سيناء

قبل عام النكسة (١٩٦٧) كانت الحقول البترولية العشرة المكتشفة في شبه جزيرة سيناء تستغل من قبل المؤسسة المصرية العامة للبترول بالتعاون مع شركة ايني الايطالية حيث كان انتاج هذه الحقول يقل قليلا عن الخمسة ملايين طن سنويا ، أي بمعدل (٩٠) الف برميل يوميا . وبعد استيلاء اسرائيل على هذه الحقول شكلت شركة نفطية انتاجية باسم شركة نتيفي نفط المحدودة في شهر آب من عام ١٩٦٧ اي بعد اقل من شهرين على احتلال سيناء واعتبرت هذه الشركة كشعبة منتجة تابعة للجيش الصهيوني مهمتها استغلال وتطوير الحقول البترولية في سيناء .

ولقد وفرت هذه الحقول كميات كبيرة من النفط الخام لاسرائيل هي في امس الحاجة اليها حيث ان الانخفاض الكبير الذي وصل اليه انتاجها من حقلي حيلتس — برور وكوخاف الى (١٣٠٠) برميل يوميا عام ١٩٧١ في حين ان الانتاج اليومي كان عام ١٩٦٥ يزيد على (٤٥٠٠) برميل وواكب هذا الانخفاض في الانتاج زيادة كبيرة في الاستهلاك للفترة ذاتها من المنتوجات البترولية داخل الاراضي المحتلة اذ ارتفع الاستهلاك من (٥٦) الف برميل يوميا الى (١١٠) الاف برميل وحسب توقعات الخبراء الاسرائيليين ستصل هذه الزيادة في الاستهلاك الى (١٦٠) الف برميل يوميا عام ١٩٧٥ .

ولزيادة وتطوير الانتاج الذي بلغ عام ١٩٧٢ من حقول النفط في سيناء حوالي (١٢٠) الف برميل يوميا اي بزيادة مقدارها (٣٠) الف برميل يوميا عما كان عليه انتاج هذه الحقول قبل الاحتلال فلقد قامت شركة نتيفي نفط المحدودة باصلاح مرافق التخزين والتحميل في حقل بلاعيم المغمور .

يشحن نفط سيناء حاليا الى فرضة عسقلان

البحرية والقسم الاخر يشحن الى مصافي البترول في حيفا . يبلغ الدخل الصافي من منطقة سيناء المحتلة من عائدات البترول خمسين مليون دولار سنويا والمبلغ هذا يعادل المبالغ التي كانت تنفقها اسرائيل على واردات النفط الخام سابقا .

خط انابيب البترول الجديد

بعد النكسة واغلاق قناة السويس خططت اسرائيل لانشاء انبوب بترول الشرق الاوسط (حاليا ايران) من خليج العقبة الى البحر الابيض المتوسط (من ميناء ايلات الى ميناء عسقلان) ليتم تصديره الى مراكز استهلاكه في اوربا . يبلغ طول هذا الانبوب (١٥٧) ميلا وقطره (٤٢) بوصة . واضافة الى ان هذا الانبوب ينقل النفط المستورد فهو ايضا يستغل لنقل النفط المنتج من حقلي حيلتس — برور وكوخاف . انجزت عمليات اقامة هذا الانبوب في شباط عام ١٩٧٠ وبلغت طاقته النفطية عام ١٩٧١ حوالي (٣٩٠) الف برميل يوميا اما طاقته للنقل عام ١٩٧٢ فتتراوح ما بين (٤٦٠) الى (٦٠٠) الف برميل يوميا ولقد خصصت حديثا الحكومة الاسرائيلية مبلغا يتراوح ما بين (٣٠) و (٣٥) مليون دولار لاقامة المزيد من المضخات واجهزة التخزين ومرافق التحميل لزيادة طاقة هذا الانبوب في اواسط عام ١٩٧٣ الى (٨٠٠) الف برميل يوميا وفي هذه الحالة سيبقى فقط ٤٠٠ الف برميل يوميا لتصل الطاقة النقلية الاجمالية للانبوب الى (١٫٢) مليون برميل يوميا حسب الخطة الاسرائيلية .

ولقد طورت اسرائيل من اجل الغاية نفسها فرضة عسقلان وفرضة ايلات لاستقبال ناقلات البترول ذات الحمولة الساكنة البالغة (١٥٠) الف طن . وتقدر الاموال التي ستثمرت في اقامة الانبوب وتحسين ايلات وعسقلان بمئة مليون دولار .

ناقلات البترول الاسرائيلية

مع بداية عام ١٩٧١ كان عدد ناقلات النفط التي تملكها اسرائيل (٢٥) ناقلة مجموع حمولتها الساكنة (١٫٧٥) مليون طن وهذا يشكل زيادة مقدارها (٤٣٠) بالمائة على الحمولة الساكنة البالغة (٣٣٠) الف طن التي كانت متوفرة لدى اسرائيل عام ١٩٦٧ حين كانت اسرائيل تملك (١٠) ناقلات فقط . وتتجه النية في اسرائيل الان لامتلاك الناقلات العملاقة وفعلا تسلمت شركة الملاحة الوطنية الاسرائيلية (تسيم) في بداية عام ١٩٧٢ ناقلة ضخمة حمولتها (٢٣٢) الف طن والشركة تملك الان (١٠) ناقلات طاقتها الساكنة تصل الى (٩٣٠) الف طن وفي عام ١٩٧٥ سوف تتسلم اسرائيل (٣) ناقلات عملاقة جديدة مجموع طاقتها الساكنة (٧٥٠) الف طن .

ادناه قائمة باسماء الشركات والمؤسسات البترولية العاملة او التي عملت في الاراضي الفلسطينية المحتلة :

AR — Arava Expl. Co.
MF — M Fisher.
BELCO — Belco Petroleum of Israel Ltd.
ISR — Isram Corp.
LIOP — Lapidoth Israel Oil Prospectors Co.
NIPC — Naphta Israel Petroleum Corp.
INOC — Israel National Oil Co.
MAY — Mayflower Co.
PS — Petroleum Services Ltd.
DEL — Delek the Israel Fuel Corp. Ltd.

الدكتور فلاح سعيد جبر

[٥]

ابعاد الاستراتيجية الاسرائيلية في البحر الاحمر

اكتسب البحر الاحمر أهميته الاستراتيجية في العصر الحديث في وقت متأخر يبدأ مع فتح قناة السويس للملاحة في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ، وأصبح بذلك معبرا للسفن التجارية والحربية القادمة من البحر المتوسط الى المحيط الهندي ـ عبر البحر الاحمر ـ وبالعكس .

ويبلغ طول الشاطىء الاسيوي من البحر الاحمر حوالي ٢٠٠٠ كيلومتر وهو مغلق على الدول العربية حيث تقع عليه جمهورية اليمن الديمقراطية والجمهورية العربية اليمنية والمملكة العربية السعودية والاردن وفلسطين وجزء من مصر ، وان كان لاسرائيل وجود فعلي de facto على البحر يتمثل في ميناء ايلات الواقع على خليج العقبة .

أما الشاطىء الافريقي فتقع عليه كل من مصر والسودان (وتمتد شواطئهما على البحر الى حوالي ١٤٠٠ كيلومتر تقريبا) . اما الجزء الباقي فتقع عليه اثيوبيا والصومال والصومال الفرنسي (جيبوتي) . وتسيطر كل من جمهورية اليمن الديمقراطية والجمهورية العربية اليمنية على المدخل الجنوبي للبحر الاحمر عن طريق الجزر التابعة لهما خاصة جزيرة « بريم » (ميون) الواقعة في مدخل مضيق باب المندب والتابعة لليمن الديمقراطية ، وان كان لا يمكن اغفال الاهمية الاستراتيجية لجزيرة « حالب » الاثيوبية والمتاخمة لميناء عصب عند مدخل البحر الاحمر .

والمخرج الجنوبي للبحر الاحمر وهمزة الوصل بينه وبين البحار المفتوحة هو المحيط الهندي الممتد من رأس الرجاء الصالح الى البحر الاحمر والخليج العربي وخليج ملقا . وقد أصبح المحيط الهندي مسرحا لنشاط دولي كبير بعد دخول الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، والصين ـ الى حد ما ـ في صراع للسيطرة على المراكز الاستراتيجية فيه . وقد كان في السابق حكرا على الاسطول الامريكي العامل فوق مياهه حتى دخول الاسطول السوفياتي الى مجال المنافسة عام ١٩٦٨ ومنذ ذلك التاريخ تزايد عدد السفن السوفياتية في المحيط الهندي حتى وصل في بعض الاوقات الى ٣٠ سفينة(١). وقد أظهر الاتحاد السوفياتي اهتماما كبيرا بالمحيط الهندي والمناطق المجاورة حتى وصف أحد الخبراء النشاط البحري السوفياتي في هذا المحيط بأنه نشاط « تتزايد اثارته للاعجاب »(٢). وقد قام الاسطول السوفياتي بزيارة لمنطقة الخليج العربي في اواخر الستينات وكانت الزيارة الاولى لهذه المنطقة منذ قرن من الزمان .

وضعية البحر الاحمر والمحيط الهندي في الاستراتيجية الاسرائيلية

من المعلوم ان لاسرائيل منفذا على البحر الاحمر هو ميناء ايلات الواقع على خليج العقبة . وتخرج من هذا الميناء حوالي ٥ ٪ من تجارة اسرائيل مع العالم الخارجي . فضلا عن ان هذا الميناء هو وسيلة الاتصال مع دول الساحل الشرقي لافريقيا وجنوب شرق آسيا التي ترتبط مع اسرائيل بعلاقات متنوعة .

وتتحكم عوامل عديدة في تحديد الاستراتيجية الاسرائيلية في منطقة البحر الاحمر والمحيط الهندي، منها عوامل سياسية وعوامل اقتصادية ، وعوامل عسكرية .

١ ـ **العوامل السياسية** : يعتبر دافع الخروج من العزلة على رأس الدوافع السياسية التي تحرك وتوجه الاستراتيجية الاسرائيلية في المنطقة. وقد أخذت اسرائيل في الشعور بواقع العزلة التي تعيشها منذ نشأتها بسبب المقاطعة السياسية والاقتصادية والثقافية التي فرضتها عليها الدول العربية المحيطة بوصفها كيانا عدوانيا غريبا على المنطقة .

وقد حاولت اسرائيل كسر نطاق العزلة عن طريق اقامة علاقات مع الدول الافريقية والاسيوية الواقعة في خلفية العالم العربي ، وكانت أهم وسائلها في ذلك تدعيم مواصلاتها ووجودها في البحر الاحمر . ويقول بن جوريون معبرا عن ذلك الاتجاه بصفة عامة « ان الطريق الوحيد لكسر جدار الحصار الذي يحيط باسرائيل هو عبر اكتساب عطف وصداقة الامم القريبة منها والبعيدة على حد سواء »(٣). ويقول الكاتب الاسرائيلي يشوع رسن في تفسير اتجاه اسرائيل نحو افريقيا « ان السبب بالنسبة لاسرائيل واضح فالامر يتعلق بخرق حصار جيرانها وان تصل بواسطة البحر المتوسط كما بواسطة البحر الاحمر الى أن تؤثر في شعوب قد يؤدي تفهمها في يوم أو آخر الى

المساهمة في تقارب عربي اسرائيلي »(٤).

ويتكون هدف اسرائيل في الخروج من العزلة ، من عدة مكونات أهمها الاعتراف بالوجود الاسرائيلي من جانب أكبر عدد ممكن من الدول والحصول على التأييد في الامم المتحدة والمحافل الدولية ، ثم ايجاد رأي عام عالمي يضغط على العرب لقبول اسرائيل والتعايش معها .

أ — الاعتراف بالوجود الاسرائيلي : حاولت اسرائيل منذ نشأتها اكتساب الاعتراف الدولي بوجودها وشرعيتها كدولة وذلك للرد على عدم الاعتراف العربي . وهذا يفسر سعيها الدائب لاقامة علاقات مع الدول الافريقية والاسيوية وغيرها حتى تصبح عضوا له قبول عام في الجماعة الدولية . ويقول أبا ايبان معبرا عن هذه الفكرة « ان البند الاول لسياسة اسرائيل الخارجية يقوم على تجنيد أكبر قدر ممكن من النفوذ الدولي في تأييد استقلال دول الشرق الاوسط ووحدة أراضيها»(٥).
وهو يقصد اسرائيل بطبيعة الحال .

ب — الحصول على التأييد في المحافل الدولية : ويعتبر هذا الهدف من بين الاهداف السياسية الاسرائيلية الهامة حيث تعمل اسرائيل دائما على محاولة كسب التأييد العالمي لمواقفها في الامم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية لعرقلة صدور القرارات الخاصة بادانتها أو فرض العقوبات عليها بسبب اعتداءاتها المتكررة على الدول العربية.

ولو لاحظنا أن المجموعة الافريقية تشكل ما يزيد عن ٣١ ٪ من مجموع الاصوات في الامم المتحدة — وهو أكبر تمثيل قاري في المنظمة(٦) — لتبدت لنا أهمية اتجاه اسرائيل الى الدول الافريقية بصفة أساسية . ولكن اسرائيل لم تنجح في تحقيق هذا الهدف حيث رفضت الدول الافرو آسيوية قبولها في المجموعة الافرو آسيوية في الامم المتحدة كما لم تنجح في ارسال مراقب لمنظمة الوحدة الافريقية .

جـ — الضغط على العرب لقبول اسرائيل والتعايش معها : كانت اسرائيل تطمع في أن يؤدي تقاربها مع الدول الافريقية والاسيوية المناخة للعالم العربي اما لعزل الدول العربية وتطويقها من الخلف ، واما لاغراء هذه الدول — بالمساعدات والمعونات — بالضغط على العرب لقبول اسرائيل كأمر واقع في المنطقة . وفي سبيل تحقيق هذا الهدف اتجهت اسرائيل الى هذه الدول بنموذج جذاب وهو نموذج الدولة الصغيرة التي ليس لها أطماع استعمارية ، والتي تطور نفسها باستخدام العلم والتكنولوجيا ، فتكون بذلك نموذجا تحتذيه البلاد النامية . ويقول بن جوريون في هذا الصدد « ان الطريق الاكثر ضمانا للوصول الى السلام والتعاون مع جيراننا يكون عن طريق الحصول على اكبر عدد ممكن من الاصدقاء في آسيا وافريقيا ، الذين سيفهمون أهمية اسرائيل وقدرتها على المساهمة في تقدم الشعوب النامية حيث أنهم سينقلون ذلك المفهوم الى جيران اسرائيل »(٧).

٢ — **العوامل الاقتصادية** : وتأتي هذه العوامل في المرتبة التالية للعوامل السياسية ، فكثيرا ما تضحي اسرائيل ببعض الجوانب الاقتصادية او تقوم بتقديم مساعدات اقتصادية لتحقيق أهداف سياسية ، وان كان ذلك لا ينفي وجود العوامل الاقتصادية ضمن مكونات الاستراتيجية الاسرائيلية في منطقة البحر الاحمر والمحيط الهندي . فقد بلغت صادرات اسرائيل الى افريقيا — في عام ١٩٦٥ — عن طريق ميناء ايلات ، نسبة ٥ ٪ من مجموع الصادرات الاسرائيلية الكلية . بينما بلغت وارداتها من افريقيا في نفس السنة ١ر٣ ٪(٨).

وعلى الرغم من ضآلة هذه النسبة قياسا الى الحجم الكلي للتجارة الخارجية الاسرائيلية ، فان اسرائيل تحاول تنمية التجارة مع الدول الافريقية والاسيوية لعدة أسباب منها :

أ — محاولة الحصول على أسواق جديدة للمنتجات الاسرائيلية في دول افريقيا وآسيا النامية، وقد عبر عن ذلك كاتب صهيوني عندما قال ان التجارة تتبع المعونة وان افريقيا وعلى وجه الخصوص شرق افريقيا وكذلك بعض الدول الافريقية ستكون منفذا طبيعيا لنقب صناعي(٩).

ب — ايجاد مصادر للمواد الخام للصناعات الاسرائيلية ، ومن المعلوم أن معظم الدول الافريقية وبعض الدول الاسيوية التي تتعامل معها اسرائيل، ما زالت من الدول المصدرة للمواد الخام . وعلى سبيل المثال فان اسرائيل تقوم باستيراد الماس الخام من بعض دول افريقيا ، ثم تعيد تصديره بعد صقله . وتعتبر صناعة الماس من الصناعات الهامة في اسرائيل .

جـ — مقاومة المقاطعة الاقتصادية العربية ، عن طريق اقامة وتنمية العلاقات الاقتصادية مع الدول

الافريقية والاسيوية بحيث يصبح من الصعب احكام المقاطعة العربية حول اسرائيل. ويقول بن جوريون في هذا الشأن « ان استقلال اسرائيل الاقتصادي يعتمد أيضا والى حد كبير على الروابط الاقتصادية الوثيقة مع قارتي آسيا وافريقيا »(١٠).

٣ ــ **العوامل العسكرية** : تكتمل مجموعة العوامل المحددة للاستراتيجية الاسرائيلية في البحر الاحمر والمحيط الهندي بمجموعة العوامل العسكرية سواء الحقيقية او المفتعلة التي ترى فيها اسرائيل تهديدا لامنها واقتصادها . وتتحدد هذه العوامل فيما يلي :

أ ــ ضمان استمرار اسرائيل كقوة رئيسية في المنطقة عن طريق ضمان استمرار حرية حركتها في البحر الاحمر ومضيق باب المندب .

ب ــ ضرورة ضمان استمرار حصول اسرائيل على حاجاتها من البترول ، عن طريق البحر الاحمر، وقد ظهرت خطورة هذا العامل بعد الهجوم الذي شنته عناصر من الفدائيين على ناقلة البترول الليبيرية (كورال سي) التي كانت تحمل شحنة من البترول لاسرائيل عام ١٩٧٠ ، عند مضيق باب المندب .

ج ــ عدم السماح لاية قوة عربية بالسيطرة على المضايق سواء في الشمال ، في مضايق تيران ، او في الجنوب عند باب المندب . ويتم ذلك اما بالطرق الدبلوماسية ومثال لها ايعاز اسرائيل الى بريطانيا أثناء مفاوضات الاستقلال بينها وبين الجبهة القومية لليمن الجنوبي بالحصول على ضمانات بعدم استخدام جزيرة بريم ضد الملاحة الاسرائيلية(١١)، او باستخدام الوسائل العسكرية عن طريق احتلال بعض الجزر الواقعة عند مدخل البحر الاحمر(١٢).

وبصفة عامة فان أهداف الاستراتيجية الاسرائيلية في البحر الاحمر والمحيط الهندي تتلخص في عدم السماح بقيام موانع او عوائق أمام الوجود الاسرائيلي في البحر الاحمر او في نفاذها من البحر الى المحيط الهندي والسيطرة ــ ان أمكن ــ على الملاحة في هذه المنطقة .

مرتكزات الاستراتيجية الاسرائيلية في المنطقة

تحددت معالم الاستراتيجية الاسرائيلية في البحر الاحمر والجزء المتاخم له من المحيط الهندي ، خاصة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، في ضرورة مد سيطرتها الى جنوب البحر الاحمر بعد أن سيطرت على الممرات المائية في شماله ، بهدف الحيلولة دون قيام أية قوة عربية باغلاق مضيق باب المندب أمام الملاحة الاسرائيلية وبالتالي الحاق الاضرار بالخطط الاستراتيجية الاسرائيلية في المنطقة وشل الاقتصاد الاسرائيلي عن طريق تهديد امداداته البترولية .

وقد ارتكزت الاستراتيجية الاسرائيلية في المنطقة على عدة مرتكزات تفاوت استخدام المخطط الاسرائيلي لها باختلاف الظروف المتاحة . ومنها استخدام اثيوبيا كمرتكز رئيسي ثم استخدام الاحتلال الفعلي لبعض الجزر العربية في المنطقة وشد بعض القوى الكبرى الى التدخل تحقيقا لاهداف خاصة وذلك كمرتكزات مساعدة .

أولا ــ اثيوبيا كمرتكز رئيسي للاستراتيجية الاسرائيلية في المنطقة : كانت اثيوبيا هي المرتكز الطبيعي لاسرائيل في المنطقة ، وذلك لعدة اعتبارات متشابكة ، ومن هنا اتجهت اسرائيل الى اقامة علاقات وثيقة متنوعة معها للوصول الى الاهداف الموضوعة .

وتتحدد دراستنا لوضعية اثيوبيا في الاستراتيجية الاسرائيلية في المنطقة ، في نقطتين رئيسيتين هما : أسباب التركيز على اثيوبيا ووسائل التغلغل الاسرائيلي في اثيوبيا .

١ ــ أسباب التركيز على اثيوبيا : تطل اثيوبيا على الجزء الجنوبي للبحر الاحمر عن طريق اقليم أريتريا الساحلي، وتمتلك عدة مجموعات من الجزر الواقعة بالقرب من مضيق باب المندب وأهمها مجموعة جزر دهلك وجزر حالب المجاورة لميناء عصب الاثيوبي . واثيوبيا بالنسبة لاسرائيل قريبة وكبيرة الاهمية وهي الدولة الوحيدة على البحر الاحمر التي تتعامل مع اسرائيل تجاريا (عن طريق ميناء مصوع) . واهتمامات اسرائيل باثيوبيا كحليف في المنطقة تنبع من عدة اعتبارات :

أ ــ هناك الاهداف التي تسعى اليها الاستراتيجية الاسرائيلية في المنطقة ، وقد سبق مناقشتها ، وتتطلب هذه الاستراتيجية وجود موطىء قدم أو رأس جسر للوجود الاسرائيلي في المنطقة . ومن المعلوم ان المنطقة تقتصر جغرافيا على كل من الدول العربية ، ثم اثيوبيا والصومال الفرنسي (جيبوتي)

وجمهورية الصومال . ولما كانت امكانية التعامل فضلا عن التحالف الوثيق مع كل من جيبوتي أو جمهورية الصومال ضعيفة أو غير قائمة بالمرة ، اما بسبب السياسة الاستقلالية التي تتبعها فرنسا في ادارة جيبوتي ، واما بسبب عداء الصومال الواضح تجاه اسرائيل وتأييده للقضايا العربية ، فقد أصبحت اثيوبيا هي الحليف الممكن .

ب — وفضلا عن ذلك فان كلا من اسرائيل واثيوبيا تشتركان في عدة اهتمامات منها — كما يقول دبلوماسي اسرائيلي — اهتمام استراتيجي يتعلق بابعاد خطر التغلغل الشيوعي عن البحر الاحمر وقرن افريقيا(١٣). كما ان اثيوبيا هي مقر منظمة الوحدة الافريقية واللجنة الاقتصادية الافريقية التابعة للامم المتحدة وبها تمثيل دبلوماسي لعدد كبير من الدول الافريقية والاسيوية فضلا عن الدول الاوروبية ، ولذلك فهي نقطة مواتية لاتصال اسرائيل مع دول العالم الثالث . وفي الوقت نفسه فمن المهم أن يكون لاسرائيل مراقبون على مقربة من منظمة الوحدة الافريقية ، التي تضم ست دول عربية . والمستوى الرفيع لسفراء اسرائيل في اديس ابابا دليل آخر على أهميتها وآخر هؤلاء السفراء (حنان اينور) كان مديرا لادارة افريقيا بوزارة الخارجية الاسرائيلية وله مؤلف بعنوان « مذكرات عن افريقيا »(١٤).

ج — كانت اثيوبيا على استعداد للتعاون مع اسرائيل لاعتبارات تراثية تتعلق بالنظرية القائلة ان امبراطور اثيوبيا من سلالة ملكة سبأ ولذا فهو يصر على انه يحمل لقب « أسد يهوذا المظفر » . كما ان اثيوبيا كانت لها مشكلاتها المستمرة مع الدول العربية اما بسبب منازعات الحدود مع السودان (قبل تسوية مشكلة جنوب السودان في فبراير ١٩٧٢) واما بسبب المساعدات التي تقدمها هذه الدول — خاصة سوريا — لجبهة تحرير أريتريا التي تعمل لفصل اقليم اريتريا عن اثيوبيا والحصول على الاستقلال . كما كانت اثيوبيا في حاجة للمساعدات الفنية والاقتصادية الاسرائيلية والمساعدات والخبرات العسكرية التي تمكنها من الوقوف في وجه ثوار اريتريا .

د — كما ساعد الوجود العسكري الامريكي في اثيوبيا ، المتمثل في قاعدة أسمره الواقعة في اقليم اريتريا ، على تمهيد الطريق للتعاون الاثيوبي الاسرائيلي خاصة في المجال العسكري . وتقول صحيفة معاريف الاسرائيلية ان الوجود العسكري الامريكي أتاح للاسرائيليين فرصة القيام بتدريب الجيش الاثيوبي وقوات الامن الداخلية(١٥).

٢ — وسائل التغلغل الاسرائيلي في اثيوبيا : الى جانب المساعدات الفنية والاقتصادية التي تقدمها اسرائيل لاثيوبيا ووجود نشاط لبعض الشركات الاسرائيلية كشركة آنكودا وهارون اخوان، فقد اتخذ التغلغل الاسرائيلي في اثيوبيا — في اطار الاستراتيجية العامة لاسرائيل في المنطقة — عدة أشكال أهمها :

أ — أفادت بعض التقارير العربية السرية أن اسرائيل استأجرت مجموعة من جزر الساحل الاثيوبي ، منها جزيرة حالب لاقامة قاعدة عسكرية عليها مكان القاعدة الايطالية السابقة(١٦).

ب — لم تتوقف زيارات الخبراء العسكريين والمسؤولين الاسرائيليين لاثيوبيا وكان أهمها الزيارة السرية التي قام بها حاييم بارليف رئيس الاركان الاسرائيلي السابق والتي تمت في ١٣ سبتمبر ١٩٧١ . وقد عرض بارليف خلال هذه الزيارة قيام اسرائيل بمهمة تدريب القوات البحرية الاثيوبية مجانا وامدادها بزوارق الدورية وبعض زوارق الصواريخ وان تقدم لاثيوبيا شبكة رادار تقام على مدخل البحر الاحمر وان يقوم ضباط وجنود البحرية الاسرائيلية بتشغيل هذه الاجهزة والاسلحة الى حين تدريب قوات البحرية الاثيوبية عليها(١٧).

ج — تجوب سفن الصيد الاسرائيلية منطقة جزر دهلك وعليها الخبراء الاسرائيليون الذين يفدون من اديس ابابا برفقة الملحق العسكري الاسرائيلي . والمرجح ان هؤلاء يقومون برسم الخرائط وعمل الدراسات عن المنطقة(١٨).

د — يقوم الخبراء الاسرائيليون — في المجال العسكري — بتدريب الجيش الاثيوبي بينما يقوم ضباط المخابرات بتدريب قوات الامن الداخلي . وهؤلاء الخبراء يتبعون مباشرة للاشراف التام لجهاز المخابرات الاسرائيلي . كما ان الخبراء الاسرائيليين يقومون ايضا بتدريب قوات الشرطة (بما في ذلك مدرسة الشرطة) وخلال الاعوام الماضية تخصص الاسرائيليون في تدريب وحدات الكوماندوز لمحاربة ثوار اريتريا . ولتسهيل هذه المهمة حصل الاسرائيليون على ثلاث قواعد في اريتريا وقاعدة اخرى في كلكرو في اقليم دنيرا الواقع جنوبي

اثيوبيا ، كما حملوا على ثلاثة معسكرات للتدريب في جزر دهلك وحالب وفاطمه في البحر الاحمر(١٩).

ثانيا : احتلال بعض الجزر العربية : ذكرت بعض المصادر الغربية ، في منتصف مارس ١٩٧٣ ، أن اسرائيل قامت منذ ثمانية أشهر باحتلال بعض الجزر العربية غير المأهولة الواقعة عند مضيق باب المندب ، وأنها أقامت قاعدة للاسلكي والرادار على جزيرة منها وهي جزيرة ذوقار (ومساحتها حوالي ٧٠ ميلا وتبعد عن الشاطىء اليمني بحوالي ٣٣ كيلومترا) وهي احدى جزر مجموعة الحانيش التابعة للجمهورية العربية اليمنية(٢٠).

ومع نفي اسرائيل لواقعة احتلال الجزر العربية الا أن هناك من الاعتبارات ما يجعل من هذه الواقعة أمرا محتملا :

١ ــ ان احتلال اسرائيل لجزر عربية في مدخل البحر الاحمر يتمشى مع اتجاهات وأهداف استراتيجيتها العامة في المنطقة ــ كما سبق ذكرها ــ وسعيها الدائب في سبيل الحصول على وجود دائم لها هناك .

٢ ــ من السمات الواضحة في الاستراتيجية الاسرائيلية ، بصفة عامة ، فكرة ايجاد البدائل المتاحة لاداء نفس العمل حتى تجد اسرائيل نفسها قادرة على العمل اذا ما افتقدت هذا البديل أو ذاك . وفي حالتنا هذه قد تكون اسرائيل قد عمدت الى احتلال الجزر العربية حتى يكون لديها بديل صالح للعمل فيما اذا تعرضت قواعدها في اثيوبيا للخطر كنتيجة لضغط سياسي او اقتصادي من جانب الدول العربية ، او كنتيجة لتغيرات داخلية .

٣ ــ قد يكون الاحتلال الاسرائيلي لبعض جزر مجموعة حانيش عامل توازن للموقع الاستراتيجي الهام الذي تتمتع به جزيرة بريم التابعة لليمن الديمقراطية . ومن هنا يكون الاحتلال الاسرائيلي لهذه الجزر ضروري لمراقبة ما يجري فوق جزيرة بريم واحباط أية محاولة عربية لاستخدام هذه الجزيرة أو الجزر العربية الاخرى في عمل ضد الملاحة الاسرائيلية في المنطقة .

ثالثا : محاولة جذب بعض القوى الكبرى للتدخل في المنطقة : تحاول اسرائيل ادخال قوى كبرى الى معترك الصراع الدائر حول منطقة مضيق باب المندب لوضع العقبات أمام التخطيط أو التدبير العربي اذا حاول السيطرة على المنطقة ، وتستغل اسرائيل في ذلك علاقتها العضوية بالولايات المتحدة وذلك في اطار عاملين أساسيين :

١ ــ الاستفادة من الوجود الامريكي في المحيط الهندي وفي قاعدة أسمره بأثيوبيا ، بشتى الوسائل للحيلولة دون قيام أية عقبات أمام الملاحة الاسرائيلية في المنطقة .

٢ ــ اقناع صانع القرار الامريكي ان الوجود الاسرائيلي في المنطقة يخدم المصالح الامريكية .

كما قد حدث تطور آخر في مسألة خروج الصراع حول باب المندب الى مجال اهتمام الدول الكبرى وذلك حين قررت فرنسا مد المياه الاقليمية للصومال الفرنسي (جيبوتي) الى ١٢ ميلا . وردت جمهورية اليمن الديمقراطية باعلان مماثل . ومن نتيجة ذلك أن أصبح مضيق باب المندب بأكمله منطقة تنازع بين الصومال الفرنسي واليمن الديمقراطية حول أي دولة يتبع (حيث لا يزيد عرض المضيق عن ١٢ ميلا) . ولعل الرد اليمني باعتبار المياه الاقليمية اثني عشر ميلا من شأنه ــ نظريا ــ ان يجعل مياه باب المندب كلها مياها اقليمية عربية ، ولكن يقابل ذلك بالمثل ان اعلان الصومال الفرنسي يعني نفس الشيء . وعلى أفضل الاحتمالات فان تسوية هذا النزاع ــ بالطرق القانونية ووفقا لاحكام القانون الدولي ــ ستجعل منطقة المضيق مناصفة بين البلدين ، وهو ما يجعل فرصة فرض السيطرة العربية على المضيق بمثابة عدوان على المياه الاقليمية لدولة أجنبية .

الاستراتيجية العربية المضادة

في مواجهة الاستراتيجية الاسرائيلية الرامية الى السيطرة على مدخل البحر الاحمر الجنوبي والغاء التأثير العربي في المنطقة ، يستوجب الامر قيام استراتيجية عربية مضادة تفتح الطريق أمام الجهد العربي للقيام بمهمة الدفاع عن الوجود العربي والمصالح العربية (الشرعية) في المنطقة .

وكما تقوم الاستراتيجية الاسرائيلية على مجموعة متشابكة من المرتكزات والمحاور فعلى الاستراتيجية العربية المضادة استخدام ذات الاسلوب في التحرك . وهناك عدة محاور أساسية يمكن لهذه الاستراتيجية العمل عليها :

١ ــ تدعيم الوجود العربي في المنطقة عن طريق استخدام الامكانيات المتاحة للجزر العربية الواقعة

في مضيق باب المندب وخليج عدن . واهم هذه الجزر جزيرة بريم ذات الموقع الاستراتيجي الهام . وتقع في مضيق باب المندب وتبعد عن ساحل اليمن العربية بنحو ثلاثة أميال وعن اليمن الديمقراطية بحوالي ٩٦ ميلا وعن الساحل الافريقي بنحو ٢١ ميلا . وتكمن أهميتها الاستراتيجية في تحكم موقعها في مضيق باب المندب وقربها من القاعدة الامريكية في أسمره ومن الجزر الاثيوبية التي يدور حولها النشاط الاسرائيلي . وتقسم جزيرة بريم مضيق باب المندب الى ممرين ، ممر شرقي عرضه ١ر٧ ميلا وممر غربي عرضه ٤ر١٠ ميلا وهو المستخدم للملاحة .

وهذه الجزر العربية حين يدب فيها النشاط يمكن ان تكون في مركز السيطرة على الممرات المائية في المنطقة ، واذا وفرت لها الخدمات الملاحية المتقدمة فانها يمكن أن تلعب دورها في التأثير الفعال على الموقف .

ويمكن لدولة اليمن الموحدة — في اطار استراتيجية عامة — أن تمثل عمقا دفاعيا من حول الطرف الجنوبي للبحر الاحمر نتيجة اتساعاتها الارضية وما تتيحه من امكانات منوعة للنشاط العسكري والبشري .

٢ — تقوية العلاقات الاقتصادية والسياسية العربية مع الدول الافريقية خاصة تلك الدول الواقعة على القرن الافريقي وفي شرق القارة وكشف أهداف التغلغل الاسرائيلي فيها ، مع عدم اغفال الدول الافريقية التي نجحت الدبلوماسية العربية في تغيير موقفها من اسرائيل ، وذلك باستمرار دعمها وتقوية العلاقات معها وذلك (لتثبيت) موقفها .

٣ — محاولة فتح حوار مع اثيوبيا حول اقامة تعاون اثيوبي عربي — لمصلحة الطرفين — في المنطقة . وقد يكون ذلك صعبا بسبب الوجود الامريكي والتغلغل الاسرائيلي فيها ، الا انه ليس مستحيلا بسبب عوامل الانفتاح التي سادت اخيرا بينها وبين الدولة العربية المتاخمة لها (السودان) بعد أن لعبت اثيوبيا دورا هاما في حل مشكلة جنوب السودان واتفاق انهاء منازعات الحدود بينهما .

٤ — التوصل الى صيغة للتنسيق بين الدول العربية المجاورة لمنطقة البحر الاحمر وبين الصومال كدولة صديقة ذات موقع استراتيجي هام في المنطقة ويمكن لهذا التنسيق ان تكون له آثار هامة .

عبد المنعم عباس

---

١ — **استراتيجية للغد ، الاستراتيجية الامريكية في السبعينات والثمانينات وحتى سنة ٢٠٠٠** ، تأليف هانسون و. بالدوين ، ترجمة د. محمود خيري بنونه ، القاهرة ، ص ٢١٢ .

٢ — **المرجع السابق** ، ص ٢١١ .

٣ — Permant, Chaim, *Israel*, Thames and Hudson, 1967, p. 172.

٤ — محمد علي العويني ، **سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيا** ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ١٠٨ .

٥ — خطاب أبا ايبان في الكنيست الاسرائيلي يوم ١٩٦٥/٣/٢٣ — وكالات الانباء .

٦ — محمد علي العويني ، **المرجع السابق** ، ص ١١١ .

٧ — *Israel Government Yearbook*, 1960 - 1961, p. 12 FF.

٨ — جالينا نيكتينا ، **دولة اسرائيل** ، دار الهلال ، القاهرة (مترجم) ، ص ٢٤٤ .

٩ — Permant, Chaim, *Op. Cit.*, p. 171.

١٠ — ابراهيم العابد، **سياسة اسرائيل الخارجية**، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٣٦ .

١١ — مجلة **الوحدة العربية** (الليبية) ١٩٧٣/٥/١ .

١٢ — *The Time*, 19/3/1973.

١٣ — جريدة **الحياة** (اللبنانية) بتاريخ ١٩٧١/٢/٣ .

١٤ — **المرجع السابق** .

١٥ — جريدة **معاريف** الاسرائيلية ١٩٧٢/٤/١٤ .

١٦ — جريدة **الثورة** (السورية) ١٩٧٢/١/١٨ .

١٧ — جريدة **الاهرام** بتاريخ ١٩٧١/٩/١٥ .

١٨ — جريدة **الانوار** (اللبنانية) ١٩٧٢/٦/٥ .

١٩ — جريدة **معاريف** الاسرائيلية ، المرجع السابق.

٢٠ — *The Time*, Op. Cit.,

[٦]

السويد تتجسس لحساب اسرائيل

بات معروفا منذ زمن طويل دور السويد الحيادي في سياستها تجاه الدول الاخرى . وهذه الشهرة أضفت على السويد القيام بدور هام في الامم المتحدة وفي المحادثات الدولية للتوصل الى حلول سياسية . وان الدور الذي لعبه الدكتور جونار يارينغ — سفير السويد لدى الاتحاد السوفياتي — هو انطلاق من ذلك المفهوم العام عن دولة السويد الحيادية . وهذه الثقة بدولة حيادية مثل السويد تأثرت بها دول العالم الثالث أكثر من الدول الغربية . ولقد كان لمشكلة فيتنام ولا يزال اثر عظيم على اهمية التأثير السياسي لدول حيادية صغيرة مثل السويد في السياسة الدولية ومشاكل الصراع. لقد لعبت السويد ولا تزال تلعب دور القيادة لتصعيد التأييد العالمي لكفاح شعب فيتنام ضد العدوان الامريكي ، ولقد ادت هذه السياسة الى تدهور العلاقات الامريكية — السويدية ، لا سيما عقب ادلاء رئيس الوزراء السيد اولوف بالمه ليلة عيد الميلاد سنة ١٩٧٢ بتصريح ضد الغارات الامريكية على فيتنام الشمالية ، ولقد قال رئيس الوزراء في تصريحه بأن القصف الامريكي الوحشي مشابه لاعمال النازية والفاشية خلال الحرب العالمية الثانية .

كل هذا بالطبع يعطي فكرة عامة بأن السويد تتبع سياسة مماثلة تجاه اي عدوان كان وهذا صحيح بالنسبة لدول افريقية — حيث ان السويد تقدم عونا ماليا لحركات التحرر الافريقية ، وكذلك الدور الذي قامت به السفارة السويدية في سنتياغو عقب الانقلاب العسكري اليميني والمساعدة الكبيرة التي قدمتها السفارة لعدد كبير من التقدميين ولحماية مصالح السفارة الكوبية هناك .

الا ان هذا « العشق » السويدي لحركات التحرر الافريقية ولكفاح شعب فيتنام ولادانة الانقلاب العسكري في تشيلي الخ يجب الا يقودنا الى انه بان السويد ستكون في موقف تدين فيه اسرائيل . ان اي تحليل لدور السويد في مشكلة الصراع في الشرق الاوسط يواجه عقبات كبيرة ويضع المحلل الذي لا يقف على الاحداث متتبعا تغير السياسة السويدية والصحافة والراديو والتلفزيون والرأي العام في موقف صعب . الا ان المحلل السياسي سيصل الى نتيجة مشابهة لموقف دول اوروبية غربية اخرى نتيجة لاحداث الحرب العالمية الثانية ولما قامت به النازية ، بالاضافة الى تأييد اسرائيل انطلاقا من موقف ديني احيانا .

ان هذا التحليل في الواقع هو تحليل خاطىء واصبح بعيدا عن الحقيقة لمعطيات سياسية متعددة . ان موقف السويد من مشكلة الشرق الاوسط ليس موقفا حياديا بل على العكس فان السويد تؤيد اسرائيل على الصعيدين الحكومي والشعبي ، وهذا يعود لسببين بسيطين . ان تأييد السويد لاسرائيل على الصعيد السياسي سببه تعاطف ايديولوجي ، حيث ان الحزب الحاكم في كل من السويد واسرائيل هو حزب الاشتراكيين الديمقراطيين ، وان بالمه رئيس الوزراء صديق حميم لجولدا مائير ويلتقيان عادة في مؤتمرات الاشتراكية الدولية . واما على الصعيد الشعبي، فذلك يعود الى الدور الخطير الذي تلعبه الصحافة في نشر المعلومات الخاطئة عن حقيقة الصراع في الشرق الاوسط .

كل هذا يجب الا يدعونا الى الدهشة ، الا ان العجيب في الامر هو ان تضع السويد جهاز مخابراتها السري في خدمة المخابرات الاسرائيلية . ان هذه المعلومات عندما نشرت لاول مرة في مجلة Folket i Bild / Kulturfront عدد ٩ بتاريخ ١٩٧٣/٥/٣ وكذلك عدد ١٠ بتاريخ ١٩٧٣/٥/١٧ أدت الى فضيحة سياسية على أعلى المستويات أجبرت رئيس الوزراء ووزير الدفاع وقائد الجيش اولا بانكار المعلومات وبعد ذلك بالاعتراف بقسم منها . ان المجلة المذكورة مجلة سياسية يقوم على تحريرها عدد من الصحافيين التقدميين وبرنامجها السياسي يدعو الى الدفاع عن الحريات ومحاربة الامبريالية . ان المقالات التي نشرت في المجلة قام باعدادها الصحفي التقدمي بيتر برات والصحفي جان جوبلو والمعروف بتأييده المطلق للثورة الفلسطينية . لقد نشرت المجلة في تقريرها عن وجود مكتب استعلامات يدعى Informationsbyron ويشار اليه بحرفي أ ب، ولم يكن معروفا من قبل وهو يقابل وكالة المخابرات المركزية CIA في الولايات المتحدة . ويقوم أ ب بالتعاون مع عدد كبير من مكاتب المخابرات مثل المخابرات المركزية (الولايات المتحدة) والمخابرات

العسكرية (بريطانيا) و SDECE (فرنسا) و BND (المانيا الغربية) وشين بيت (اسرائيل). الا ان مكتب الاستعلامات السويدي أ ب لم يحظ على الشهرة الا لدى مكاتب الاستعلامات (المخابرات) وايضا لدى رئيس الوزراء ووزير الدفاع (الذي يقوم برئاسة المكتب) وعدد محدود من رجال الجيش ، الا أنه غير معروف لدى معظم رجال الحكومة والبرلمان والشعب السويدي . لقد قام المكتب باعمال التجسس على دول اوروبا الشرقية وعلى الدول العربية — مصر — وعلى حركة المقاومة الفلسطينية . ولقد قام باعمال التجسس اما لحسابه الخاص او لحساب شين بيت او بالتعاون معا في عمليات عديدة في السويد وفي الدول العربية .

يقول الصحفي بيتر برات في كتابه الجديد عن أ ب والذي صدر بتاريخ ١٩٧٣/٩/٢٦ « بأن الامر الخطير بالدرجة الاولى ليس دعم السويد لاسرائيل ضد الدول العربية ، بل أن الخطر يقع في أن هذا الدعم حصل في سرية تامة ودون علم البرلمان والشعب السويدي » .

ان هذا الدعم لاسرائيل مباشرة او غير مباشرة بواسطة أ ب تم خلال السنوات الاربع الماضية على ثلاثة مستويات هي السويد واسرائيل والدول العربية .

التجسس في السويد يستهدف المجالين الفلسطيني والعربي . أما المجال الاول فقد كتب برات في الصفحة ١٢٧ من كتابه Ib och Hottet mot Var Zäkerhet أي « مكتب الاستعلامات وتهديد سلامتنا » « ان الشين بيت ارسل الى ستوكهولم سنة ١٩٧٠ احد افراده ، وبالتعاون مع أ ب وضعوا خطة بأربع عمليات ، وهذه العمليات كانت تستهدف التجسس على شباب عرب منهم ٣ شباب فلسطينيين . وبالفعل تمت العمليات بنجاح وقام كل من أ ب وشين بيت باقتحام شقق الشباب الفلسطينيين (عدا واحد) وتصوير الوثائق والاوراق الخ . اما الشاب الذي لم يحظ بزيارة العملاء فقد كان على الطرف المتسلم للارهاب الاسرائيلي ، اذ انه كان ضحية رسالة متفجرة أدت الى اصابته بجروح . هذا ولقد اعترف وزير الدفاع سفين اندرسون باحدى العمليات » .

قضية جونار أكبرغ : لقد بدأ جونار القيام باعمال التجسس في مطلع العام ١٩٦٩ على التنظيمات السويدية اليسارية والتقدمية ، ثم كلف من قبل أ ب بالتجسس على التنظيمات الفلسطينية حيث أصبح عضوا عاملا في لجنة مناصرة فلسطين في جوتنبرغ ومن خلال اللجنة تعرف على عدد كبير من مؤيدي الثورة الفلسطينية العرب منهم والسويديين . وكانت جميع تقاريره ترسل بعد ترجمتها الى المخابرات الاسرائيلية .

يذكر برات بان جونار قام بعمليتين استفزازيتين في السويد ، الاولى في ربيع ١٩٦٩ عندما اقترح كتابة منشور يحتوي على كاركتار ضد السامية ، الا ان اقتراحه فشل . وكان الغرض وراء ذلك عرض الحركة الفلسطينية بأنها ضد الشعب اليهودي . واما العملية الثانية فقد حصلت ايضا في ربيع ١٩٦٩ عندما قام جونار بالاتصال تلفونيا بمطار فرانكفورت واخبار رجال المطار بوجود قنبلة على متن طائرة العال الاسرائيلية قبل اقلاعها (المكالمة كاذبة ، حيث أنه لم توجد قنبلة) ولقد اثبت تعقب المكالمة التلفونية بان الاتصال تم من السويد ومن مدينة جونار — جوتنبرغ — ، الا ان احدا لم يشك بالشخص في تلك الفترة . ويؤكد الكاتب بأن تحقيقا من قبل لجنة برلمانية ستثبت وتدين المسؤولين .

هذا وكان مكتب أ ب يتجسس على الصحف السويدية لصالح شين بيت حيث ان صحيفة Afton Bladet نشرت مقالا بتاريخ ٦ يوليو ١٩٧١ يفضح اسرائيل بمساعدة الملك حسين للحصول على ذخيرة امريكية تم ارسالها على سيارات شحن عسكرية اسرائيلية من ايلات الى الاردن .

الخبر كان مزعجا جدا لاسرائيل لا سيما وان التوقيت سبق حملة حسين على المقاومة الفلسطينية في احراش جرش من ذلك العام . كانت اسرائيل مهتمة بمعرفة اسم الشخص الذي أدلى بتلك المعلومات الى الصحيفة . الا ان الحصول على تلك المعلومات لم يكن صعبا حيث ان الصحفي الذي كتب المقال كان صديقا لجونار — عميل أ ب — حيث ان الشخصين كانا يعملان في لجان فلسطينية . ونتيجة ذلك عرفت اسرائيل بأن الدكتور اسرائيل شاحك قد أدلى بتلك المعلومات .

اما مجال التجسس ضد الدول العربية في السويد فهو يستهدف سفارة جمهورية مصر العربية . ولا تتجسس أ ب لحساب اسرائيل على العرب المقيمين في السويد فقط بل أيضا على المؤسسات العربية في السويد . ففي صيف ١٩٧٠ قام كل من أ ب وشين بيت باقتحام السفارة المصرية في ستوكهولم . تمت العملية بعد خداع حارس السفارة ودعوته الى مطعم فاخر ، وخلال غيابه قام أ ب بالاتصال بقسم المباحث الرسمي والمعروف بـ سابو لابعاد الحراسة البوليسية عن السفارة المصرية في شارع ستراند فاجن . كانت العملية ناجحة للغاية ، استطاع خلالها العملاء السويديون والاسرائيليون من اقتحام السفارة وتصوير الوثائق السرية .

٢ — اما الموقع الثاني والذي يتعلق باسرائيل، فهو في الواقع متصل بالموقع الاول حيث ان المعلومات التي ترسل من أ ب الى شين بيت تستعمل ضد الفلسطينيين في الاراضي المحتلة واثباتا على ذلك فان سلطات الاحتلال قامت باعتقال شاب فلسطيني يحمل الجنسية السويدية لدى زيارته لعائلته . كان اعتقال الشاب الفلسطيني والذي كان في احدى لجان فلسطين نتيجة معلومات ادلى بها جونار الى شين بيت عن طريق أ ب .

قام العملاء السويديون بالتجسس على كل من مصر وحركة المقاومة الفلسطينية في الاردن . كانت اعمال التجسس تتم بارسال اشخاص من لجان فلسطينية. كانت مهمة هؤلاء الاشخاص معرفة كميات الاسلحة الموجودة لدى حركة فتح بالذات. وتمت عملية التجسس الاولى في الاول من يوليو سنة ١٩٦٩ في مخيم البقعة الذي تعرض فيما بعد لغارة اسرائيلية أدت الى استشهاد عدد من الفلسطينيين . هذا وقد نشرت صحيفة Afton Bladet صورة بتاريخ ١٧ مايو ١٩٧٣ تثبت صحة ما ذكر ، حيث ان العميل السويدي كان يساعد في تدريب عدد من الفدائيين .

أما بالنسبة للتجسس على مصر ، فقد اسندت العملية لقبطان سفينة سويدية وطلب من القبطان ويدعى جلبرت ارسون تصوير ميناء الاسكندرية ومعرفة عمق الماء وارسال معلومات عن السفن الحربية في المنطقة . هذا وتعدى التجسس على مصر هذه الحدود عندما اسندت المخابرات الى امرأة تحمل الجنسية السويدية وهي من أصل هنغاري وتدعى ماريا لبك وحصل ان شاهدها صحفي سويدي في يوليو ١٩٧٠ في فندق كارلتون في القاهرة . وقامت المرأة بتصوير مناطق عسكرية استراتيجية لم يكن يسمح للسائح بزيارتها ، وبالطبع ارسلت المعلومات عن طريق أ ب الى المخابرات الاسرائيلية .

ان هذه المعلومات المثيرة تضعنا في حيرة ، فما هو غرض دولة حيادية كالسويد من التجسس على الدول العربية وحركة المقاومة لحساب اسرائيل . هذه الايام تبرر للدول الاوروبية الغربية كالمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا والسويد وغيرها — بعد قانون الارهاب ، انظر شؤون فلسطينية عدد ٢٠ — اعمالها بحجة الارهاب الفلسطيني في اوروبا ضد الرعايا والمؤسسات الاسرائيلية . لكن الغريب في الامر اولا ان عمليات الارهاب في الدول الاسكندنافية كانت كثيرها في اوروبا موجهة ضد الفلسطينيين والعرب . فالارهابيون الحقيقيون في معزل عن خطر مواجهة السلطات لهم ، واما الفلسطينيون فانهم يتعرضون اولا للارهاب الاسرائيلي بمساعدة السلطات الاجنبية، وثانيا فانهم — الفلسطينيون — يتعرضون لقوانين قمع جديدة من قبل تلك السلطات. ان ما حدث في السويد في نوفمبر ١٩٧٢ وما حدث في النرويج في يوليو ١٩٧٣ هو اثبات واضح على الارهاب الاسرائيلي في الدول الاسكندنافية ففي شهد نوفمبر ١٩٧٢ ارسلت رسائل متفجرة الى شاب فلسطيني في ستوكهولم واخر في كوبنهاجن وفي يوليو ١٩٧٣ قام العملاء الاسرائيليون بقتل شاب مغربي بحجة انه ينتمي الى أيلول الاسود . كان تصرف السلطات النرويجية في الواقع مشرفا للغاية ، حيث انها بعد التحقيق في الحادث طلبت من الملحق العسكري الاسرائيلي في السفارة الاسرائيلية في أوسلو مغادرة البلاد لعلاقته المباشرة في الحادث .

السؤال الان هو ، ماذا تريد السويد من الدول العربية (مصر) وحركة المقاومة ؟ هل هي في موقف مواجهة مع مصر او مع المقاومة ؟ هل أعلنت مصر او المقاومة الحرب على السويد ؟

كل هذه الاسئلة يضعها المترقب للاحداث ، ولكن دون الحصول على رد ايجابي ودون تفسير .

[٧]
جوزيف ادوارد سيف

قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، يوم ١٩٧٣/١٢/٣٠ ، بمحاولة لاغتيال جوزيف ادوارد سيف وذلك عندما قام احد فدائييها باقتحام بيت المذكور واطلاق عيارات نارية عليه اصابته احداها في رأسه . وسيف ، كباقي افراد عائلته ، كان ولا يزال مشاركا فاعلا بنشاطات الجالية اليهودية الموظفة لخدمة اسرائيل واهدافها . وقد استفاد سيف من موقعه كرئيس لشركة ماركس وسبنسر وكأحد ابرز اثرياء بريطانية ، فأدى خدمات جلى لاسرائيل بعد أن نجح في تنظيم الجالية اليهودية وضمان تأييدها الصلب للدولة الصهيونية .

ولد جوزيف سيف في مانشستر في العام ١٩٠٥ حيث تأثر بالافكار الصهيونية التي كانت مانشستر مركز اشعاعها الرئيسي تماما مثلما كانت مركز النشاط الخاص بجمع الاموال اللازمة لدعم المشاريع الصهيونية . وفي هذين المجالين لعبت عائلة سيف دورا بارزا .

وبشكل محدد ، تأثر جوزيف سيف بفكر واهداف اخيه اللورد اسرائيل سيف الذي أسس، بالتعاون مع اللورد سايمون ماركس مؤسسة « ماركس آند سبنسر » . وقد كان اسرائيل سيف وسايمون ماركس واخرون جيلا جديدا من الصهيونيين . تعاونوا مع حاييم وايزمن ، الذي اقام في مانشستر في العام ١٩٠٤ ، وشكلوا معه العمود الفقري لحركة تجديدية عرفت باسم « مدرسة مانشستر الصهيونية » . وقد اعادوا تشكيل وتقوية وتوسيع نشاطات « الفدرالية الصهيونية لبريطانية العظمى وايرلنده » . وبحكم الخلفية التجارية لاسرائيل سيف فقد اسدى خدمات اساسية في مجال تنمية الموارد المالية للحركة الصهيونية وارتفعت بجهوده الاسهامات الى درجة لم ترق اليها من قبل .

وقد اقتفى جوزيف خطوات اخيه الاكبر والعائلة فكان نشطا ، على امتداد سنوات طويلة ، في « الفدرالية الصهيونية » التي وصل لرئاستها في الماضي والتي يشغل فيها حاليا منصب نائب الرئيس الفخري . والفدرالية هذه هي التنظيم الام الذي يجمع عددا من الهيئات الصهيونية في انجلترة وايرلنده وهدفها تنمية الوعي اليهودي والوحدة اليهودية من خلال ربطهما بالفكرة الصهيونية تمهيدا لتسريع حركة الهجرة الى فلسطين . كما تقوم الفدرالية بنشاطات لصالح نداء فلسطين الموحد » (وهي مؤسسة لجمع الاموال) للمشاريع الصهيونية بالاضافة الى تعبئة الرأي العام في انجلترة لصالح اسرائيل والصهيونية وجذب الاستثمارات البريطانية لاسرائيل .

ولا تنتهي عند هذا النشاطات الصهيونية لجوزيف سيف . فهو حاليا نائب الرئيس الفخري « للجمعية اليهودية الخيرية لاسرائيل والشرق الاوسط » التي تقدم مساعدات في مجالات التعليم والتطبيب وفي دعم المؤسسات الخيرية والهياكل الدينية ، والمستشفيات ... الخ(١). وهو ايضا نائب الرئيس الفخري « لجمعية اصدقاء اللاجئين اليهود » التي تهدف الى مساعدة المهاجرين اليهود في أي بقعة في العالم(٢). كما أن جهوده لخدمة « مؤسسة دانيال سيف للبحوث في روحوفوت » في اسرائيل تنال اهتمامه الخاص . وهذه المؤسسة اسسها في الاصل اسرائيل سيف ، بدعم كبير من عائلتي سيف وماركس ، بهدف اجراء بحوث علمية في تنمية الصناعات في مجال الزراعة . وتتعاون هذه المؤسسة مع الجامعة العبرية لزيادة الانتاج الزراعي في اسرائيل(٣).

على أن اهم نشاطات جوزيف سيف تكمن في كونه رئيسا لمؤسسة « نداء فلسطين الموحد » التي تتولى المسؤولية الاساسية في جمع اموال يهود وصهيونيي بريطانية لصالح اسرائيل . وبهذا المجال ، يقوم جوزيف سيف وابناء عائلته بمعظم المتطلبات الادارية لهذه المؤسسة ، ويشرف هؤلاء على قرابة خمسة الاف جابي اموال، في بريطانية(٤). ويبلغ معدل ما يجمعه هؤلاء سنويا لصالح اسرائيل اثنا عشر مليون جنيه استرليني(٥). وعشية حرب حزيران ١٩٦٧ جمع يهود بريطانية ما يزيد على ١٧ مليون جنيه استرليني(٦). هذا بالاضافة الى الملايين التي جمعت اثناء حرب اكتوبر ١٩٧٣(٧). وكل ذلك بالجهد الخاص لسيف وعائلته .

وتتعدى خدمات جوزيف سيف هذه المجالات جميعها مستفيدة من مؤسسة « ماركس آند

سبنسر » . ففي « المؤتمر الثاني للارشاد الاقتصادي » في ربيع ١٩٦٨ لعبت تلك المؤسسة دورا بارزا في دعم الاقتصاد الاسرائيلي من خلال الاستثمارات الجديدة ومن خلال ايفاد فنيين ومخططين وعلماء ليشرحوا للمنتجين الاسرائيليين احتياجات السوق البريطاني . ونتيجة لذلك ارتفعت المبيعات الاسرائيلية ، خلال عامين ، من ٩٠٠ الف الى ٢٤٣ مليون دينار استرليني(٨). واخيرا وليس اخرا تقوم مؤسسة « ماركس آند سبنسر » بتنمية بيع البضائع الاسرائيلية وقد باعت في العام ١٩٥٩ وحده ما قيمته خمسة ملايين دولار(٩).

وبالرغم من تعرض جوزيف سيف للاغتيال فانه لم يرتدع بل ازداد تماديا في دعمه للصهيونية . وكان في الماضي لم يرتدع عندما هددته الجبهة الشعبية بعملية تحذيرية من خلال القاء متفجرات على مستودعات « ماركس آند سبنسر » في العام ١٩٦٩ . لقد كانت العملية تلك تحذيرا لم يثن جوزيف اسرائيل عن دعمه لاسرائيل(١٠). ولذلك تقوم الاسكتلنديارد بحمايته وحماية عدد من الصهيونيين البارزين(١١). وفي الختام ، ففي مقابلة له مع هيئة الاذاعة والتلفزيون البريطانية ، (بتاريخ ٣ يناير ١٩٧٤) ، اكد جوزيف سيف ان محاولة اغتياله لم تؤثر على جهوده الدائمة للصهيونية واسرائيل ، تلك الجهود التي ينوي متابعة نشاطه لصالحها(١٢).

سوزي زيادة

١ — *Zionist Yearbook, 1973.*
٢ — *Ibid.*
٣ — ESCO Foundation for Palestine, *A Study of Jewish, Arab and British Policies*, p. 690.
٤ — *Sunday Telegraph*, Jan. 6, 1974.
٥ — S. Levenberg, «Zionism in Great Britain», *Encyclopedia of Zionism and Israel*, p. 429.
٦ — *Ibid.*, p. 424.
٧ — *Times*, (London), Dec. 31, 1973.
٨ — *The Israel Economist*, May 1968, p. 178.
٩ — *Ibid.*, p. 185.
١٠ — *Sunday Telegraph*, Jan. 6, 1974.
١١ — *Ibid.*
١٢ — Reproduced, *Times* (London), Jan. 4, 1974.

يوميات الحزن العادي

بقلم

محمود درويش

أطلبه من مركز الابحاث : قسم التوزيع
ص.ب ١٦٩١ — بيروت

أو من المكتبات .

٢٥٥ صفحة ، بسبع ليرات لبنانية ، تضاف اليها اجور البريد الجوي :
١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في اوروبة ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

حسمت مسألة التمثيل الفلسطيني في قمة الجزائر العربية لمصلحة منظمة التحرير الفلسطينية. وعلى الرغم من اهمية قرار القمة المتعلق بهذا الشأن ، فقد وضعت المقاومة بالقرار ومن خلال النتائج المترتبة عليه في جو امتحان صعب كان منتظرا منها ان تجيب كذلك على عدد من الاسئلة التي تمخضت عنها المرحلة ما بعد التشرينية والتي دارت أساسا — على صعيد الفلسطينيين — حول مستقبل الاراضي الفلسطينية المحتلة وحقوق الشعب العربي الفلسطيني . واذا كان هذان الموضوعان قد أثيرا في أوساط المقاومة (في ندواتها وأدبيات فصائلها) قبيل حرب تشرين ودار حولهما نقاش كثير ، الا أنهما اتخذا في هذه المرحلة الراهنة شكلا أكثر حدة والحاحا ومسؤولية . فقد أدخلت النتائج السياسية سريعة التطور التي أعقبت الحرب ، أدخلت هاتين المسألتين في صلب اهتمام اطراف الصراع ، وأوصلتهما الى عتبة اتخاذ القرار بشأنهما على طاولة المفاوضات في مؤتمر جنيف . من هنا كان اهتمام المقاومة بمسألة التمثيل الفلسطيني اهتماما بالنتائج المنتظرة والتي ستسفر عنها المرحلة الراهنة — القادمة التي عنوانهما العريض الاستفادة من نتائج حرب تشرين من أجل التوصل الى تسوية تأخذ في الاعتبار مصير الاراضي الفلسطينية المحتلة في العام ١٩٦٧ (أو بعضها) وحقوق شعب فلسطين . وقد عزز هذا الاهتمام ان مؤتمر جنيف قد باشر أعماله وسط تحرك اميركي واسع (رحلات الوزير الاميركي كيسنجر الى الشرق الاوسط) أثار الشك في شكل التسوية المرتقبة وكذلك التساؤل عن حجم الدور الاميركي في تصميم أبعادها وملامحها . وقد أوردت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) يوم ١٢/٢٠ تعليقا بهذا الشأن تحت عنوان « رأينا في مؤتمر جنيف » جاء فيه « ان المؤتمر ينعقد الان وسط مؤامرات اميركية مكثفة تستهدف تصفية قضية الشعب الفلسطيني وتمرير الحلول الاستسلامية وتركيع هذه المنطقة لتظل مرتعا للامبريالية وأدواتها وتثبيت مصالحها » . هناك اذن تخوف من مؤتمر جنيف ، تخوف من البصمات الاميركية على المؤتمر ونتائجه . وقد عبر الاخ ابو اياد عن هذه الحقيقة بقوله « ومؤتمر السلام ، يقولون انه سيعقد بعد سبعة ايام فهل تريد اسرائيل فعلا السلام ؟ من الذي يقود السلام؟ انه كيسنجر » (وفا ١٢/١٢) . وبجانب هذه النظرة الى مؤتمر جنيف كانت هناك نظرة أخرى بلورها الدكتور جورج حبش في ندوته في جامعة بيروت العربية (١٢/١٧) منطلقة من « ان مؤتمر جنيف قائم على أساس واضح معين ، هذا الاساس هو قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ... ان اية قوة تريد أن تذهب الى جنيف في هذه الفترة بالذات في ظل ميزان القوى الراهن فلسطينيا وعربيا ودوليا عليها أن تعي بوضوح انها مقابل أي كسب ستحرزه في مؤتمر جنيف سترغم على ان تدفع الثمن ... كسب الاراضي التي يمكن أن تجلو عنها اسرائيل مقابل الشق الاخر من قرار ٢٤٢ وهو : هذه هي اسرائيل وهي قائمة وهذه هي حدودها ويجب ان تصونوها وعلى كافة دول المنطقة والدول المشتركة في هذا المؤتمر ان تحارب أي محاولة مقبلة للتوتر او اثارة العداء في المنطقة ... وان الوضع الدولي بعد أن يصل مؤتمر جنيف الى مثل هذه الاتفاقية في حالة نجاحه لن يتقبل من أي قوة فلسطينية وعربية ان ترفض ، في فترة زمنية مرئية على الاقل، هذا الشيء الذي رضيت به ووافقت عليه » . (الهدف ١٢/٢٢) . ونتيجة هذه النظرة بنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين موقفها الرافض لمؤتمر جنيف ، غير ان منظمة التحرير الفلسطينية لم تعلن رسميا موقفها من المؤتمر وان كانت اجهزة

اعلامها قد حبذت موقف سوريا الذي تمثل في رفض حضور المؤتمر فقد كتبت « وفا » (١٢/١٩) ان هذا الموقف « يمثل من وجهة نظر اساسية موقفا متشددا لصالح الشعب الفلسطيني وهو ما يمكن القول معه انه جاء تعبيرا عن رؤية الجماهير الفلسطينية والعربية لمؤتمر السلام الذي تعمل الولايات المتحدة الاميركية والعدو الصهيوني على سحبه الى الخيمة الاميركية » . (كذلك كتبت « الهدف » (١٢/٢٢) ان « الجماهير التي رحبت بالقرار السوري قد لمست فيه بادرة جريئة تحتضنها وتدعمها ، وتتطلع الى تطويرها باتجاه تشكيل جبهة عربية مقاتلة تلتقي في ساحتها كل القوى الوطنية والتقدمية والثورية الفلسطينية والعربية » . كما أعلنت الجبهة الديموقراطية (١٢/١٨) عن تثمينها للموقف السوري ودعت البلدان العربية الوطنية الاخرى الى دعم هذا الموقف) .

كان اذن بسبب من هذا الجو الذي أحاط مؤتمر جنيف ان مسألة مصير الارض الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني قد اكتسبت أهميتها الاساسية. يضاف الى ذلك ان اشتراك وفد عن النظام الاردني في المؤتمر قد جعل هذه الاهمية تكتسب صفة خاصة . فالنظام الاردني غير معني بمجريات المفاوضات في مرحلتها الاولى المخصصة لفصل التحام القوات وتثبيت اتفاقية وقف اطلاق النار . ومن هنا فان حضوره جلسات المؤتمر الاولى لا يحتمل الا تأويلا واحدا هو تكريس وجوده طرفا أساسيا في المفاوضات في مختلف مراحلها وهو أمر يكتسب دلالة خاصة اذا نظر اليه مقرونا بموقف النظام الاردني من مسألة التمثيل الفلسطيني ونظرته الى مستقبل الضفة الغربية .

بعد هذا الاستطراد نعود الى ما أثبتناه في البداية ان حسم مسألة التمثيل الفلسطيني لمصلحة منظمة التحرير قد فرض على حركة المقاومة ان تجيب كذلك على مسألة مصير المناطق الفلسطينية المحتلة التي سادت بشأنها «قناعة» بأن اسرائيل ستنسحب منها او من بعضها كنتيجة للمعطيات الجديدة ــ العسكرية والسياسية العربية والعالمية ــ التي أسفرت عنها حرب تشرين . وعلى الرغم من اشكال الحوار الكثيف والغني الذي ساد أوساط حركة المقاومة حول هذا الموضوع الا ان منظمة التحرير لم تعلن موقفا رسميا منه . ومن الواضح ان عدم اعلان هذا الموقف الرسمي كان بسبب ان هذا الحوار لم يتوصل الى اجماع في الرأي وبالتالي فان الحفاظ على الوحدة الوطنية الفلسطينية ، وهي قضية مركزية ومصيرية في هذه المرحلة ، جعل قيادة المنظمة تتريث في اعلان الموقف الرسمي. وقد تأكدت هذه الحقيقة من تأجيل عقد المجلس الوطني الفلسطيني والمؤتمر الشعبي اللذين قررت اللجنة التنفيذية للمنظمة دعوتهما الى الانعقاد في النصف الثاني من شهر كانون الثاني . فقد أعلن الاخ خالد الفاهوم ، رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، « ان المجلس المركزي لمنظمة التحرير قد تدارس في اجتماعه الذي انعقد في دمشق مساء ١٢/٢٠ الاوضاع السياسية الراهنة واجتماعات المجلس الوطني والمؤتمر الشعبي الفلسطيني وان المجلس المركزي اوصى بضرورة الاستمرار في دراسة الموقف الراهن بكافة ابعاده وخاصة فيما يتعلق باستطلاع رأي جماهيرنا العربية الفلسطينية داخل الاراضي المحتلة ، وفي الضفة الشرقية ، وبقية أماكن التجمعات الفلسطينية . واستكمالا لهذا ولاجراء مزيد من الدراسة والاستطلاع فقد اوصى المجلس بتأجيل عقد دورة المجلس الوطني والمؤتمر الشعبي اللذين كان مقررا عقدهما في شهر كانون الثاني القادم الى وقت لاحق يعلن في وقت قريب ». وقد ذكرت « وفا » (١٢/٢٢) التي أوردت التصريح ان المؤتمر الشعبي سينعقد في القاهرة في منتصف شهر شباط القادم. وبانتظار ذلك استمر الحوار الفلسطيني في طرح تصوراته للمسألة (ساهم مركز الابحاث الفلسطيني في ذلك بعقد ندوة في مقره حضرها بعض قادة المقاومة ومثقفيها نشرت نصوصها في مكان آخر في هذا العدد) والتي تبلورت خطوطها العريضة كما يلي :

ان الاتجاه الثابت في حركة المقاومة الفلسطينية هو رفض عودة الضفة الغربية الى حكم النظام الاردني . فقد أعلن الاخ ابو عمار لصحيفة « لوماتيه » الفرنسية (وفا ١/٤) ، « ان الشعب الفلسطيني يرفض سيطرة الملك حسين على الضفة الغربية . ان للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية الحق في أن يقرر مصيره بنفسه دون أي تدخل اجنبي » . وقد كشف أبو أياد في ندوة في جامعة بيروت العربية ١٢/٣١ (وفا ١/١) ان الملك حسين أراد أن يطرح لقاء رباعيا بين سوريا ومصر والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية كي يتفاهموا على مستقبل الاراضي الفلسطينية . وأعلن أبو اياد

باسم فتح « اننا سنرفض هذا الاجتماع ولن نقبل به . اننا لا نريد ان يعود الملك حسين للضفة ولو لساعة واحدة » . كذلك اعلن الدكتور جورج حبش (المصدر السابق) عن مقاومة « عودة النظام الرجعي العميل في الاردن الى الارض الفلسطينية». واذا كانت عودة النظام الاردني الى الضفة الغربية مرفوضة فما المطلوب اذن ؟ تجمع مصادر حركة المقاومة ان أحدا ما لم يطرح مسألة « الدولة الفلسطينية » على حركة المقاومة ويتساءل ابو اياد عن هذه الدولة « هل يحكى لنا هذا الكلام ؟ ما هي الدولة ؟ » (وفا ١٢/١٢) . غير انه من الواضح ان هناك اتجاها متصاعدا داخل حركة المقاومة يدفع باتجاه لخصه ابو اياد بقوله : « ان المقاومة تريد ان **تنتزع بأي شكل** أي جزء من ارضنا في الضفة والقطاع » (المصدر نفسه) . وقد أوضح ابو اياد هذا الاتجاه في حديث مع مجلة « البلاغ » اللبنانية (وفا ١٢/٢٣) ردا على سؤال حول امكانات اقامة سلطة وطنية على جزء من الارض الفلسطينية وحول الانتقادات التي توجه الى امكانات نموها وضيق رقعتها الجغرافية فقال « ان هذه ليست هي القضية الاساسية ولكن القضية هل تعود هذه الارض الى الملك حسين ام تستلمها القوى الوطنية ؟ ان القوى الوطنية هي المطالبة بالنضال من اجل ان تكون هذه الارض قاعدة ثورية لشعبنا بامكاناتها الذاتية وبامكانات الاصدقاء » . واعتبر ابو اياد ان هذه « ستكون وسيلتنا الحقيقية لاستمرار النضال من اجل تثبيت وجود الشعب الفلسطيني على جزء من ارضه واتصال هذا الشعب من خلال النضال بمجموعة قوى التحرر العربية التي سيستمر نضالها لتغيير الواقع الرافض الى واقع افضل يمكن من خلاله ان نصل بجدية ومسؤولية الى خياراتنا الاساسية بحرب الشعب الطويلة الامد » . ويؤكد هذا الاتجاه ان اقامة السلطة الوطنية على بعض الارض الفلسطينية (اعتبرها ابو اياد في المصدر السابق مكسبا راهنا ، ونايف حواتمة في « الاخبار » اللبنانية ١٢/٢٢ ، هدفا للنضال في هذه المرحلة) لا يعني التنازل عن الحق التاريخي للشعب الفلسطيني في كامل ترابه الوطني . فحواتمه (في المصدر السابق) يؤكد على النضال من أجل « تمكين الشعب الفلسطيني في جميع الاراضي الفلسطينية التي يتم تحريرها والانسحاب منها ، من تقرير مصيره بنفسه ، على ارضه واقامة سلطته الوطنية المستقلة كخطوة على طريق النضال لانتزاع كامل حقوقه التاريخية واستكمال انجاز الحل الدمقراطي والتقدمي لبناء الدولة الدمقراطية على كامل ارض فلسطين » .

وكان نايف حواتمة في مناسبة سابقة قد اوضح هذا التصور بقوله « علينا ان نناضل من أجل انتزاع أقصى ما يمكن انتزاعه دون تقديم تنازلات مبدئية كالصلح والاعتراف والتنازل عن الحقوق التاريخية . فانتزاع أقصى ما يمكن انتزاعه دون تقديم تنازلات مبدئية هو الذي يمكننا بالضبط من النضال المتسارع الكثيف المختزل لاسقاط نظام الملك حسين وهو الذي يمكننا بالضبط من تنظيم مجموع شعبنا ليقف في جميع مناطق الشتات ملتفا حول سلطته الوطنية التي تدافع عنه وهو الذي يمكننا من حماية الثورة الفلسطينية ، من حماية البندقية الفلسطينية على هذه الارض الوطنية وفي ظل سلطة وطنية تحميها ، وهو الذي يمكننا من متابعة الصراع الفلسطيني الاسرائيلي ، وهو الذي يمكننا من الفعل التاريخي المباشر في الصراع لانتزاع الحق التاريخي » (الحرية ١٢/١٧)

ولكن الدكتور حبش (المصدر نفسه) يعتقد ان: « هذه السلطة في حالة استلام المقاومة الفلسطينية لها ما الذي سيحدد دورها التاريخي ؟ هل الذي سيحدده هو من سيكون على رأس هذه الدولة ؟ ان دور هذه الدولة ستحدده المعطيات المادية الملموسة التي اوجدت هذه الدولة . هل فكرنا بمساحة هذه الدولة ، هل فكرنا فعلا بالتناقض الذي سينشأ بين هذه الدولة وبين الجماهير الفلسطينية التي لن تحل مشكلتها الحياتية عن هذا الطريق ؟ ان هذه الدولة هي دولة الستة آلاف كلم مربع ، هذه الدولة هي دولة ٢٢١/٢ بالمئة من مساحة فلسطين ،ثم ماذا عن بقية جماهيرنا الفلسطينية ؟ ان تناقضا اساسيا ستعيشه هذه الدولة هو تناقض بينها وبين جماهير الفلسطينيين هنا في لبنان وفي سوريا وجماهير الفلسطينيين في منطقة ١٩٤٨ وكافة الجماهير الفلسطينية التي لن تحل هذه الدولة حتى مشاكلهم الحياتية . هل فكرنا في المقومات الاقتصادية لمثل هذه الدولة ؟ هل فكرنا كيف سيكون موقع هذه الدولة في المحيط العربي؟ هل فكرنا بأن هذه الدولة ستكون محاطة باسرائيل من ناحية والنظام الرجعي الاردني من ناحية ثانية ؟ هل

فكرنا بأن هذه الدولة ستكون نتيجة معطيات عربية ودولية ؟ »

يقترن بمسألة مستقبل المناطق الفلسطينية المحتلة تصاعد أشكال النضال السياسي والجماهيري في الفترة الاخيرة في الضفة الغربية بشكل خاص . فبالاضافة الى النشاط العسكري الذي قامت به المقاومة هناك (راجع جدول العمليات العسكرية في هذا العدد) فقد اوردت وكالات الانباء (أنظر « الحياة » ١٢/١٤) ان التوتر الشديد قد ساد مختلف مدن الضفة الغربية بعد عمليات الابعاد وهدم البيوت التي تقوم بها سلطات الاحتلال ، وقد ازداد التوتر في اعقاب ابعاد ثمانية من المواطنين العرب من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية . وقد فرقت شرطة الامن متظاهرين في بلدتي بير زيت والبيرة في محاولة للقضاء على الاحتجاجات ضد طرد هؤلاء الثمانية . وقد اوردت « وفا » تفصيلات عن حالة التوتر هذه فكتبت (١٢/١٢) ان التظاهرات عمت الضفة الغربية واغلقت المدارس وتظاهر الطلبة واغلقت المتاجر في نابلس والقدس والخليل وبيت لحم والبيرة . كما بعثت الهيئات والروابط والنقابات المهنية ورؤساء البلديات والتجمعات الوطنية برقيات استنكار واحتجاج الى لجنة حقوق الانسان والصليب الاحمر الدولي والى سلطات الحكم العسكري الصهيوني بصدد ابعاد المواطنين والمعتقلين في سجون العدو والذين بلغ عددهم عدة آلاف . كذلك ذكرت الوكالة (١٢/١٥) ان عدة مئات من المواطنين الفلسطينيين قاموا بتظاهرات في مدينة القدس ، وفي ١٢/١٦ ذكرت ان المسيرات والتظاهرات عمت مدن القدس ورام الله والبيرة والخليل وكانت أعنف هذه التظاهرات في مدينة نابلس حيث اشتبك المتظاهرون مع قوات العدو داخل المدينة وسقط عدد من الجرحى بين المتظاهرين . كما واصلت النساء الفلسطينيات في مدن نابلس ورام الله والبيرة والقدس اعتصامهن لليوم الثالث على التوالي في كل من بلديات نابلس والبيرة ورام الله . ووصفت الوكالة الحالة التي تمر بها الضفة الغربية بأنها « مخاض ثورة شعبية » . واوردت الوكالة (١٢/١٧) ان طلبة كلية بير زيت رفعوا في مقدمة التظاهرة التي اغلقت سلطات الاحتلال في أعقابها الكلية المذكورة ، رفعوا صور الشهداء كمال عدوان وابو يوسف وكمال ناصر . وقد اوردت وفا (١٢/١٩) نقلا عن صحيفة « الشعب » التي تصدر في الضفة الغربية انه انضمت الى المتظاهرين الفلسطينيين في القدس تجمعات كبيرة من الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) وقاموا بتوزيع منشورات على المعتصمين وعلى المتظاهرين كما ان السلطات الاسرائيلية قامت باعتقال عدد من الاسرائيليين لمحاولتهم توزيع منشورات وبيانات من « الحزب الشيوعي الثوري » ومنظمة متسبن . وقد اوردت الوكالة (١٢/٢٨) نص منشور وزع في مدن الضفة الغربية بتوقيع القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية وقد جاء فيه « ان العدو الصهيوني يعمل على بقاء الاحتلال وعلى تكريس وجود دولته على ارض فلسطين . ان الملك حسين يتآمر مع العدو الصهيوني لاقتسام الضفة الغربية ومصادرة آراء الشعب الفلسطيني. ان القضية الفلسطينية تتعرض لمؤامرات صهيونية اميركية هاشمية من أجل تصفيتها وقهر الجماهير الفلسطينية . ان ارادة الشعب الفلسطيني تعلن من خلال الثورة وجماهيرها : لا للاحتلال الصهيوني والكيان الصهيوني . لا لعودة حكم الارهاب الهاشمي الى الضفة الغربية ... نعم لحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني على كل ترابه الوطني. نعم لسيادة الشعب الفلسطيني على ارضه . نعم لمنظمة التحرير الفلسطينية والثورة الفلسطينية » . وواضح من خلال هذه الشعارات المرفوعة في هذا المنشور انه يعكس القضايا الاساسية المطروحة امام المقاومة الفلسطينية المتعلقة بمسألة التمثيل الفلسطيني ومصير الاراضي الفلسطينية .

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

العناصر الايجابية التي أفرزتها حرب تشرين على الجانب العربي كانت كما يبدو غير كافية لارغام اسرائيل على التقيد بقراري مجلس الامن ٣٣٨ ، ٢٣٩ الداعيين الى عودة قواتها الى المواقع التي كانت عليها يوم ٢٢ تشرين الاول . وكان مصداق هذه الحقيقة فشل محادثات الخيمة عند الكيلومتر ١٠١ التي لم تحقق ابرز اهدافها المعلنة بفصل القوات المتحاربة ، وان كانت حققت لاسرائيل مطلبها الملح في تبادل الاسرى مقابل وصول التموين لمدينة السويس وقوات الجيش الثالث شرق القناة. وقد ذكرت مجلة « روز اليوسف » المصرية ان محادثات الكيلومتر ١٠١ استمرت عشرة اجتماعات سبعة منها لتنفيذ البند الثاني الخاص بفصل القوات المتحاربة والعودة الى مواقع ٢٢ تشرين الاول . وقد ذهب تحليل الى ان هذا الفشل كان مرتبطا بأوضاع اسرائيل الداخلية المتعلقة بالانتخابات وتأجيل المباحثات الى ما بعد ظهور نتائج هذه الانتخابات . غير ان « رأي القاهرة » ، كما ذكرت « روز اليوسف » كان « ان الاعتبارات الداخلية في اسرائيل ليست وحدها المحرك لهذا الموقف ، لان اسرائيل في موقفها هذا انما يشجعها عليه ما تتلقاه من دعم يساعدها على تجاوز النتائج الاستراتيجية لمعركة اكتوبر » . وقد كانت تلك اشارة ضمنية الى الدور الاميركي في افشال المحادثات وهو دور تكشفت ابعاده في المساعدات العسكرية الضخمة التي تلقتها اسرائيل بعيد حرب تشرين مما عزز موقفها في أي مفاوضات لاحقة . غير ان هذا الدور الاميركي كان له وجه آخر كشفت عنه مجلة « نيوزويك » الاميركية (١٢/١٧) عندما كتبت انها علمت « ان اسرائيل كانت على استعداد تام لاجراء مفاوضات حول فصل القوات مع المصريين في خيمة الهدنة ، غير ان هنري كيسنجر ، وزير الخارجية الاميركية ، اقنعهم في الدقيقة الاخيرة بالا يفعلوا ذلك . وكانت حجته ان هذا الموضوع يجب ان يكون البند الاول على جدول اعمال مؤتمر محادثات السلام المقرر افتتاحه في جنيف ، وان تنازلا من جانب اسرائيل في البداية سوف يعطي مفاوضات السلام بداية واعدة » . وقد يكون هذا السبب الذي اوردته المجلة الاميركية صحيحا ، ذلك ان نتيجة زيارة كيسنجر الثانية الى القاهرة في ١٢/١٤ أسفرت عن ان مصر وافقت على ان تكون قضية الفصل بين القوات المتحاربة هي القضية الاولى التي يجب معالجتها في مؤتمر السلام ، وكانت مصر تصر سابقا على ان تنسحب اسرائيل الى خطوط ٢٢ تشرين الاول قبل انعقاد المؤتمر ، (« المحرر » نقلا عن وكالات الانباء) . وهكذا باتت ابعاد المراحل الاولى من مؤتمر جنيف مقررة سلفا وقبل انعقاده فهي لا تتعدى كونها امتدادا لمحادثات الكيلومتر ١٠١ ، الهادفة الى فصل القوات المتحاربة .

حددت مصر شروطها لحضور مؤتمر جنيف قبل انعقاده . فقد كتبت الاهرام (١٢/٩) ان هذه الشروط التي أبلغتها مصر الى الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي هي « ١ — ان يقوم مجلس الامن الدولي بدعوة الاطراف المعنية لحضور المؤتمر وتعريف الهدف من الاجتماع والنتائج المتوقعة أي تنفيذ قرارات مجلس الامن . ٢ — ان يحضر الامين العام للامم المتحدة الاجتماعات التمهيدية ويعين مندوبا عنه في المؤتمر الذي سيكون برعاية المنظمة الدولية . ٣ — ان تشترك كل الاطراف المعنية وهي مصر واسرائيل وسوريا والاردن ، وان منظمة التحرير الفلسطينية ستشترك في وقت لاحق » . وكانت الدلائل تشير الى ان هناك تنسيقا مصريا — سوريا بالنسبة للاشتراك في المؤتمر . فقد ذكرت « الاهرام » (١٢/١٢) ان الرئيسين انور السادات وحافظ الاسد حددا « الموقف المشترك لمصر وسوريا ازاء مؤتمر السلام » في محادثاتهما التي جرت في القاهرة في ١٢/١١ وانهما « أصدرا توجيهاتهما الى السيد اسماعيل فهمي ، وزير خارجية مصر ، بشأن المرحلة المقبلة ومؤتمر جنيف » . غير ان التطور المفاجىء كان اعلان سوريا يوم ١٢/١٨ قرارها عدم الاشتراك في مؤتمر جنيف « في ضوء مختلف المعطيات التي توفرها الظروف الراهنة والتي تشير الى مجموعة من المناورات تستهدف خدمة المصالح الاسرائيلية كما تستهدف تحويل المؤتمر ليبحث امورا جزئية تجرنا الى متاهات لا نهاية لها بغية تمييع القضية الاساسية واضاعة الطريق اليها في وضع برنامج الانسحاب الكامل من الارض التي احتلت عام ١٩٦٧ وفي وضع صورة محددة

تؤمن حقوق الشعب العربي الفلسطيني » (كما جاء في نص القرار السوري المنشور في الصحف). وقد ترددت انباء لاحقة عن « شروط » سوريا لحضور مؤتمر جنيف . فقد نسبت صحيفة «واشنطن بوست » (١٢/٢٠) الى السيد محمد زكريا اسماعيل ، نائب وزير الخارجية السورية ، قوله ان شروط بلاده الرئيسية لحضور مؤتمر جنيف ان المشتركين في المؤتمر « يجب ان يعلنوا انهم ذاهبون الى هناك لاجراء محادثات حول انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة ». وقال ان سوريا ستشترك في محادثات جنيف للسلام اذ انتقلت المحادثات نحو مفاوضات جادة لتسوية النزاع العربي — الاسرائيلي .

بخلاف الموقف السوري كان موقف النظام الاردني ، فعلى الرغم من انه هدد بمقاطعة مؤتمر السلام اذا قرر مؤتمر القمة العربي في الجزائر اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، فقد عاد وتراجع عن هذا الموقف لكن تراجعا تدريجيا . ففي ١٢/١١ صرح مصدر رسمي ان موقف الاردن من مؤتمر جنيف لم يتقرر بعد وان الاردن وافق على حضور المؤتمر من حيث المبدأ في انتظار موقف الدول العربية المعنية من قرار مؤتمر القمة العربي في الجزائر الذي يقضي باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني . غير ان بيانا رسميا لاحقا صدر في ١٢/١٣ أعلن « ان الحكومة الاردنية قررت ان ترد بالايجاب على الدعوة التي وجهت اليها لحضور مؤتمر السلام مع كل من مصر وسوريا » . وواضح ان قرار النظام الاردني حضور المؤتمر كان بعد ان تأكد لديه ان منظمة التحرير الفلسطينية غير مدعوة لحضوره وبذلك فان تفرده في دعواه بالتمثيل الفلسطيني وتقرير مصير الارض الفلسطينية المحتلة أصبح غير منازع ، على الاقل في المراحل الاولى من المؤتمر .

وهكذا فان اشتراط مصر ان تشترك في المؤتمر جميع الاطراف المعنية لم يعد مكتملا باعلان سوريا رفضها الاشتراك ، كما ان الاردن غير معني بالمرحلة الاولى من المحادثات التي هي مكرسة لفصل القوات . (بالنسبة للشروط الاخرى وافق مجلس الامن الدولي في ١٢/١٥ على قرار يقضي بوضع مؤتمر السلام الخاص بالشرق الاوسط في جنيف تحت اشراف الامم المتحدة) . وقد كان عدم اكتمال هذا الشرط يوحي بأن مؤتمر جنيف لا يتعدى كونه محادثات ثنائية مصرية — اسرائيلية، ولتبديد هذا الايحاء كان تأكيد مصر على ان اهدافها في المحادثات تتجاوز الاهداف المصرية البحتة فقد صرح اسماعيل فهمي لدى وصوله الى مطار جنيف في ١٢/١٩ ان اهداف مصر من المؤتمر هي ١ — تحقيق الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة كلها . ٢ — استعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني (الاهرام ١٢/٢٠) . كذلك كان تأكيد مصري على ان الوفد المصري يتحدث باسم العرب جميعا ، فقد اجاب تحسين بشير ، الناطق باسم الوفد المصري ، على سؤال لصحيفة « النهار » (١٢/٢٠) عما اذا لم يكن غياب سوريا يعني ان المؤتمر سيتحول الى لقاء مصري — اسرائيلي ، بقوله : « سنتكلم نحن في المؤتمر باسم العرب جميعا وهناك اتفاق بين كل الدول العربية حول هذا الامر . ونحن لا نحضر المؤتمر باسم مصر وحدها ، لاننا لا نؤمن بأن هناك حلا مصريا للمشكلة ، بل هناك حل عربي ولا حل سواه » . وقد ذكرت « الاهرام » (١٢/٢١) ان الرئيس السادات بعث في اخر تعليماته الى اسماعيل فهمي باربع نقاط طلب ان تكون واضحة وقاطعة: « ١ — ان مصر ملتزمة التزاما جديا بقرار مؤتمر القمة العربي الاخير في الجزائر وذلك فيما يتعلق بالانسحاب من كل الاراضي التي احتلت بعد سنة ١٩٦٧ وكذلك باعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . ٢ — ان مصر وهي تحضر مؤتمر جنيف ليست مستعدة لاية مساومة على ارض . ٣ — ان مصر في هذا المؤتمر لا تجرب حل مشكلة مصرية وانما هي تتحمل مسؤولية قومية كاملة تتعلق بكل الحقوق والاراضي العربية . ٤ — ان مصر تفهم أسباب تغيب سوريا عن المؤتمر وهي تعتبر نفسها — بحكم القتال مع سوريا في حرب اكتوبر — مسؤولة عن سلامة التراب السوري بنفس مسؤوليتها عن سلامة التراب المصري » . ومهما يكن ، فقد توضح من سير اعمال المؤتمر فيما بعد ان طابع المحادثات الثنائية كان الصفة البارزة في المراحل الاولى .

مهد كيسنجر للمؤتمر بزيارة قام بها للمنطقة في الفترة بين ١٣ و١٢/١٧ وزار فيها كلا من الجزائر ومصر والسعودية وسوريا والاردن ولبنان

واسرائيل وافتتح المؤتمر يوم ١٢/٢١ (ووفقا « للاهرام » (١٢/٢٢) كان اول « خلاف » نشأ « عندما أصر وفد مصر واعترض وفد اسرائيل على وضع مائدة سابعة للوفد السوري المتغيب كذلك قالت الصحيفة المصرية ان الوفد الاسرائيلي اثار « ازمة » بالنسبة لترتيب موائد الوفود ، وفي الحالتين كانت رغبة الوفد المصري هي المتغلبة . كذلك قالت الاهرام انه « لم يتصافح اعضاء الوفدين العربيين مع اعضاء الوفد الاسرائيلي كما لم يتبادل احد تحية ولو بايماءة الرأس !! ») وكان اول المتحدثين كورت فالدهايم ، الامين العام للامم المتحدة ، تلاه اندريه جروميكو ، وزير الخارجية السوفياتي وهنري كيسنجر، ثم اسماعيل فهمي وزيد الرفاعي ، رئيس وزراء الاردن وزير خارجيته ، وفي جلسة بعد الظهر تكلم ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل ورد عليه فهمي . ولم تسفر المباراة الخطابية التي شهدتها جلسات الافتتاح سوى عن تشكيل لجنة عسكرية مصرية — اسرائيلية ، فقد صرح فالدهايم (١٢/٢٢) انه « بعد مداولات رسمية توصل المؤتمر الى اجماع حول اعماله من خلال تشكيل لجنة عمل عسكرية ولجان عمل اخرى ايضا التي يرغب المؤتمر في أن تشكل في المستقبل . ان لجنة العمل العسكرية ستبدأ بمناقشة مسألة فصل القوات وسترفع لجان العمل توصياتها الى المؤتمر الذي سيستمر في مستوى السفراء على الاقل . ويعود المؤتمر الى الانعقاد في مستوى وزراء الخارجية في جنيف حسبما تقضي الحاجة في ضوء التطورات » .

وكان أمرا طبيعيا الا يشارك الاردن في هذه اللجنة العسكرية بسبب عدم « ارتباط » قواته بالقوات الاسرائيلية . غير ان الوفد الاردني كما يظهر من تصريحات اعضائه كان يصر على اثارة هذا الموضوع فقد ادلى الرفاعي بعد عودته من مؤتمر جنيف بتصريح قال فيه ان موضوع فصل القوات المتحاربة في الشرق الاوسط « يجب الا يكون مقصورا على جبهة واحدة فقط بل يجب ان يشمل جميع الجبهات العربية مع اسرائيل بما فيها الاردن » (« الدستور » ١٢/٢٤) . ولا يوجد تفسير لهذا الاصرار الا واحدا من اثنين او كليهما معا . ان « استبعاد » الاردن من المرحلة الاولى من المفاوضات قد تعتبر ظاهرة خطيرة اذا هي تكررت ، وبذلك فأن اصرار الاردن على التواجد في جميع مراحل المفاوضات حتى العسكرية منها يكرس وجوده اصيلا فيها . والتفسير الثاني ان احتمال عودة القوات الاردنية عن خط النهر في حال مفاوضات فصل القوات يتيح للاردن في هذه المرحلة المبكرة من المفاوضات — وقبل مشاركة الطرف الفلسطيني في تقرير مصير الاراضي الفلسطينية المحتلة — اعادة الادارة الاردنية الى جزء من الضفة الغربية الامر الذي يضع العصي في عجلة المقاومة الفلسطينية في مطالبتها بان يكون لها حق تقرير مصير هذه المنطقة .

عقدت اللجنة العسكرية ست جلسات (١٢/٢٦ و ١٢/٢٩ اعلن بعدها عن تأجيل الجلسات الى ما بعد الانتخابات و١/٢ و١/٤ و١/٧ و١/٩ اعلن في ختامها عن تأجيل المباحثات الى ما بعد ستة ايام) . ما الذي دار في تلك الجلسات ؟ ان البيانات التي كانت تصدر في اعقاب كل جلسة لا تشير الى ذلك فقد كانت مقتضبة غامضة . غير انه يبدو واضحا من خلال التقارير الصحافية ان المحادثات كانت فاشلة . ففي اعقاب الجلسة الثانية كتبت « الاهرام » (١٢/٣١) تقول ان مصر واسرائيل توصلتا الى اتفاق على بعض المبادىء الخاصة بفك ارتباط قواتهما على جبهة القناة . وقالت ان الجانبين اتفقا على تقسيم المباحثات الى مرحلتين بحيث تناقش في المرحلة الاولى المبادىء التي سيتم على أساسها الفصل بين القوات وقد طرحت خمسة مبادىء في هذا الصدد تم الاتفاق على بعضها ولا يزال البعض الاخر قيد المناقشة . واضافت ان من بين هذه المبادىء ان يكون المقصود من الفصل بين القوات ان تنسحب القوات الاسرائيلية الى نقطة ما على الضفة الشرقية للقناة وان تكون المسافة الفاصلة بين القوات المصرية والاسرائيلة نحو ٣٠ كيلومترا وان تكون قناة السويس خارجة عن مدى مدفعية القوات الاسرائيلية . وقالت ان هذه المبادىء طرحت للمناقشة في البداية لانها يمكن ان تسهل البحث في المسائل التفصيلية المقبلة . وذكرت ان المرحلة الثانية تتعلق بفصل القوات على الطبيعة وبشكل مفصل يحدد مواقع كل جانب . وذكرت ان الجانب المصري في المحادثات اوضح ان عودة القوات المصرية الى مواقع ما قبل ٦ تشرين الاول ليست مطروحة للمناقشة وان القوات الاسرائيلية هي الوحيدة التي يجب ان تنسحب الى مواقع

اخرى . غير ان صحيفة « النهار » (١/١١) ذكرت في رسالة لها من القاهرة ان الشروط الاسرائيلية المرفوضة من جانب مصر والتي جمدت محادثات جنيف هي : ١ — ان تصدر مصر سلفا اعلانا رسميا بانهاء الحرب مع اسرائيل . ٢ — ان تنسحب القوات المصرية مسافة محددة بحجة ان بقاء هذه القوات المصرية في مواقعها الحالية ستعرض القوات الاسرائيلية المنسحبة من الغرب (منطقة الدفرسوار) الى نيران القوات المصرية ٣ — ان تعيد مصر الى منطقة الدفرسوار كل المهجرين الذين سبق ان تم تهجيرهم وحجة اسرائيل انه اذا تمت اعادة المهجرين فان القوات المصرية لن تطلق النار على الاسرائيليين لانها في هذه الحالة ستصيب الاهالي والقوات الاسرائيلية معا. وقد زادت صحيفة « اخبار اليوم » المصرية (١/١٢) على ذلك في مقال لرئيس تحريرها احسان عبد القدوس ، بأن محادثات جنيف تعتبر فاشلة حتى الان كمحادثات الكيلومتر ١٠١ . وقال ان الاسرائيليين قالوا اكثر من مرة انهم لن ينسحبوا شبرا واحدا ان لم ينسحب المصريون شبرا في المقابل ، وانهم اقترحوا ان توضع الاراضي التي دار حولها النزاع الاخير في اشراف الامم المتحدة . والمقصود بهذه الاراضي تلك التي احتلها الاسرائيليون في الضفة الغربية من قناة السويس وتلك التي احتلها المصريون في الضفة الشرقية .

وبهذا تنتهي المرحلة الاولى من مفاوضات جنيف التي استدعى فشلها قدوم كيسنجر مرة اخرى الى المنطقة بادئا جولة جديدة في ١/١١ مستئنفا مرحلة ثانية من المفاوضات .

هل بدأت اسرائيل لعبة السير في الحلقة المفرغة ؟ حتى الان تشير الدلائل من خلال محادثات الكيلومتر ١٠١ ومفاوضات جنيف (مجموع الاجتماعات في الجهتين ١٦) الى ان الامر كذلك . ويزيد من قدرة اسرائيل على المراوغة الدعم الكبير الذي ضختـه الولايات المتحدة الاميركية في شرايين اسرائيل ففي هذه المرحلة بالذات وافقت السلطات التشريعية في الولايات المتحدة على مشروع قانون الادارة بدعم اسرائيل بـ ٢٢٠٠ مليون دولار . وفي الوقت نفسه كان يبدو ان جبهة النفط التي ارادتها الدول العربية وسيلة تجبر فيها الولايات المتحدة بالضغط على اسرائيل ، قد أصابها نوع من الخرق . فقد اعلنت دول النفط العربية (١٢/٢٦) انها ستوقف الخفض الشهري لانتاجها من النفط وابقت على المقاطعة النفطية الكاملة حيال اميركة وهولنده وقد أعلن وزراء النفط العرب اثر اجتماع عقدوه في الكويت انهم قرروا زيادة انتاج النفط في دولهم في الشهر المقبل (كانون الثاني) بنسبة ١٠ بالمئة ، وبتطبيق الزيادة الجديدة يصبح معدل الانتاج في كانون الثاني ٨٥ ٪ من انتاج ايلول الماضي . بالاضافة الى ذلك فقد ذكرت مجلة « نيوزويك » الاميركية (١٢/٢٤) ان هناك ثغرات في الحظر على النفط العربي المفروض على الولايات المتحدة واضافت ان الولايات المتحدة تتلقى يوميا وبطرق ملتوية ٧٠٠ الف برميل من النفط لم تكن اصلا متجهة اليها . وذكرت المجلة انها استقت معلوماتها هذه من بعض كبار موظفي التجارة الاميركية . وقد القى ظلا من التصديق على هذه الواقعة تصريح وليم سايمون رئيس وكالة الطاقة الاتحادية الاميركية فقد اعلن في واشنطن انه يأمل « ان يستمر تسرب واردات النفط الذي ظهر منذ فرض الحظر العربي على شحن النفط الى الولايات المتحدة » (النهار ١/٨). واذا صدقت هذه الوقائع فان استبداد اسرائيل في مفاوضات السلام ستكون بلا سقف تقف عنده ، الامر الذي يثير اكثر من تساؤل عن مصير المفاوضات والمؤتمر الذي تتم باطاره .

ع. س.

ملحق القضية الفلسطينية عربيا : النظام الاردني ومؤتمر جنيف

بالرغم من تهديد النظام الاردني بلسان الملك حسين ورئيس وزرائه زيد الرفاعي ، بعدم حضور مؤتمر جنيف الخاص بالشرق الاوسط ، فيما اذا اعتمد مؤتمر القمة العربي الذي عقد في أواخر شهر تشرين الثاني الماضي بالجزائر ، مشروع القرار المقدم له من مؤتمر وزراء الخارجية العرب باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، بالرغم من ذلك التهديد فقد قررت الحكومة الاردنية حضور مؤتمر جنيف دون الاعلان عن مصير شرطها السابق الذي

علقت به حضورها مؤتمر جنيف . (راجع شؤون الفلسطينية عدد ٢٩ ، ملحق القضية الفلسطينية عربيا) .

صحيح ان القرار الاردني القاضي بحضور مؤتمر جنيف للسلام قد اتخذ رغم تحفظ الاردن على قرار مؤتمر القمة حول تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني ، وجاء بعد اتصالات اجراها الممثل الشخصي للملك وسفيره بالقاهرة مع المسؤولين المصريين ، الا ان عدم الاعلان عن سبب تراجع الحكومة الاردنية عن شرطها السابق وعدم اعلانها عن فحوى اتصالاتها مع الاطراف العربية المعنية ، قد أبقيا على الغموض الذي يكتنف التحرك السياسي الاردني ازاء هذه المسألة . والشيء الوحيد الذي ظل معلنا وصريحا هو الموقف الاردني من مسألة التمثيل السياسي للشعب الفلسطيني . ففي مقابلة أجرتها مجلة « العروبة » التي تصدر في قطر عشية انعقاد مؤتمر جنيف ، قال رئيس الديوان الملكي الاردني بهجت التلهوني : « ان الاردن يعتبر الامة العربية بأسرها مسؤولة عن تمثيل الشعب الفلسطيني ، فهو يعتبر كل دولة عربية تمثل القضية الفلسطينية والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني حتى يتمكن من استرداد حقوقه وتحرير ارضه وارادته ، ويختار الممثل الحقيقي لارادته المستقلة » . وقال التلهوني ان الخيارات المتاحة امام الفلسطينيين بعد التحرير هي كما رسمها الملك على النحو التالي : « اما البقاء مع الاردن او الاتحاد معه او الانفصال عنه ، حيث سيجري استفتاء عام تحت اشراف دولي يختارون فيه نظام الحكم الذي يرغبون فيه والمستقبل الذي يرتضونه» (الدستور الاردنية ١٩٧٣/١٢/١٦) .

وفيما كان وفد الاردن الى مؤتمر جنيف يشد حقائبه استعدادا للسفر ، اعلن في دمشق عن عدم حضور وفد سوري اجتماعات المؤتمر التي تقررت في يوم ١٩٧٣/١٢/٢١ . وقد ارتأى النظام الاردني في هذه الخطوة السورية مجالا للمناورة وللكسب السياسي على حساب الموقف المصري . فقد دلت التحركات الاردنية التي جرت عقب الاعلان السوري عن عدم حضور المؤتمر ، على نية النظام الاردني في تشكيل محور سوري — اردني في مواجهة التحرك السياسي المصري . وقد قالت مصادر صحفية في ذلك الوقت ان الاردن أبدى استعداده للانسجام مع الموقف السوري بهدف احراج حضور مصر لمؤتمر جنيف . الا ان سوريا ، كما قالت تلك المصادر الصحفية ، رفضت ذلك وأكدت ان موقفها هذا جرى بمعرفة مسبقة من الحكومة المصرية ، وان التنسيق ما زال قائما بين البلدين اللذين خاضا معا حرب تشرين .

فك ارتباط القوات الاردنية — الاسرائيلية

كانت دعوة زيد الرفاعي خلال المؤتمر الى « فك ارتباط » القوات الاردنية — الاسرائيلية على الجبهة الاردنية ، ليس ابرز علامة من علامات التحرك السياسي الاردني خلال مؤتمر جنيف فحسب ، وانما محاولة من جانب الاردن لاستثمار الوضع السياسي الراهن للحصول على اكبر المكاسب والمزايا التي يمكن بها ومن خلالها استبعاد الدور المتوقع لمنظمة التحرير الفلسطينية التي حظيت باقرار من القمة العربية ومؤتمر قمة دول عدم الانحياز بتمثيلها للشعب الفلسطيني . فقد طلب زيد الرفاعي من السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة ومن الوفود التي حضرت مؤتمر جنيف — كما قالت الدستور — ان يطبق على « الجبهة الاردنية — الاسرائيلية ما يطبق على الجبهات الاخرى من حيث فصل القوات » . وقال الرفاعي ان موضوع البحث أمام مؤتمر جنيف « يجب الا يقتصر على جبهة واحدة من جبهات المواجهة مع اسرائيل بل ان يشملها جميعا » . وقال الرفاعي أيضا بعد الجلسة السرية « ان الجبهة الاردنية — الاسرائيلية تمتد على خط طويل يشمل نهر الاردن بطوله والبحر الميت ووادي عربة وان هذه الجبهة تعرضت منذ عام ١٩٤٨ الى ثلاث حروب اشتبكت فيها القوات الاردنية مع القوات الاسرائيلية » . واضاف رئيس الوفد الاردني الى مؤتمر جنيف قائلا : « ان الاردن انطلاقا من كونه وافق على قرارات الامم المتحدة رقم ٢٤٢ و٣٣٨ فان ما ينطبق على جبهات القتال الاخرى يجب ان ينطبق على الجبهة الاردنية . وقال انه لا يوجد مانع طبيعي ذو بال يفصل بين القوات الاردنية والقوات الاسرائيلية اذ ان نهر الاردن يضيق عرضا حتى عن قناة السويس على سبيل المثال . وقال ان الوفد الاردني يصر على وضع هذا الموضوع مادة اولى للبحث » (الدستور ١٩٧٣/١٢/٢٣) .

ولدى عودة الوفد الاردني من مؤتمر جنيف بعد انتهاء المرحلة الاولى منه ، بانجاز واحد هو تشكيل لجنة عمل عسكرية مصرية — اسرائيلية

لبحث فك ارتباط القوات المتحاربة على جبهة قناة السويس ، قال الرفاعي في عمان : ان موضوع فصل القوات المتحاربة في الشرق الاوسط « يجب الا يكون مقصورا على جبهة واحدة فقط بل يجب ان يشمل جميع الجبهات العربية مع اسرائيل بما فيها الاردن » (الدستور ١٩٧٣/١٢/٢٤) . وكان التلفزيون الاردني قد بث مقابلة خاصة مع زيد الرفاعي رئيس وفد الاردن ، سجلت في جنيف خلال انعقاد المؤتمر ، وجاء فيها قوله « انه بحث موضوع اشتراك الاردن في فصل القوات المتحاربة مع الامين العام لهيئة الامم المتحدة ومع معظم الوفود التي اشتركت في مؤتمر جنيف . كما انه اثار هذه المسألة في الجلسة المغلقة التي عقدها المؤتمر . واضاف يقول انه لم يجد اية معارضة من اي فريق لوجهة نظر الاردن هذه » . ودلل الرفاعي على وجهة النظر هذه ، مرة اخرى ، بأن نهر الاردن يضيق عرضا عن قناة السويس وان الجيشين متقابلان وجها لوجه ، وانه قد حدث بينهما في السابق عدة حروب (الدستور ١٩٧٣/١٢/٢٤) .

ويفهم من هذا التصور الاردني لمسألة انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية المحتلة عن طريق « فك ارتباط » القوات الاردنية ــ الاسرائيلية في منطقة الاغوار ، انه ستجري انسحابات اسرائيلية الى الخلف مقابل انسحاب القوات الاردنية من خط المواجهة ، وبذلك تدار اية منطقة يجري انسحاب اسرائيلي منها مستقبلا، بواسطة الشرطة او رجال البادية ، وتفرض فيها الادارة المدنية الاردنية تدريجيا ، وتدار سياسيا في المستقبل بمعزل عن الممثلين الشرعيين الحقيقيين لسكانها الفلسطينيين ، ونعني بذلك منظمة التحرير الفلسطينية . اي ان الامر كما وصفته احدى صحف الضفة الغربية بأن « تسليم وتسلم » بين الاردن واسرائيل ، لاجهاض امكانية اي حضور سياسي فلسطيني مستقل ومتميز في الضفة الغربية. وينسجم هذا التصور مرة اخرى ، مع الطرح الاردني الذي جرى شرحه كثيرا من المسؤولين الاردنيين ، والقائل ان موضوع الانسحاب الاسرائيلي هو الاهم، وان مسألة التمثيل السياسي للفلسطينيين يجب أن يجري بحثها في مرحلة لاحقة، عن طريق اجراء استفتاء للفلسطينيين يقررون فيه نوعية الحكم الذي يريدون . فقد قال بهجت التلهوني في مقابلة صحفية له مع مجلة الديار اللبنانية ، بعد انتهاء المرحلة الاولى من اجتماعات مؤتمر جنيف : « لا اعتقد ان موضوع تمثيل الفلسطينيين في هذه المرحلة بالذات يستوجب كل هذه المناقشات . فالمسألة ببساطة ان هناك ارضا شرد شعبها عنها وان البحث في كيف تدار شؤون هذا الشعب بعد ان يعود الى وطنه امر يستلزم بصورة اولية وبديهية ان تعود هذه الارض اولا الى شعبها ومن ثم يصار الى تقرير نوع الحكم الملائم . واكد ان تحرير الارض يجب أن يسبق موضوع البحث في الحكم » (الدستور ١٩٧٣/١٢/٢٥) .

وتأخذ خطورة الدعوة الاردنية « لفك ارتباط » القوات الاردنية ــ الاسرائيلية على الجبهة الشرقية ، من عدم اعتراض اي طرف مشارك في مؤتمر جنيف لهذه الدعوة ، ومن ترحيب ييجال آلون نائب رئيسة الحكومة الاسرائيلية بهذه الفكرة . واذا كان لنا أن نتصور ان عدم اعتراض ، بل وترحيب ، كل من الوفدين الاسرائيلي والاميركي لدى مؤتمر جنيف بهذه الفكرة ، نابع بالاساس من اعتراض الحكومتين الاسرائيلية والاميركية على اية امكانية لان تجري التسوية بما لا يخدم المصالح السياسية للنظام الاردني ، فان لنا ان نتصور ان الوفد المصري لم يكن له ان يعترض منطقيا على فكرة الدعوة « لفك ارتباط » القوات الاردنية ــ الاسرائيلية، وهو الذي يطالب بفك القوات المصرية الاسرائيلية على جبهة قناة السويس . اما الوفد الاخر من وفود مؤتمر جنيف فهو الوفد السوفياتي، الذي لا يمكن ان يكون داعيا لفك القوات على جبهة واحدة وضد فكها على جبهة اخرى ، انسجاما ، ليس مع العرف الدبلوماسي فحسب ، وانما مع دعوته القائمة منذ اكثر من ست سنوات، والمطالبة بانسحاب القوات الاسرائيلية من كافة الاراضي العربية المحتلة .

ع٠ ع٠

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

في ١٩٧٣/١٢/٢١ افتتح الامين العام لهيئة الامم مؤتمر جنيف للسلام بحضور وفود كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ومصر والاردن واسرائيل . القى فالدهايم الخطاب التقديمي الذي شدد فيه على (١) ضرورة تحقيق التقدم حول فك التحام القوات المتحاربة على جبهة السويس ، (٢) ضرورة اغتنام هذه الفرصة لحل مشكلة النزاع في الشرق الاوسط لان العالم يواجه وضعا خطيرا ومتفجرا في هذه المنطقة ، (٣) ان وقف اطلاق النار وترتيبات المحافظة عليه التي اتخذتها هيئة الامم هشة وهناك احتمال كبير بتجدد القتال ما لم يحقق المؤتمر تقدما ملموسا ، (٤) ان اساس هذا المؤتمر هو قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ الداعي الى وقف اطلاق النار في الحرب الاخيرة والى اجراء مفاوضات بين الاطراف المتنازعة لاقامة سلام عادل ودائم في المنطقة على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

وكان غروميكو اول الخطباء من رؤساء الوفود وكان أهم ما جاء في خطابه الواضح والمركز ما يلي : (١) أهمية تحقيق السلام في الشرق الاوسط بالنسبة لمصير العالم أجمع ومستقبله ، (٢) أن يؤدي المؤتمر الى التزام واضح من قبل اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، (٣) أن تضمن التسوية حق جميع شعوب المنطقة العيش بأمن وسلام بما في ذلك اسرائيل بالاضافة الى « تحقيق العدالة بالنسبة للشعب الفلسطيني » ، (٤) يجب ان تحمل الوثائق التي تصدر عن المؤتمر قوة القانون الدولي ، (٥) اشار الى امكانية شمول تسوية النزاع اقامة مناطق مجردة من السلاح واستخدام القوات الدولية . وأكد عزم بلاده على المساهمة في مثل هذه الخطوات شرط ان تكون مقبولة لجميع الاطراف المعنية ، (٦) شدد على أن الاتحاد السوفياتي مصمم على أن يعمل كل ما في وسعه لضمان سير المؤتمر على أسس بناءة لتحقيق السلام الدائم في الشرق الاوسط .

جاء خطاب كيسنجر تعبيرا ممتازا عن «الغموض» المتعمد الذي يلف الموقف الامريكي العلني والرسمي من النزاع في المنطقة وهو غموض يعكس بدوره النتائج الموضوعية غير الحاسمة التي توصلت اليها الحرب العربية الاسرائيلية الاخيرة . وركز رئيس الوفد الامريكي في خطابه على النقاط التالية: (١) ان المشاورات التي أجراها مؤخرا مع حكومات دول الشرق الأوسط أقنعته بأن المهمة الاولى للمؤتمر يجب ان تكون تحقيق اتفاق حول فك التحام القوات العسكرية . مع الاشارة الى ان هذا الترتيب يجب ان يشمل سوريا والاردن في المستقبل ، (٢) ان اتفاق السلام يجب ان ينص على انسحاب إسرائيلي (بدون تحديد مدى هذا الانسحاب) من الاراضي العربية المحتلة ، وعلى حدود معترف بها وترتيبات أمنية مثل اقامة مناطق مجردة من السلاح وضمانات دولية للحدود ، وعلى تسوية المصالح المشروعة للفلسطينيين والاعتراف بأن القدس تحوي اماكن مقدسة للديانات الثلاث الكبرى .

وربما كان المقطع التالي من خطاب كيسنجر أفضل دليل على « الغموض » المتعمد الذي يلف الموقف الامريكي : « يتطلب السلام منا ربط ضرورات الانسحاب بحاجات الامن، وربط ضرورات ضمانات الحدود بسيادة الاطراف المعنية ، وربط آمال المشردين بالحقائق القائمة الآن » . أما كيف سيتم هذا الربط عمليا وماذا سيعني على صعيد التنفيذ العملي (وخاصة على صعيد انسحاب اسرائيل الكامل وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره) فهذا ما لم يوضحه كيسنجر على الاطلاق. (٣) يجب ان يكون الهدف الاخير للمؤتمر تنفيذ كل أجزاء قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، (٤) ان الولايات المتحدة تنوي تسهيل قيام مفاوضات واقعية بين الدول العربية المعنية واسرائيل وتقديم اقتراحات الى الجانبين اذا كان ذلك سيحقق تقدم المفاوضات باتجاه النجاح .

وشدد رئيس الوفد المصري في خطابه على ان مصر جاءت الى المؤتمر بهدف خلق سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط وان البلدان العربية ما زالت مستعدة للجوء الى وسائل اخرى لتحرير أراضيها واستعادة الحقوق المشروعة للفلسطينيين ان لم يحرز المؤتمر نجاحا بهذا الاتجاه . ثم حدد الخطيب المبادىء الضرورية للسلام على النحو التالي :

١ — انسحاب القوات الاسرائيلية الكامل من

الاراضي التي احتلت منذ ١٩٦٧ .

٢ ــ تحرير مدينة القدس العربية وعدم القبول بأي وضع قد يسيء الى السيادة العربية الكاملة على المدينة المقدسة .

٣ ــ ممارسة الفلسطينيين حق تقرير المصير والعيش بسلام وكرامة .

٤ ــ حق كل دولة في المنطقة في حدود غير قابلة للانتهاك وفي الاستقلال السياسي .

٥ ــ ضرورة وجود ضمانات دولية من الدول الكبرى او الامم المتحدة او الجبهتين معا كضمان آخر للسلام والامن في المنطقة .

ومما لفت الانتباه ان خطاب الوفد المصري لم يشر بشيء الى موضوع انسحاب القوات الاسرائيلية الى خطوط ٢٢ تشرين الاول ١٩٧٣ وهو الموضوع الذي دارت حوله مفاوضات الكيلومتر ١٠١ على طريق القاهرة السويس بين العسكريين المصريين والعسكريين الاسرائيليين . وقد ترددت انباء صحفية تفيد ان تجنب مصر الدخول في هذا الموضوع جاء نتيجة طلب كيسنجر من الرئيس السادات عدم الخوض في مسألة انسحاب اسرائيل الى خطوط ٢٢ تشرين الاول وتطبيق قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ ، والتركيز بدلا من ذلك على تحقيق تسوية مصرية ــ اسرائيلية تستند الى القرار ٢٤٢ وتنهي النزاع بين البلدين بصورة جذرية مما سيكون له تأثير ايجابي كبير في تشجيع بقية الفرقاء العرب على الاقتداء بمصر والقيام بمحاولات مشابهة لتسوية نزاعهم مع اسرائيل .

اما رئيس الوفد الاردني فقد شدد في خطابه على رفض فكرة التسويات الجزئية للنزاع باعتبار ان قضايا مثل « الانسحاب ورسم الحدود وحقوق الفلسطينيين واللاجئين والواجبات المترتبة على حالة السلام ووضع القدس » ، كلها قضايا مشتركة والمسؤولية العربية فيها جماعية . ثم أورد النقاط التالية باعتبارها الموضوعات الرئيسية التي على المؤتمر ان يبت فيها :

١ ــ انسحاب اسرائيل الكامل من الاراضي التي احتلت بعد حزيران ١٩٦٧ . ويجب اعداد برنامج وجدول زمني لهذا الانسحاب والموافقة عليهما .

٢ ــ يجب الاعتراف بالحدود الدولية لدول المنطقة واحترامها بالاضافة الى وحدة اراضي هذه الدول وسيادتها واستقلالها .

٣ ــ يجب في الحالات التي لا توجد فيها حدود دولية بين دولة عربية واسرائيل اقامة مثل هذه الحدود بالاتفاق ووفق مبدأ عدم القبول بالاستيلاء على الاراضي بالقوة .

٤ ــ يجب التعهد بحق كل دولة في المنطقة بالعيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها دون تهديد او قوة وضمان هذا الحق .

٥ــ يجب تحقيق الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني وفق قرارات الامم المتحدة ، كما ان على اللاجئين الفلسطينيين ان يمارسوا حقهم في العودة او التعويض عليهم وفق القانون والعدل .

٦ ــ ان القدس العربية جزء لا يتجزأ من الاراضي العربية المحتلة. ولذلك يجب على اسرائيل ان تتخلى عن سلطتها عليها. ويجب اعادة السلطة العربية على القطاع العربي من المدينة . ويجب المحافظة على الاماكن المقدسة لكل الديانات السماوية الثلاث وحمايتها واحترامها بالاضافة الى ضمان الوصول دون عائق من جانب اتباع هذه الديانات والمحافظة على ذلك .

وكان آخر الخطباء أبا ايبان الذي ألقى كلمة كانت آية في التصلب والاستفزاز مما اضطر كلا من غروميكو ورئيس الوفد المصري الى الرد عليه مباشرة قبل رفع الجلسة ، وكان تعليق الوزير السوفياتي الموجه الى ايبان هو ان الخطاب الاسرائيلي لم يترك ، منذ البداية ، أية فرصة لمزيد من البحث . وتساءل الوزير المصري بسخرية اذا كان ايبان يتوقع من الدول العربية ترك اسرائيل تضم الاراضي المحتلة بحجة الامن خاصة وان كلمة انسحاب لم ترد في الخطاب الاسرائيلي. وكان أهم ما جاء في خطاب ايبان :

(١) قوله ان هدف المؤتمر هو عقد مفاوضات سلام بين اسرائيل وجيرانها مع التنديد بحرب تشرين الاول معتبرا اياها حربا موجهة ضد اسرائيل نفسها .

(٢) ان مهمة المؤتمر في تحقيق السلام لن تكون سهلة وأنها لن تكون سريعة بالتأكيد لان في ذلك نقضا للتيار التاريخي العنيف الذي يسيطر على العلاقات العربية الاسرائيلية .

(٣) التنديد بقوة بسوريا وقوله بأن هذا البلد « غير مؤهل بعد للاشتراك في مؤتمر السلام » .

(٤) تحديه لحق منظمة التحرير في حضور المؤتمر في مراحله اللاحقة باعتبار المنظمة هي « القوة الدافعة وراء موجة اعمال العنف التي نقلت الصراع في الشرق الاوسط الى العالم كله » على حد قوله .

على الرغم من التباين الواضح في وجهات النظر العلنية الواردة في كلمات الوفود في جنيف فقد توصل المؤتمر في جلسة سرية لاحقة الى اتفاق على عقد مفاوضات عسكرية فورية بين مصر واسرائيل هدفها التوصل الى اتفاق حول فك التحام قوات الطرفين على جبهة السويس . كما تم الاتفاق على تشكيل لجان عمل أخرى للبحث في قضايا أخرى متنوعة تتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي . ولم تحدد البيانات العلنية طبيعة هذه اللجان او ماهية المواضيع التي ستبحث فيها . وقد تم اعلان ذلك في بيان أصدره الامين العام لهيئة الامم في ١٢/٢٢/ ١٩٧٣ حيث ذكر « أن لجان العمل سترفع توصياتها الى المؤتمر الذي سيستمر انعقاده على مستوى السفراء » .

وذكر ناطق اسرائيلي ان المواضيع التي ستعالجها لجان العمل غير العسكرية تشمل « مسائل مثل التجارة والتعاون الاقتصادي والدبلوماسي الثنائي والزراعة والملاحة » . وقد وصف ناطقون رسميون مصريون واسرائيليون في مؤتمرين صحافيين منفصلين في جنيف الجلسة السرية لمؤتمر السلام بأنها كانت جلسة عمل خالية من المهاترات وبأنها تشكل بداية طيبة للمرحلة القادمة من المفاوضات بين الطرفين المعنيين . وصرح كيسنجر قبل مغادرته جنيف ان المرحلة الاولى من مؤتمر السلام قد حققت الى حد بعيد الهدف المرجو منها لانها نجحت في تسوية المسائل الاجرائية والتنظيمية . كما عبر الوزير الامريكي عن انتعاش آماله ، نتيجة لذلك ، في تحقيق السلام في المنطقة ومن افتخاره واعتزازه بجمع الفريقين العربي والاسرائيلي في مؤتمر واحد لاول مرة . كذلك عقد اسماعيل فهمي مؤتمرا صحفيا قبل مغادرته جنيف (١٩٧٣/١٢/٢٣) كان أهم ما فيه تأكيده بأن « الفلسطينيين سيحضرون المؤتمر وسيحصلون على حقوقهم الوطنية » . كما أكد الشيء نفسه لممثل منظمة التحرير الذي ادلى بتصريح في ١٩٧٣/١٢/٢٦ قال فيه ان فهمي أوضح له كل ما جرى في مؤتمر جنيف منذ افتتاحه وكل نتائج الاتصالات التي قام بها الوفد المصري مؤكدا له « أهمية الحضور الفلسطيني في مرحلة مقبلة من المؤتمر » . وينسجم هذا التصريح لممثل منظمة التحرير مع الانباء الصحفية ــ الموثوقة التي أفادت ان الوزير المصري شدد على اهمية وجود طرف فلسطيني في مؤتمر السلام يستطيع ان يمثل كامل الشعب الفلسطيني في كل مكان وان الصيغة المقبولة لذلك على الصعيد العالمي هي تأليف حكومة فلسطينية .

اما بالنسبة للجنة العسكرية المصرية ــ الاسرائيلية في جنيف فقد استمرت في عقد اجتماعاتها للاتفاق على فك التحام القوات في جبهة السويس. ويمكننا تلخيص أهم التطورات التي أحاطت بهذه الاجتماعات على النحو التالي :

(١) اعلان الجنرال سيلاسفيو ، قائد قوات الطوارىء الدولية ، الذي يرئس المحادثات في ١٩٧٤/١/٢ « ان الطرفين توصلا الى مرحلة مهمة في المفاوضات » وصدور انباء في الصحافة المصرية تفيد ان الاتفاق على فك التحام القوات على جبهة السويس سيتم قريبا على اساس انسحاب اسرائيلي لمسافة تبعد ٣٠ كيلومترا عن القناة داخل سيناء (راجع « الاهرام » ٣١ كانون الثاني ١٩٧٣) . (٢) قيام دايان بزيارة واشنطن في بداية العام الجديد حيث قابل كيسنجر ووزير الدفاع الامريكي . واعلن ناطق باسم البيت الابيض ان مباحثات دايان ــ كيسنجر ستتناول مؤتمر جنيف وقضية فك التحام القوات الاسرائيلية المصرية . وعلى اثر انتهاء زيارته صرح وزير الدفاع الاسرائيلي بأن بلاده « اصبحت الان في وضع تستطيع معه تقديم اقتراحات ملموسة حول فك التحام القوات على جبهة السويس » ، وان الحكومة الاسرائيلية ستعد اقتراحات ملموسة ، حال وصوله الى تل ابيب ، بهدف عرضها على المفاوضين العرب في جنيف . وعلق كيسنجر على المحادثات بقوله انها « كانت مفيدة وبناءة » ونفى ان تكون هناك اية مواجهة بين واشنطن وتل ابيب قائلا بأن العكس هو الصحيح « لانه لا يوجد اي فارق يذكر بين الموقفين » .

وترددت انباء صحفية تفيد ان مصادر اسرائيلية

مطلعة ذكرت ان دايان حمل معه الى واشنطن خطة لانسحاب القوات الاسرائيلية من ضفتي القناة الى مسافة ٣٠ كيلومترا داخل سيناء مما سيفسح المجال أمام مصر لاعادة فتح قنـاة السويس . وستفصل قوات دوليـة بين الجيوش المتحاربـة (وفقا لما تردد حول خطة دايان) وتخفف مصر من كثافة وجودها العسكري على الضفة الشرقية من القنال بالاضافة الى السماح للسفن الاسرائيلية بالمرور فيها. (٣) قيام كيسنجر بزيارة مصر واسرائيل في منتصف كانون الثاني من أجل « مساعدة الفريقين على تطوير المفاوضات الخاصة بفصل قواتهما وفك الارتباط بينها » على حد تعبير البيان الذي صدر عن البيت الابيض عشية سفر كيسنجر الى المنطقة . وصرح كيسنجر لدى وصولـه الى مصر بأنـه « سيقوم بنشاط كبير باتجاه اتخاذ خطوة كبيرة نحو السلام في الشرق الاوسـط » . واستقبل الرئيس السادات الوزير الامريكي في اسوان قائلا « اننا نرحب بكيسنجر كصديق » . وذكرت مصادر دبلوماسية امريكية ان كيسنجر سيعرض علـى الرئيس السادات الصيغة التي ناقشها مع دايان اثناء زيارة الاخير لواشنطن حول فك التحـام القوات على جبهة السويس ، كما ذكرت مصادر مصرية مطلعة ان المحادثات مع الرئيس السادات تناولت القضايا التالية :

(١) تحديد المسافة التي ستفصل بين القوات المسلحة المصرية والاسرائيلية .

(٢) كيفية ربط اتفاقية فك التحام القـوات بالتسوية الشاملة للنزاع العربي الاسرائيلي .

(٣) حجم المنطقة المجردة من السلاح والتي ستستقر فيها قوات الطوارىء الدولية لفترة ما .

(٤) نوع الاسلحة التـي سيسمح للقوات المسلحة التزود بها وكميتها .

وترددت انباء صحفية شبه مؤكدة اثناء زيارة كيسنجر ان الاتفاق بين مصر واسرائيل على فك التحام قواتهما قد تم انجازه وان تفاصيله ستعلن في نهاية جولـة الوزير الامريكي . وعلى اثـر اجتماعاته بالرئيس السادات غادر كيسنجر اسوان الى اسرائيل لمقابلة كبار المسؤولين هناك على ان يعود الى اسوان مرة اخرى لانهاء مهمته . ويبدو ان محادثات كيسنجر في اسرائيل كانت ناجحة اذ أعلنت الحكومة الاسرائيلية في بيان رسمي انهـا خولت الوزير الامريكي صلاحية تقديم اقتراح الى مصر بصدد فك التحام القوات في جبهة السويس، وأنها طلبت منه ان يعرب عن استعداد اسرائيل للتفاوض بشأن فك التحام قواتها مع قوات سوريا شريطة ان تقدم الحكومة السورية لائحة بأسماء أسرى الحرب الاسرائيليـين والسماح لمندوبـي الصليب الاحمر الدولي بزيارتهم . وحتى كتابة هذه السطور كان كيسنجر ما زال في طريق عودته الى اسوان لعرض نتائج مباحثاته في اسرائيل علـى الرئيس السادات .

● سجلت جبهة النفط تراجعا في مواقفها على الرغم من ان محادثات جنيف لم تسفر عن ايـة نتائج ايجابية ملموسة باتجـاه التزام اسرائيل بالانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة . ففي ٢٦ كانون الاول أعلن وزراء النفط العرب على اثر اجتماع لهم ليس فقط التوقف عـن الخفض الشهري الذي كانت قد التزمت به دولهم سابقا (بنسبة لا تقل عن ٥ ٪) الى ان تتعهد اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة وتضمـن الولايات المتحدة هذا التعهد علنا ، بل المباشرة بزيادة الانتاج بنسبة ١٠ ٪ مع ابقاء الحظر على شحن البترول الى امريكا وهولندة قائما. وبررت الدول العربية المعنية هذا الاجـراء بقولها على لسان وزير النفط السعودي — احمد زكي اليمانـي — بأن تغييرا قد حدث بالفعل في نظرة الولايات المتحدة الامريكية الى النزاع العربي — الاسرائيلي وان هذا التغير قد شمـل الرأي العام وأوسـاط الكونغرس الامريكي .

وبطبيعة الحال رحبت كـل الدول الامبريالية بالاجراء وعلى رأسها الولايات المتحدة حيث وصف الرئيس نيكسون القـرار النفطي العربي بأنه « خطوة في الاتجاه الصحيح » .

الا ان هذه الخطوة العربية البترولية لم تمنع كبار المسؤولين الامريكيين من العودة الى التهديد المفتوح والنصح باستخدام القوة للسـيطرة على مصادر النفط وتأمين استمرار تدفقه الـى الدول الصناعية الغربية . ففي ١٩٧٣/١/٦ قال وزير الدفاع الامريكي في تصريح له « ان الدول العربية ستواجه خطر استخدام القوة ضدها اذا هـي استخدمت حظر النفط لشل العالم الصناعي » كما أعلن نائب الرئيس نيكسون في ١٩٧٣/١/٨ ان بلاده

قد تقدم على وقف شحن المنتوجات الغذائية الى الدول العربية اذا استمر حظر النفط على امريكا طويلا . وقد اضطرت هذه التصريحات الاستفزازية حكومة الكويت الى الاعلان بأنها لغمت حقول النفط تمهيدا لنسفها في حال قيام الولايات المتحدة او اية قوة أخرى بالتدخل في المنطقة . وجدير بالذكر ان السعودية كانت قد اصدرت اعلانا مشابها قبل فترة قصيرة على اثر تهديدات امريكية مماثلة صدرت قبل حين .

أخيرا لا بد من الاشارة الى تطورين دوليين جزئيين لهما صلة بموضوعنا : (١) وقع الرئيس نيكسون القانون الذي يعطي اسرائيل مساعدات امريكية طارئة قيمتها ٢ر٢ مليار دولار فأخذ بذلك صفة الابرام . (٢) قابل البابا في ١٩٧٣/١٢/٢٢ أربعة من الزعماء الافريقيين بينهم هيلاسيلاسي والرئيس جعفر النميري وذكر البيان الذي صدر على اثر المقابلة ان المحادثات شملت قضية التسوية العادلة لازمة الشرق الاوسط مع أخذ الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني بعين الاعتبار ، وان مدينة القدس يجب الا تظل تحت سيطرة دياتة واحدة كما يجب تسوية وضعها على اساس القرارات الصادرة عن هيئة الامم بهذا الشأن .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

في ضوء المساعي الراهنة لاحداث تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي ، يتقرر فيما ، اذا ما نجحت ، مصير المناطق المحتلة ، لا بد من الوقوف قليلا عند أبعاد هذه التسوية ، وهل يمكن لها ان تتم وهل يمكن لها ان تدوم ؟ فيما يتعلق بالشطر الاول من السؤال يمكن القول ان احتمالات قيامها كبيرة بفضل عوامل محلية ودولية ، اما فيما يتعلق بالشطر الثاني من السؤال فان دوامها يعتبر ضربا من المحال ، ولا يمكن لها ان تعمر طويلا ، ذلك ان هذه التسوية بالذات تعتبر حلا وسطا ليس بين حركتين يمكن التعايش بينهما ، كما حصل في كثير من النزاعات ، بل بين حركتين متناقضتين تماما ، الحركة الاولى استطاعت ان تأخذ جزءا من الارض العربية ، والثانية تريد استرداد هذا الجزء ، الاولى شردت اصحاب الارض الشرعيين وغرست ولا زالت تغرس مستوطنين فيها ، والثانية تريد اعادة اصحاب الارض اليها ، الاولى تسعى الى التوسع لابتلاع اراض جديدة معتبرة هذا التوسع بمثابة « استعادة لارض اسرائيل الكبرى » والثانية تعمل جهدها لوقف التوسع ، الاولى مرتبطة ارتباطا مصيريا مع الاستعمار ، والثانية مرتبطة ارتباطا مصيريا مع حركات التحرر العالمية المناهضة للاستعمار ، الاولى حركة عنصرية امبريالية تأخر ظهورها لسوء حظها بفترة تقدر بنصف قرن عن ظهور الحركات الاستعمارية الاستيطانية في العالم ، والاخرى مناوئة للعنصرية وتسعى كما سعت حركات اخرى وتخلصت من الاستعمار الاستيطاني . ان واقع وجود هاتين الحركتين في منطقة واحدة يعني استمرار الصراع بينهما ، ولا يمكن له ان ينتهي الا في حالة واحدة عندما يلفظ الوجود احداهما ، بيد ان ذلك لا يعني عدم امكانية حدوث « تسوية » فكثيرا من الصراعات وحتى الصراع العربي الاسرائيلي وهو من اكثر الصراعات حدة ، قد شهدت فترات هدوء او سكون او هدنة ، أعقبتها فترات عصفت بحالات الهدوء والسكون والهدنة . ان التسوية التي تفرض على المنطقة ستكبح جماح الحركتين المتنازعتين الى حين ، لتدخل المنطقة في مرحلة جديدة وسياق تاريخي جديد يتسم بتجربة فريدة من نوعها في تاريخ الحملات الاستيطانية تتمثل في كيفية التعايش ولو لفترة بين مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، وبين اصحاب الارض الشرعيين . واذا حدث وان وضع حد للقضية الفلسطينية من خلال التسوية المقبلة ، بهذا الشكل او ذاك ، لهذا السبب او لسبب آخر ، فان ذلك سينعكس

بالضرورة سلبا على حركة التحرر العربي خلال السياق التاريخي الذي يمكن للتسوية ان تطبعه بطابعها . ذلك ان القضية الفلسطينية كانت ولا تزال تشكل اداة تفجير في المنطقة العربية لصالح حركة التحرر العربي . خلال عملية تخدير الصراع والتي يمكن لها ان تستمر في احسن الافتراضيات عشرين عاما ، ستبذل الحركة الصهيونية كافة جهودها وطاقاتها لتسخير الفترة لصالحها . ومن بين أهم الامور التي ستعمل على تحقيقها وأخطرها مضاعفة عدد سكان اسرائيل خلال العشرين سنة القادمة الى ثلاثة اضعاف العدد الحالي اي ٩ ملايين نسمة بواسطة الهجرات اليهودية . ويعتقد اريه اليآف احد منظري حزب العمل الحاكم ويرئس مجموعة ما يسمى « بالمعتدلين » في الحزب ، انه بامكان اسرائيل استيعاب هذه الملايين التسع في حالة « التوسع العمودي » دون التوسع في الاراضي العربية ، الا ان هذا التوسع العمودي اذا ما تم سيذكي رغبة اسرائيل في التوسع الافقي، وسيلقي بظلاله الثقيلة على المناطق العربية المتاخمة ، حينئذ سينتهي مفعول ابرة التخدير « التسوية » وتشهد المنطقة صراعا رهيبا بين الحركتين من جديد .

نعود الان للحديث عن مواقف الاطراف (مستثنين مواقف مصر وسوريا والمقاومة الفلسطينية باعتبار ان تغطيتها قد جرت في مكان آخر في شؤون فلسطينية) ذات الصلة بالموضوع . هنالك ثلاثة اطراف ذات علاقة قوية بمصير المناطق المحتلة تمثل الصراع في المنطقة على حقيقته . الطرف الاسرائيلي الذي يريد الابقاء على المناطق المحتلة او جزء منها تحت سيطرته ويتخوف من ان ترغمه التسوية على الانسحاب منها ، والطرف الاردني الرجعي الذي يريد ان يعيد سيطرته على الضفة الغربية وقطاع غزة مع الاستعداد للتنازل لاسرائيل عن مناطق معينة ، ويتخوف من ان تبعده التسوية نهائيا عن الضفة الغربية وربما حتى عن الضفة الشرقية (انظر القضية الفلسطينية عربيا) ، والطرف الاخر هم سكان المناطق المحتلة المؤمنون بالثورة الفلسطينية ويسعون الى الخلاص من الاحتلال ويتخوفون من ان تؤدي التسوية الى وضع حد لحلمهم الكبير في تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني .

الموقف الاسرائيلي تجاه مصير المناطق المحتلة:

ليس من السهل تحديد الموقف الاسرائيلي النهائي تجاه مصير المناطق المحتلة لاسباب عدة من أهمها :

١ ـ ان هذا الموقف سيكون بمثابة محصلة للمواقف المختلفة والمتباينة لمواقف حزب العمل ، وكذلك لمواقف التجمع العمالي ، ولمواقف حكومة الائتلاف .

٢ ـ ان حكومة الائتلاف لم تشكل حتى الان ، وسيكون لتشكيلها أثر كبير في بلورة الموقف الاسرائيلي الرسمي .

٣ ـ ان الموقف الاسرائيلي سيكون بمثابة عملية مخاض كبيرة يتحكم فيه تباين المواقف الداخلية والضغوطات الدولية والرأي العام الاسرائيلي . وبالرغم من صعوبة تحديد الموقف الاسرائيلي الا انه يمكن للمرء ان يقترب منه ويزيل بعض الضباب الذي يحيط به اذا ما وقف على مجمل مواقف التيارات المختلفة الفاعلة في تسيير دفة الامور في اسرائيل ، ولذا فسنبدأ باستشفاف موقف حزب العمل من خلال وثيقة برنامجه الانتخابي التي أقرت باغلبية الاصوات . تقول الوثيقة : « تسعى اسرائيل لاتفاق سلام يضمن ... حدودا يمكن الدفاع عنها وتؤمن لاسرائيل امكان الدفاع عن نفسها بفعالية ضد هجوم عسكري او مكيدة حصار، وترتكز على حل اقليمي وسط ، وستحل حدود السلام محل خطوط وقف اطلاق النار ، **ولن ترجع اسرائيل الى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧** التي كانت بمثابة اغراء بالعدوان » .

اما فيما يتعلق بمسألة اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة فقد ذكرت الوثيقة : « يقوم اتفاق السلام مع الاردن على أساس وجود دولتين مستقلتين : اسرائيل وعاصمتها القدس الموحدة ، ودولة عربية الى الشرق منها . في الدولة الاردنية الفلسطينية المجاورة ، يمكن للهوية الذاتية للعرب الفلسطينيين والاردنيين ان تعبر عن نفسها من خلال سلام وعلاقات جوار جيدة باسرائيل ، وترفض اسرائيل قيام دولة عربية فلسطينية منفردة اضافية غربي نهر الاردن » .

اذن يمكن القول ان حزب العمل يتمسك بعدم العودة الى حدود الرابع من يونيو ، وابقى مسألة الحدود الجديدة قابلة للنقاش لاختلاف وجهات النظر داخل الحزب ، فهناك فئة التوسعيين التي تعتقد أن الحدود الجديدة ينبغي ان تضم أراض

عربية واسعة ويقف على رأسها غولدا مئير وبيرائيل جليلي وموشيه ديان ، وفئة ما يسمى بالمعتدلين التي تدعو الى الانسحاب الاسرائيلي من معظم المناطق مقابل السلام ، وضم جزء بسيط منها ، ويقف على رأسها كل من بنحاس سبير ويتسحاق بن اهارون واريه اليعاف ، كما وان الحزب توصل في هذه الوثيقة الى حل وسط فيما يتعلق بالهوية الفلسطينية، فمن المعروف ان الجناح الاول كان في السابق لا يعترف بهذه الهوية باعتبار ان الشعب الفلسطيني كما تقول غولدا مئير « غير موجود ». اما الفئة الثانية وخاصة اريه اليعاف ، فقد كان قد اعترف في كتابه « ارض الغزال » بوجود شعب فلسطيني ودعا الى اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة والضفة الشرقية لنهر الاردن باعتبار أن شرقي الاردن تعتبر الجزء الشرقي « لارض اسرائيل » أي «فلسطين» . وفيما يتعلق بقضية تمثيل الشعب الفلسطيني اجمع المسؤولون الاسرائيليون على ان النظام الاردني هو الذي ينبغي ان يمثل الفلسطينيين في مؤتمر السلام بالاضافة الى عناصر من وجهاء المناطق المحتلة ، وعارض هؤلاء المسؤولون بشدة حق منظمات المقاومة الفلسطينية في تمثيل الشعب الفلسطيني ، فقد ذكرت غولدا مئير انها غير مستعدة ان تجلس على مائدة المفاوضات مع « القتلة » وأعرب ديان عن رأيه بنفس الاسلوب ، كما ان وزير الخارجية ابا ايبن الذي يحاول ان يضفي مسحة من التساهل على المواقف الاسرائيلية ، ذكر هو الاخر عند مطلع شهر ديسمبر الماضي في مقابلة صحيفة « ان اسرائيل لن توافق على اشتراك ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في المؤتمر » ، وأوضح « ان عقيدة ياسر عرفات تعارض بقاء دولة اسرائيل من جذورها » وشبه دعوته للمؤتمر بـ « دعوة البابا الى الاشتراك في مؤتمر هدفه تصفية المسيحية » . وحول نفس الموضوع اوضح وزير الشرطة شلومو هليل ردا على سؤال وجه اليه حول امكانية موافقة اسرائيل على حضور وفد من المقاومة الى مؤتمر جنيف كممثل للشعب الفلسطيني ، بقوله القاطع : « لا يمكن بأي حال من الاحوال . اننا نجري مفاوضات فقط مع الدول المتاخمة لنا. حول الحدود في الجنوب نجري مفاوضات مع حكومة القاهرة ، وحول الحدود في الشمال نجري مفاوضات مع حكومة دمشق ، وحول الحدود في الشرق نجري مفاوضات مع حكومة عمان ... » . اما عن رفض اسرائيل اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة فقد أوضح شلومو هليل هذا الرفض بقوله « لان دولة فلسطينية كهذه لن تكون قادرة على حل اية واحدة من القضايا الفلسطينية ، وأكثر ما يمكن لها ان تعمله حل مشاكل الفلسطينيين الذين يعيشون الان في الضفة الغربية وقطاع غزة. ولكن ضمن هذه الحدود لا يمكن لدولة كهذه ان تستوعب بداخلها الفلسطينيين الذين يعيشون على الطرف الثاني للاردن وفي الدول العربية الاخرى ، وبما ان الامر كذلك فان الخطورة من وجهة نظرنا هي انه اذا ما أرادت دولة فلسطينية كهذه الاستجابة الى القضايا الجوهرية ، وتجمع تحت كنفها معظم الفلسطينيين ، فانها ستجد نفسها مضطرة الى التوسع نحو اسرائيل كما تريد منظمات الارهاب » (معاريف ٧٣/١٢/٧) .

اذن يمكن تلخيص موقف حزب العمل بالامور التالية : (١) عدم العودة الى حدود الرابع من يونيو (٢) معارضة قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة (٣) حكومة الاردن هي التي تمثل الشعب الفلسطيني ، وعدم الاعتراف بمنظمات المقاومة الفلسطينية كممثلة للشعب الفلسطيني .

ننتقل الان الى موقف حزب مبام الذي يشكل مع حزب العمل « التجمع العمالي » . يتقارب موقف هذا الحزب مع موقف فئة « المعتدلين » في حزب العمل ، فقد جاء في توصيات المكتب السياسي لحزب مبام كما نشرته صحيفة المرصاد (٧٣/١٢/٦): « ... يجب تجريد المناطق التي سينسحب منها جيش الدفاع الاسرائيلي من السلاح بحيث يكون ذلك مصحوبا بضمانات دولية ملموسة لصالح الطرفين . على اسرائيل ان تقف موقفا ايجابيا من التوصل الى حل سياسي للقضية وذلك عن طريق اقامة دولتين مستقلتين اسرائيل من ناحية ودولة عربية من ناحية اخرى ، وفي نطاق هذه الدولة العربية المستقلة يمارس الشعب العربي الفلسطيني حقه في تقرير مصيره . والى جانب ذلك على اسرائيل ان تقف موقف التفهم والاحترام لكل قرار يتخذه الفلسطينيون والاردنيون بالنسبة لمصيرهم وسيادتهم واستقلالهم خارج حدود اسرائيل بتحفظ واحد وهو ان يقوم ذلك على حسن الجوار

مع دولة اسرائيل . على اسرائيل ان تشجع اشتراك ممثلين فلسطينيين طلاب سلام بحيث يمثلون سكان المناطق في نطاق محادثات السلام مع الاردن . ان مدينة القدس الموحدة هي عاصمة دولة اسرائيل » .

اما على صعيد الاحزاب التي تشكل حكومة الائتلاف ، فهناك بالاضافة الى التجمع العمالي حزب الاحرار المستقلين الذي يعتبر قريبا في مواقفه تجاه المناطق المحتلة من موقف حزب العمل ، حيث دعا في برنامجه الانتخابي بصيغة غامضة الى احلال سلام « يكون قائما على حدود يمكن الدفاع عنها وحل اقليمي وسط » وطالب بان تكون القدس الموحدة عاصمة لاسرائيل والى تجريد المناطق التي ستجلو عنها اسرائيل . اما فيما يتعلق بفكرة الدولة الفلسطينية او التمثيل الفلسطيني ، فان زعيم الحزب موشيه كول يعتقد بان « الوقت قد حان لكي نعي بان القضية الفلسطينية يجب ان تجد حلا لها في مفاوضات سلام بيننا وبين الاردن » (يديعوت احرونوت ٧٣/١٢/٢٦) .

هنالك نقاط مشتركة تجمع بين مواقف الاحزاب الانفة الذكر تجاه مصير المناطق المحتلة ، الا ان هنالك حزبا آخر ضمن الائتلاف الحكومي يتبنى موقفا يختلف بشكل كبير عن مواقف شركائه في الائتلاف ويكاد يكون مطابقا لموقف التكتل اليميني المعارض المعروف بالليكود، الا وهو الحزب الوطني المتدين « المفدال » الذي طالب ببرنامجه الانتخابي بـ « حقنا الديني التاريخي في ارض الميعاد ، تحقيق سلام دائم ، تأمين حدود آمنة ، ووفقا لذلك وانسجاما مع قرار مؤتمر الحزب ، يرفض الحزب الوطني المتدين كل مشروع ينطوي على اي تنازل عن جزء من ارض اسرائيل التاريخية ، ارض آبائنا » وهدد الحزب أية حكومة بانه « لن يكون شريكا في مسؤولية حكومية اذا وضعت حكومة اسرائيل مشروعا يلزم بالانسحاب من يهودا والسامرة » .

ومن الجدير بالذكر ان الحزب الاقوى في اسرائيل « مباي » سابقا و « العمل » حاليا كان طيلة الفترة السابقة ولا يزال يضطر من أجل تشكيل الحكومة الى الاعتماد على مجموعة احزاب وخاصة الحزب الوطني المتدين ، ولذا فانه كان يساير هذا الحزب في القضايا الدينية ، كما ان أي اختلاف بين الحزب الاقوى والمفدال من شأنه ان يعصف بحكومة الائتلاف . واذا كان الخلاف في السابق يتمحور حول بعض القضايا التي يمكن تطويقها والحيلولة دون تفاقمها ، فان الاختلاف الراهن بين الموقفين كبير وتجاه قضية حساسة كقضية مصير المناطق المحتلة . ومن أجل التجسير بين الموقفين للوصول الى حكومة ائتلافية لا بد لحزب العمل ان يصل الى نقطة ما بين موقفه وموقف حزب المفدال الذي يطالب حتى بعد انتهاء الانتخابات بعدم التنازل عن شبر واحد من « ارض اسرائيل » أي المناطق المحتلة . فقد ذكر وزير الداخلية حاييم بورج (من المفدال) ردا على أحد الاسئلة « انه يمكن ان يكون في حزب المفدال خلافات في وجهات النظر حول التكتيك ولكن ليس حول القيم ، لذا وبدون التنازل عن أي شيء ، اتخذت المبادىء التي يجب ان توجه اسرائيل في أية مفاوضات . بالنسبة لليهودي المؤمن هنالك بعد خاص لمفهوم ارض اسرائيل ومناطق ارض اسرائيل . لقد قرر مؤتمر الحزب قبل عام ونيف ان الحزب الوطني المتدين لا يمكنه ان يكون شريكا في مسؤولية حكومية في حال اتخاذ الحكومة مشروعا لتقسيم ارض اسرائيل ، ارض آبائنا » واضاف « سنناضل من أجل كل شبر من ارض اسرائيل ، وستقرر المؤسسات شكل النضال » .

من خلال الوقوف على مواقف الاحزاب الانفة الذكر التي يمكن ان تتشكل من خلالها حكومة ائتلافية يمكن لنا استشفاف الموقف الاسرائيلي تجاه مصير المناطق المحتلة ، الا ان عملية الاستشفاف هذه ينبغي ان تأخذ بعين الاعتبار امرين هامين يعملان على بلورة الموقف الاسرائيلي ، الرأي العام الاسرائيلي تجاه مصير المناطق المحتلة وفي المقابل الضغوطات الدولية والمعطيات الجديدة التي تحيط بالموقف الاسرائيلي . فبالنسبة للرأي العام الاسرائيلي يمكن القول ان حرب اوكتوبر والمعطيات الجديدة الناتجة عنها قد دفعت مجتمع المهاجرين والمستوطنين الى اعادة النظر في مسائل كثيرة مثل الغطرسة والروح الاستعلائية بيد انها لم تكن من الشدة بحيث تدفع هذا المجتمع الى اعادة الحساب في المسألة الجوهرية المتمثلة بالتوسع والضم . فقد أسفر مسح للرأي العام نشر في صحيفة يديعوت أحرونوت ٧٣/١٢/١٢ عن المعطيات

التالية : يعارض ٩٠٪ من الذين شملتهم عملية الاستفتاء اعادة جميع المناطق او حتى « مع تعديلات طفيفة على حدود ١٩٦٧ » . ومقابل سلام حقيقي أبدى قسم كبير استعدادا للتنازل عن قسم من المناطق وخاصة في سيناء ، اما بالنسبة لهضبة الجولان فقد أظهرت نتيجة الاستفتاء ان ٩٣٪ ليسوا على استعداد للتنازل عن شبر واحد من الهضبة ، و٩١٪ ليسوا على استعداد للتنازل عن شرم الشيخ ، و٦٦٪ ليسوا على استعداد للتنازل عن شبر واحد من قطاع غزة و٦٠٪ لا يؤيد اعادة مناطق في الضفة الغربية ، و٣٨٪ على استعداد للتنازل عن جزء صغير من سيناء . وقد أيد ٩٪ فقط استعدادهم للتنازل عن جميع المناطق المحتلة مقابل السلام . وكالعادة ، واسوة بنتائج الاستفتاءات السابقة تجاه هذا الموضوع ذيلت نتيجة الاستفتاء بالقول : « ان الذين يتمتعون بثقافة أعلى اعربوا عن استعدادهم للتنازل عن مناطق » !

كتلخيص لما سبق يمكن القول ان الموقف الاسرائيلي الرسمي عشية التسوية تجاه المناطق المحتلة رهن صراع المواقف في التجمع العمالي بين فئة التوسعيين وما يسمى بالمعتدلين من ناحية وصراع المواقف بين التجمع العمالي من جهة والحزب الوطني المتدين من جهة اخرى ، مع الاخذ بعين الاعتبار الضغوطات الدولية لتليين الموقف الاسرائيلي وضغوطات الرأي العام الاسرائيلي لتصليب هذا الموقف . ومع ذلك هنالك ثلاثة أمور واضحة في الموقف الاسرائيلي تتمثل في عدم العودة الى حدود الرابع من يونيو ، عدم التنازل عن القدس العربية باعتبارها عاصمة لاسرائيل ، عدم الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . وهكذا ندرك عدم امكانية تغير الموقف الاسرائيلي من خلال الضغوطات الدولية والتغير في موازين القوى دون اللجوء للكفاح المسلح .

موقف سكان المناطق المحتلة : ليس المقصود هنا التحدث حول موقف السكان العرب من الاحتلال ، فهذه مسألة مفروغ منها ، ولكن المقصود القاء الضوء على وجهات النظر تجاه مصير المناطق في حال فرض التسوية والانسحاب الاسرائيلي من تلك المناطق . هنالك تياران في المناطق المحتلة احدهما ضعيف ويدعو الى حق النظام الاردني في تمثيل الشعب الفلسطيني ، والاخر قوي ويشمل جماهير المناطق المحتلة ويعتبر المقاومة الفلسطينية الممثلة الشرعية للشعب الفلسطيني . يترأس التيار الاول شخصيات من الزعامة التقليدية ، من أعضاء البرلمان الاردني ، وعلى رأسهم صالح دامون من نابلس الذي نسبت اليه صحيفة معاريف قوله : « اننا نحن مواطني الضفة الغربية نريد الوحدة العربية ، والوحدة مع الاردن تعتبر خطوة لتعزيز تلك الوحدة . ان الضفة هي جزء من الاردن واننا نعمل وفق الدستور الاردني » واضاف : بما ان نصف اعضاء البرلمان والحكومة في الاردن هم فلسطينيون فانه من حق عمان ان تمثل الفلسطينيين . ويعمل السى جانب صالح دامون في الدعوة لحق تمثيل الاردن لسكان المناطق المحتلة زمرة من اعضاء البرلمان الاردني مثل حفظي ملحس من نابلس وسعيد يونس من قلقيلية وعبد القادر صالح من طولكرم . وعلى صعيد الزعامات المحلية التقليدية فقد فضلت هذه الزعامات الابتعاد عن الموضوع باستثناء شخصيتين ، محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل ، وحمدي كنعان الرئيس السابق لبلدية نابلس ، الاول يميل الى النظام الاردني ويحاول تخفيف هذا الميل امام سكان المناطق المحتلة . ففي مقالة له نشرتها صحيفة القدس ٧٣/١٢/٧ طالب الجعبري باجراء استفتاء عام تحت اشراف دولي لاختيار احد امرين : « دولة فلسطينية مستقلة او اتحاد فدرالي مع الاردن » . الا انه في نفس اليوم قال كلاما آخر في صحيفة حوتام الاسرائيلية حين قال : « يبدو لي ان الملك حسين هو الشخص المناسب لتمثيل الشعب الفلسطينيين . ينبغي علينا ان لا نكون ناكرين للجميل . لا تنس ان نصف سكان الاردن هم فلسطينيون وان قسما من اعضاء البرلمان ونصف اعضاء الحكومة الاردنية من الفلسطينيين ، واذا ما تم فصل او عزل فلسطين عن الاردن فان ذلك بمثابة كارثة ... ولذا ينبغي تمكين الملك الاردني من تمثيل الفلسطينيين في المناطق » .

اما حمدي كنعان فيعتقد عكس ذلك لاعتقاده ، كما ذكرت صحيفة هآرتس على لسانه ٧٣/١١/٢٨ « انه لا يحق للاردن تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر السلام ، لان اهداف منظمة التحرير الفلسطينية هي اهدافنا ولذا فهي القادرة على تمثيلنا » .

اما الهيئة الاسلامية ، فقد أصدرت بيانا عاما دعت فيه الى « التمسك والانسجام مع وحدة الموقف العربي دعما لما انجزته هذه الامة من « اعمال » . »

وفيما يتعلق بموقف الجماهير فقد دفع تصاعد النضال الوطني في المناطق المحتلة بأشكاله المختلفة ، الاسرائيليين الى الاعتراف بأن الاتجاه العام يؤيد المقاومة الفلسطينية ويرى فيها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني . ومن الامثلة على ذلك ما جاء على لسان مراسل صحيفة دافار ١١/٢٨/ ٧٣ حين قال « ان مواطنين في الضفة يرون في ياسر عرفات الشخص الملائم لتمثيل سكان المناطق في مؤتمر السلام » وأوضح « خلال المباحثات التي اجريتها امس في الضفة مع اشخاص من اوساط مختلفة مسلمين ومسيحيين ، مثقفين وتجار وموظفين ، خرجت بانطباع بأن هذا هو الموقف السائد لدى الرأي العام هناك الذي يرفض حق الملك حسين او الفلسطينيين الموجودين في الاردن في تمثيل القضية الفلسطينية في الجزائر او جنيف » . وقد تحدثت صحف اسرائيلية اخرى بهذه الروح وذكرت ان الرأي السائد يتعاطف مع منظمات المقاومة . وبالاضافة الى ذلك اعترف وزير اسرائيلي بهذا الواقع عندما قال شلومو هليل في مقابلة مع صحيفة معاريف ٧٣/١٢/٧ : « يعي سكان المناطق ان الرياح لا تهب باتجاه القصر في عمان ، بل باتجاه ياسر عرفات . ان عرب المناطق على استعداد ليروا في ياسر عرفات الشخص الذي يتحكم في مصيرهم » .

حركة الاستيطان : كانت حركة الاستيطان عشية حرب اوكتوبر تسير بشكل سريع في شمال سيناء ، بيد انها اخذت في اعقاب حرب اوكتوبر تتجه نحو هضبة الجولان . ففي اواخر ايلول الماضي اخذت بعض الصحف الاسرائيلية تتحدث عن خطة جديدة لمصادرة اراض واسعة تخص بدو شمال سيناء ، استكمالا للخطة الكولونيالية الاولى التي تم من خلالها ترحيل سكان مشارف رفح (اكثر من عشرة آلاف نسمة) ومصادرة اراضيهم واقامة مستوطنات فوقها . وافادت المصادر الاسرائيلية ان المخطط الجديد يشمل مصادرة ٦٠٠ الف دونم اي ما يزيد على مساحة قطاع غزة بأكمله ، وطرد ما لا يقل عن ٣٥ الفا من السكان العرب (عل همشمار ٧٣/٩/٢٤) . وذكرت بعض المصادر انه قد بوشر بالفعل بطرد ٤٠٠ من السكان العرب وبالاستيلاء على مساحة من الارض تقدر بـ ٤٠ ألف دونم . وقد أحدث ذلك استياء بين سكان كيبوتسات (مبام) المنطقة الجنوبية حيث ظهرت بين اعضائها حركة احتجاج قوية ضد عملية النهب والسلب الجديدة ، كحركة الاحتجاج التي قادتها تلك الكيبوتسات ضد عملية السلب والنهب الاولى في مشارف رفح. ويبدو ان حرب اوكتوبر قد جمدت المشروع الاستيطاني الكولونيالي الجديد في شمال سيناء ، الا انها لم تحل دون المشاريع الاستيطانية في هضبة الجولان، بالرغم من ان عددا من مستوطنات الهضبة قد سقط خلال الايام الاولى من المعركة تحت اقدام الجيش السوري ، بعد ان فر مستوطنوها منها بدون اية مقاومة وبحالة ذهول دفعت بعض المستوطنين الى ترك بعض اطفالهم في الملاجىء كما ذكرت المصادر الاسرائيلية .

يسير المخطط الاستيطاني في الهضبة في اتجاهين الاول مضاعفة سكان المستوطنات القائمة والاخر اقامة مستوطنات جديدة بما في ذلك اقامة مدينة. وقد تبارى عدد من المسؤولين الاسرائيليين في الاونة الاخيرة بالادلاء بتصريحات ذات طبيعة توسعية كولونيالية في الهضبة وعلى رأسهم وزير الزراعة حاييم جفاتي ، اذ قال في مؤتمر نشيطي حركة ايحود عكيبوتسيم فهكيبوتسوت « ان مهمة على جانب كبير من الاهمية تنتظر الحركة وتتمثل في تعزيز هضبة الجولان . ويجري الان اعداد خطة لمضاعفة السكان في الهضبة وخاصة في المستوطنات القائمة، ومع ذلك ستقام مستوطنات اخرى ومن بينها مركز مديني » (عل همشمار ٧٣/١١/١٥) . الا ان ما تم حتى الان يتمثل في اقامة محطة تجارب زراعية في كيبوتس ماروم جولان ، والغرض من هذه المحطة تطوير انتاج الزهور المعدة للتصدير وبعض المزروعات الاخرى وتحسين الارض وانجاح وسائل الري . كما ويتمثل في تحديد مكان لاقامة مدينة تحمل اسم « جولانيت » حيث قامت لجنة عليا تتشكل من عدة وزارات بتحديد مكان المدينة . وذكرت المصادر الاسرائيلية ان المكان الذي ستقام عليه المدينة يقع بالقرب من الشارع الرئيسي جسر بنات يعقوب القنطرة . وستضم في المرحلة الاولى كما هو مخطط لها عشرة آلاف نسمة !

تصاعد النضال الوطني : تحدثنا في العدد السابق عن اشتداد ساعد الكفاح المسلح واحتدام

النضالات المطلبية ، وعن الجو الارهابي الذي اخذت سلطات الاحتلال تفرضه على المناطق المحتلة بغرض كسر شوكة مقاومة السكان للاحتلال ـ مثل الاقدام ـ على ابعاد ثمانية من مواطني الضفة الغربية ، وفرض ارهاب عسكري على مدينة نابلس وتوقيف المواطنين في الساحات العامة لمدة طويلة، وتعرية الاشخاص الذين يمرون على الجسور بحجة التفتيش ، والعودة الى سياسة هدم البيوت وغلق مؤسسات تعليمية بتهمة تحولها الى بؤرة وطنية كما حدث لكلية بير زيت ، وزج اعداد كبيرة من المواطنين العرب في المعتقلات . وردا على الاجراءات الإسرائيلية اخذت الحركة الوطنية تفصح عن نفسها بأشكال نضالية مختلفة بدءا بالكفاح المسلح وانتهاء بالنضالات المطلبية . وقد جرت عدة تظاهرات واعتصامات وقمت خلالها اشتباكات مع سلطات الاحتلال وزج بالعديد من المتظاهرين في السجون . ففي القدس قامت السيدات هناك بتظاهرة ضد سياسة الابعاد الا ان قوات الاحتلال فرقت التظاهرة واعتقلت ١١ سيدة ، ثم اعقبتها تظاهرة لطلبة المدارس حين قام طلبة المدينة بمسيرة احتجاج حاملين لافتات تندد بسياسة الابعاد وغلق المؤسسات العلمية . وقد تصدت قوات الاحتلال للطلبة ، بيد ان هؤلاء تمكنوا من الوصول الى مكاتب الصليب الاحمر واعلنوا الاعتصام هناك وسلموا بيانا لممثل الصليب الاحمر جاء فيه : نحن طالبات وطلاب مدارس مدينة القدس نستنكر بشدة ابعاد المواطنين العرب من ابناء الضفة الغربية الاحرار منذ ١٩٦٧ وحتى الان . ان هذا القرار يتنافى مع ابسط حقوق الانسان لذلك اننا نطلب منكم ومن المسؤولين جميعا التدخل السريع لاعادة المبعدين الى أهليهم وعائلاتهم وأبنائهم بكل ما يتفق مع العمل الانساني . وكذلك نطالب بالافراج عن زملائنا المعتقلين والمعتقلات العرب » .

لم تقتصر حركة النضال المطلبي على مدينة القدس بل امتدت الى سائر مدن الضفة الغربية. ففي مدينة رام الله قامت طالبات دار المعلمات باعتصام داخل المعهد احتجاجا على سياسة الابعاد ، وفي مدينة الخليل اعلن الطلبة احتجاجهم واستنكارهم بسياسة الابعاد وغلق كلية بير زيت وطالبوا باعادة المبعدين واطلاق سراح المعتقلين ، وكذلك حدثت تظاهرات مماثلة في مدينة نابلس .

وكنتيجة لتصاعد الحركة الجماهيرية الطالبية وجهت الهيئات والمؤسسات والقطاعات المحلية في الضفة الغربية احتجاجا الى الحاكم العسكري للضفة ضد اغلاق كلية بير زيت : « نحن الهيئات والمؤسسات والقطاعات المحلية في مدن الضفة الغربية نتقدم باحتجاجنا الشديد على الخطوة المجحفة التي اتخذت في حق كلية بير زيت والطريقة التي تم بها اغلاق المؤسسة المذكورة حيث عومل الطلبة والاساتذة بصورة تتنافى والحرمة الجامعية الممنوحة لكل الجامعات في العالم . كما نستنكر اعتبار السلطات ممارسة الفرد لحقه الشرعي في التعبير عن مشاعره الوطنية تجاه المظالم اللاانسانية التي يتعرض لها المواطنون في الضفة الغربية تهمة تستحق العقاب . ونحن اذ نقرر بطلان هذه التهمة نطالب باعادة فتح كلية بير زيت فورا لتواصل مسيرتها الانسانية في تأدية رسالتها التربوية المقدسة » . ووقع على العريضة عدد من رؤساء البلديات ومفتي القدس ورؤساء الهيئات الاجتماعية . ومن الجدير بالذكر هنا ان طلبة كلية بير زيت الذين اتهموا بتعاطفهم مع منظمات المقاومة وباصدارهم جريدة وطنية بشكل « غير شرعي » قد تصدوا لاوامر غلق الكلية بكل الوسائل ومن بينها قيامهم بأعمال التكنيس في شوارع المدينة ، الامر الذي اغاظ سلطات الاحتلال ودفعها الى اعتقال عدد من هؤلاء الذين تحولوا الى « كناسين » . بيد انها اضطرت بعد شهر من اغلاق الكلية الى اصدار أمر بفتح ابوابها .

عبدالحفيظ محارب

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

الاتفاق على فصل القوات على الجبهة المصرية

في جو من التوتر العسكري على الحدود المصرية والسورية ، ووسط موجة متزايدة من الاشتباكات العنيفة بين القوات الاسرائيلية وكل من القوات المصرية والسورية ، بدأ وزير الخارجية الاميركي هنري كيسنجر جولته الثالثة في الشرق الاوسط في يوم ١١ من كانون الثاني لمساعدة مصر واسرائيل « على تطوير المفاوضات الخاصة بفصل قواتهما وفك الالتحام بينهما » على جبهة قناة السويس بعد ان فشل المتفاوضون المصريون والاسرائيليون في جنيف في التوصل الى هذا الحل .

وكانت الاوساط السياسية المطلعة قد توقعت منذ مطلع هذا الشهر بان فك الالتحام على جبهة السويس سيتم قبل نهاية الشهر ، وان اقتصار البحث على نقطة محددة بالذات ، وعدم تعرض المتفاوضين للمسائل الشائكة الاخرى : كمسألة القدس ، او الجولان ، او الضفة الغربية وغزة ، او حقوق الشعب الفلسطيني لن يؤديا الى عرقلة الجهود الرامية الى فك التحام القوات . وبالرغم من هذا الرأي المتفائل ، وبالرغم من تأكيد وزير الخارجية الاميركي في مؤتمر صحفي عقده في ٣ كانون الثاني بأن هناك « احتمالا جيدا » لنجاح المباحثات الخاصة بفك الالتحام ، فقد كان هناك رأي متشائم يقول بأنه لا ينتظر تحقيق أي تقدم جدي في هذا الصدد قبل تشكيل الحكومة الاسرائيلية الجديدة التي لا بد وان تكون — حسب تعبير اسرائيل غاليلي الوزير بلا وزارة وأحد مستشاري رئيسة وزراء العدو — « مستعدة لتقديم تنازلات اقليمية » (رويتر ، ١٩٧٤/١/٤) وان تشكيل هذه الحكومة سيلاقي صعوبات كبيرة رغم بروز اتجاه قوي خلال الحملة الانتخابية يؤكد ضرورة بدء الانسحاب من الاراضي العربية مقابل اتفاق تعاقدي .

ولقد جاءت زيارة كيسنجر الثالثة للشرق الاوسط بناء على طلب الحكومتين المصرية والاسرائيلية ، ورغبة الولايات المتحدة الملحة في ان تحقق المفاوضات أي تقدم وان يتم فك التحام القوات بسرعة حتى تخف حدة التوتر ويصبح من الممكن فتح قناة السويس الامر الذي سيخلق جوا سياسيا ونفسيا واقتصاديا أفضل لحل مجمل قضايا النزاع العربي — الاسرائيلي . وكان كيسنجر قد ذكر هذه النقطة في مؤتمره الصحفي المنعقد في ٣ من كانون الثاني عندما تحدث عن احتمال نجاح المحادثات وقال « ان هذا سيولد بدوره اوضاعا ايجابية جدا لاحراز تقدم مماثل على جبهات أخرى وسيكون جسرا جيدا في محادثات السلام العامة ». ثم كان مجيء وزير الخارجية الاميركية للقيام بدور « الوسيط » لا « المفاوض » الدليل الاكيد على أهمية نجاح المحادثات بالنسبة للسياسة الاميركية في المنطقة .

ودامت « وساطة » كيسنجر من ١١ كانون الثاني حتى مساء ١٧ من الشهر نفسه ، وهو يوم اعلان الاتفاق المصري — الاسرائيلي حول فصل القوات ، وتحديد يوم ١٨ لتوقيعه . واتبع وزير الخارجية الاميركي في وساطته أسلوب الاتصال المباشر ، فانتقل بين القدس واسوان ثلاث مرات حاملا معه المقترحات والمقترحات المعاكسة . واستطاع منذ البداية اكتساب ثقة الطرفين المتنازعين . فلقد اعلن في أسوان في يوم ١٤ « أنا وسيط ، وان الفرقاء وافقوا على مفهومي هذا » (النهار ١٩٧٤/١/١٥) ووصفه وزير الخارجية المصري اسماعيل فهمي في اليوم نفسه بأنه « ليس محاميا لاسرائيل » وان « دوره حيادي وبناء » (النهار ٧٤/١/١٥)، وفي وليمة الصحافة بتل ابيب أكد وزير دفاع العدو موشي دايان « انه كان أفضل مفاوض تدخل على مسرح الشرق الاوسط » (فيغارو ٧٤/١/١٥) ، وكان يساعد كيسنجر في عمله فريق اميركي — اسرائيلي وفريق عمل اميركي — مصري وكانت مهمة فريقي العمل صياغة المقترحات او الردود ووضع الخرائط ودراسة المواقف والمواقف المعاكسة . وتدل مختلف التكهنات والتحليلات العسكرية ان نقاط الخلاف الاساسية بين الجانبين المصري والاسرائيلي كانت تدور حول :

١ — حجم القوات المصرية التي ستبقى على الضفة الشرقية وطبيعة تسليحها الثقيل .

٢ — مدى الانسحاب الاسرائيلي باتجـــاه الشرق .

٣ — نزع سـلاح المناطق التي تنسحب منها اسرائيل .

٤ — وجود القوات الدولية بين الطرفين .

٥ — التفتيش المشترك على تسليح القوات .

٦ — وجود الصواريخ ارض — جو المصريـة على الضفة الشرقية للقناة .

٧ — هل سيشمل الانسحاب القوات الاسرائيلية الموجودة شرقي وغربي القناة فقط ، أم سيشمل القوات الاسرائيلية الموجودة على الشاطىء الشرقي لخليج السويس الامر الذي يؤدي الى اسـتعادة المصريين لآبار النفط الموجودة على شاطىء خليج السويس وفي المياه الضحلة القريبة من الشاطىء ، وخسـارة اسرائيل لما يعادل الف مليـــون دولار سنويا .

وفي يوم ١٦ بدأت بوادر الانفراج والتقارب بين مقترحات الطرفين . وأعلن كيسنجر في مطار اللد ، قبل عودته الى اسوان ، ردا على سؤال حول رأيه الشخصي بالنسبة لمعالجة الازمة : « بالنسبة لي ، فان اعظم دليل يبعث على الامل ، هو الجو الصالح والرغبة بالسعي الى العدل التي تميز الطرفين في محاولتهما البناءة للتوصل الى تفاهم حول الموضوع المهم جدا ، وهو فك التحـام القوات . واذا كان بالامكان المحافظة على هذا الجو فيحتمل ان يتوفر الامل في ان تهدأ هذه المنطقة التي عانت من التوتر اعواما عديدة » (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، ملحق العدد ٤٣٨) . ثم تحدث وزير خارجية العدو ابا ايبان بعده قائلا « ان كلا من مصر واسرائيل قد قررتا في محادثات جنيف ان تعطى الاولوية لموضوع فك التحـام القوات ، وانه منذ ذلك الوقت ، بذلت جهود عديدة للتوصل الى اتفاق حول هذا الموضوع » (ر.ا.ا. ملحق العدد ٤٣٨) . وما ان وصل وزير الخارجية الاميركية الى أسوان حتى صرح في المطار بـ « ان الفرق بين الطرفين قد تضاءل وآمل ان أقلله أكثر ايضا ، بل انني آمل ان الغيه » (فيغارو ٧٤/١/١٧) . وصرحت اوساط مقربة من الدكتور كيسنجر في يوم ١٦ ان اختلاف وجهتي النظر يعادل ٢٥٪ ، ثم انخفضت هـذه النسبة في يوم ١٧ عندما عاد وزير الخارجية الاميركي الى القدس فوصلت الى ١٠٪ فقط . وبعد اجتماع كيسنجر مع آلون ودايان وايبـان واليعازار صرح وزير خارجية العدو أبا ايبان لمراسل الاذاعة الاسرائيلية متفائلا : « كل مـا استطيع قوله هو اننا لا نزال نبحث بعض المواضيع الاساسية . ولكن لدينا أمل كبير بالوصول الى الهدف الذي حددناه لانفسنا ، أي التوصل الى اتفاق لفك التحام القوات مع مصر ، اتفاق يعتمد على توازن في التنازلات والانجازات » (ر.ا.ا. ملحق رقم ٤٣٩) .

وفي الساعة التاسعة من مساء يوم ١٧ أعلنت كل من مصر واسرائيل والولايات المتحدة انـه قد تم التوصل الى اتفاق بين مصر واسرائيل حول فك التحام قواتهما في جبهة قناة السويس . وكان نص البيان كما يلي : « طبقا لقرار مؤتمر جنيف فان حكومتي مصر واسرائيل ، بمساعدة حكومـة الولايات المتحدة الاميركية ، توصلتا الى اتفـاق لفك الالتحام والفصل بين قواتهما المسلحة وسيوقع هذا الاتفاق كل من رئيسي اركان حرب القـوات المسلحة في مصر واسرائيل ظهر يوم الجمعة ١٨ كانون الثاني الحالي في الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة — السويس . وقد طلبت الاطراف من قائد قوات الطوارىء الدولية التابعة للامم المتحدة (الجنرال أنسيو سيلاسفو) ان يشهد التوقيع » (النهار ١٩٧٤/١/١٨) . وهكذا نجحت المفاوضات التي وصفها كيسنجر في يوم ١٤ « بانها أصعب وأعقد مفاوضات كلفت بالاشتراك فيها » (فيغارو ٧٤/١/١٦) .

ويمكننا ان نذكر بالنسبة لهذا الاعلان الملاحظات التالية :

١ — تؤكد احدى فقرات البيان على ان الاتفاق قد تم « بمساعدة الولايات المتحدة » وفي هذا تأكيد للدور الاميركي « المحايد » الفعال في المنطقة وتثبيت لامتلاك واشنطن لمفاتيح الحرب والسلام بين مصر واسرائيل ، وقدرتها وحدها على حل الازمة . ويستهدف مثل هذا التأكيد اقناع الاطراف العربية الاخرى بأن عليها ان تبحث عن حل نزاعها مع اسرائيل عن طريق واشنطن لا عن طريـق موسكو ، وبأنه اذا كانت موسكو قادرة عـلى تقديم السلاح اللازم للحرب فان واشنطن قادرة على تقديم السلام (!) وتحقيق الاهداف بـدون حرب . وان الولايات المتحدة التي بذلت جهودها

« الحميدة » للوصول الى اتفاق لم تعد تستحق مقاطعة العرب النفطية .

وقد تجد هذه الفكرة صدى لدى بعض الاوساط العربية ، ولكن الغالبية الساحقة تعرف بأن الولايات المتحدة لم تهتم بحل المسألة ، ولم تبعث وزير خارجيتها الى المنطقة ليقوم بدور « الوسيط » المتنقل ، الا بعد ان خلق الجندي العربي ، المزود بالسلاح السوفياتي ، والمدعوم بالتضامن العربي الشامل وسلاح النفط الفعال ، حقائق جديدة محلية وعالمية ، وحول النزاع العربي — الاسرائيلي من قضية متجمدة يتجاهلها العالم الى قضية محورية يتوقف على حلها مصير الاقتصاد العالمي كله .

٢ — تؤكد احدى فقرات البيان ان توقيع الاتفاق سيتم من قبل « رئيسي اركان حرب القوات المسلحة في مصر واسرائيل » وهذا يعني ، انه اتفاق عسكري — تقني بحت ، كان من الممكن التوصل اليه في مباحثات الكيلو ١٠١ لو ضغطت الولايات المتحدة على اسرائيل للقبول بذلك . كما يعني ان وضع مسألة فك التحام القوات على راس جدول أعمال مؤتمر جنيف قلب هذا المؤتمر من اجتماع على مستوى رفيع لحل الازمة من جذورها الى امتداد لاجتماعات الكيلو ١٠١ العسكرية — التقنية . وهنا لا بد لنا من ان نذكر ثانية بما قالته مجلة نيوزويك الاميركية في ١٠/١٢/ ١٩٧٣ عن ان هنري كيسنجر كان وراء انهيار المحادثات العسكرية عند الكيلو ١٠١ . وان الاسرائيليين كانوا مستعدين للتفاوض على فصل التحام القوات خلال هذه المحادثات ، لولا ان كيسنجر نصحهم بعدم الوصول الى هذا الاتفاق ، وأوصى بأن يكون هذا الموضوع اول بند في جدول أعمال مؤتمر السلام في جنيف ، لان أي تنازل من جانب اسرائيل عند ابتداء المؤتمر سيجعل مفاوضات السلام تبدأ بداية جيدة .

٣ — حدد البيان مكان توقيع الاتفاق « في الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة — السويس » . وكان من الممكن ان يتم التوقيع في العريش او قلب سيناء او جنيف ولكن اختيار الكيلو ١٠١ واصرار الاسرائيليين عليه يستهدف دون شك تثبيت وصولهم الى طريق القاهرة — السويس في ذهن الرأي العام العالمي والاسرائيلي ، ودخول التاريخ كمنتصرين عن طريق لعبة جغرافية ، وتضخيم دور جيب الدفرسوار الذي لم يكن أكثر من « مغامرة محسوبة » تمت في البداية تحت غطاء الضمان الاميركي بأن لا هزيمة ان لم يتحقق انتصار ، ثم جاء وقف القتال ليحميها من التصفية ، وتتابعت التدابير العسكرية المصرية بعد ذلك لتحول القوات المشتركة فيها من خطر يهدد مؤخرة الجيش الثالث الى رهينة تعيش برئة اصطناعية يسهل تعطيلها في ظروف غير ملائمة للحياة .

٤ — جاء ذكر « قائد قوات الطوارىء الدولية التابعة للامم المتحدة » كمحاولة اميركية فجة لرد الاعتبار الى المنظمة الدولية ، مع ان العالم كله يعرف ان تصرف الولايات المتحدة منذ عام ١٩٦٧ حتى الان ودعمها السياسي والعسكري لاسرائيل هما اللذان عطلا تنفيذ قرارات مجلس الامن المتعاقبة ، وشجعا حكام تل ابيب على تحدي المنظمة الدولية ، وتجاهل رغبات الاسرة الدولية ، والتصرف بشكل يتنافى مع طبيعة العصر ويعرض العالم كله للخطر .

ويهمنا ان نذكر هنا ان الرئيس الاميركي نيكسون ظهر في الساعة التاسعة من اليوم نفسه على شاشة التلفزيون الاميركي ليصف الاتفاق بأنه « أول خطوة ذات مغزى نحو سلام دائم في الشرق الاوسط » ثم اضاف « سأحرص شخصيا على ان تواصل الولايات المتحدة دعمها للجهود من أجل الوصول الى اتفاق سلام بين مصر واسرائيل وايضا بين الاطراف المعنية الاخرى » (النهار ١٨/١/١٩٧٤) . ولهذه الاقوال دلالات هامة هي :

١ — ان من الممكن اعتبارها ، الى حد ما ، تعهدا علنيا من الرئيس الاميركي بتأمين انسحاب القوات الاسرائيلية . وبهذا يكون نيكسون قد قدم التعهد العلني الذي أصر العامل السعودي على ضرورة تقديمه كشرط لا بد منه لاعادة النظر في تخفيف التدابير النفطية ضد الولايات المتحدة الاميركية ،

٢ — ان تعهد الرئيس الاميركي يشمل مصر والاطراف الاخرى أي انه يشمل سورية والاردن على اعتبارهما من الدول المجاورة لاسرائيل والتي اشتركت في حرب ١٩٦٧ ضدها . كما يشمل الشعب الفلسطيني صاحب القضية الاساسي ، والمتضرر الاول من الغزوة الامبريالية الصهيونية ،

٣ — ان الرئيس الاميركي يتعهد باحلال السلام ، والسلام العربي — كما حدده العامل السعودي الذي يهم نيكسون مخاطبته — لا يمكن ان يتم الا

بالانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، وتحرير القدس العربية ، وحصول الشعب الفلسطيني على حقوقه المشروعة .

وفي الساعة ١٢،٣٠ يوم ١٨ كانون الثاني جرى توقيع اتفاق فصل القوات بحضور الجنرال انسيو سيلاسفو قائد قوات الطوارىء الدولية وقام بالتوقيع رئيسا الاركان المصري اللواء محمد عبد الغني الجمصي ورئيس الاركان الاسرائيلي الجنرال دافيد اليعازار . وقبل التوقيع على الاتفاق أصدر رئيسا الاركان المصري والاسرائيلي الاوامر الى قواتهما في جبهة قناة السويس بوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة الثامنة صباحا . ويشمل الاتفاق ٤ بنود ، وفي البند الثاني منها ٦ نقاط . ولقد وزعت وكالة الاسوشيتد برس نص الاتفاق الذي جاء فيه :

« أ ــ ستتقيد مصر واسرائيل من دون تردد باتفاق وقف اطلاق النار برا وبحرا وجوا الذي دعا اليه مجلس الامن الدولي وستمتنعان منذ توقيع هذه الوثيقة عن كل العمليات العسكرية وشبه العسكرية ضد بعضهما البعض .

« ب ــ سيتم فصل القوات العسكرية المصرية والقوات العسكرية الاسرائيلية طبقا للمبادىء الاتية :

« ١ ــ كل القوات المصرية في الجانب الشرقي لقناة السويس سترابط غرب الخط الذي يعرف بخط « أ » في الخريطة المرفقة . وسترابط كل القوات الاسرائيلية في الضفة الغربية لقناة السويس والبحيرات المرة شرق الخط الذي يعرف بخط «ب» في الخريطة المرفقة .

« ٢ ــ ستكون المنطقة بين الخطوط المصرية والخطوط الاسرائيلية منطقة مجردة من السلاح ترابط فيها قوة طوارىء تابعة للامم المتحدة . وستظل قوات الطوارىء هذه مؤلفة من وحدات من دول اعضاء غير دائمة في مجلس الامن .

« ٣ ــ المنطقة بين الخط المصري وقناة السويس ستكون محدودة في ما يتعلق بالاسلحة والقوات المسلحة .

« ٤ ــ المنطقة بين الخط الاسرائيلي (المعروف بخط « ب » المرفق بالخريطة والخط المعروف بخط « س » المرفق بالخريطة) والذي يمتد على طول القاعدة الغربية لسلسلة الجبال حيث ممرات جدي وميتلا، ستكون ايضا محدودة في ما يتعلق بالاسلحة والقوات المسلحة .

« ٥ ــ ان التحديدات المشار اليها في الفقرتين الثالثة والرابعة ستدقق بها قوة الطوارىء الدولية . والاجراءات القائمة حاليا بالنسبة الى قوات الطوارىء بما في ذلك ضباط الارتباط المصريون والاسرائيليون الملحقون بقوات الطوارىء الدولية ستستمر .

« ٦ ــ سيسمح للقوات الجوية للجانبين بالعمل ضمن خطوطها من دون تدخل من الجانب الاخر .

« ج ــ ان التطبيق بالتفصيل لفصل القوات المسلحة سينفذه ممثلون عسكريون عن مصر واسرائيل وسيتفقون على المراحل في هذا الشأن. وسيجتمع هؤلاء الممثلون في موعد لا يتعدى ٤٨ ساعة بعد توقيع هذا الاتفاق عند الكيلومتر ١٠١ باشراف الامم المتحدة لهذا الغرض . وسينجزون مهمتهم في غضون خمسة ايام . ان فصل القوات المسلحة سيبدأ في غضون ٤٨ ساعة بعد انتهاء عمل الممثلين العسكريين وعلى أي حال لا يتعدى سبعة ايام بعد توقيع هذا الاتفاق .

« د ــ ان مصر واسرائيل لا تعتبران هذا الاتفاق اتفاق سلام نهائيا ، انه يشكل الخطوة الاولى نحو سلام عادل ودائم طبقا لقرار مجلس الامن الدولي الرقم ٣٣٨ وضمن اطار عمل مؤتمر السلام الشرق أوسطي في جنيف » .

ويفيد البند (أ) من الاتفاق ان قوات الطرفين ستتوقف عن جميع العمليات العسكرية (قصف ، دوريات ، هجمات ... الخ) والعمليات شبه العسكرية (استطلاعات ، حرب نفسية ، منع وصول امدادات ... الخ) وهو يشمل البر والبحر والجو الامر الذي يعني انه يمتد ليشمل تدابير الخنق الاستراتيجي في اعالي البحار وعند المضائق والممرات .

وتفيد النقاط الخمس الاولى من البند (ب) ان القوات الاسرائيلية ستنسحب الى خط يقع غربي خط الممرات ، وان خط القوات المصرية سيصبح كله على الضفة الشرقية بعد انسحاب الاسرائيليين من جيب الدفرسوار ، وان القوات الدولية ستفصل بين القوات المتحاربة التي سيكون حجمها بين الخط المصري وقناة السويس من جهة ، وبين الخط الاسرائيلي وخط الممرات من جهة اخرى

محدودا بالاسلحة والقوات المسلحة .

اما النقطة السادسة من البند نفسه فتشير الى السماح للقوات الجوية بالعمل ضمن خطوطها دون تدخل من الجانب الاخر . وهذا يعني ان طائرات الاستطلاع المتطورة القادرة على تصوير الخطوط والمواقع الدفاعية من ارتفاعات عالية ومسافات بعيدة تستطيع مراقبة مواقع الطرف الاخر وهي محلقة فوق اراضيها دون ان تتعرض لضربات الصواريخ ارض — جو القادرة على اسقاطها حتى ولو كانت محلقة على خط يبعد عن الجبهة مسافة ٢٥—٣٠ كيلومترا .

فاذا ما تجاوزنا البند (ج) باعتباره بندا عمليا يتعلق بالاجتماعات والمراحل ، واردنا تحليل البند (ب) وجدنا ان التحليل مرتبط مباشرة بالبند (د) الذي يعتبر الاتفاق خطوة نحو سلام عادل ودائم وفق قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ الذي ينص على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة في حرب ١٩٦٧ . وهذا يعني ان اسرائيل ستقوم بجميع الخطوات التي تكفل ازالة أسباب التوتر في المنطقة وتخلق المناخ الملائم للسلام العادل الدائم !! والنظر الى البند (ب) مع تفاؤل بتطبيق البند (د) ، او بالاحرى تفاؤل بقدرة الولايات المتحدة على دفع اسرائيل نحو هذا التطبيق ، يوصلنا الى نتائج مختلفة كل الاختلاف عن النتائج التي يمكن التوصل اليها عند النظر الى البند (ب) مع الايمان بعدم رغبة الولايات المتحدة في اجبار اسرائيل على تطبيق البند (د) الذي سيحجّم الدولة الصهيونية ويجعلها « دولة ـ عبء » على الامبريالية بعد ان كانت « دولة قاعدة » للامبريالية . لان أي فصل للقوات العربية — الاسرائيلية المتجابهة لا يعقبه انسحاب اسرائيلي وفق جدول زمني محدد ولا يكون جزءا من حل شامل يعني ان اتفاق الفصل عبارة عن عمل عسكري — تقني مقطوع الجذور يتسم بالسلبيات التالية :

١ — انه يخلص القوات الاسرائيلية المتورطة في جيب الدفرسوار من حرب منهكة طويلة الامد تستنزف قواها المادية والمعنوية وتعرضها للاصابة « بمرض الخنادق » الذي يحرمها من قدراتها الحركية ، ويقلبها من قوات تعرضية هجومية الى قوات دفاعية هدفها التشبث بالارض ، وصد الهجمات ، والحفاظ على البقاء . خاصة وان حرب الاستنزاف التي تعرضت لها هذه القوات بعد وقف القتال في تشرين الاول ١٩٧٣ مختلفة كل الاختلاف عن حرب الاستنزاف الماضية (١٩٦٨ — ١٩٧٠) . وقد ذكر اللواء حسن جريدلي رئيس هيئة العمليات للقوات المصرية المسلحة في لقائه مع المغتربين المصريين في ١٩٧٤/١/٢ « ان هدفنا هو وضع القوات الاسرائيلية في الوضع الذي تقف فيه بكامل احتياجاتها وشبابها لان هذا يؤدي الى توقف اقتصادها واستنزاف كامل لها » . ولا ينطبق وضع الاستنزاف هذا على القوات المصرية ، فلقد اعتادت هذه القوات على البقاء طويلا في مجابهة العدو ، ولاءمت نفسها مع حرب الاستنزاف طويلة الامد . أما وجود قواتها المسلحة في حالة التعبئة التامة فما هو الا امتداد لوضعها منذ حرب ١٩٦٧. ولا تؤثر التعبئة العسكرية بشريا على الاقتصاد المصري الذي لا يشكو بشكل خاص (على عكس الاسرائيليين) من نقص اليد العاملة بالنسبة لفرص العمل . وبالرغم من خسائر المصريين البشرية خلال حرب الاستنزاف الجديدة (لان كل اشتباك يعني وقوع خسائر بين الطرفين) فان العمق البشري المصري وما يدعمه من عمق بشري عربي قادر على امتصاص الخسائر البشرية بشكل لا يمكن لعمق اسرائيل البشري الضعيف احتماله . فاذا أضفنا الى ذلك قرب الجبهة المصرية من قواعدها الخلفية وقصر خطوط مواصلاتها واحتمالات تزايد الحشد العربي مع طول مدة المجابهة نظرا لاهمية عامل الزمن بالنسبة لتعبئة القوات العربية (الجزائرية والليبية والمغربية والسودانية) وانتقالها من العمق الاستراتيجي الى العمق العملياتي ، وقارنا كل ذلك مع طول خطوط مواصلات الاسرائيليين وبعد قواعدهم الخلفية واضطرارهم الى اجراء الحشد البشري الكامل مقابل الحشد المصري الجزئي تصورنا مدى الاختلاف في تأثير حرب الاستنزاف هذه على الطرفين المتجابهين .

ولقد عبر ايغال آلون نائب رئيسة وزراء العدو عن هذه النقطة عندما قال في معرض الحديث عن مزايا فصل القوات انه سيجعل « أي استئناف لحرب الاستنزاف امرا مستحيلا » (النهار ١٩٧٤/١/١٨) .

٢ — انه يجعل القوات الاسرائيلية المتمركزة على خط الممرات قادرة على اعادة تنظيم نفسها ، وخلق مواقع قوية تسمح بتخفيف عدد القوات

الاحتياطية المعبأة التي تجمد اعدادا كبيرة من الرجال والمعدات والاليات وتنهك الاقتصاد الاسرائيلي — نظرا لخصوصية هذا الاقتصاد .

٣ — ان وجود القوات الاسرائيلية على الممرات سيساعدها على الدفاع (الدفاع أقوى من الهجوم) وسيؤمن لها امكانات الحرب على الخطوط الداخلية عن طريق الدفاع مقابل مصر بقوات محدودة وحشد كبد القوات لتسديد ضربة على الجبهة السورية التي لم يتم فك الالتحام عليها حتى الان .

٤ — ان وجود القوات الدولية بين الطرفين سيجعل المصريين مضطرين الى طلب سحب هذه القوات ، اذا ما عادت اسرائيل الى المماطلة والتعنت ورغبت مصر في استئناف القتال لتحقيق أهدافها العادلة ، الامر الذي يعطي تل ابيب هامشا زمنيا كافيا لاستدعاء احتياطها وتعبئة قواتها المسلحة المبنية اساسا على الاحتياط (ان القوات الاحتياطية الاسرائيلية تعادل ٢٠٠٪ من القوات العاملة) .

٥ — ان فك التحام القوات الذي لا يرافقه انسحاب اسرائيلي كامل من سيناء سيبقي منابع النفط الواقعة على الشاطىء الشرقي لخليج السويس بيد اسرائيل . وتذكر صحيفة « هيرالد تريبيون » ان ارتفاع اسعار النفط العالمية ، ووصول سعر البرميل الى ١٢ — ١٧ دولارا سيجعل خسارة اسرائيل في حالة انسحابها تعادل ١٠٠٠ مليون دولار . وسيجعل الاقتصاد الاسرائيلي الرازح تحت وطأة الديون والتضخم المالي مضطرا لدفع ٧٠٠ مليون دولار سنويا بالعملة الاجنبية لشراء حاجة اسرائيل النفطية التي تصل الى ١٣٠ الف برميل في السنة .

٦ — ان فك الالتحام دون تطبيق القرار ٣٣٨ سيبقي خلق تناقض عربي — عربي وعربي — سوفياتي وسيؤدي الى تجميد الموقف والعودة الى حالة اللاحرب واللاسلم التي حطمها الجيشان المصري والسوري في يوم ٦ تشرين الاول الماضي . وكانت صحيفة الاهرام قد كتبت في ١٩٧٤/١/٥ « لا يمكن اعتبار الفصل بين القوات هدفا في ذاته بل يكتسب ما يبرره فقط باعتباره خطوة نحو تنفيذ خطوات التسوية المقبلة » ... « ان الاتفاق على مبادىء الفصل بين القوات ينبغي ان يتضمن ما يكفل عدم تجمد الموقف بعد تسلم القوات الدولية مواقعها بين القوات المتحاربة » وفي ٦ من الشهر نفسه اعلن أشرف غربال المبعوث المصري لواشنطن ان مصر على استعداد للاتفاق مع اسرائيل على فك الالتحام بين قواتهما ثم اضاف « ولسنا نعارض تنفيذا مرحليا لتسوية شاملة ولكننا نعارض تجميد وقف اطلاق النار على خط آخر » (الانوار ١٩٧٤/١/٧) .

والنقطة الاخيرة التي لا بد من ذكرها هنا هي ان فك الالتحام على الجبهة المصرية سيخلق على الجبهة السورية وضعا جديدا أشد خطورة ، لانه سيسمح لاسرائيل بحشد قوات عسكرية ضخمة على هذه الجبهة . ولعل هذا هو السبب الذي جعل الرئيس المصري انور السادات يزور دمشق يوم السبت ٧٤/١/١٩ بعد عودته من السعودية ، ودفع وزير الخارجية الاميركي هنري كيسنجر الى زيارة العاصمة السورية يوم الاحد ١٩٧٤/١/٢٠ بعد مقابلة الملك حسين في ميناء العقبة . ولقد صرح الرئيس انور السادات امام الصحفيين الاميركيين في اسوان بتاريخ ١٩٧٣/١/١٨ « انني ملتزم بفصل القوات على الجبهة السورية لاننا جبهة واحدة، وقد بحثت هذا مع الدكتور كيسنجر. وقد وافق معي على ذلك » وعقب كيسنجر على ذلك بقوله « ان الولايات المتحدة تشجع تحقيق فصل القوات على الجبهة السورية وان الرئيس السادات كان واضحا في تعبيره عن ضرورة ان يتبع فصل القوات على الجبهة المصرية فصل مماثل على الجبهة السورية » وأضاف « ان الولايات المتحدة تستعد لبذل جهد مماثل في هذا الصدد » (أ.ش.أ ٧٤/١/١٨) . ومن الملاحظ ان الرئيس المصري والوزير الاميركي سيسعيان الى فك الالتحام على الجبهة السورية قبل البدء بأي عمل آخر ، وقبل العودة الى مؤتمر السلام في جنيف .

والخلاصة : ان اتفاق فك التحام القوات على الجبهة المصرية والذي رحبت به القاهرة وواشنطن والاوساط الحاكمة في تل ابيب ، وعارضته القوى اليمينية الاسرائيلية واعتبرته تنازلا وتراجعا عن أهداف مغلفة امام الضغوط الاميركية ، وقابله الاتحاد السوفياتي ببرود ، ورأت سورية فيه « تطورا خطيرا قد تتضح عواقبه عما قريب » وقابلته بعض الدول العربية بارتياح على حين نظرت اليه دول عربية أخرى بتحفظ مشوب

بالعداء ، هو نتيجة جهد اميركي كثيف لتخفيف حدة التوتر في المنطقة على اعتبار ان هذا التخفيف يحسن سمعتها في العالم العربي ، ويخفف التدابير النفطية الموجهة ضدها ، ويقلل احتمالات صدامها مع السوفيات ، ولا يسمح بظهور تناقضاتها مع حلفائها الاوروبيين واليابانيين ، ويقلل من تغلغل النفوذ السوفياتي في البلدان العربية الراديكالية والبحر الابيض المتوسط ويمنع انتشار هذا النفوذ الى البلدان العربية التقليدية . وهو يشمل في طياته بنودا سرية متعددة تكون في مثل هـــذه الاتفاقات أهم من البنود المعلنة . ولا يمكن الحكم على الاتفاق ككل الا بعد ظهور نتائج تطبيق البند (د) ، لان التطبيق العملي لهذا البند هو الذي سيجعله خطوة على طريق السلام او منـــاورة لتخليص اسرائيل والولايات المتحدة من معظم آثار حرب تشرين الاول .

المقدم الهيثم الايوبي

صدر حديثا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

كتـــاب

تمييز الطائرات والمدرعات

(١٩٧٤)

اعـــداد

المقدم الهيثم الايوبي وهشام عبدالله

الكتاب الاول الذي يعطي تفصيلات عن جميع انواع الاسلحة الموجودة في المنطقة مع صورها وتمييزها ، في نحو ١٥٠ صفحة .

اطلبه من مركز الابحاث ــ قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

سعر النسخة ٣ ليرات لبنانية يضاف اليها أجور البريد الجوي :

٥٠ ق.ل. في العالم العربي ١ ل.ل. في اوروبة ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٧٣/١٢/١٣ — ١٩٧٤/١/١٢

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
١	١١/٢٤	٢٠٫٠٠	مخيم النصيرات/ غزة	اشتباك	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	غير محدد	—	١	—	رقم ٩٩٥	١٢/١٣
٢			بيت صفافا/ بين القدس وتل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير جزء من خط سكة الحديد وتعطيل سير القطارات عليه	—	—	—	رقم ٩٩٦	١٢/١٤
٣	١٢/١٣	١٥٫٣٠	بين الجفتلك وعقربة/نابلس	اشتباك	أسلحة مختلفة	عددكبير من الاصابات	غير محدد	٢	١	—	رقم ٩٩٧	١٢/١٥
٤	١٢/١٥	—	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مكتب شركة «ريج» للبواخر في بناية راسكو وتصدع البناية وامتداد النيران الى البنايات المجاورة	—	—	—	رقم ٩٩٨	١٢/١٦
٥	١٢/١٥	—	الخليل	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مكتب العمل الصهيوني واشعال النيران فيه	—	—	—	رقم ٩٩٩	١٢/١٦
٦	١٢/١٩	١١٫٠٠	ريشون ليتسون/ جنوب شرقي تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير باص لشركة سياحية في شارع هورفيتس	—	—	—	رقم ٩٩٩	١٢/١٩
٧	١٢/١٩	٨٫٠٠	قلقيلية	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من مكتب العمل	—	—	—	رقم ١٠٠٠	١٢/٢٠
٨	١٤—١٢	١٨٫٣٠	غزة	تفجير	القاء قنبلة	غيرمحدد	اعطاب سيارة « باور واجن »	—	—	—	رقم ١٠٠٠	١٢/٢٠
٩	١٢/٢٧	٢١٫٣٠	سفوح جبل الشيخ	هجوم	أسلحة رشاشة ومختلفة	عددكبير من الاصابات	اقتحام موقع للعدو وتطهيره ، احراق مهاجعه وتدمير احدى آلياته	—	١	—	رقم ١٠٠١	١٢/٢٨
١٠	١٢/٢٥	—	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير برج للضغط العالي وقطع التيار الكهربائي عن بعض مناطق المدينة	—	—	—	رقم ١٠٠٢	١٢/٣٠

١١	١٢/٣٠	٤٤٣٠	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	تدمير مكتب الهويات في المدينة واصابة المبنى بأضرار	رقم ١٠٠٣ ١٢/٣١
١٢	١٢/٢٩	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	تدمير عدة أعمدة وكابلات الخطوط الرئيسية للهاتف	رقم ١٠٠٤ ١٢/٣١
١٣	١٢/١٢	—	رفح	كمين	أسلحة مختلفة	٤ افراد	—	—	—	—	رقم ١٠٠٥ ١٢/٣١
١٤	١٢/١٥	—	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	—	—	تدمير عبارة وجزء كبير من خط سكة الحديد وتعطيل سير القطارات عليه	رقم ١٠٠٥ ١٢/٣١
١٥	١٢/١٦	٦٤٠٠	نحال عوز/غزة	تفجير	ألغـــام	١	—	—	—	تدمير جرار	رقم ١٠٠٥ ١٢/٣١
١٦	١٢/٢١	—	بين رفح وغزة	هجوم	قنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	—	—	—	تدمير سيارة مخابرات عسكرية	رقم ١٠٠٥ ١٢/٣١
١٧	١٢/٢٦	—	مقبرة الشجاعية/ غـــزة	هجوم	قنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	—	—	—	تدمير سيارة باور واجن	رقم ١٠٠٥ ١٢/٣١
١٨	١٢/٢٧	—	هرتسليا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	—	—	خروج قطار الركاب عن سكة الحديد وتعطيل الخط مدة ساعتين	رقم ٧٤/٢ ١/٢
١٩	١٢/٣٠	—	نابلس	تفجير	القـــاء قنبلة	—	—	—	—	اصابة بعض باصات شركة ايجد بأضرار	رقم ٧٤/١ ١/٢
٢٠	١٢/٣١	—	الخليل	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	—	—	تدمير مكتب العمل والعمال واشتعال النيران في محتوياته	رقم ٧٤/٣ ١/٢
٢١	١/ ٥	—	بين العوجا وأم الشرط	تفجير	ألغـــام	غيرمحدد	—	—	—	تدمير ناقلة للجنود	رقم ٧٤/٤ ١/٥
٢٢	١/ ٦	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	تدمير النادي الليلي في فندق « دان » واشعال النيران فيه	رقم ٧٤/٥ ١/٦
٢٣	١/ ٨	—	مستوطنة هيمتسيا	تفجير	ألغـــام	١	—	—	—	تدمير جرار وقتل سائقه مختار المستوطنة	رقم ٧٤/٦ ١/٨
٢٤	١٢/٣١	—	بيت عوا/الخليل	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	تدمير مكتب العمل واشعال النيران فيه	رقم ٧٤/٧ ١/٩

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٢٥	١/ ٨	—	نهاريا	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في عدة أقسام من مصانع مولر للنسيج واستمرت النيران حتى صباح ١/٩	—	—	—	رقم ٧٤/٨	١/٩
٢٦	١/ ٩	—	دورا/الخليل	هجوم	قنابل يدوية ورشاشات	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	رقم ٧٤/٩	١/١٠
٢٧	١/١٠	—	منحنى بارغابورا/ جنوب القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	انهيار قسم من الجبل على الخط الحديدي وتعطيل سير القطارات طيلة يوم ١/١٠	—	—	—	رقم ٧٤/١٠	١/١١
٢٨	١/١١	٦٤٣٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير قسم كبير من ملهى دميث واشعال النيران فيه	—	—	—	رقم ٧٤/١١	١/١١

تصدر البلاغات العسكرية عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٧٣/١٢/١٣ ــ ١٩٧٤/١/١٢

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	١٢/١٢ ــ	ــ	الخليل	تفجير	القاء قنبلة	٨ اصابات	ــ	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٤١٤ ص٢٢٢٩	١٢/١٣
٢	١٢/١٧ ــ	ــ	شتولة	اطلاق نار	أسلحة رشاشة	ــ ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٤١٨ ص٢٣١٢	١٢/١٨
٣	١٢/١٧ ــ	ــ	شومیرا	اطلاق نار	أسلحة رشاشة	ــ ــ	اصابة بــاص	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٤١٨ ص٢٣١٢	١٢/١٨
٤	١٢/١٩ ــ	١١٤٠٠	ريشون لتسيون	تفجير	عبوة ناسفة	ــ ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٤٢٠ ص٢٣٦١	١٢/٢٠
٥	١٢/٢٦ ــ	ــ	الخليل	تفجير	قنبلة يدوية	ــ ــ	ــ	ــ	١	ــ	ن٠عدد٤٢٥ ص٢٤٤٩	١٢/٢٨
٦	١/ ٦ ــ	ــ	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اشتعال النيران في النادي الليلي في الفندق	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٤٢٩ ص٢٥٤٩	١/٧
٧	١/ ٩ ــ	ــ	نهاريا	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	اشتعال النيران في مصانع ملابس مولر	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٤٣٢ ص٢٦٢٢	١/١٠
٨	١/١١ ــ	ــ	تل ابيب	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	اشتعال النيران في النادي الليلي زيف	ــ	ــ	ــ	ن٠عدد٤٣٣ ص٢٦٥١	١/١١

ن٠ نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية.

غازي خورشيد

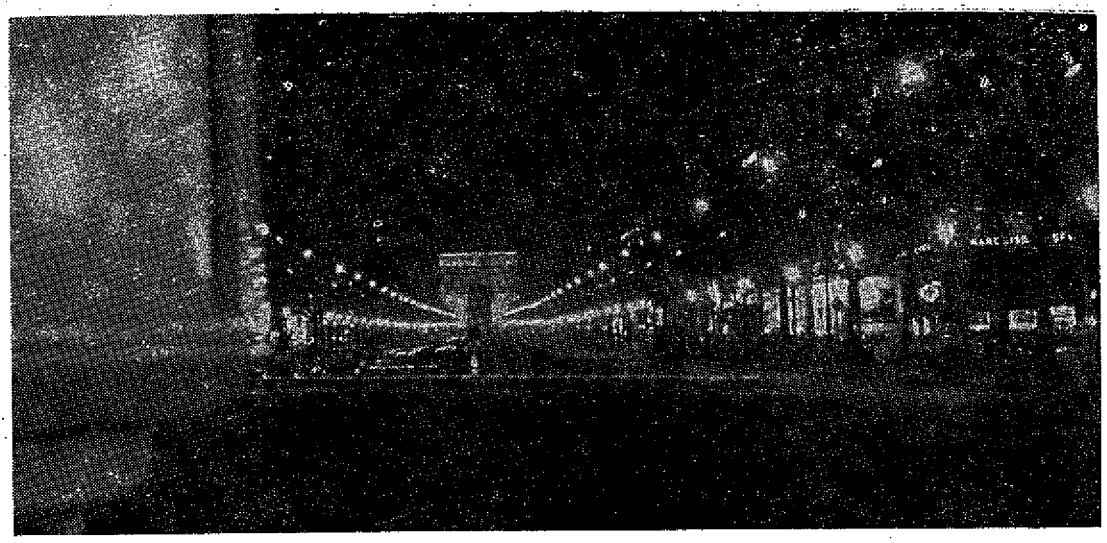

رحلات يومية من الكويت والخليج العربي إلى عواصم أوروبا الرئيسية

الثلاثاء: الكويت - أثينا - جنيف - لندن الساعة ١١,٣٠
الأربعاء: الكويت - لندن بدون توقف الساعة ١٥,٠٠
الخميس: الكويت - روما - فرنكفورت - لندن الساعة ١١,٣٠
الجمعة: الكويت - روما - باريس - لندن الساعة ١١,٣٠
السبت: الكويت - أثينا - فرنكفورت - لندن الساعة ١١,٣٠
الأحد: الكويت - روما - باريس - لندن الساعة ١١,٣٠

سافروا بطائرات الخطوط الجوية الكويتية واجعلوا رحلاتكم سهلة ممتعة بمشاهدة العروض السينمائية التي أصبحت تقدم خلال جميع الرحلات، وذلك علاوة على الموسيقى المنوعة التي يمكنكم الاستماع إليها على ٦ أقنية مختلفة.

الخطوط الجوية الكويتية

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon and Syria L L 50, other Arab countries L L 60 or equivalent, Africa and Europe L L 80, elsewhere L L 100; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World L L 50. *Address:* P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٣ ١/٢ ل.ل. في لبنان
٤ ل.س. في سوريا
٤٥٠ فلساً في الكويت والعراق
٤ ١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية